

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
(٢٢٤هـ - ٣٢٠هـ)

محقق
الدكتور عبد بن عبد المحسن التركي
بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

الجزء التاسع

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

ت : ٣٢٥١٠٢٧

مطبعة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

تَفْسِيرُ الطَّبْرِیِّ
جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : صيّر الله الكعبة البيت الحرام قوامًا للناس الذين لا قوام لهم ، من رئيس يخرجز قوئهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم ، ﴿ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتَيْدَ ﴾ ، فحجّز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معالماً لدينهم ، ومصالح أمورهم .

والكعبة سُميت - فيما قيل - كعبةً لتربيعها .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد^(١) ، قال : إنما سُميت الكعبة لأنها مُربَّعة^(٢) .

(١) بعده في س : « مثله » .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٢/٤ عن وكيع به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٣/٤ (٦٨٥٢) من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، عن أبي سعيدٍ المؤدَّبِ ، عن النَّضْرِ
ابنِ عَرَبِيٍّ ، عن عكرمةَ ، قال : إنما سُمِّيتِ الكعبةُ لتربيعِها^(١) .

وقيل : ﴿ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ . بالياءِ ، وهو من ذواتِ الواوِ ؛ لكسرةِ القافِ ،
وهي فاءُ الفعلِ ، فجُعِلَتِ العينُ منه بالكسرةِ ياءً^(٢) ، كما قيل في مصدرِ
قَمْتُ : قيامًا ، وصمْتُ : صيامًا ، فحُوِّلَتِ العينُ من الفعلِ وهي واوٌ ياءً ؛
لكسرةِ فائه ، وإنما هو في الأصلِ : قَمْتُ قِوامًا ، وصمْتُ صِوامًا ، وكذلك
قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ . فحُوِّلَتِ واؤها ياءً ؛
إذ هي قِوامٌ . وقد جاء ذلك من كلامِهِمْ مَقُولًا على أصلِهِ الذي هو أصلُهُ ، قال
الراجزُ^(٣) :

قِوامٌ دُنْيًا وقِوامٌ دِينِ

فجاء به بالواوِ على أصلِهِ .

وجعلَ تعالى ذكرَهُ الكعبةَ والشَّهْرَ الحرامَ والهُدْيَ والقلائدَ قِوامًا لمن
كان يحُرِّمُ^(٤) ذلك من العربِ ويعظُّمُهُ^(٥) ، بمنزلةِ الرئيسِ الذي يقومُ به أمرُ
تُبَّاعِهِ .

وأما الكعبةُ فالحرَّمُ كُلُّهُ ، وسَمَّاهَا اللَّهُ تعالى ذكرَهُ حرامًا ؛ لتحريمِهِ إيَّاهَا أنْ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى المصنف وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، س : « ألفا » .

(٣) هو حميد الأرقط ، والرجز في مجاز القرآن ١/١٧٧ .

(٤) في م : « يحترم » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، س : « يعطيه » .

يُصَادَ صَيْدُهَا ، أَوْ يُخْتَلَى خِلَاها^(١) ، أَوْ يُعْضَدَ^(٢) شَجَرُهَا .

وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾ . يقول تعالى ذكره : وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد أيضًا قيامًا للناس ، كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قيامًا .

و « الناس » الذين جعل ذلك لهم قيامًا مختلف فيهم ؛ فقال بعضهم : جعل الله ذلك في الجاهلية قيامًا للناس كلهم .

وقال بعضهم : بل عني به العرب خاصة .

٧٧/٧

/وبمثل الذى قلنا فى تأويل القوام قال أهل التأويل .

ذكر من قال : عني الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ . القوام . على نحو ما قلنا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا من سمع خُصيفًا يحدث عن مجاهد في : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ . قال : قوامًا للناس^(٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن خُصيف ، عن سعيد

(١) الخلا مقصور : النبات الرطب الرقيق ما دام رطبًا ، واختلاؤه : قطعه . وأخلت الأرض : كثر خلاها ، فإذا يس فهو حشيش . النهاية ٧٥ / ٢ .

(٢) أى يقطع . يقال : عضدت الشجر أعضده عضداً . النهاية ٢٥١ / ٣ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٥٣٧ / ٢ - ٥٤٣ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٣ / ٢ إلى المصنف .

ابن جبير : ﴿ قِيمًا لِلنَّاسِ ﴾ . قال : صلاحًا لدينهم ^(١) .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيمًا لِلنَّاسِ ﴾ . قال : حين لا يرجون جنة ، ولا يخافون نارًا ، فشدد الله ذلك بالإسلام .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد ابن جبير قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيمًا لِلنَّاسِ ﴾ . قال : شدة لدينهم .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير مثله ^(٢) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيمًا لِلنَّاسِ ﴾ . قال : قيامها أن يأمن من توجه إليها ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ [٧٢٥/١] الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَّ ﴾ : يعني قيامًا لدينهم ، ومعالم لحجهم ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى المصنف وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١١٢/٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٤/٤ (٦٨٥٦) من طريق وكيع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٤/٤ (٦٨٥٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَّ ﴾ : جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ، هُوَ قِيَامُ أَمْرِهِمْ ^(١) .

وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائلها ألفاظها ، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا في ذلك ، من أن ^(٢) القِيَامَ لِلشَّيْءِ هو الذي به صلاحه ، كما الملك ^(٣) الأعظم قِيَامُ رعيته ومن في سلطانه ؛ لأنه مدبّر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم ، وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد قِيَامَ أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية ، وهى فى الإسلام لأهلِه معالم حجّهم ومناسكهم ، ومتوجّههم لصلاتهم ، وقبيلتهم التى باستقبالها يتم فرضهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قالت جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا جَامِعُ بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَّ ﴾ : حَوَاجَزَ أَبْقَاهَا اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَكَانَ الرَّجُلُ لَوْ جَرَّ كُلَّ جَرِيرَةٍ ، ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ ، لَمْ يُتَنَاوَلْ ، / وَلَمْ يُقَرَّبْ ، فَكَانَ الرَّجُلُ لَوْ لَقِيَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، لَمْ يَعْرِضْ لَهُ ، وَلَمْ يُقَرَّبْهُ ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ الْبَيْتَ تَقَلَّدَ دَعَةً مِنْ شَعْرِ ، فَأَحْمَتَهُ ^(٤) وَمَنَعَتْهُ مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ إِذَا نَفَرَ تَقَلَّدَ قِلَادَةً مِنْ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١٤/٤ (٦٨٥٩) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م : « كالملك » ، وفى ت ١ : « كمال الملك » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فأحرمته » .

الإذخِر^(١) ، أو من لحاء السَّمْرِ^(٢) ، فمنعته من الناس حتى يأتى أهله ؛ حواجزُ أبقاها الله بين الناس في الجاهلية^(٣) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ﴾ . قال : كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض . قال : ولم يكن في العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله تعالى ذكره لهم البيت الحرام قيامًا ، يدفع بعضهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك ، يدفع الله^(٤) بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم والقلائد . قال : ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له ، وهذا كله قد نُسِخ^(٥) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْقَلَائِدَ ﴾ : كان ناس يتقلدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحج ، فيعرفون بذلك .

وقد أتينا على البيان عن ذكر « الشهر الحرام » و « الهدي » و « القلائد » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع^(٦) .

(١) الإذخر : حشيش أخضر طيب الريح يسقف به البيوت فوق الخشب ، وهمزته زائدة ، الواحدة : إذخرة . التاج (ذ خ ر) .

(٢) السمر : ضرب من شجر الطلح ، الواحدة سَمْرَة . النهاية ٣٩٩ / ٢ .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٧ / ٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣ / ٢ ، إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) في ص ، ت ، ١ ، س : « به » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره ١٢١٣ / ٤ ، ١٢١٥ ، (٦٨٥٣ ، ٦٨٦٣) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٦) ينظر ما تقدم في ٢٥ / ٨ - ٣٠ .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : تصييره الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد . يقول تعالى ذكره : صيِّرْتُ لكم أيُّها الناس ذلك ^(١) قيامًا ، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم ، علمًا ^(٢) منه بمنافعكم ومضاركم ، أنه كذلك يعلم جميع ما فى السماوات وما فى الأرض ، مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم ، ولتعلموا أنه بكلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لا يخفى عليه شَيْءٌ من أموركم وأعمالكم ، وهو مُخَصِّصُها عليكم ، حتى يجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء منكم بإساءته .

القول في تأويل قوله : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : اَعْلَمُوا أيُّها الناس أن ربكم الذى يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض ، ولا يخفى عليه شَيْءٌ من سرائر أعمالكم وعلايتها ، وهو يُخَصِّصُها عليكم ليجازيكم بها - شديد عقابه من عصاه وتمرد عليه ، على معصيته إياه ، وهو غفورٌ لذنوب من أطاعه وأناب إليه ، فساترٌ عليه ، وتاركٌ فضيحتة بها ، رحيمٌ به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه ، بعد إنابته وتوبته منها .

القول في تأويل قوله : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلٰغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٩٩ ﴾ .

وهذا من الله تعالى ذكره تهديدٌ لعباده ووعيدٌ ، يقول تعالى ذكره : ليس على

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «علمنا» .

رسولنا الذي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِإِذْنِ كَرَمِ عِقَابِنَا ، بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، وَإِعْذَارِنَا إِلَيْكُمْ بِمَا فِيهِ قَطْعُ حُجَجِكُمْ ، إِلَّا أَنْ / يُوَدِّيَ إِلَيْكُمْ رِسَالَتَنَا ، ثُمَّ إِلَيْنَا الثَّوَابُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَعَلَيْنَا الْعِقَابُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ .
 يَقُولُ : وَغَيْرُ خَفْيٍ عَلَيْنَا الْمَطِيعُ مِنْكُمْ ، الْقَابِلُ رِسَالَتَنَا ، الْعَامِلُ بِمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ ، مِنْ « الْعَاصِي الْآبِي رِسَالَتَنَا » ، التَّارِكُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ مَا عَمِلَهُ الْعَامِلُ مِنْكُمْ ، فَأُظْهِرَهُ بِجَوَارِحِهِ ، وَنَطَقَ بِهِ بِلِسَانِهِ ، ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ . يَعْنِي : مَا تُخْفُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ ؛ مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ ، أَوْ يَقِينٍ وَشَكٍّ وَنِفَاقٍ . يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ضَمَائِرِ الصُّدُورِ ، وَظَوَاهِرِ أَعْمَالِ النُّفُوسِ ، مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ ، وَبِيَدِهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، فَحَقِيقٌ أَنْ يُتَّقَى ، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : لَا يَعْتَدِلُ الرَّدِيُّ وَالْجَيِّدُ ، وَالصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ، وَالْمَطِيعُ وَالْعَاصِي ، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ ﴾ [٧٢٥/١ ظ] كَثْرَةُ الْخَبِيثِ .
 يَقُولُ : لَا يَعْتَدِلُ الْعَاصِي وَالْمَطِيعُ لِلَّهِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَوْ كَثُرَ أَهْلُ الْمَعَاصِي ، فَعَجِبَتْ مِنْ كَثَرَتِهِمْ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ هُمُ الْمَفْلُحُونَ ، الْفَائِزُونَ بِثَوَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ قَلُّوا ، دُونَ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنْ أَهْلُ مَعَاصِيهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ الْخَائِبُونَ ، وَإِنْ كَثُرُوا .
 يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : فَلَا تَعْجَبَنَّ مِنْ كَثَرَةٍ مَنِ يَعْصِي اللَّهَ ، فَيُثَمِّلُهُ وَلَا يُعَاجِلُهُ بِالْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ الْعُقُوبَى الصَّالِحَةَ لِأَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، دُونَهُمْ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ . قَالَ :

(١ - ١) فِي ص ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الْمَعَاصِي الَّتِي رِسَالَتُنَا » ، وَفِي م : « الْعَاصِي » ، وَفِي س : « الْمَعَاصِي » ، وَالْمَثْبُوتُ هُوَ الصَّوَابُ .

الخبِيثُ هم المشركون ، والطَّيِّبُ هم المؤمنون ^(١) .

وهذا الكلام وإن كان مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الخطابِ لرسولِ الله ﷺ ، فالمرادُ به بعضُ أتباعه ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٠) .

يقولُ تعالى ذكره : واتقوا اللهَ بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، واحذروا أن يستحوذَ عليكم الشيطانُ بإعجابكم كثرة الخبيث ، فتصيروا منهم ، ﴿ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ ﴾ . يعنى بذلك : أهلَ العقولِ والحِجَا ، الذين عقلوا عن الله آياته ، وعرفوا مواقعَ حُجَجِهِ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . يقولُ : اتقوا اللهَ لِتُفْلِحُوا . أى : كى تُنْجِحُوا فى طَلِبَتِكُمْ ما عنده .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ يَتَأُولَى الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ .

٨٠/٧ /ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوامٌ امتحاناً له أحياناً ، واستهزاءً أحياناً ، فيقولُ له بعضهم : مَنْ أبى ؟ ويقولُ له بعضهم إذا ضلَّتْ ناقته : أين ناقتى ؟ فقال لهم تعالى ذكره : لا تسألوا عن أشياء من ذلك ، كمسألة عبدِ الله بنِ حذافةٍ إياه مَنْ أبوه ، ﴿ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . يقولُ : إِنْ أَبَدَيْنَا لَكُمْ حَقِيقَةَ ما تسألون عنه ساءَ كم إبداءُها وإظهارُها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تظاهرت الأخبارُ عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١٦/٤ (٦٨٧٠) من طريق أحمد بن مفضل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٤/٢ إلى أبى الشيخ .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ^(١) حفص بن غنيم ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا أبو الجؤيرية ، قال : قال ابن عباس لأعرابي من بني سليم : هل تدري فيما أنزلت هذه الآية : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . حتى فرغ من الآية ؟ فقال : كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء ، فيقول الرجل : من أبي ؟ والرجل تضل ناقته ، فيقول : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ^(٢) .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو عامر وأبو داود ، قالا : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أخفوه ^(٣) بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم ، فقال : « لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم » . قال أنس : فجعلت أنظر يمينا وشمالا ، فأرى كل إنسان لافا ثوبه يئكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحي ^(٤) يُدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال : « أبوك حذافة » . قال : فأنشأ عمر ، فقال : رضينا بالله ربنا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد ﷺ رسولا ، وأعوذ بالله من سوء الفتن . فقال رسول الله ﷺ : « لم أر في ^(٥) الشر والخير كالיום قط ، إنه صوّرت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط » . وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ ^(٦) .

(١ - ١) سقط من : ت ٣ ، وفي ص ، م : « بعض بني نفيل » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « بعض بن نفيل » . وفي س : « حفص بن مقبل » . والمثبت من مصادر ترجمته . وينظر تهذيب الكمال ٥ / ٧ .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٢) ، وابن أبي حاتم ١٢١٧ / ٤ (٦٨٧٧) ، والطبراني (١٢٦٩٥) من طريق زهير به . (٣) أي استقصوا في السؤال . النهاية ٤١٠ / ١ .

(٤) يقال : لاحيت الرجل ملاحاة ولحاء . إذا نازعته . النهاية ٢٤٣ / ٤ .

(٥) ليست في : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ . والمثبت من م ، س موافق لما في مصادر التخريج .

(٦) أخرجه البخاري (٧٠٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٩) من طريق هشام به ، وأخرجه مسلم (٢٣٥٩) ، وابن أبي حاتم ١٢١٨ / ٤ (٦٨٧٨) من طريق قتادة به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٤ / ٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ الْبَحْرَانِيُّ ، قَالَ : ثنا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : « أَبوك فلانٌ » . قَالَ : فنزلت : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . قَالَ : فحَدَّثَنَا أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ حَتَّى أَخْفَوهُ بِالمَسْأَلَةِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَقَالَ : « لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتهُ لَكُمْ » . فَأَشْفَقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمْرٌ قَدْ حَضَرَ ، فَجَعَلَتْ لَا أَلْتَفْتُ يَمِينًا وَلَا ^(٢) شِمَالًا إِلَّا وَجَدْتُ كُلاًَّ لَافًا رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي ، فَأَنْشَأَ رَجُلٌ كَانَ يُلَاحِظِي فَيُذْعِي إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : « أَبوك حُذَافَةُ » . قَالَ : ثُمَّ قَامَ ^(٣) عَمْرٌ - أَوْ قَالَ : فَأَنْشَأَ عَمْرٌ - فَقَالَ : رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا ، عَائِذًا بِاللَّهِ - أَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ - مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ . قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ٨١/٧ « لَمْ أَرَفِي الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، صُورَتْ لِيَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا دُونَ الْحَائِطِ » ^(٤) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ وَسَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، قَالَا : ثنا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ : [٧٢٦/١] ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٩) ، والترمذي (٣٠٥٦) ، عن محمد بن معمر به ، وأخرجه البخاري (٧٢٩٥) من طريق روح به .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٣) في م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قال » .

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٩٠ ، ٧٠٩١) ، من طريق يزيد بن زريع به ، ووصله أبو نعيم في المستخرج - كما في الفتح ٤٥/١٣ من طريق رُشَّة ، عن عباس النرسي ، عن يزيد به ، وأخرجه مسلم (٢٣٥٩) ، والطحاوي في شرح المشكل (١٤٧٦) من طريق سعيد به .

ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴿١٠١﴾ . قال : ذاك يومٌ قام فيهم
النبي ﷺ ، فقال : « لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ » . قال : فقام رجلٌ ، فكرِه
المسلمون مقامه يومئذٍ ، فقال : يا رسولَ الله ، مَنْ أبى ؟ قال : « أبوك حذافة » .
قال : فنزلت هذه الآية ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن ابنِ
طاووسٍ ، عن أبيه ، قال : نزلت : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . في
رجلٍ قال : يا رسولَ الله ، مَنْ أبى ؟ قال : « أبوك فلانٌ » ^(٢) .

حدثنا القاسمٌ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى سفيانٌ ، عن معمرٍ ، عن قتادة ،
قال : سألوا النبي ﷺ حتى أَكْثَرُوا عليه ، فقام مُغْضَبًا خَطِيئًا ، فقال : « سَلُونِي ،
فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي إِلَّا حَدَّثْتُكُمْ » . فقام رجلٌ ، فقال :
مَنْ أبى ؟ قال : « أبوك حذافة » . واشتد غضبه وقال : « سَلُونِي » . فلما رأى الناسُ
ذلك كَثُرَ بكَاؤُهُمْ ، فجثا عمرُ على ركبتيه ، فقال : رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ^(٣) .

قال معمرٌ : قال الزهريُّ : قال أنسٌ مثلَ ذلك : فجثا عمرُ على ركبتيه ، فقال :
رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا . فقال رسولُ الله ﷺ : « أَمَّا
والذي نفسي بيده ، لقد صُورَتْ لِي الجنةُ والنارُ آنفًا فِي عَرْضِ هَذَا الْحَائِطِ ، فلم أَرِ
كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ » ^(٤) .

قال ^(٥) الزهريُّ : فقالت أمُّ عبدِ الله بنِ حذافة ^(٥) : ما رأيتُ ولدًا أعقَّ منك قطُّ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٤/٢ إلى المصنف .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٦ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٥ عن معمر به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٦ عن معمر به .

(٥ - ٥) كذا في النسخ ، وفي تفسير عبد الرزاق : « وقال الزهري : فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : فقالت أم عبد الله بن حذافة » . وهو الصواب .

أَتَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ أُمَّكَ قَارِفَتْ مَا قَارَفَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فَتَفْضَحَهَا عَلَى رِعَوسِ النَّاسِ !
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَحَقَّنِي بَعِيدٌ أَسْوَدَ لِلْحِقْقَةِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السُّدِّيِّ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . قَالَ :
غَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَقَامَ خَطِيئًا ، فَقَالَ : « سَلُونِي فَإِنِّكُمْ لَا
تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنَّبَاتُكُمْ بِهِ » . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، يُقَالُ لَهُ :
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ . وَكَانَ يُطْعَنُ فِيهِ ، قَالَ : فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَبِي ؟ قَالَ :
« أَبُوكَ فُلَانٌ » . فَدَعَاهُ لِأَبِيهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَمْرٌ ، فَقَبَّلَ رَجُلَهُ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِكَ نَبِيًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، فَاعْفُ عَنَّا عَفَا اللَّهُ
عَنكَ . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ ، فَيَوْمَئِذٍ قَالَ : « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ » ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثنا قَيْسٌ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ أَبِي
صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ غَضْبَانٌ مُحَمَّرٌ وَجْهُهُ ،
حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، / فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَيْنَ أَبِي ^(٣) ؟ قَالَ : « فِي النَّارِ » . فَقَامَ
آخَرُ فَقَالَ : مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : « أَبُوكَ حُذَافَةُ » . فَقَامَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : رَضِينَا بِاللَّهِ
رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، إِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِيثُ عَهْدٍ
بِجَاهِلِيَّةٍ وَشَرِكٍ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ آبَاؤُنَا . قَالَ : فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، وَنَزَلَتْ : ﴿ يَتَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ ^(٤) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٦ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أم عبد الله .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢١٩ (٦٨٨٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) في ص ، ت ١ ، س : «أنا» وانظر مصادر التخريج الآتية بعد .

(٤) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (١٤٧٥) من طريق الفريابي ، عن قيس به ، وذكره ابن كثير في

تفسيره ٣/ ١٩٩ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٣٣٥ إلى الفريابي وابن مردويه .

(تفسير الطبري ٩/ ٢)

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ من أجل مسألة سائل سأله عن شيء في أمر الحج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا منصور بن وزدان الأسدي ، قال : ثنا علي بن عبد الأعلى ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] . قالوا : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قال : « لا ، ولو قلت : نعم . لوجبت » . فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية : ﴿ يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ^(٢) عبد الرحيم بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهجري ، عن أبي ^(٣) عياض ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله كتب عليكم الحج » . فقال رجل : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى عاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال : « من السائل ؟ » . فقال : فلان . فقال : « والذي نفسي بيده ، لو قلت : نعم . لوجبت ، ولو وجبت عليكم ما أطقموه ، ولو تركتموه لكفرتم » . فأنزل الله هذه الآية : ﴿ يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ ، حتى ختم الآية ^(٤) .

(١) أخرجه أحمد ٢٣٦/٢ (٩٠٥) ، والترمذي (٨١٤ ، ٣٠٥٥) ، وابن ماجه (٢٨٨٤) ، والبخاري (٩١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٧) من طريق منصور ، عن علي ، عن أبيه ، عن أبي البخري ، عن علي .

(٢ - ٢) في النسخ : « عبد الرحمن » . وتقدم على الصواب في ٥٤١/٢ ، ٦٦٤ ، ٧٠٢ ، ٥٦٩/٣ .

(٣) في م : « ابن » . وينظر تهذيب الكمال ٥٤٣/٢١ .

(٤) أخرجه الدارقطني ٢٨٢/٢ ، والطحاوي في شرح المشكل (١٤٧٣) من طريق الهجري به .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(١) بْنِ شَقِيقٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ » . فَقَامَ مُحْصِنُ الْأَسَدِيِّ ^(٢) ، فَقَالَ : أَفَى كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ . لَوْجَبْتُ ، وَلَوْ وَجِبْتُ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ ، اشْكُتُوا عَنِّي ^(٣) مَا سَكْتُ عَنْكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يحيى بن واضح ، قَالَ : ثنا الحسين بن واقد ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنِ الْأَسَدِيِّ ^(٥) .

حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبَانَ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ : ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغَمَرِ ^(٦) ، قَالَ : ثنا أبو مُطِيعٍ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَى سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ [٧٢٦/١ ظ] أَبَا أَمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَقَالَ : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ » . فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ / الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ : أَفَى كُلِّ

٨٣/٧

(١) فِي النسخ : « الحسين » ، وتقدم على الصواب فِي ٢/٢٧٨ ، ٣/١٠٥ ، ١١٢ ، ٢٥٩ .

(٢) فِي ص : « الأسدي » .

(٣) فِي ص ، ت ١ : « على » .

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٦/٣٥٥ (١٠٦٠٧) ، وَمُسْلِمٌ (١٣٣٧) ، وَالنَّسَائِيُّ (٢٦١٨) ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ ٢/٢٨١ ،

وَابْنُ حِبَّانَ (٣٧٠٤ ، ٣٧٠٥) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢/٣٣٥ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ وَابْنِ مَرْدُودِهِ .

(٥) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/٢٠٠ : وَهُوَ أَشْبَهُ .

(٦) فِي النسخ : « العمر » بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ ، وَيَنْظُرُ تَبْصِيرَ الْمُتَبَّهِ ٣/٩٧١ .

عام؟ قال : فغلق^(١) كلام رسول الله ﷺ ، وأسكت^(٢) ، واشتغضب^(٣) ، فمكث طويلاً ، ثم تكلم ، فقال : « من السائل ؟ » . فقال الأعرابي : أنا ذا . فقال : « ويحك ماذا يؤمنك أن أقول : نعم . ولو قلت : نعم . لوجبث ، ولو وجبث لكفرتم ، ألا إنه إنما أهلك الذين قبلكم أئمة الحرج ، والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض ، وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه » . قال : فأنزل الله تعالى ذكره عند ذلك : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ إلى آخر الآية^(٤) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ : وذلك أن رسول الله ﷺ أذن في الناس ، فقال : « يا قوم ، كتب عليكم الحج » . فقام رجل من بني أسد فقال : يا رسول الله ، أفى كل عام ؟ فأغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فقال : « والذي نفس محمد بيده لو قلت : نعم . لوجبث ، ولو وجبث ما استطعتم ، وإذن لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم ، فإذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه » . فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي

(١) فى م : « فعلا » . وفى باقى النسخ : « فعل » غير منقوطة . والمثبت موافق لما فى مصادر التخرىج وفى الدر المنثور « فسكت طويلاً » قال شمر : يقال لكل شيء نشب فى شيء فلزمه : قد غلق ، غلق فى الباطل ، وغلق فى البيع فاستغلق . واستغلق الرجل إذا أرتج عليه فلم يتكلم . لسان العرب (غ ل ق) .

(٢) بعده فى م : « وأغضب » . وقوله : أسكت . يقال : تكلم الرجل ثم سكت بغير ألف ، فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل : أسكت . النهاية ٣٨٣ / ٢ .

(٣) كذا ضبطت فى « ص » ، والنهاية ٣٨٣ / ٢ ، واللسان (س ك ت) ، وذكر الشيخ شاكر أن أصحاب اللغة لم يذكروه ، وتضبط أيضا : « استغضب » .

(٤) أخرجه الطبرانى (٧٦٧١) من طريق أبى زيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٥ / ٢ إلى ابن مردويه .

سَأَلَتِ النَّصَارَى مِنَ الْمَائِدَةِ ، فَأَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ، فَهَيَّيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ،
وَقَالَ : لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِيهَا بِتَغْلِيظٍ سَاءَ كَمَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ انْتَظِرُوا ،
فَإِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ فَإِنَّكُمْ لَا تَسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَجَدْتُمْ تَبْيَانَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ :
ثنا عليُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ ﴾ .
قَالَ : لما أُنْزِلَتْ آيَةُ الْحَجِّ ، نادى النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،
إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعَامًا
وَاحِدًا ؟ أَمْ كُلٌّ عَامٍ ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ عَامًا وَاحِدًا ، وَلَوْ قُلْتُ : كُلٌّ عَامٍ .
لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ لَكَفَرْتُمْ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ . قَالَ : سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ
أَشْيَاءَ فَوَعَّظَهُمْ ، فَانْتَهَوْا ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ
تَسْؤُكُمْ ﴾ . قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجَّ ، فَقِيلَ : أَوَاجِبٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلٌّ
عَامٍ ؟ قَالَ : « لَا ، لَوْ قُلْتُهَا لَوَجِبَتْ ، وَلَوْ وَجِبَتْ مَا أَطَقْتُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُطِيقُوا لَكَفَرْتُمْ » .
ثُمَّ قَالَ : « سَلُونِي ، فَلَا يَسْأَلُنِي رَجُلٌ فِي مَجْلِسِي هَذَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ ، وَإِنْ

(١) بعده في م : « حَدَّثَنِي أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ مِثْلَهُ » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٨/٤ ، ١٢١٩ (٦٨٨١ ، ٦٨٨٤) عن محمد بن

سعد به .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٢/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٥/٢ إلى المصنف

وابن مردويه .

٨٤/٧ سألتني عن أبيه . فقام إليه رجل ، فقال : من أبي ؟ / قال : « أبوك حذافة بن قيس » .
فقام عمر فقال : يا رسول الله ، رضيينا بالله ربنا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد ﷺ نبينا ،
ونعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله ^(١) .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن
البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن
خُصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ . قال : هي
البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، ألا ترى أنه يقول بعد ذلك : ما جعل الله من كذا
ولا كذا . قال : وأما عكرمة فإنه قال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فنُهِوا عن
ذلك ، ثم قال : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾
[المائدة : ١٠٢] . قال : فقلت : قد حدثني مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس ،
فما لك تقول هذا ؟ فقال : هيئه ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن ابن عوين ، عن عكرمة ^(٣) ،
قال : هو الذي سأل رسول الله ﷺ : من أبي ؟ وقال سعيد بن جبيرة : هم الذين

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٦/٢ إلى المصنف وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) يقال للشئ يزجر ويطرد : هيئه هيئه . اللسان (هـ ي هـ) .

والأثر أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٣٩ - تفسير) من طريق عتاب به ، وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٣٣٦/٢ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : «عن الأعمش» وهو خطأ ، فالمصادر كلها على أنه من قول
عكرمة لا الأعمش .

سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة والسائبة^(١) .

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله ﷺ المسائل ، كمسألة ابن حذافة إياه من أبوه ، ومسألة سائله - إذ قال : « إن الله فرض عليكم الحج » - أفي كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ؛ لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل .

وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس فقول غير بعيد من الصواب ، ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه ، وكرهنا القول به من أجل ذلك ، على أنه غير مُستَكْرٍ أن تكون المسألة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، كانت فيما سألوا النبي ﷺ عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها ، كما كره لهم المسألة عن الحج ؛ أكل عام هو ؟ أم عامًا واحدًا ؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسألتَه [٧٢٧/١] عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلها ، فأخبر كل مُخبرٍ منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله و^(٢) أجلٍ غيره .

وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ؛ لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذكرت صحاح ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ .

يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله ﷺ عن مسألة رسول الله ﷺ عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه ، من فرائض لم يفرضها الله عليهم ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٨/٤ (٦٨٧٩) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ١١٨/٤ من طريق عبد الكريم ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، وعندهما زيادة قول مقسم ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٦/٢ إلى أبي الشيخ .

(٢) في م : « أو » .

وتحليل أمور لم يُحلّلها لهم ، وتحريم أشياء لم يُحرّمها عليهم ، قبل نزول القرآن بذلك - : أيّها المؤمنون السائلون عمّا سألوا عنه رسولى مما لم أنزل به كتاباً ولا وحيًا ، لا تسألوا عنه ، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيانٌ بوحى وتنزيل ساءكم ؛ لأن / التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم ، إما بإيجاب عمل عليكم ، ولزوم فرض لكم ، وفى ذلك عليكم مشقة ، ولزوم مؤنة وكلفة ، وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحي ، كنتم من التقدم عليه فى فُسحة وسعة ، وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه ، وفى ذلك لكم مساءة ؛ لنقلكم عما كنتم ترونه حقًا ، إلى ما كنتم ترونه باطلاً ، ولكنكم إن سألتهم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم ببيان^(١) أمرها فى كتابى إلى رسولى إليكم ،^(٢) لَيَسَّرَ عليكم^(٣) ما أنزلته إليه من إيتائى^(٤) كتابى وتأويل تنزيلى ووحى .

وذلك نظير الخبر الذى روى عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، الذى حدثنا به هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبى هند ، عن مكحول ، عن أبى ثعلبة الخشنى ، قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها ، وعفا^(٤) عن أشياء^(٥) من غير نسيان فلا تبخثوا عنها^(٥) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال :

(١) فى م ، ت ١ : « شأن » .

(٢ - ٢) فى م : « بين لكم » .

(٣) فى م : « إتيان » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) أخرجه البيهقى ١٢/١٠ من طريق داود به ، وأخرجه الدارقطنى ١٨٣/٤ ، ١٨٤ ، وأبو نعيم فى الحلية ١٧/٩ ، والحاكم ١١٥/٤ ، والبيهقى ١٣/١٠ من طريق داود به مرفوعاً ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٦/٢ إلى ابن المنذر مرفوعاً أيضاً .

كان عُبيد بنُ عُمير يقولُ : إن الله تعالى ذكره أحلَّ وحرَّم ، فما أحلَّ فاستحلُّوه ، وما حرَّم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يُحلَّها ولم يُحرَّمها . فذلك عَفْوٌ من الله عفاه . ثم يثْلُو : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا الضحاكُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ جريج ، قال : أَخْبَرَنِي عطاءٌ ، عن عُبيد بنِ عُمير أنه كان يقولُ : إن الله حرَّم وأحلَّ . ثم ذكر نحوه .

وأما قوله : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾ . فإنه يعنى به : عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التى سألتُم عنها رسولَ الله ﷺ ، الذى كره الله لكم مسألتكم إيَّاه عنها ، أن يؤاخذكم بها ، أو يعاقبكم عليها ، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ . يقولُ : والله سائرُ ذنوبٍ من تاب منها ، فتاركٌ أن يفضحه بها فى الآخرة ، ﴿ حَلِيمٌ ﴾ أن يعاقبه بها ؛ لتغمده التائب منها برحمته ، وعفوه عن عقوبته عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ الذى ذكرناه آنفاً .

وذلك ما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ . يقولُ : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيءٍ إلا وجدتم تبيانه ^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ (١٠٢) .

يقولُ تعالى ذكره : قد سأل الآياتِ قومٌ من قبلكم ، فلمَّا آتاهموها الله أصبَحُوا بها جاحدين مُنكرين أن تكونَ دلالةً على حقيقة ما احتجَّ بها عليهم ، وبرهاناً على

صحة ما جعلت برهاناً على تصحيحه ، كقوم صالح الذين سألوا الآية ، فلما جاءتهم
الناقة آية عقروها ، وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم / من السماء ، فلما
أعطوها كفروا بها^(١) ، وما أشبه ذلك ، فحذر الله تعالى المؤمنين بنبئه ﷺ أن يسلكوا
سبيل من قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند
مسألتهموها ، فقال لهم : لا تسألوا الآيات ، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم
تشؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قوم ، فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين .

٨٦/٧

كالذي حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى
أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ
لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ : نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ،
فأصبحوا بها كافرين ، فنهى الله عن ذلك^(٢) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدي : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ﴾ : قد سأل الآيات قوم من قبلكم ،
وذلك حين قيل له : غيّر لنا الصفا ذهباً^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ .
يقول تعالى ذكره : ما بحر الله بحيرة ولا سيّب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا
حمى حامياً ، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة ، فحرّمتموه افتراءً على ربكم .
كالذي حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنى أبي وشعيب بن
الليث ، عن الليث ، عن ابن الهادي ، وحدثني يونس ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف ،

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «بريها» .

(٢) تقدم في ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٩/٤ (٦٨٨٣) من طريق أحمد بن مفضل به .

قال : ثنى الليث ، قال : ثنى ابن الهادي ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه ^(١) في النار ، وكان أول من سيب الشيب ^(٢) » ^(٣) .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، [٧٢٧/١] عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأئتم بن الجون : « يا أئتم ، رأيت عمرو بن لحي بن قمعنة بن خندف يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجلي منك به ، ولا به منك » . فقال أئتم : تخشى ^(٤) أن يضرنني شبهه يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين إسماعيل ، وبخر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحمى الحامي ^(٥) » ^(٦) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنى هشام بن سعيد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : « قد عرفت أول من بخر البحائر ؛ رجل من مدليج ، كانت له ناقتان فجدع آذانهما ^(٧) ، وحرّم ألبانهما وظهورهما ، وقال : هاتان لله . ثم احتاج إليهما فشرب ألبانهما ، وركب ظهورهما » . قال : « فلقد رأيته في النار يؤذي أهل

(١) القصب بالضم : المعى ، وجمعه أقصاب . النهاية ٦٧/٤ .

(٢) في م : « السائبة » والسيب جمع سائبة ، وفي س : « السوائب » وهو لفظ أكثر الروايات .

(٣) أخرجه البيهقي ٩/١٠ عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم به ، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤٧٩) من طريق يونس بن عبد الأعلى به ، وأخرجه البخاري (٣٥٢١ ، ٤٦٢٣) من طريق شعيب به ، وأخرجه أحمد ٣٩١/١٤ (٨٧٨٧) ، وابن أبي عاصم في الأوائل (٤٤) ، وابن حبان (٦٢٦٠) من طريق الليث به . وأخرجه ابن مردويه - كما في الفتح ٢٨٥/٨ من طريق ابن الهادي به ، وأخرجه البخاري (٤٦٢٣) ، ومسلم (٥١/٢٨٥٦) من طريق الزهري به .

(٤) في م ، ت ، ١ ، س : « أخشى » .

(٥) في ص : « الحما » .

(٦) سيرة بن هشام ٧٦/١ . وأخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل (٨٣) من طريق ابن إسحاق به ، وأخرجه البخاري (٣٥٢٠) ، ومسلم (٥٠/٢٨٥٦) من طريق أبي صالح به ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٤/٣ عن المصنف .

(٧) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ : « إحداهما » .

النار رِيحُ قُصْبِهِ»^(١).

٨٧/٧ / حَدَّثَنَا هَنَّادٌ ، قَالَ : ثنا عَبْدَةُ^(٢) ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « غُرِضْتُ عَلَى النَّارِ ، فرَأَيْتُ فِيهَا عمرو بنَ فلانِ ابنِ فلانٍ^(٣) بنِ خِنْدَفٍ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ ، وهو أولُ من غَيَّرَ دينَ إبراهيمَ ، وسَيِّبَ السَّائِبَةَ ، وَأَشْبَهُهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ أَكْثَمُ بْنُ الْجَوْنِ » . فقال أَكْثَمُ : يا رسولَ الله ، أَيُضْرِنِي شَبَهُهُ ؟ قال : « لا ؛ لأنك مسلمٌ ، وإنه كافرٌ »^(٤).

حَدَّثَنَا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرزاقِ^(٥) عن معمرٍ ، عن الزهرى ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ^(٥) قال : « رَأَيْتُ عمرو بنَ عامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ ، وهو أولُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ »^(٦).

حَدَّثَنَا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن زيدِ ابنِ أسلمٍ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنِّي لأَعْرِفُ أولَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ ، وأولَ من غَيَّرَ عهدَ إبراهيمَ » . قالوا : مَنْ هو يا رسولَ الله ؟ قال : « عمرو بنُ لُحَيٍّ أخو بني كعبٍ ، لقد رَأَيْتُهُ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ ، يُؤْذِي رِيحُهُ أَهْلَ النَّارِ ، وإِنِّي لأَعْرِفُ أولَ مَنْ بَحَرَ الْبَحَائِرَ » . قالوا : مَنْ هو يا رسولَ الله ؟ قال : « رجلٌ من بني مُدَلِجٍ كانت له ناقتان ، فجَدَعَ آذَانَهُمَا ، وحرَّم ألبانَهُمَا ، ثم شَرِبَ ألبانَهُمَا بعدَ ذلك ، فلقد رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ هو وهما يَعْضَّانِهِ بِأَفْوَاهِهِمَا ، وَيَخْطِطَانِهِ بِأَخْفَافِهِمَا »^(٧).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٢/١٤ من طريق هشام به .

(٢) في النسخ : « عبدة » ، وتقدم على الصواب في ١٧٠/٣ ، ١٩٤ .

(٣) بعده في م : « ابن فلان » .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٠/١٤ ، وأبو يعلى (٦١٢١) ، وابن حبان (٧٤٩٠) ، والحاكم ٦٠٥/٤ من طريق محمد بن عمرو به ، وذكره ابن كثير ٢٠٤/٣ عن المصنف .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدرى التخريج .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١٩٧/١ ومن طريقه أحمد ١٣٧/١٣ (٧٧١٠) .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١٩٧/١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٨/٢ إلى عبد بن حميد .

والبحيرةُ الفعيلةُ ، من قولِ القائلِ : بَحَرْتُ أُذُنَ هذه الناقةِ - إذا شَقَّها - أَبَحَرُها
بَحَرًا . والناقةُ مَبْحُورَةٌ ، ثم تُصَرَّفُ المفعولةُ إلى فَعِيلَةٍ ، فيقالُ : هِيَ بَحِيرَةٌ . وأما البَحْرُ
من الإبلِ فهو الذى قد أصابه داءٌ من ^(١) كثرةِ شربِ الماءِ ، يقالُ منه : بَحِرَ البعيرُ يَبْحَرُ
بَحَرًا . ومنه قولُ الشاعرِ ^(٢) :

لَأُعْلِطَنَّهُ ^(٣) وَشَمًا ^(٤) لَا يُفَارِقُهُ كَمَا يُحَرُّ بِحُمَى الْمَيْسَمِ الْبَحْرُ

وبنحو الذى قلنا فى معنى البحيرةِ جاء الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بيانٍ ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ يزيدٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى
خالدٍ ، عن أبى إسحاقٍ ، عن أبى الأحوصِ ، عن أبيه ، قال : دَخَلْتُ على
النَّبِيِّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ : « أَرَأَيْتَ إِبْلَكَ ، أَلَسْتَ تُتَبِّجُهَا مُسَلِّمَةً آذَانَهَا ، فَتَأْخُذَ
الْمَوْسَى فَتَجْدَعَهَا ، تقولُ : هذه بحيرةٌ . وتَشُقُّ آذَانَهَا ، تقولُ : هذه صُرْمٌ ^(٥) ؟ » .
قال : نعم . قال : « فَإِنَّ سَاعِدَ اللَّهِ أَشَدُّ ، وَمَوْسَى اللَّهُ أَحَدٌ ، كُلُّ مَا لَكَ لَكَ حَلَالٌ ، لَا
يُحَرِّمُ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ » ^(٦) .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبَةُ ، عن أبى

(١) فى ص : « عن » .

(٢) اللسان (ب ح ر) .

(٣) فى ص ، س : « لأعطلنه » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لأعطلنك » . والمثبت من اللسان . وعلط البعيرُ
والناقةُ يعلطهما ويعلطنهما علطاً وعلطهما : وسهما بالعلاط . والعلاط : علامة فى جانب العنق تكون خطأ
أو أكثر بالعرض . والعلط : أثر الوسم فى جانب العنق . اللسان (ع ل ط) .

(٤) فى ص : « دسما » .

(٥) فى النسخ : « حرم » . والمثبت من بعض مصادر التخريج ، قال البغوى فى شرح السنة ١٢ / ٤٩ : والصرم
جمع الصريم ؛ وهو الذى صُرِمَ أذنه ، أى : قطع .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٠ / ٤ (٦٨٨٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٧٤٢) ،
والبغوى فى شرح السنة (٣١١٨) من طريق أبى إسحاق به . وأخرجه أحمد ٤٦٤ / ٢٨ (١٧٢٢٨) من طريق
أبى الأحوص به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٣٣٧ ، إلى عبد بن حميد والحكيم الترمذى فى نواتر
الأصول وابن المنذر .

إسحاق ، قال : سَمِعْتُ / أبا الأحوص ، عن أبيه ، قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « هل تُتَبَّجُ ^(١) إِبِلُ قَوْمِكَ صِحاحًا آذانها ، فتَعْمِدُ إلى المَوْسَى ، فتَقْطَعُ آذانها ، فتَقُولُ : هذه بُحْرٌ . وتَشْقُّها - أو تشقَّ جلودها - فتَقُولُ : هذه صُرْمٌ ^(٢) . فتَحْرِمُها عليك وعلى أَهْلِكَ ؟ » قال : نعم . قال : « فإن ما آتاك اللَّهُ لك حلٌّ ، وساعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ ، ومَوْسَى اللَّهِ أَحَدٌ » . وربما قال : « ساعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ من ساعِدِكَ ، ومَوْسَى اللَّهِ أَحَدٌ من مَوْسَاكَ » ^(٣) .

وأما السائبةُ فإنها المِسيبةُ المُخلَّاةُ ، وكانت الجاهليةُ يفعلُ ذلكَ أحدهم ببعضِ مواشيهِ ، فيحرِّمُ الانتفاعَ به على نفسه ، كما كان بعضُ أهلِ الإسلامِ يُعْتِقُ عبده سائبةً ، فلا ينتفعُ به ولا بولائه .

وأُخْرِجَتِ المِسيبةُ بلفظِ السائبةِ ، كما قيل : ﴿ عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٢١ ، القارعة : ٧] . بمعنى : مَرْضِيَّةٍ .

وأما الوَصِيْلَةُ فإن الأُنثى من نَعَمِهِم في الجاهلية كانت إذا أَتَمَّتْ بطنًا بذكرٍ وأنثى ، قيل : قد وَصَلَتِ الأنثى أخاها . بدفعِها عنه الذبح ، فسمَّوها وَصِيْلَةً .

وأما الحامِي فإنه الفَحْلُ من النِّعَمِ ، يُحْمَى ظهره من الركوبِ والانتفاعِ ، بسببِ تتابعِ أولادِهِ تَحْدُثُ من فِحلته .

وقد اختلفَ أهلُ التَّأْوِيلِ في صفاتِ المِسمِّيَّاتِ ^(٤) بهذه الأسماءِ ، ^(٥) وما السببُ ^(٥) الذي من أَجلِهِ كانت تفعلُ ذلك ؟

(١) تنتج البهيمة : أى تلد ، يقال : تُبِتِجُ الناقة إذا ولدت فهي منتوجة وأنتجت إذا حملت ، فهي نتوج . ولا يقال : منتج . وتنتجُ الناقة أنجبها إذا ولدتها . والناجج للإبل كالقابلة للنساء . النهاية ١٢ / ٥ .

(٢) فى النسخ : « حرم » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه الطيالسى (١٣٩٩) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٧٤٢) من طريق شعبة به ، وينظر تخرجه مفصلاً فى الطيالسى .

(٤) فى ص ، ت ١ : « المِسيبات » وفى س : « السييات » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ١ ، س : « أما المسبب » .

ذكر الرواية بما قيل في ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن^(١) إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن أبا صالح السمان ، حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأئمة بن الجون الخزاعي : « يا أئمة ، رأيت عمرو بن لحي بن قمنة بن خندف يجز قصبه في النار ، فما رأيت من رجل أشبهه برجل منك به ، ولا به منك » . فقال أئمة : أضرني شبهه يا نبي الله ؟ قال : « لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، وإنه كان أول من غير دين إسماعيل ، ونصب الأوثان ، وسيب السائب^(٢) فيهم^(٣) » .

وذلك أن الناقة إذا تابعت^(٤) ينتن عشرة إناثا ليس فيها ذكر ، سويت ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجر وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذننها ، ثم خلل سبيلها مع أمها في الإبل ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجر وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فعل بأمها ، فهي البحيرة ابنة السائبة .

والوصيلة : أن الشاة إذا نتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جعلت وصيلة ، قالوا : وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشتركون في أكله ؛ ذكورهم وإناثهم .

والحامي : أن الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمى ظهره ، ولم يركب ، ولم يجر وبره ، [٧٢٨/١] ويخلل في إبله يضرب فيها ، لا

(١) في النسخ : « أبي » .

(٢) في م : « السائب » .

(٣) تقدم تخريجه في ص ٢٧ .

(٤ - ٤) في سيرة ابن هشام : « عشر إناث ليس بينهن ذكر » . والمثبت من النسخ عندنا قول حكاة البغوي في

تفسيره ١٠٧/٣ ولم ينسبه إلى قائل .

يُنتَفَعُ بِهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ^(١) .

٨٩/٧

/ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي الضُّحَى ، عَنْ مَسْرُوقٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : سَقَطَ عَلَيَّ فِيمَا أَظُنُّ كَلَامَ مَنْهُ - قَالَ : فَأَتَيْتُ عُلُقَمَةَ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَى شَيْءٍ كَانَ يَصْنَعُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُسْعُودِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُسْلِمٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ عُلُقَمَةَ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . فَقَالَ : وَمَا ^(٢) تَصْنَعُ بِهِذَا ؟ إِنَّمَا هَذَا شَيْءٌ مِنَ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : فَأَتَيْتُ مَسْرُوقًا فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : الْبَحِيرَةُ : كَانَتِ النَّاقَةُ إِذَا وَلَدَتْ بَطْنًا خُمْسًا أَوْ سَبْعًا ، شَقُّوا أُذُنَهَا ، وَقَالُوا : هَذِهِ بَحِيرَةٌ . قَالَ : ﴿ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾ . قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَأْخُذُ بَعْضَ مَالِهِ ، فَيَقُولُ : هَذِهِ سَائِبَةٌ . قَالَ : ﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ . قَالَ : كَانُوا إِذَا وَلَدَتِ النَّاقَةُ الذَّكَرَ ، أَكَلَهُ الذَّكَورُ دُونَ الْإِنَاثِ ، وَإِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى فِي بَطْنٍ ، قَالُوا : وَصَلَتْ أَخَاهَا . فَلَا يَأْكُلُونَهُمَا ، قَالَ : فَإِذَا مَاتَ الذَّكَرُ أَكَلَهُ الذَّكَورُ دُونَ الْإِنَاثِ . قَالَ : ﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ . قَالَ : كَانَ الْبَعِيرُ إِذَا وَلَدَ ، وَوَلَدَ وَلَدَهُ ، قَالُوا : قَدْ قَضَى هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ . فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِظَهْرِهِ ، قَالُوا : هَذَا حَامٍ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ

(١) سيرة ابن هشام ٨٩/١ .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لَا » .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حَمَى » .

صُبِّحَ ، قال : سألتُ علقمة عن قوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾ . قال : ما تَصْنَعُ بهذا ؟ هذا شيءٌ كان يَفْعَلُهُ أهلُ الجاهلية .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ويحيى بنُ آدمَ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي الأحوصِ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾ . قال : البَحِيرَةُ التي قد وَلَدَتْ خمسةَ أبطنٍ ثم تُرِكَتْ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ بنُ عبد الحميدٍ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾ . قال : البَحِيرَةُ الْمُخْضَرَمَةُ ، ﴿ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾ : والسائِبَةُ : ما سُيِّبَ لِلْعَدِيِّ ^(٢) ، وَالْوَصِيلَةُ : إِذَا وَلَدَتْ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْطَنٍ - فيما يَرَى جَرِيرٌ - ثم وَلَدَتْ الْخَامِسَ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَصَلَتْ أَخَاهَا . وَالْحَامِ : الذي قد ضَرَبَ أَوْلَادُ أَوْلَادِهِ فِي الْإِبِلِ .

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ بنحوه ، إلا أنه قال : وَالْوَصِيلَةُ : التي وَلَدَتْ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْطَنٍ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، قالوا : وَصَلَتْ أَخَاهَا . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ ابنِ حميدٍ .

حدَّثنا ابنُ وَكَيْعٍ ، قال : ثنا إسحاقُ الأزرقُ ، عن زكريا ، عن الشعبيِّ أنه سُئِلَ عن البَحِيرَةِ ؟ فقال : هي التي تُجْدَعُ آذَانُهَا . وسُئِلَ عن السائِبَةِ ؟ فقال : كانوا يُهْدُون لآلِهَتِهِمُ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، فَيُتْرَكُ كَوْنُهَا عِنْدَ آلِهَتِهِمْ ^(٣) ، فَتَذْهَبُ فَتُخْتَلِطُ ^(٣) بِغَنَمِ النَّاسِ ، فَلَا يَشْرَبُ أَلْبَانُهَا إِلَّا الرِّجَالُ ، فَإِذَا مَاتَ مِنْهَا شَيْءٌ أَكَلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٠/٤ (٦٨٨٦) من طريق إسرائيل به .

(٢) سقط من : س ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « للهدى » . والعِدَى : الغرباء . اللسان (ع د ي) .

(٣ - ٣) في م : « لتذبح فتخلط » . (تفسير الطبري ٣/٩)

نَجِيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ ﴾ وما معها : البحيرة من الإبل ، يُحَرِّمُ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ وَبَرَّهَا وَظَهَرَهَا وَلَحْمَهَا وَلِبْنَهَا إِلَّا عَلَى الرِّجَالِ ، فَمَا وَلَدَتْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى فَهُوَ عَلَى هَيْئَتِهَا ، وَإِنْ مَاتَتْ اشْتَرَكَ / الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِي أَكْلِ لَحْمِهَا ، فَإِذَا ضَرَبَ الْجَمْلُ ^(١) مِنْ وَلَدِ الْبَحِيرَةِ فَهُوَ الْحَامِي ، ^(٢) وَالْحَامِي اسْمٌ ، ^(٣) وَالسَّائِبَةُ مِنَ الْغَنَمِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهَا مَا وَلَدَتْ مِنْ وَلَدٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سِتَّةِ أَوْلَادٍ كَانَ عَلَى هَيْئَتِهَا ، فَإِذَا وَلَدَتْ فِي السَّابِعِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ، أَوْ ذَكَرَيْنِ ، ذَبَحُوهُ ، فَأَكَلَهُ رِجَالُهُمْ دُونَ نِسَائِهِمْ ، وَإِنْ تَوَأَمَتِ أُنْثَى وَذَكَرًا فَهِيَ وَصِيلَةٌ ، تُرِكَ ذَبْحُ الذَّكَرِ بِالْأُنْثَى ، وَإِنْ كَانَتَا أُنْثَيْنِ تُرِكَتَا ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ ﴾ : فَالْبَحِيرَةُ : النَّاقَةُ ، كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَبْطَنٍ ، فَيَعْمِدُ إِلَى الْخَامِسَةِ ، فَمَا لَمْ يَكُنْ سَقْبًا ^(٥) فَيُتِّكُ آذَانَهَا ، وَلَا يَجُزُّ لَهَا وَبَرًا ، وَلَا يَذُوقُ لَهَا لَبَنًا ، فَتِلْكَ الْبَحِيرَةُ . ﴿ وَلَا سَائِبَةٌ ﴾ : كَانَ الرَّجُلُ يَسِيبُ مِنْ مَالِهِ مَا شَاءَ . ﴿ وَلَا وَصِيلَةٌ ﴾ : فَهِيَ الشَّاةُ إِذَا وَلَدَتْ سَبْعًا ، عَمِدَ إِلَى السَّابِعِ ، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا ذُبِحَ ، وَإِنْ كَانَ أُنْثَى تُرِكَتْ ، وَإِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا اثْنَانِ ذَكَرٌ وَأُنْثَى فَوَلَدَتْهُمَا ، قَالُوا : وَصَلَتْ أَخَاهَا ، فَيُتْرَكَ كَانِ جَمِيعًا لَا يُذْبَحَانِ ، فَتِلْكَ الْوَصِيلَةُ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ . كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْفَحْلُ ، فَإِذَا لَقَّحَ عَشْرًا ، قِيلَ : حَامٍ ، فَاتْرَكَهُ ^(٦) .

(١) ضراب الجمال : نزؤه على الأنثى . يقال : ضرب الجمال الناقة يضربها إذا نزا عليها . النهاية (ض ر ب) .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٢/٤ (٦٨٩٣) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) السقب : ولد الناقة ، إن كان ذكرا ، ولا يقال للأنثى سقبة . التاج (س ق ب) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١٢٢٤/٤ (٦٩٠٤) عن محمد بن سعد به مقتصرًا على تفسير : (ولا حام) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٨/٢ إلى ابن مردويه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنا معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾ : ليسَيِّبوها لأَصْنَامِهِمْ ، ﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ . يقولُ : الشاةُ ، ﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ . يقولُ : الفحلُ من الإبلِ ^(١) .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريع ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ قوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : تشديدٌ شدَّده الشيطانُ على أهلِ الجاهليةِ في أموالِهِمْ ، وتغليظٌ عليهم ، فكانت البحيرةُ من ^(٢) الإبلِ ؛ إذا نتج الرجلُ خمسًا من إبله ، نظر البطنَ الخامسَ ، فإن كانت سَقْبًا ذُبِحَ ، فأكله الرجالُ دونَ النساءِ ، وإن كان ميتةً اشترك فيه ذكْرُهُمْ وأنثاهم ، وإن كانت حائلاً ، وهى الأنثى ، تُركت ، فبُتِّكت أذُنُها ، فلم يُجَزَّ لها وبَرٌّ ، ولم يُشْرَبْ لها لبنٌ ، ولم يُزَكَّ لها ظهرٌ ، ولم يُذَكَّرْ لله عليها اسمٌ . وكانت السائبةُ : يسيَّبون ما بدا لهم من أموالِهِمْ ، فلا تُمتنعُ ^(٣) من حوضٍ أن تُشرعَ فيه ، ولا من حمى أن ترتعَ فيه . وكانت الوصيلةُ [٧٢٨/١ ظ] من الشاءِ : من البطنِ السابعِ ، إذا كان جَذِيًّا ذُبِحَ ، فأكله الرجالُ دونَ النساءِ ، وإن كان ميتةً اشترك فيه ذكْرُهُمْ وأنثاهم ، وإن جاءت بذكرٍ وأنثى ، قيل : وصلت أخاها ، فمَنَعَتْهُ الذبحَ . والحامُ : كان الفحلُ إذا رُكب من بنى بنيه عشرةً ، أو ولدٍ ولده ، قيل : حامٍ . حمى ظهره ، فلم يُزَمَّ ، ولم يُخطَمَ ، ولم يُزَكَّ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٢٢١-١٢٢٣ (٦٨٩٢ ، ٦٨٩٨ ، ٦٩٠٣) من طريق أبي صالح به .

(٢) في النسخ : « مثل » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٣) في تفسير عبد الرزاق : « تمنع » .

الشَّدى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : فالبحيرة من الإبل : كانت الناقة إذا نُتِجت خمسة أبطن ، إن كان الخامس سقبا ذبحوه ، فأهدوه إلى آلهتهم ، وكانت أمه من عرض الإبل ، وإن كانت رُبعة^(١) استَحْيَوْها ، وشَقُّوا أُذُنَ أمِّها ، وجزَّوا وبرَّها ، وخلَّوها^(٢) فى البطحاء ، فلم تجزَّ لهم فى دية ، ولم يَحْلَبُوا^(٣) لها لبنًا ، ولم يجرَّوا لها وبرًا ، ولم يحملوا على ظهرها ، وهى من الأنعام التى حُرِّمت ظهورُها . وأما السائبة / : فهو الرجل يُسيِّب من ماله ما شاء على وجه الشكر ، إن كثر ماله ، أو برأ من وجع ، أو ركب ناقةً فأَنجَح ، فإنه يسمَّى السائبة ، يُرسلها فلا يعرض لها أحدٌ من العرب إلا أصابته عقوبة فى الدنيا . وأما الوصيلة فمن الغنم هى الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة ، فكان آخر ذلك جدًّا ، ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة ، وإن كانت عناقًا^(٤) استَحْيَوْها ، وإن كانت جدًّا وعناقًا استَحْيَوْا الجدَّى من أجل العناق ، فإنها وصيلة وصلَّت أخاها . وأما الحام فالفحل يضرب فى الإبل عشر سنين ، ويقال : إذا ضرب ولدٌ ولده ، قيل : قد حمى ظهره . فيتزكونه لا يمس ، ولا يُنحر أبدًا ، ولا يُمنع من كلاً يريدُه ، وهو من الأنعام التى حُرِّمت ظهورُها^(٥) .

٩١/٧

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الزهرى ، عن ابنِ المسيَّب فى قوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . قال : البحيرة من الإبل : التى يُمنع دُرُّها للطواغيت ، والسائبة من الإبل : كانوا يسيِّبونها لطواغيتهم ، والوصيلة من الإبل : كانت الناقة تبتكر^(٦)

(١) الرُبعة مؤنث الرُّبع وهو ما ولد من الإبل فى الربيع . وقيل : ما ولد فى أول النجاج . النهاية ١٨٨/٢ ، ١٨٩ .

(٢) فى ص ، ت ١ : « حلبوها » .

(٣) فى م : « يجلبوا » .

(٤) العناق : الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة . النهاية ٣١١/٣ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٠/٤ (٦٨٨٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٦) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تبكر » .

بأنثى ، ثم تُثْنَى بأنثى ، فيسمونها الوصيَّة ، يقولون : وصَّلت اثنتين ليس بينهما ذكرٌ . فكانوا يَجْدَعونها اطواغيَّتَهُمْ ، أو يذَبِّحونها - الشكُّ من أبي جعفر - والحام : الفحلُّ من الإبل ، كان يضربُ الضَّرَابَ المَعْدُوْدَةَ^(١) ، فإذا بَلَغَ ذلك ، قالوا : هذا حام ، قد حمى ظهره . فترك ، فسَمَّوه « الحام » . قال معمرٌ : قال قتادة : إذا ضرب عَشْرَةً^(٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة قال : البحيرةُ من الإبل : كانت الناقةُ إذا نُتِجت خمسةً أبطن ، فإن كان الخامسُ ذكراً ، كان للرجالِ دونَ النساءِ ، وإن كانت أنثى بَتَّكوا آذانها ، ثم أَرْسَلوها ، فلم يَنْحَرُوا لها ولداً ، ولم يَشْرَبُوا لها لبناً ، ولم يَرْكَبُوا لها ظهراً . وأما السائبةُ : فإنهم كانوا يسيِّبون بعضَ إبلهم ، فلا تُمنَعُ حوضاً أن تَشْرَعَ فيه ، ولا مَرْعَى أن ترتع فيه . والوصيلةُ : الشاةُ كانت إذا وَلَدَتْ سبعةً أبطن ، فإن كان السابعُ ذكراً ذُبِحَ وأَكَله الرجالُ دونَ النساءِ ، وإن كانت أنثى تُرِكَتْ^(٣) .

حدَّثتُ عن الحسينِ بنِ الفرج ، قال : سَمِعْتُ أبا معاذٍ الفضلَ بنَ خالدٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ^(٤) ، عن الضحاك : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : أما البحيرةُ فكانت الناقةُ إذا نَتَجَوْهَا خمسةً أبطن ، نَحَرُوا الخامسَ إن كان سَقَباً ، وإن كان رُبْعَةً شَقُّوا أذنها واشتَحِيوها ، وهى بحيرةٌ . وأما السَّقْبُ فلا يأْكُلُ نساؤُهُم منه ، وهو خالصٌ لرجالِهِم ، فإن ماتتِ الناقةُ أو نَتَجَوْهَا مَيْتاً ، فرجالُهُم ونساؤُهُم فيه سواءٌ يأْكُلون منه . وأما السائبةُ فكان يسيِّبُ الرجلُ من ماله من

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المَعْدُوْد » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٦ ، ١٩٧ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٢٤ (٦٩٠٦) عن الحسن

ابن يحيى به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٧ ، ١٩٨ .

(٤) فى م : « سلمان » .

الأنعام ، فيَهْمَلُ في الحِمَى فلا يُنتَفَعُ بظهره ولا بولده ولا بلبنه ، ولا بشعره ولا بصوفه . وأما الوصيلة فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع إذا كان جدياً ، وإن كان غناقاً استَحْيَوْه ، وإن كان جدياً وغناقاً استَحْيَوْهما كليهما ، وقالوا : إن الجدَى وصلته أخته ، فحرّمته علينا . وأما الحامى فالفحل إذا ركبوا أولاد ولده ، قالوا : قد حمى هذا ظهره ، وأحرزهُ^(١) أولاد ولده ، فلا يركبونه ، ولا يمنعونه من حمى شجر ، ولا حوض ما شرع فيه ، وإن لم يكن الحوض لصاحبه ، وكانت من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها / في شيء من شأنهم ، لا إن ركبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن نتجوا ، ولا إن باعوا ، ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

٩٢/٧

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . قال : هذا شيء كان يعمل به أهل الجاهلية ، وقد ذهب . قال : البحيرة : كان الرجل يجدع أذني ناقته ، ثم يُعْتِقُهَا ، كما يُعْتِقُ جاريته وعلامه ، لا تُحْلَبُ ، ولا تُرْكَبُ . والسائبة : يسيبها بغير تجديع . والحام : إذا نتج له سبع إناث متواليات ، قد حمى ظهره ، ولا يُرْكَبُ ، ولا يُعْمَلُ عليه . والوصيلة من الغنم : إذا ولدت سبع إناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثنا الليث بن سعيد ، قال ثني ابن الهادي ، عن ابن شهاب ، قال : قال سعيد بن المسيب : السائبة : التي كانت تسيب ، فلا يُحْمَلُ عليها شيء . والبحيرة : التي يُمنَعُ دُرُّهَا للطواغيت ، فلا يحلبها أحد . والوصيلة : الناقة البكر ، تبكر أول نتاج الإبل بأنثى ،

(١) في م : « أحرز » . ومعنى : أحرزه أولاد ولده : حفظوه وصانوه . ينظر اللسان (ح ر ن) .

ثم تُثَنَّى بعدُ بأنثى ، وكانوا يسمُّونها [٧٢٩/١] للطواغيت ، يدْعُونها الوصيَّة ، أن
وصلت أخواتها^(١) إحداهما بالأُخرى . والحامى : فحلُّ الإبلِ يَضْرِبُ العَشْرَ من الإبلِ ،
فإذا نقص ضرابه يدْعونه للطواغيت ، وأغفوه من الحملِ ، فلم يحملوا عليه شيئاً ،
وسمَّوه الحامى^(٢) .

وهذه أمورٌ كانت فى الجاهلية فأبطلها الإسلامُ ، فلا نعرفُ قومًا يعملون بها
اليومَ ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما كانت الجاهليةُ تعملُ به لا^(٣) يُوصَلُ إلى
علمه^(٣) - إذ لم يكنْ له فى الإسلامِ اليومَ أثرٌ ، ولا فى الشريكِ نعرفه - إلا بخبرٍ ،
وكانت الأخبارُ عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفَةً الاختلافَ الذى ذكرنا ،
فالصوابُ من القولِ فى ذلك أن يقالَ : أما معانى هذه الأسماءِ فما بيَّنا فى ابتداءِ
القولِ فى تأويلِ هذه الآية . وأما كيفيةُ عملِ القومِ فى ذلك ، فما لا علمَ لنا به . وقد
وردتِ الأخبارُ بوصفِ عملِهِم ذلك على ما قد حكينا ، وغيرُ ضائرِ الجهلِ بذلك إذا
كان المرادُ من علمِهِ المحتاجِ إليه ، موصلاً^(٤) إلى حقيقته ، وهو أن القومَ كانوا
يُحرِّمُونَ^(٥) من أنعامِهِم على أنفسهم ما لم يحُرِّمه اللهُ ؛ اتِّباعاً منهم خُطواتِ
الشیطانِ ، فوبَّخهم اللهُ تعالى ذكره بذلك ، وأخبرهم أن كلَّ ذلك حلالٌ ، فالحرِّامُ
من كلِّ شىءٍ عندنا ما حرَّم اللهُ تعالى ورسوله ﷺ ، بنصٍّ أو دليلٍ ، والحلالُ منه ما
حلَّه اللهُ ورسوله كذلك .

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٢٧ حاشية (٣) .

(٣ - ٣) فى م : «توصل إلى عمله» .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، س : «موصولاً» .

(٥) فى م : «محرمين» .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٣) .

اختلف أهل التأويل في المعنى بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في هذا الموضع ، والمراد بقوله : ﴿ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : المعنى بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ اليهود ، وبـ « الذين لا يعقلون » أهل الأوثان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ . قال : أهل الكتاب ، ﴿ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . قال : أهل الأوثان ^(١) .

وقال آخرون : بل هم أهل ملة واحدة ، ولكن المفترين المشبوعون ، والذين لا يعقلون الأتباع .

٩٣/٧

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا خارجة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ : هم الأتباع ، وأما الذين افتروا فعقلوا ^(٢) أنهم افتروا ^(٣) .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن المعنيين بقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ : الذين بحروا البحائر ، وسيبوا السوائب ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٤/٤ (٦٩٠٨) من طريق أبي أسامة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٢ إلى أبي الشيخ وابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٢) في م : « يعقلون » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٥/٤ (٦٩١١) من طريق أبي معاذ به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٢ إلى ابن المنذر .

ووصلوا الوصائل ، وحموا الحوامي ، مثل عمرو بن لحي وأشكاله ، ممن سنوا لأهل
الشرك السنن الرديئة ، وغيروا دين الله دين الحق ، وأضافوا إلى الله تعالى ذكره أنه
هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلّ ما أحلّوا ، افتراءً على الله الكذب وهم يعلمون ،
واختلاقاً عليه الإفك ،^(١) فكذبهم الله تعالى ذكره في قيلهم ذلك ،
وإضافتهم إليه ما أضافوا ، من تحليل ما أحلّوا ، وتحريم ما حرّموا ، فقال تعالى ذكره :
ما جعلت من بحيرة ، ولا سائبة ، ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ، ويفترون
على الله الكذب .

وأن يقال : إن المعنيين بقوله : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ : هم أتباع من سنّ لهم
هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لا شك أنهم أكثر من الذين سنّوا ذلك لهم ،
فوصفهم الله تعالى ذكره بأنهم لا يعقلون ؛ لأنهم لم يكونوا يعقلون أنّ الذين سنّوا
لهم تلك السنن ، وأخبروهم أنها من عند الله ، كذبة في أخبارهم أفكة ، بل ظنّوا
أنهم فيما يقولون مُحِقُّون في أخبارهم صادقون .

وإنما معنى الكلام : وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذي حرّمه هؤلاء
المشركون ، وأضافوه إلى الله تعالى كذب وباطل .

وهذا القول الذي قلنا في ذلك نظير قول الشعبي الذي ذكرناه قبل ، ولا معنى
لقول من قال : عنى بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أهل الكتاب . وذلك أن النكير في ابتداء الآية
من الله تعالى على مشركي العرب ، فالتئم بهم أولى من غيرهم ، إذ لم يكن
عرض في الكلام ما يُصرف من أجله عنهم إلى غيرهم . ونحنو ذلك كان
يقول قتادة .

حدّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

(١) في م : « يعمهون » .

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) . يقول^(٢) : تحريمُ الشيطانِ الذي يحرمُ عليهم إنما كان من الشيطانِ ، ولا يعقلون^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤) .

يقولُ تعالى ذكره : وإذا قيلَ لهؤلاءِ الذين يَتَحَرَّونَ البحائرَ ، ويسَيِّبونَ السوائِبَ ، الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريمَ ذلك إلى الله تعالى ذكره يفترون على الله الكذبَ : تعالوا إلى تنزيلِ الله وآي^(٥) / كتابه وإلى رسوله ؛ ليتبينَ لكم كذبُ قِيلِكُمْ فيما تضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريمِكُمْ ما تحرمون من هذه الأشياء . أجاوبوا مَنْ دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنْ قَبْلِنَا يَعْمَلُونَ بِهِ . ويقولون : نحن لهم تبعٌ وهم لنا أئمةٌ وقادةٌ ، قد اكتفينا بما أخذنا عنهم ، ورضينا بما كانوا عليه من تحريمٍ وتحليلٍ . قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : أَوْ^(٦) لو كان آباءُ هؤلاء القائلين هذه المقالة ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ . يقولُ : لم يكونوا يعلمون أن ما يُضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريمِ البهيرةِ والسائبةِ [٧٢٩/١ ظ] والوصيلةِ والحامِ ، كذبٌ وفتنةٌ على الله ، لا حقيقةً لذلك ولا صحةً ؛ لأنهم كانوا أتباعَ المفتريين الذين ابتدءوا تحريمَ ذلك افتراءً على الله ، بقبيلهم ما كانوا يقولون ، من إضافتهم إلى الله تعالى ذكره ما يُضيفون ،^(٧) ولا^(٨) كانوا فيما هم به عاملون من ذلك

(١) بعده في م : « لا يعقلون » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٥/٤ (٦٩١٣) من طريق يزيد به .

(٣) في ت ١ ، س : « إلى » .

(٤) في م : « و » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفي م : « ما » . والمثبت ما يقتضيه السياق ، والجملة

معطوفة على جملة : « لم يكونوا يعلمون » .

على استقامة وصواب ، بل كانوا على ضلالةٍ وخطأ .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، فأصلحوها واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره ، وانظروا لها فيما يقربها من ربها ، فإنه ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ ﴾ . يقول : لا يضرُّكم من كفر وسلك غير سبيل الحق إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم ، وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله .

ونُصب قوله : ﴿ أَنفُسُكُمْ ﴾ بالإغراء ، والعرب تُغري من الصفات بـ « عليك » ، و « عندك » ، و « دونك » ، و « إليك » .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قبلت منكم ، فإذا رُدَّت عليكم فعليكم أنفسكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال : ذكر عند ابن مسعود : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ . ثم ذكر نحوه .

حدَّثنا يعقوب ، قال : ثنا ابنُ عُليَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال رجلٌ لابن مسعود : ألم يقل الله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : ليس بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم ، فإذا رُدَّت عليكم ، فعليكم أنفسكم ^(١) .

٩٥/٧ / حدَّثنا الحسن بنُ عرفة ، قال : ثنا شَبَابَةُ بنُ سَوَّارٍ ، قال : ثنا الرَّبِيعُ بنُ صَبِيحٍ ، عن سفيان بنِ عِقالٍ ، قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمُر ولم تنه ، فإن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال ابنُ عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي ؛ لأن رسول الله ﷺ قال : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » . فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يُقبل منهم ^(٢) .

حدَّثنا أحمد بنُ المقْدَام ، قال : ثنا المعتمر بنُ سليمان ، قال : سمعتُ أبي ، قال : ثنا قتادة ، عن أبي مازن ، قال : انطلقتُ على عهدِ عثمان إلى المدينة ، فإذا قومٌ من المسلمين جلوسٌ ، فقرأ أحدهم هذه الآية : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ . فقال أكثرهم : لم يجئ تأويلُ هذه الآية اليوم ^(٣) .

حدَّثنا محمد بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عمرو بنُ عاصمٍ ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي مازن بنحوه .

حدَّثنا محمد بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمد بنُ جعفرٍ وأبو عاصمٍ ، قالا : ثنا

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٤٣، ٨٤٩ - تفسير) ، والطبراني (٩٠٧٢) من طريق يونس به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٢٠٩ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٠ إلى المصنف وابن مردويه .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٢٠٩ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

عوف ، عن سوار بن شبيب ، قال : كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجلٌ جليدٌ في العين ، شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نحن ستة ، كلُّهم قد قرأ^(١) القرآن فأُسرع فيه ، وكلُّهم مجتهدٌ لا يألُو ، وكلُّهم بغيضٌ إليه أن يأتي دناءةً ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعضٍ بالشرك . فقال رجلٌ من القوم : وأى دناءة تُريد^(٢) أكثر من أن يشهد بعضهم على بعضٍ بالشرك ؟ قال : فقال الرجلُ : إني لستُ إياك أسأل ، أنا أسأل الشيخ . فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى ، لا أبا لك ، أنى سامرك أن تذهب^(٣) أن تقتلهم^(٣) ؟! عظمهم وانتههم ، فإن عَصَوْكَ فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٤) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الحسن ، أن ابن مسعود سأل رجلٌ عن قوله : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمانها^(٥) ؛ تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا - أو قال : فلا يُقبل منكم - فحينئذ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾^(٦) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

(١) في م : « قرءوا » .

(٢) في م : « تزيد » .

(٣ - ٣) في م : « فقتلهم » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٩/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٢ إلى ابن مردويه .

(٥) في م : « زمان » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١٩٩/١ .

قتادة ، عن رجل ، قال : كنت في خلافة عثمان بالمدينة ، في ^(١) حلقة فيهم أصحاب النبي ﷺ ، فإذا فيهم شيخ يُسندون إليه ، فقرأ رجل : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال الشيخ : إنما تأويلها آخر الزمان ^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا أبو مازن رجل من صالحى الأزدي من الحدّان ^(٣) ، قال : انطلقت في حياة عثمان إلى المدينة ، فقعدت إلى حلقة فيها / أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ رجل من القوم هذه الآية : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : فقال رجل من أسن القوم : دُع هذه الآية ، فإنما تأويلها في آخر الزمان ^(٤) .

٩٦/٧

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ابن فضالة ، عن معاوية [٧٣٠/١] ابن صالح ، عن جبير بن نفير ، قال : كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنى لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقلت أنا : أليس الله يقول في كتابه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فأقبلوا على بلسان واحد ، وقالوا : « أتتزع آية ^(٥) من القرآن لا تعرفها ، ولا تدري ما تأويلها ؟ حتى تمنيت أنى لم أكن تكلمت ، ثم أقبلوا يتحدثون ، فلما حضر قيامهم ، قالوا : إنك غلام حدث السن ، وإنك نزعيت بآية لا تدري ما هي ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ، إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، لا يضرُّك مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتَ ^(٦) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ليث بن هارون ، قال : ثنا إسحاق الرازى ، عن أبي

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٩ .

(٣) في م : « بنى الحدّان » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٤٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٥ - ٥) فى م : « تنزع بآية » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٢٠٩ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٤٠ إلى المصنف .

جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتَبِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا ، فكان بين رجلين ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : فسمعها ابن مسعود ، فقال : مه ، لما^(١) يجي تأويل هذه الآية بعد ، إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه ما وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ ، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير ، ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة ، ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب ، على ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيئا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمرؤا وأنهوا ، فإذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم شيئا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فأمرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن ابن مسعود ، أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه . ثم ذكر نحوه .

(١) في م : « لم » .

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٣٨) من طريق إسحاق الرازي به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٢٢٧ (٦٩٢٢) ، والبيهقي ١٠ / ٩٢ ، وفي الشعب (٧٥٥٢) من طريق أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٣٣٩ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه .

حدَّثني أحمدُ بنُ المُقدِّم ، قال : ثنا حَزْمٌ ^(١) ، قال : سَمِعْتُ الحَسَنَ يَقُولُ : تَأْوُلُ بعضُ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ هذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال بعضُ أصحابِه : دَعُوا هذه الآيةَ فليست لكم ^(٢) .

٩٧/٧ / حدَّثني إسماعيلُ بنُ إسرائيلَ السَّلَّالُ ^(٣) الرَّمْلِيُّ ، قال : ثنا أيوبُ بنُ سويدٍ ، قال : ثنا عتبةُ بنُ أبي حكيمٍ ، عن عمرو بنِ جارية ^(٤) اللَّخْمِيُّ ، عن أبي أمية الشَّعْبَانِيُّ ، قال : سألتُ أبا ثعلبةَ الحُشَنِيَّ عن هذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ . فقال : لقد سألتُ عنها خبيرًا ، سألتُ عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « أبا ثعلبة ، اتَّمِرُوا بالمعروفِ ، وتَنَاهَوْا عن المنكرِ ، فإذا رأيتَ دنيا مؤثِّرةً ، وشُحًا مُطَاعًا ، وإعجابَ كلِّ ذى رأيٍ برأيه ، فعَلَيْكَ نَفْسُكَ ، إِنَّ ^(٥) مِن بَعْدِكُم أيامَ الصَّبرِ ، للمتمسِّكِ يَوْمَئِذٍ بمثلِ الذى أنتم عليه كأجرِ خمسينَ عاملاً » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، كأجرِ خمسينَ عاملاً منهم ؟ قال : « لا ، كأجرِ خمسينَ عاملاً منكم » ^(٦) .

حدَّثنا عليُّ بنُ سهلٍ ، قال : أخبرنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن ابنِ المباركِ وغيره ، عن عتبة بنِ أبي حكيمٍ ، ^(٧) عن عمرو بنِ جارية ^(٨) ، عن أبي أمية الشَّعْبَانِيُّ ، قال : سألتُ أبا ثعلبةَ الحُشَنِيَّ كيف نصنعُ بهذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ؟ فقال أبو ثعلبة : سألتُ عنها خبيرًا ، سألتُ عنها

(١) فى النسخ : « حرمى » ، وسيأتى على الصواب فى ٤٥٠/١٧ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٤٢ - تفسير) عن حزم بن أبى حزم به .

(٣) فى النسخ : « اللال » . وينظر ما تقدم فى ٣٦٧/٧ .

(٤) فى ت ١ بياض ، وفى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « خالد » . والمثبت من مصادر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٥٦٢/٢١ .

(٥) فى م : « أرى » .

(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٤) ، وابن أبى حاتم ١٢٢٥/٤ (٦٩١٥) ، والطحاوى فى شرح مشكل الآثار (١١٧١-١١٧٣) ، والبيهقى فى الشعب (٧٥٥٣) ، من طريق عتبة به .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت مما قبله ومن مصادر التخريج .

رسول الله ﷺ ، فقال : « اتَّخِذُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًا مَطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوصِصَةِ نَفْسِكَ ، وَذَرْ عَوَامَّهُمْ ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ أَيَّامًا أَجْرُ الْعَامِلِ فِيهَا كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ »^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك أن العبد إذا عَمِلَ بطاعة الله لم يضره مَنْ ضلَّ بعده وهلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ ﴾ . يقول : إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام ، فلا يضره مَنْ ضلَّ بعد ، إذا عَمِلَ بما أمرته به^(٢) .

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . يقول : أطيعوا أمري ، واحفظوا وصيتي^(٣) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ليث بن هارون ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي جعفر الرازي ،^(٤) عن الربيع بن أنس^(٥) ، عن صفوان بن^(٥) مُحَرِّزٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ، فَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ صَفْوَانُ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَاصَّةِ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٧٠) ، والترمذي (٣٠٥٨) ، وأبو داود (٤٣٤١) ، وابن حبان (٣٨٥) ، والحاكم ٣٢٢ / ٤ ، والبيهقي ٩٢ / ١٠ ، والبغوي في التفسير ١١٠ / ٣ ، وفي شرح السنة (٤١٥٦) من طريق ابن المبارك به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٨ / ٤ (٦٩٢٧) عن محمد بن سعد .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤١ / ٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٢١١ / ١٣ .

(٥ - ٥) في النسخ : «الجون قال» . والمثبت من مصدر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٢١١ / ١٣ .

(تفسير الطبري ٤ / ٩)

التي خص بها أوليائه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ ﴾
الآية^(١).

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا أبو المطرف المخزومي ، قال : ثنا
جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ ﴾
إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ : ما لم يكن سيف أو سوط^(٢).

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : تلا الحسن هذه [٧٣٠/١] ظ
الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا / عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ . ٩٨/٧
فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا
مؤمن فيما بقى ، إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله^(٣).

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ،
فاعملوا بطاعة الله ، ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، فأمرتم^(٤) بالمعروف
ونهيتم عن المنكر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي سعيد^(٤)
البحالي ، عن سعيد بن المسيب : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : إذا أمرت
بالمعروف ونهيت عن المنكر ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت^(٢).

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن أبي الغميس ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٦/٤ (٦٩١٨) من طريق إسحاق به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٢ إلى المصنف .

(٣) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بالأمر » .

(٤ - ٤) في النسخ : « سعد » . وينظر تهذيب الكمال ٥٢/١١ ، والأنساب ٣٧٩/١ .

أبى البخترى ، عن حذيفة : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ .
قال : إذا أمرتم ونهيتم ^(١) .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابنِ أبى
خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : قال أبو بكر : تقرأون هذه الآية : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ
مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . وإن الناس إذا رأوا الظالم - قال ابنُ وكيع : فلم يأخذوا
على يديه - أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا جريرٌ وابنُ فضيل ، عن بيان ، عن قيس ، قال : قال
أبو بكر : إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ
ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . وإن القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، يعمَّهم الله
بعقابه ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا جريرٌ ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبى بكر ، عن
النبي ﷺ ، فذكر نحوه ^(٤) .

حدَّثنا محمد بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمد بنُ مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
الشدي قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . يقول : مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر . قال أبو بكر بنُ أبى قحافة :

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣/٣ عن الثورى به ، وعزاه السيوطى فى السدر المنثور ٣٤١/٢ إلى المصنف
وابن المنذر وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٨/٤ (٦٩٢٦) من طريق سفيان بلفظ :
أطيعوا أمرى ، واحفظوا وصيتى .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى العلل ٢٥٣/١ عن وكيع به .

(٣) ذكره الدارقطنى فى العلل ٢٥٣/١ عن بيان به .

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٣٢) ، والطحاوى فى مشكل الآثار (١١٧٠) ، وابن حبان (٣٠٤ ، ٣٠٥) من طريق

جرير به ، وينظر غلل الدارقطنى ٢٥١/١ .

يا أيُّها الناسُ لا تغتروا بقولِ اللهِ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ . فيقولَ أحدُكم : على نفسي . واللهِ لتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ وتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ ، أو لَتُسْتَعْمَلَنَّ عليكم شراؤُكم ، فليُسْؤِمَنَّكم سوءُ العذابِ ، ثم ليدعُ اللهُ خيارُكم فلا يستجيبُ لهم ^(١) .

حدَّثنا أبو هشام الرِّفاعي ، قال : ثنا ابنُ فضيل ، قال : ثنا ييان ، عن قيسِ بنِ أبي حازم ، قال : قال أبو بكرٍ وهو على المنبرِ : يا أيُّها الناسُ إنكم تقرأون هذه الآيةَ على غيرِ موضعِها : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . وإن الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يديه عمَّهم اللهُ بعقابه .

حدَّثني الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيز ، قال : ثنى عيسى بنُ المسيَّبِ البجلي ، قال : ثنا قيسُ بنُ أبي حازم ، قال : سمعتُ أبا بكرٍ الصِّديقَ رضي اللهُ عنه يقرأ هذه الآيةَ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إذا / رأى الناسُ المنكرَ ^(٢) فلم يغيِّروه ^(٣) ، والظالمَ فلم يأخذوا على يديه ، فيوشِكُ أن يُعمَّهم اللهُ منه بعقابٍ » ^(٣) .

٩٩/٧

حدَّثنا الربيعُ ، قال : ثنا أسدُ بنُ موسى ، قال : ثنا سعيدُ بنُ سالم ، قال : ثنا منصورُ بنُ دينار ، عن عبدِ الملكِ بنِ ميسرة ، عن قيسِ بنِ أبي حازم ، قال : صعد أبو بكرٍ المنبرَ ؛ منبرَ رسولِ اللهِ ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيُّها الناسُ ، إنكم لتتلون آيةً من كتابِ اللهِ وتعدُّونها رُخصةً ، والله ما أنزل اللهُ في كتابه أشدَّ منها : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . والله

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٦/٤ (٦٩١٧) من طريق أحمد بن مفضل به مقتضرا على قول السدي .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٣) أخرجه أحمد ١٧٧/١ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، (١ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٣) ، وأبو داود (٤٣٣٨) ،

والترمذي (٢١٦٨ ، ٣٠٥٧) ، والنسائي في الكبرى (١١١٥٧) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) ، والمروزي في

مسند أبي بكر الصديق (٨٦-٨٩) من طريق قيس به .

لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُعَذِّبَنَّ اللَّهُ مِنْهُ بَعْقَابٍ ^(١) .

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن إدريس ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا مجالد بن سعيد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعتُ أبا بكرٍ يقولُ وهو يخطُبُ الناسَ : يا أيُّها الناسُ ، إنكم تقرأون هذه الآيةَ ولا تدرون ما هي : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، وإنى سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن الناسَ إذا رأوا منكراً فلم يغيِّروه عمَّهم اللَّهُ بعقابٍ » ^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى هذه الآية : لا يضرُّكم مَن حادَّ عن قصدِ السبيلِ وكفرَ بالله من أهلِ الكتابِ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : يعنى : مَن ضلَّ من أهلِ الكتابِ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : أنزلت في أهلِ الكتابِ .

وقال آخرون : غنى بذلك كلُّ مَن ضلَّ عن دينِ اللَّهِ الحقِّ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد في

(١) ذكره الدارقطني في العلل ٢٥٣/١ عن عبد الملك بن ميسرة به .

(٢) أخرجه البزار (٦٩) من طريق إسحاق بن إدريس به .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٤٥ - تفسير) من طريق أبي بشر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٣٤١/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

قوله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .
 قال : كان الرجلُ إذا أسلم قالوا له : سَفَهْتَ آبَاءَكَ وَضَلَلْتَهُمْ ، وفَعَلْتَ وفَعَلْتَ ،
 وجَعَلْتَ آبَاءَكَ كَذَا وكَذَا ، كان ينبغي لك أن تنصُرَهُمْ [٧٣١/١] ، وتفَعَلَ . فقال الله
 تعالى ذكره : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا
 اهْتَدَيْتُمْ﴾ ^(١) .

وأولى هذه الأقوالِ وأصحُّ التأويلاتِ عندنا بتأويلِ هذه الآية ما روى عن أبي
 بكر الصديق رضي الله عنه فيها ، وهو : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ،
 الزموا العملَ بطاعةِ الله ، وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه ، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ
 مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ . يقول : فإنه لا يضرُّكم ضلالٌ مِّنْ ضَلٍّ إذا أنتم لزمتم ^(٢)
 العملَ بطاعةِ الله ، وأدَّيْتُمْ في من ضلَّ من الناسِ ما ألزَمكم الله به فيه ، مِن فرضِ الأمرِ
 بالمعروفِ ، / والنهي عن المنكرِ الذي يركِّبُه أو يحاولُ ركوبَه ، والأخذِ على يديه إذا
 رام ظلمًا لمسلمٍ أو مُعَاهِدٍ ، ومنعه منه ، فأبى النزوعَ عن ذلك ، ولا ضيَّرَ عليكم في
 تماديه في غيِّه وضلاله إذا أنتم اهتديتم وأدَّيتم حقَّ الله تعالى ذكره فيه .

١٠٠/٧

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلاتِ في ذلك بالصواب ؛ لأن الله تعالى ذكره أمر
 المؤمنين أن يقوموا بالقسطِ ، ويتعاونوا على البرِّ والتقوى ، ومن القيامِ بالقسطِ الأخذُ
 على يدي الظالمِ ، ومن التعاونِ على البرِّ والتقوى الأمرُ بالمعروفِ ، وهذا مع ما
 تظاهرت به الأخبارُ عن رسولِ الله ﷺ من أمره بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ .
 ولو كان للناسِ تركُ ذلك لم يكن للأمرِ به معنى إلا في الحالِ التي رخص فيه
 رسولُ الله ﷺ تركُ ذلك ، وهي حالُ العجزِ عن القيامِ به بالجوارحِ الظاهرة ، فيكونُ

(١) ذكره في البحر المحيط ٣٦/٤ عن ابن زيد بنحوه .

(٢) في م : « رمتهم » .

مرخصاً له تركه ، إذا قام حينئذٍ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه .

وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبيّن أنه قد دخل في معنى قوله : ﴿ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيّب ، من أن ذلك إذا أمرتم بالمعروف ، ونهيتهم عن المنكر . ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥) .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، ومروا أهل الزيغ والضلال ومن حاد عن سبيلي بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر ، فإن قبلوا فلهم ولكم ، وإن تمادوا في غيهم وضلالهم ، فإن إلى مرجع جميعكم ، ومصيركم في الآخرة ومصيرهم ، وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر ، فأخبر هناك كل فريق منكم بما كان يعمل في الدنيا ، ثم أجازيه على عمله الذي قدم به على جزاءه ، حسب استحقاقه ، فإنه لا يخفى على عامل عامل منكم من ذكر أو أنثى .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشْنَانٍ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ . يقول : ليشهد بينكم ، ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ . يقول : وقت الوصية ﴿ أَشْنَانٍ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . يقول : ذوا رشد وعقل وجفا من المسلمين .

/ كما حدثنا محمد بن بشار وعبيد^(١) الله بن يوسف الجبيري ، قالا : ثنا مؤمل ١٠١/٧

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « عبد » . وتقدم على الصواب في ٨٥/١ .

ابنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا شعبَةُ ، عن قتادة ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ فى قولِهِ : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢] . قال : ذوى عقلٍ .

واختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِهِ : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم : عَنَى بِهِ : من أهلِ ملتِكِم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا حميدُ بنُ مشعدةٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادة ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : شاهدان ، ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : من المسلمين ^(١) .

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى القزَّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سويدٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ فى قولِهِ : ﴿ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : من المسلمين ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ وابنُ المشي ، قالا : ثنا ابنُ أبي عديٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادة ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ فى قولِهِ : ﴿ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : اثنان من أهلِ دينِكُم ^(١) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن أشعثٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عبيدةٍ ، قال : سألتُهُ عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : من المِلَّةِ ^(٣) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٩ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٤٣ إلى عبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٢٩ عقب الأثر (٦٩٣٣) معلقاً .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٤١ ، ١٥٥٤٢) من طريق محمد بن سيرين به .

عَبِيدَةُ بِمَثَلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ : مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبِيدَةَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ أَتَشَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . قَالَ : مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عَبِيدَةَ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا حُسَيْنٌ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبِيدَةَ . فَذَكَرَ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ حَمَادٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، قَالَ : ثنا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عَمِي ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . قَالَ : ذَوَا عَدْلٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . قَالَ : مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ : ﴿ أَتَشَانِ [٧٣١/١] ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . أَيْ : مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : غُنِيَ بِذَلِكَ ذَوَا عَدْلٍ مِنْ حَيْثُ الْمُوصَى . وَذَلِكَ قَوْلُ رُوِي عَنْ

(١) أخرجه أبو عبيد في النسخ والمنسوخ ص ٢١٧ ، وابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق حماد به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٢/٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٩/٤ عقب الأثر (٢٩٣٣) معلقا .

عكرمة وعبيدة وعدة غيرهما .

١٠٢/٧ /واختلفوا في صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية ؛ ما هي ؟ وما هما ؟ فقال بعضهم : هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي .

وقال آخرون : هما وصيان .

وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان قوله : ﴿ شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ : ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم .

وتأويل الذين قالوا : هما وصيان لا شاهدان قوله : ﴿ شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ : بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض . من قولك : شهدت وصية فلان . بمعنى : حضرته .

وأولى التأويلين بقوله : ﴿ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . تأويل من تأوله بمعنى أنهما من أهل الملة ، دون من تأوله أنهما من حي الموصي .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالآية ؛ لأن الله تعالى ذكره عم المؤمنين بخطابهم بذلك في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . فغير جائز أن يُصْرَفَ ما عمه الله تعالى ذكره إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها . وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم^(١) على العموم ، كما كان ذكرهم ابتداءً على العموم .

وأولى المعنيين بقوله : ﴿ شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ .^(٢) اليمين^(٣) الشهادة التي يقوم بها من عنده شهادة لغيره ، لمن هي عنده ، على من هي عليه عند الحكام ؛ لأننا لا نعلم لله

(١) في ص ، ت ١ : « ذكره » .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لأن » . وينظر تفسير القرطبي ٦ / ٣٤٨ .

تعالى حكماً يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزاً صرفُ الشهادة في هذا الموضع إلى الشهادة التي يقوم بها بعض الناس عند الحكم والأئمة .

وفي حكم الآية في هذه ، اليمين على ذوى العدل ، وعلى من قام مقامهم ، باليمين ^(١) بقوله : ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ﴾ - أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، من أن الشهادة فيه الأيمان ، دون الشهادة التي يُقضى بها للمشهود ^(٢) له على المشهود عليه ، وفساد ما خالفه .

فإن قال قائل : فهل وجدت في حكم الله تعالى ذكره يمينا تجب على المدعى ، فتوجه قولك في الشهادة في هذا الموضع إلى الصحة ؟

فإن قلت : لا . تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأولت ؛ لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان في قوله : ﴿ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاخْرَاجِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايْنَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِهِمَا ﴾ [المائدة : ١٠٧] . هما المدعيين .

وإن قلت : بلى . قيل لك : وفي أي حكم الله تعالى وجدت ذلك ؟

قيل : وجدنا ذلك في أكثر المعاني ، وذلك في حكم الرجل يدعى قبل رجل مالا ، فيقر به المدعى عليه قبله ذلك ، ويدعى قضاءه ، فيكون القول قول رب الدين ، والرجل يعترف ^(٣) في يد الرجل السلعة ، فيزعم المعترف في يده أنه اشتراها من المدعى ، أو ^(٤) أن المدعى وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر

(١) في م : « في اليمين » .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ : « بالمشهود » .

(٣) يعترف : يعرف .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

إحصاؤه . وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى في هذا الموضع اليمين على المدَّعين اللذين عثرا على «الخائنين فيما خانا» فيه .

واختلف أهل العربية في الرفع قوله : ﴿ شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ . وقوله : ﴿ أَشْهَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ ؛ فقال بعض نحويي البصرة : معنى قوله : ﴿ شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ : شهادة اثنين ذَوَى عَدْلٍ . ثم أُلْقِيَت «الشهادة» ، وأُقيِم «الاثنان» ومقامها ، فارتفعوا بما كانت «الشهادة» به مرتفعة لو جُعِلَت في الكلام . قال : وذلك - في حذف / ما حُذِف منه ، وإقامة ما أُقيِم مقام المحذوف - نظير قوله : ﴿ وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] . وإنما يريد : واسأل أهل القرية . وانتصبت «القرية» بانتصاب «الأهل» ، وقامت مقامه . ثم عُطِفَ قوله : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ ﴾ على «الاثنين» .

وقال بعض نحويي الكوفة : رفع «الاثنين» بـ «الشهادة» . أى : ليشهدكم اثنان من المسلمين أو آخران من غيركم .

وقال آخر منهم : رُفِعَت «الشهادة» بـ ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ . وقال : إنما رُفِعَت بذلك لأنه قال : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ . فجعلها شهادة محذوفة مستأنفة ، ليست بالشهادة التي قد رُفِعَت لكل الخلق ؛ لأنه قال تعالى ذكره : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . وهذه شهادة لا تقع إلا في هذه الحال ، وليست مما يثبت .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول مَنْ قال : «الشهادة» مرفوعة بقوله : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ . بمعنى : عند حضور أحدكم الموت ، و «الاثنان» مرفوع بالمعنى المتوهم ، وهو : أن يشهد اثنان . فاكْتَفَى من قيل : أن يشهد . بما قد جرى من ذكر «الشهادة» في قوله : ﴿ شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ .

(١ - ١) في ص : «الخائنين فيما جناهما» ، وفي م : «الخائنين فيما جنيا» ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «الجائنين فيما جباهما» . والصواب ما أثبتنا .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأن « الشهادة » مصدرٌ في هذا الموضع ، و « الاثنان » اسمٌ ، والاسم لا يكونُ مصدرًا ، غيرَ أن العربَ قد تضعُ الأسماءَ مواضعَ الأفعالِ ^(١) ، فالأمرُ وإن كان كذلك ، فصرفُ كلِّ ذلك إلى أصحِّ وجوهه ما وجدنا إليه سبيلًا ، أولى بنا من صرفه إلى أضعفها .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره للمؤمنين : ليشهدْ بينكم إذا حضرَ أحدكم الموتُ عدلانِ من المسلمين ، أو آخران من غيرِ المسلمين .

وقد اختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [٧٣٢/١] ؛ فقال بعضهم : معناه : أو آخران من غيرِ أهلِ ملتكم . نحو الذي قلنا فيه .

ذكرُ من قال ذلك

حدثنا حميدُ بنُ مسعدةَ وبشرٌ ^(٢) بنُ معاذٍ ، قالا : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : من أهلِ الكتابِ ^(٣) .

حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبهٌ ، قال : سمعتُ قتادةَ يحدثُ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : من أهلِ الكتابِ ^(٤) .

(١) أى المصادر .

(٢) فى النسخ : « يونس » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٩ ، وفى (١٥٥٤٠) عن معمر ، عن قتادة به .

(٤) أخرجه أبو عبيد فى النسخ والنسوخ ص ٢١٨ ، وسعيد بن منصور فى سننه (٨٥٩ - تفسير) ، وابن حزم فى المحلى ١٠ / ٥٩٠ ، من طريق شعبه به .

حدَّثني أبو حفص الجُبَيْرِيُّ عبيدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، قال : ثنا مُؤَمِّلُ بنُ إِسْمَاعِيلَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ مثله .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدٍ مثله .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مغيرةُ ، عن إبراهيمَ ، وسليمانُ التَّيْمِيُّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أنهما قالا في قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قالا : من غيرِ أَهْلِ مَلِكِكُمْ ^(١) .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا مغيرةُ ، قال : ثنى مَنْ سَمِعَ سعيدَ بنَ جبیرٍ يقولُ مثلَ ذلك ^(٢) .

١٠٤/٧ / حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا التَّيْمِيُّ ، عن أبي مِجَلَزٍ ، قال : من غيرِ أَهْلِ مَلِكِكُمْ ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ مثله .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، قال : إن كان قُرْبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَشْهَدُهُمْ ، وَإِلَّا أَشْهَدُ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٥٢، ٨٥٣ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٩٢/٧ ، وابن حزم في المحلى ٥٩٠/١٠ ، ٥٩١ من طريق هشيم به .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٥٤ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٩٢/٧ عن هشيم به .

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق هشيم به .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : ثنا أَبُو^(١) قُتَيْبَةَ ، قَالَ : ثنا هُشَيْمٌ ، عن المغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير في قوله : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قالوا : من غير أهلِ ملتيكم .

حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا يحيى بن سعيد ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن سعيد : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قَالَ : من أهل الكتاب .

حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا محمد بن سَوَّاءٍ^(٢) ، قَالَ : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب مثله .

حَدَّثَنَا هَنَّادٌ ، قَالَ : ثنا وكيعٌ ، وحدثنا ابنُ وكيعٍ ، قَالَ : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب مثله .

حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قَالَ : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يَعْمَرَ في قوله : ﴿ أَتْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ ، من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين فمن غير المسلمين^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ^(٤) المثنى ، قَالَ : ثنا عبد الأعلى ، قَالَ : ثنا داودٌ ، عن عامرٍ ، عن شريح في هذه الآية : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قَالَ : إذا كان الرجلُ بأرضٍ غُزْبَةٍ ، ولم يجد مسلماً يشهدُ^(٥) على وصيِّه ، فأشهد يهوديًا ، أو نصرانيًا ، أو

(١) سقط من : م . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٢ / ١١ .

(٢) في م : « سوار » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٨ / ٢٥ .

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩١ / ١٠ من طريق عبد الوارث به .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت هو الصواب . وسيأتى هذا الإسناد على الصواب في ص ٧٢ ، ١٠١ .

(٥) في م : « يشهده » .

مجوسيًا ، فشهادتهم جائزة ، فإن جاء رجلان مسلمان ، فشهدا بخلاف
شهادتهما ، أُجيزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين^(١) .

حدَّثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن
شريح ، أنه كان لا يُجيز شهادة^(٢) اليهودي والنصراني^(٢) على مسلم إلا في الوصية ،
ولا يجيز شهادتهما على الوصية ، إلا إذا كانوا في سفر^(٣) .

حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : ثنا الأعمش ، عن
إبراهيم ، عن شريح ، قال : لا تجوز شهادة^(٢) اليهودي والنصراني^(٢) إلا في سفر ، ولا
تجوز في سفر إلا في وصية^(٤) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح نحوه .
حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي ، قال : ثنا
سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كتب هشام بن هبيرة لمسلمة عن شهادة
المشركين على المسلمين ، فكتب : لا تجوز شهادة المشركين على المسلمين إلا في
وصية ، ولا يجوز في وصية إلا أن يكون الرجل مسافرًا .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشعث^(٥) ، عن ابن سيرين ، عن
عبيدة ، قال : سأله عن قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٥٦ - تفسير) - ومن طريقه ابن حزم في المحلى ٥٩٠/١٠ ،
والبيهقي ١٦٦/١٠ - من طريق داود به .

(٢ - ٢) في م : « اليهود والنصاري » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٨٥١ - تفسير) ، ومن طريقه البيهقي ١٦٦/١٠ عن هشيم به .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور (٨٥١ - تفسير) ، ومن طريقه البيهقي ١٦٦/١٠ عن أبي معاوية به ،
وأخرجه ابن أبي شيبه ٩١/٧ عن وكيع به ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٣٨) ووكيع في أخبار
القضاة ٢٨١/٢ وابن حزم في المحلى ٥٩٠/١٠ من طريق الأعمش به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور
٣٤٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٥) في النسخ : « أشهب » . وقد تقدم على الصواب في ص ٥٦ .

غَيْرِ الْمَلَّةِ^(١) .

/ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ ١٠٥/٧
عَبِيدَةَ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُثَيْمٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : سَأَلْتُ
عَبِيدَةَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمَلَّةِ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عَبِيدَةَ ،
قَالَ : مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الصَّلَاةِ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ
عَبِيدَةَ ، قَالَ : مِنْ غَيْرِ أَهْلِ دِينِكُمْ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا حُسَيْنٌ ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ،
عَنْ عَبِيدَةَ ، قَالَ : مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمَلَّةِ^(٥) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : ثنا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا أَبُو حُرَّةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
سِيرِينَ ، عَنْ عَبِيدَةَ : ﴿ أَوْءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قَالَ : مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ^(٦) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ ، قَالَ : ثنا هِشَامٌ ، عَنْ^(٧)
مُحَمَّدٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ أَوْءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قَالَ :
مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ .

حَدَّثَنَا [٧٣٢/١ ظ] ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ ،

(١) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩٠/١٠ من طريق ابن سيرين به .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٢/٧ ، ٩٣ عن هشيم ، عن هشام به .

(٣) أخرجه أبو عبيد في النسخ والمنسوخ ص ٢١٧ من طريق سعيد بن عبد الرحمن أخى أبى حرة به .

(٤) (تفسير الطبرى ٥/٩)

(٥) فى النسخ : « بن » .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله^(١) .

حدَّثنا عمرو ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ ، قال : من غيرِ أهلٍ ملتيكم^(١) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباسٍ : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ ، من غيرِ أهلِ الإسلامِ^(٢) .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ بنُ عيَّاشٍ ، قال : قال أبو إسحاقٍ : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من اليهود والنصارى . قال : قال شريحٌ : لا تجوزُ شهادةُ اليهوديِّ والنصرانيِّ إلَّا في وصيةٍ ، ولا تجوزُ في وصيةٍ إلَّا في سفرٍ^(٣) .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبيِّ ، أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاةُ بدقوقاً^(٤) هذه . قال : فحضرته الوفاةُ^(٥) ، ولم يجد أحدًا من المسلمين يُشهدُه على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، فقديما الكوفة ، فأتيا الأشعرى فأخبراه ، وقديما بتركتيه ووصيته ، فقال الأشعرى : هذا أمرٌ لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ . فأخلفهما ، وأمضى شهادتهما^(٦) .

حدَّثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبةٌ ، عن مغيرةَ الأزرقِ ،

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص ٢١٧ ، وابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق حماد به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٤٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/٢١١ عن المصنف ، وأما قول شريح فقد تقدم تخريجه .

(٤) دقوقا ، بألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين إربل وبغداد معروفة ، لها ذكر في الأخبار والفتوح كان بها وقعة للخوارج . معجم البلدان ٢/٥٨١ .

(٥ - ٥) ليس في م ، وقوله : « هذه » إشارة إلى « دقوقا » ، وكأن الشعبي كان بها حال الكلام .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٥٧ - تفسير) ، وأبو داود (٣٦٠٥) - ومن طريقه البيهقي ١٠/١٦٥ -

من طريق هشيم به ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٣٩) ، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص ٢١٥ ،

٢١٦ ، وابن أبي شيبة ٩١/٧ من طريق زكريا به .

عن الشعبي ، أن أبا موسى قضى بها بدقوقاً^(١) .

حدَّثنا عمرو ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن محمد أنه كان يقول في قوله : ﴿ ائْتِنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : شاهدان من المسلمين ، وغير المسلمين^(٢) .

/ حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : من غير أهل الإسلام .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعيد ، قال : أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : من غير أهل الإسلام .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش^(٣) ، قال : قال زيد بن أسلم في هذه الآية : ﴿ شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تُوفِّي ، وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أول الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلا أن رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نُسِخت الوصية وفُرِضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها^(٤) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو آخران من غير حييكم وعشيرتكم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم ، قال : ثنا عوف ،

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢١٥/٣ عن المصنف .

(٢) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق عثمان به .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عباس » . وينظر تهذيب الكمال ٤١٠/١٥ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٢١٢/٣ .

عن الحسن في قوله : ﴿ أَتُحِبُّونَ دَوًّا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال :
شاهِدَانِ مِّنْ قَوْمِكُمْ ، وَمِنْ غَيْرِ قَوْمِكُمْ ^(١) .

حدَّثنا عمرو ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن
الزهرى ، قال : مضت السنة ألا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر ، إنما هي في
المسلمين ^(٢) .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان
الحسن يقول : ﴿ أَتُحِبُّونَ دَوًّا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ ، أى : من عشيرته ، ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ
غَيْرِكُمْ ﴾ . من غير عشيرته .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ثابت بن يزيد ^(٣) ، عن عاصم ، عن
عكرمة : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من غير أهل حيكم ^(٤) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن ثابت بن يزيد ^(٣) ، عن عاصم ، عن
عكرمة : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من غير حيكم .

حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ^(٣) ، عن عاصم
الأحول ، عن عكرمة في قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من
غير أهل حيّه . يعنى من المسلمين .

حدَّثني الحارث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن :
﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من غير عشيرتك ، ومن غير قومك ، كلهم من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣٠/٤ (٦٩٣٦) من طريق آخر عن الحسن .

(٢) ذكره ابن كثير ٢/٣١١ عن المصنف .

(٣) في النسخ : « زيد » . وينظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٤ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

المسلمين .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : مسلمين من غير حيِّكم ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى الليثُ ، قال : ثنى عُقَيْلٌ ، قال : سألتُ ابنَ شهابٍ عن قولِ الله تعالى ذكره : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ / إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . قلتُ : ١٠٧/٧ رأيتُ الاثنين اللذين ذَكَرَ اللهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمَرْءِ الْمُوصَى ، أَهْمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمْ ^(٢) هُمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ؟ وَأَرَأَيْتَ الْآخَرَيْنِ الَّذِينَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ، أَتُرَاهُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْءِ الْمُوصَى أَمْ هُمَا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ ؟ قال ابنُ شهابٍ : لَمْ نَسْمَعْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا عَنْ أُمَّةٍ الْعَامَةِ سَنَةً أَذْكَرُهَا ، وَقَدْ كُنَّا نَتَذَكَّرُهَا أَنَا سَا مِنْ عُلَمَائِنَا أَحْيَانًا ، فَلَا يَذْكَرُونَ فِيهَا سَنَةً مَعْلُومَةً ، وَلَا قَضَاءً مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ ، وَلَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ فِيهَا رَأْيُهُمْ ، وَكَانَ أَعْجَبَهُمْ فِيهَا رَأْيَا إِلَيْنَا ، الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ : هِيَ فِيمَا بَيْنَ أَهْلِ الْمِيرَاثِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَشْهَدُ بَعْضُهُمُ الْمَيِّتَ الَّذِي يَرِثُونَهُ ، وَيَغِيبُ عَنْهُ بَعْضُهُمْ ، وَيَشْهَدُ مَنْ شَهِدَهُ عَلَى مَا أَوْصَى بِهِ لِذَوِي الْقُرْبَى ، فَيُخْبِرُونَ مَنْ غَابَ عَنْهُ مِنْهُمْ بِمَا حَضَرُوا مِنْ وَصِيَّةٍ ، فَإِنْ سَلَّمُوا جَازَتْ وَصِيَّتُهُ ، وَإِنْ ازْتَابُوا أَنْ يَكُونُوا بَدَلُوا قَوْلَ الْمَيِّتِ ، وَآثَرُوا بِالْوَصِيَّةِ مَنْ أَرَادُوا ، مِمَّنْ لَمْ يُوصِ لَهُمُ الْمَيِّتُ بِشَيْءٍ ، حَلَفَ اللَّذَانِ يَشْهَدَانِ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَهِيَ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ : ﴿ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ ، فَإِذَا أَقْسَمَا عَلَى ذَلِكَ

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٤١) عن معمر به .

(٢) في ص ، ت ١ : « أَوْ » .

جَازَتْ شَهَادَتُهُمَا وَأَيَّمَانُهُمَا ، مَا لَمْ يُعْثَرْ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، ^(١) «فَإِنْ عُثِرَ» قَامَ آخِرَانِ مَقَامَهُمَا مِنْ أَهْلِ الْمِيرَاثِ ، مِنَ الْخَصْمِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ الْأَوَّلَانِ الْمُسْتَحْلَفَانِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا ^(٢) «أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِكُمَا» عَلَىٰ تَكْذِيبِكُمَا ، أَوْ إِبْطَالِ مَا شَهِدْتُمَا بِهِ ، ﴿وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِمْ﴾ الآية ^(٣) .

وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب تأويل مَنْ تَأَوَّلَهُ : أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَرَّفَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْوَصِيَّةِ شَهَادَةَ اثْنَيْنِ مِنْ عَدُولِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ اثْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ فِي الْكَلَامِ صِفَةُ شَهَادَةِ مُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ ، أَوْ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَتِكُمْ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : صِفَةُ شَهَادَةِ رَجُلَيْنِ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ ، أَوْ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَتِكُمْ ، أَوْ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَإِذَا كَانَ لَا وَجْهَ لِذَلِكَ فِي الْكَلَامِ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ صَرَفُ مَعْنَى ^(٤) «كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِلَّا إِلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ» .

وَقَدْ دَلَّلْنَا قَبْلَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِمَنْ وَفَّقَ لِفَهْمِهِ .

وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ بِمَا دَلَّلْنَا عَلَيْهِ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٣) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣١/٤ (٦٩٤٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٤) في ص ، ت ، ١ : «معلق» ، وفي م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «معلق» ، وفي س : «يعلق» ، والمثبت هو الصواب .

غَيْرِكُمْ ﴿١﴾ ، إنما هو أو آخِرَانِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ دِينِكُمْ وَمِلَّتِكُمْ . وإذا كان ذلك كذلك ، فسواءً كان الآخِرَانِ اللذان مِنْ غَيْرِ أَهْلِ دِينِنَا ، يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدَيِّ وَثْنٍ ، أو على أَىِّ دينٍ كانا ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى ذكره لم يَخْصُصْ آخِرِينَ مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ بَعِيْنِهَا ، دونَ مِلَّةٍ بَعْدَ أَلَّا^(١) يكونا مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ تعالى ذكره : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره للمؤمنين : صِفَةُ شَهادَةِ بَيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكم الموتُ وقتَ الوصِيَّةِ ، أن يَشْهَدَ اثْنانِ ذوا عدلٍ مِنْكُمْ أَثْبَتُها المؤمنون ، أو رجلاَنِ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ ، إن أنتم سافَرْتُمْ ذاهِبِينَ وراجِعِينَ في الأرضِ .

وقد بيَّنَّا فيما مضى السببَ الَّذي مِنْ أَجلِهِ قيلَ للمسافرِ : الضاربُ في الأرضِ^(٢) .

﴿ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ . يقولُ : فنزلَ بكم الموتُ .

ووجهُ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّأويلِ هذا الموضعَ إلى معنى التعقيبِ دونَ التَّخْيِيرِ ، / وقالوا : ١٠٨/٧ معناه : شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكم الموتُ حينَ الوصِيَّةِ اثْنانِ ذوا عدلٍ مِنْكُمْ إن وُجِدَا ، فإن لم يُوجَدْ^(٣) فأخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ .

وإنما فَعَلَ ذلكَ مَنْ فَعَلَهُ ؛ لأنَّهُ وَجَّهَ معنى الشَّهادَةِ في قولِهِ : ﴿ شَهادَةُ

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أن » .

(٢) ينظر ما تقدم في ١٧٧/٦ .

(٣) في ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يوجد » ، وفي ت ١ : « يجد » .

بَيْنَكُمْ ﴿١﴾ . إلى معنى الشهادة التي تُوجِبُ للقوم قيامَ صاحبها بها ^(١) عند الحاكم أو يُعْطِلُهَا .

ذكر بعض من تأول ذلك كذلك

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى القزَّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سُوَيْدٍ ، عن يحيى بنِ يَعمَرَ في قوله : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ : من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين ، فمن غير المسلمين ^(٢) .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادة ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ في قوله : ﴿ اثنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : اثنان من أهل دينكم ، ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : من أهل الكتاب ، إذا كان ببلادٍ لا يجدُ غيرهم ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن شريحٍ في هذه الآية : ﴿ شَهِدَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : إذا كان الرجلُ بأرضٍ غُربةٍ ، ولم يجدْ مسلمًا يُشْهده ^(٤) على وصيته ، فأشْهَدَ يهوديًا ، أو نصرانيًا ، أو مجوسيًا ، فشهادتهم جائزة ^(٥) .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدي : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم في ص ٦٣ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١ / ١٩٩ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يشهد » .

(٥) تقدم في ص ٦٣ ، ٦٤ .

أَتْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴿١﴾ . قال : هذا في الحَضَرِ ، ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : في السفرِ ، ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ : هذا ^(١) الرجلُ يُدْرِكُهُ الموتُ في سفره ، وليس بحضرتِه أحدٌ مِنَ المسلمين ، فيدْعُو رجلين مِنَ اليهودِ أو ^(٢) النصراني أو ^(٣) المجوس ، فيوصي إليهما ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا هشيمُ ، قال : أخبرنا مغيرةُ ، عن إبراهيمَ وسعيدِ بنِ جبيرٍ أنهما قالَا في هذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ الآية . قال : إذا حضرَ الرجلُ الوفاةَ في سفرٍ ، فيُشْهَدُ رجلين مِنَ المسلمين ، فإن لم يَجِدْ رجلين مِنَ المسلمين ، فرجلين مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ . إلى قوله : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ : فهذا لمن مات وعنده المسلمون ، فأمره اللَّهُ أن يُشْهَدَ على وصيته عَدْلَيْنِ مِنَ المسلمين ، ثم قال : ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ . فهذا لمن مات وليس عنده أحدٌ مِنَ المسلمين ، فأمر ^(٥) اللَّهُ تعالى بشهادة رجلين مِنَ غيرِ المسلمين ^(٦) .

(١) بعدها في م : « في » .

(٢) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « و » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣٠/٤ (٦٩٣٧ ، ٦٩٣٨) من طريق أسباط به .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢١٦/٣ عن المصنف . وأخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٢١٩ ، ٢٢٠ عن

هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، وعمن سمع سعيد بن جبير به .

(٥) في م : « فأمره » .

(٦) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤٠٤ من طريق عبد الله بن صالح به . وأخرج أوله ابن أبي حاتم

في تفسيره ١٢٢٩/٤ (٦٩٣٢ ، ٦٩٣٣) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر

المشور ٣٤٢/٢ إلى ابن المنذر .

ووجه ذلك آخرون إلى معنى التخيير ، وقالوا : إنما عني بالشهادة في هذا
الموضع الأيمان على الوصية التي أوصى إليهما ، وائتمان الميت إياهما على ما ائتمنهما
عليه من مال ليؤدّياه إلى ورثته [٧٣٣/١ ظ] بعد وفاته ، إن ائتمن بهما . / قالوا : وقد
يُتَمَنُّ^(١) الرجل على ماله من رآه موضعاً للأمانة ، من مؤمن وكافر ، في السفر
والحضر .

وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى^(٢) ، وسند كُرْبَقِيَّتِهِ
إن شاء الله تعالى بعد .

القول في تأويل قوله عز ذكره : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم
الموت ، إن شهد اثنان ذوا عدل منكم ، أو كان أوصى إليهما ، أو آخران من غيركم ،
إن كنتم في سفر فحضر ثلثكم المنيّة ، فأوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم
من مال وتركه لورثتكم ، فإذا أنتم أوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من
مال ، فأصابتكم مصيبة الموت ، فأدّيا إلى ورثتكم ما ائتمنوهما ، وادّعوا عليهما
خيانة خاناها مما ائتمنا عليه ، فإن الحكم فيهما حينئذ أن تحبسوهما . يقول :
تستوقفونهما بعد الصلاة .

وفي الكلام محذوف اجتزأ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف ، وهو :
فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم وصيتكم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم
من مال ، فإنكم تحبسونهما من بعد الصلاة .

(١) في م : « يأمن » . وهما بمعنى .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٦٧ وما بعدها .

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ . يقول : فَيُحْلِفَانِ بِاللَّهِ إِنِ اتَّهَمْتُمُوهُمَا بخيانة فيما أئتمنا عليه ، من ^(١) تغيير وصية أوصى إليهما بها ، أو تبديلها - والارتياح هو الاتهام - ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴾ . يقول : يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ لَا نَشْتَرِي بِأَيْمَانِنَا بِاللَّهِ ثَمَنًا . يقول : لَا نَحْلِفُ كاذبين على عوض نأخذُه عليه ، وعلى مالٍ نذهبُ به ، أو لحقٍ نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا ^(٢) وليتهم وميتهم ^(٣) .

والهاء في قوله : ﴿ بِهِ ﴾ . من ذكر الله ، والمعنى به الحلف والقسم ، ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به ، فعرف ^(٣) معنى الكلام ، اكتفى ^(٤) به ^(٥) من إعادة ^(٥) ذكر القسم والحلف .

﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ . يقول : يُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَا نَطْلُبُ بِإِقْسَامِنَا بِاللَّهِ عَوْضًا فَتَكْذِبَ فِيهَا لِأَحَدٍ ، ولو كان الذي نُقْسِمُ به له ذا قرابة منا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ : فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين ، فإن ارتيب ^(٦) في شهادتهما ، استحلifa

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أو » .

(٢ - ٢) في م : « وليتهم وصيتهم » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فيعرف » ، وفي م : « فيعرف من » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤) في النسخ : « واكتفى » . والمثبت صواب السياق .

(٥ - ٥) في س : « عن إعادته » .

(٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « ارتبت » .

بعد الصلاة بالله : لم نَشْتَرِ بِشَهَادَتِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا ^(١) .

وقوله : ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ : من صلاة الآخرين . ومعنى الكلام : أو آخران من غيركم تحسبونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم بهما ، فيقسمان بالله لا نَشْتَرِي به ثمنًا ولو كان ذا قُرْبَى .

واختلفوا في الصلاة التي ذكرها الله تعالى ذكره في هذه الآية ، فقال : ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : هي صلاة العصر .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا هَشِيمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا زَكْرِيَا ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بِدُقُوقًا ^(٢) هَذِهِ . قَالَ : فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ^(٣) ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُشْهِدُهُ عَلَى وَصِيَّتِهِ ، فَأَشْهَدَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . قَالَ : فَقَدِمَا / الْكُوفَةَ ، فَأَتِيَا الْأَشْعَرِيَّ فَأَخْبَرَاهُ ، وَقَدِمَا بِتَرِكَتِهِ وَوَصِيَّتِهِ ، فَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ : هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الَّذِي كَانَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَأَخْلَفَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ : بِاللَّهِ مَا خَانَا ، وَلَا كَذَبَا ، وَلَا بَدَلًا ، وَلَا كَتَمًا ، وَلَا غَيْرًا ، وَإِنِهَا لَوْصِيَّةُ الرَّجُلِ وَتَرِكَتُهُ . قَالَ : فَأَمَضَى شَهَادَتَهُمَا ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَا : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قَالَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضِ الشَّرِكِ ، فَأَوْصَى إِلَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنَهُمَا يَخْلِفَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ ^(٤) .

(١) تقدم تخريجه في ص ٧٣ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تقدم تخريجه في ص ٦٦ .

(٤) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق شعبة به .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبَةُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ بمثله .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ إلى ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ : فهذا رجلٌ مات بغزوةٍ من الأرضِ ، وترك تركته ، وأوصى بوصيته ، وشهد على وصيته رجلان ، فإن اُرتيب في شهادتهما ، استُخلفا بعدَ العصرِ ، وكان يقالُ : عندها تصيرُ الأيمانُ ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى هشيمٌ ، قال : أخبرنا مغيرةٌ ، عن إبراهيمَ وسعيدِ بنِ جبيرةٍ أنهما قالا في هذه الآية : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ . قالا : إذا حضرَ الرجلَ الوفاةُ في سفرٍ ، فليُشهدَ رجلينِ من المسلمين ، فإن لم يجدْ فرجلينِ من أهلِ الكتابِ ، فإذا قدما بتركته ، فإن صدَّقهما الورثةُ قبل قولهما ، وإن اتَّهموهما ، أُخلفا بعدَ صلاةِ العصرِ : باللهِ ما كذبنا ، ولا كتمنا ، ولا خُنا ، ولا غيَّرتنا ^(٢) .

حدَّثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يحيى القطَّانُ ، قال : ثنا زكريا ، قال : ثنا عامرٌ ، أن رجلاً تُوفِّي بدقوقاً ، فلم يجدْ من يُشهدُه على وصيته إلا رجلينِ نصرانيَّينِ من أهلها ، فأخلفهما أبو موسى دُبُرَ ^(٣) صلاةِ العصرِ في مسجدِ الكوفةِ : باللهِ ما كتما ، ولا غيَّرا ، وإن هذه لو وصيته . فأجازها ^(٤) .

وقال آخرون : بل يُستخلفان بعدَ صلاةِ أهلِ دينهما وملتهما .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٩/٤ (٦٩٣٠) من طريق يزيد به . إلى قوله : وشهد على وصيته رجلان .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٧٣ .

(٣) في س : « إثر » .

(٤) أخرجه أبو عبيد في النسخ ص ٢١٥ ، ٢١٦ عن يحيى به ، وتقدم أوله في ص ٦٦ .

[٧٣٤/١] ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . قال : هذا في الوصية عند الموت ، يُوصى ، ويُشهد رجلين من المسلمين على ما له وعليه . قال : هذا في الحضر ، ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : في السفر ، ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ : هذا الرجل يُدْرِكُه الموت في سفره ، وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود أو ^(١) النصارى أو ^(٢) المجوس ، فيوصى إليهما ، ويدفع إليهما ميراثه ، فيقبلان به ، فإن رضى أهل الميت الوصية ، وعرفوا مالَ صاحبهم ، تركوا الرجلين ، وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان ، فذلك قوله : ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ - ﴿ إِنْ أَرَبْتُمْ ﴾ . قال عبد الله بن عباس : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعُلَاجَيْنِ حِينَ انْتَهَى بِهِمَا إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي دَارِهِ ، فَفَتَحَ الصَّحِيفَةَ ، فَأَنكَرَ أَهْلُ الْمَيْتِ وَخَوُّنُهُمَا ^(٣) ، فأراد أبو موسى أَنْ يَسْتَحْلِفَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمَا ^(٤) لَا يُيَالِيَانِ صَلَاةَ / الْعَصْرِ ، وَلَكِنْ اسْتَحْلِفَهُمَا بَعْدَ صَلَاتِهِمَا فِي دِينِهِمَا . فَيُوقَفُ الرَّجُلَانِ بَعْدَ صَلَاتِهِمَا فِي دِينِهِمَا ، وَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ : لَا نَشْتَرِي بِهِ ^(٥) ثَمَنًا قَلِيلًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ، إِنْ أِذْنُ لِمَنِ الْآثِمِينَ ، إِنْ صَاحِبَكُم لَبِهَذَا أَوْصَى ، وَإِنْ هَذِهِ لَتَرَكْتُهُ . فيقول لهما الإمام قبل أن يحلِفَا : إِنْ كُنْتُمَا كَتَمْتُمَا أَوْ خُنْتُمَا ، فَضَحْتُكُمَا فِي قَوْمِكُمَا ، وَلَمْ تَجْزُ لَكُمَا شَهَادَةٌ ، وَعَاقِبْتُكُمَا . فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ^(٦) .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « و » .

(٢) في ص ، ت ، ١ : « خوفوهما » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « صاحبهم » .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٢١٥ ، ٢١٦ عن المصنف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٢٨ ،

١٢٣٠ ، ١٢٣١ (٦٩٢٩ ، ٦٩٣٧ ، ٦٩٣٨ ، ٦٩٤٣) من طريق أسباط به مختصراً دون قول ابن عباس .

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال : تحبسونهما من بعد صلاة العصر ؛ لأن الله تعالى عرّف الصلاة في هذا الموضع بإدخال الألف واللام فيها ، ولا تُدخلهما العرب إلا في معروف ، إما في جنس ، أو في واحد معهود معروف عند المخاطبين^(١) . فإذا كان ذلك^(٢) كذلك ، وكانت الصلاة في هذا الموضع مُجمَعًا على أنه لم يُعَنَّ بها جميع الصلوات ، لم يَجْزُ أن يكون مرادًا بها صلاة المُستَحَلَفِ من اليهود والنصارى ؛ لأن لهم صلوات ليست واحدة فيكون معلومًا أنها المغنيّة بذلك . فإذا كان ذلك كذلك ، صحَّ أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النبي ﷺ صحيحًا عنه أنه إذ لا عن بين العجلانيين ، لا عن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات^(٣) - كان معلومًا أن التي عُنيَتْ بقوله : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ . هي الصلاة التي كان رسول الله ﷺ يَتَخَيَّرُهَا^(٤) لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه . هذا^(٥) مع ما^(٥) عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت ، وذلك لقربه من غروب الشمس .

وكان ابن زيد يقول في قوله : ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴾ . ما حدّثنى به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴾ . قال : لا^(٦) نَأْخُذُ بِهِ رِشْوَةً^(٦) .

القول في تأويل قوله عز ذكره : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ

(١) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المتخاطبين » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرج هذه القصة الدارقطني ٢٧٧/٣ ، ومن طريقه البيهقي ٣٩٨/٧ .

(٤) في س : « يتخذها » .

(٥ - ٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مهما » ، وفي س : « بهما » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣٢/٤ (٦٩٤٧) من طريق أصبغ بن الفرّج عن ابن زيد به .

الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ .

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الأمصار : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ . بإضافة الشهادة إلى الله ، وخفض اسم الله تعالى ، يعنى : لا نكتم شهادة لله عندنا .

وذكر عن الشعبي أنه كان يقرؤه كالذى حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، عن عامر أنه كان يقرأ : (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ) . بقطع الألف وخفض اسم الله ، هكذا حدثنا به ابن وكيع ^(١) .

وكان الشعبي وجه معنى الكلام إلى أنهما يُقسِمان بالله : لا نشتري به ثمنًا ولا نكتم شهادة عندنا . ثم ابتدأ يمينًا باستفهام بالله إنهما إن اشتريا بأيمنهما ثمنًا أو كتما شهادته عندهما ^(٢) إنهما من ^(٣) الآثمين .

وقد روى عن الشعبي في قراءة ذلك رواية تُخالف هذه الرواية ، وذلك ما حدثني أحمد بن يوسف التَّغْلِبِيُّ ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن عباد ، عن ابن عون ، عن الشعبي أنه قرأ : (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ) ^(٤) . قال أحمد : قال أبو عبيد : يُنَوَّنُ شَهَادَةُ وَيُخْفَضُ اللَّهُ عَلَى الْإِصْبَالِ . قال : وقد رواها بعضهم بقطع الألف على الاستفهام ، ^(٥) وحفظى أنا لقراءة الشعبي ترك ^(٥) / الاستفهام . ١١٢/٧

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣٢/٤ (٦٩٤٩) من طريق داود عن الشعبي به . وينظر المحتسب ٢٢١/١ ، والبحر المحيط ٤٤/٤ . وهى قراءة شاذة .

(٢ - ٢) فى م : « لمن » .

(٣) ينظر المحتسب ٢٢١/١ .

(٤ - ٤) فى م : « وخفض إنا » .

(٥) فى م : « بترك » .

وقرأها بعضهم : (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ)^(١) . بتنوين الشهادة ونصب اسم الله ، بمعنى : وَلَا نَكْتُمُ اللَّهَ^(٢) شهادة عندنا .

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ . بإضافة الشهادة إلى اسم الله ، وخفض اسم الله ؛ لأنها القراءة المستفيضة في قراءة الأمصار ، التي لا تتناكر صحتها الأمة .

وكان ابن زيد يقول في معنى ذلك : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ : وإن كان صاحبها^(٣) بعيدا .

حدثني بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب^(٤) عنه^(٥) .

القول في تأويل قوله عز ذكره : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ : فَإِنْ أَطْلِعَ مِنْهُمَا^(٦) أو^(٧) ظهر .

وأصل العثر الوقوع على الشيء والسقوط عليه ، ومن ذلك قولهم : عثرت إصبغ فلان بكذا . إذا صدمته وأصابته ووقعت عليه . ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس^(٨) :

(١) وهى قراءة على ونعيم بن ميسرة ، وإحدى القراءات عن الشعبي . ينظر البحر المحيط ٤ / ٤٤ .

(٢) فى س : « لله » .

(٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٤) فى النسخ : « زيد » . وينظر ص ١٠٣ حاشية (٢) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٢ / ٤ (٦٩٥٠) من طريق أصبغ بن الفرّج عن ابن زيد به .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « فيهما » .

(٧) فى س : « أى » .

(٨) ديوانه ص ١٠٣ .

بِذَاتِ لُوثٍ^(١) عَفْرَنَةٍ^(٢) إِذَا عَثَرَتْ^(٣) فَالتَّعَسُّ^(٤) أَذْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعًا^(٥)

[٧٤٣/١ ظ] يعنى بقوله : عَثَرَتْ : أَصَابَ مَنْسِمٌ^(٥) خُفُّهَا حَجْرًا^(٦) أَوْ غَيْرَهُ . ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ وَاقِعٍ عَلَى شَيْءٍ كَانَ عَنْهُ خَفِيًّا ، كَقَوْلِهِمْ : عَثَرْتُ عَلَى الْغَزْلِ بِأَخْرَةٍ ، فَلَمْ تَدْعُ بِنَجْدٍ قَرْدَةً^(٧) . بِمَعْنَى : وَقَعَتْ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ . فَإِنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَإِنْ أَطْلَعَ مِنَ الْوَصِيَّيْنِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ أَمْرَهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدَ حَلْفِهِمَا بِاللَّهِ : لَا نَشْتَرِي بِأَيْمَانِنَا ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ - ﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ . يَقُولُ : عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَوْجَبَا بِأَيْمَانِهِمَا الَّتِي حَلَفَا بِهَا إِثْمًا ، وَذَلِكَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَى أَنَّهُمَا كَانَا كَاذِبَيْنِ فِي أَيْمَانِهِمَا بِاللَّهِ : مَا خُنَّا ، وَلَا بَدَّلْنَا ، وَلَا غَيَّرْنَا . فَإِنْ وُجِدَا قَدْ خَانَا مِنْ مَالِ الْمَيِّتِ شَيْئًا ، أَوْ غَيْرًا وَصِيَّتَهُ ، أَوْ بَدَّلَا ، فَأَثِمَا بِذَلِكَ مِنْ حَلْفِهِمَا^(٨) بَرَبَّهُمَا ، ﴿ فَخَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . يَقُولُ : يَقُومُ حِينَئِذٍ مَقَامَهُمَا مِنْ وَرَثَةِ الْمَيِّتِ الْأَوْلِيَّانِ^(٩) الْمَوْصَى إِلَيْهِمَا .

(١) اللوث : القوة . اللسان (ل و ث) .

(٢) عفرنة : قوية . اللسان (ع ف ر) .

(٣) التعس : ألا ينتعش العاثر من عثرته ، وأن ينكس في سفال . اللسان (ت ع س) .

(٤) لعا : كلمة يدعى بها للعاثر ، معناها الارتفاع . اللسان (ل ع و) .

(٥) فى م : « الميسم » . والمنسم : طرف خُفِّ البعير اللسان (ن س م) .

(٦) فى م : « حجر » .

(٧) القرد : ما تمعظ من الإبل والغنم من الوبر والصوف والشعر .

قال الأصمعى : أصله أن تدع المرأة الغزل وهى تجد ما تغزله من قطن أو غيره ، حتى إذا فاتها تتبعته القرد فى القمامات ، فتلقطها فتغزلها . وهو مثل يضرب لمن ترك الحاجة وهى ممكنة ، ثم جاء يطلبها بعد الفوت . ينظر مجمع الأمثال للميدانى ٣٢١ / ٢ .

(٨) فى ص : « بأمرهما » ، وفى ت ١ : « أمرهما » .

(٩) فى ص ، ت ١ : « وأولياء » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي ١١٣/٧
بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قَالَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضِ
الشَّرِكِ ، فَأَوْصَى إِلَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنِ هُمَا يَخْلِفَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَإِذَا أُطْلِعَ
عَلَيْهِمَا بَعْدَ حَلْفِهِمَا أَنَّهُمَا خَانَا شَيْئًا ، حَلَفَ أَوْلِيَاءُ الْمَيْتِ أَنَّهُ كَانَ كَذًا وَكَذَا ، ثُمَّ
اسْتَحَقُّوا ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ
إِبْرَاهِيمَ بِمِثْلِهِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِنْ غَيْرِ
الْمُسْلِمِينَ ، ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ ، فَإِنْ ارْتَبَ ^(٢) فِي شَهَادَتِهِمَا اسْتَحْلِفَا
بَعْدَ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ : مَا اشْتَرَيْنَا بِشَهَادَتِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا . فَإِنْ أَطْلَعَ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَيْنِ
كَذَبَا فِي شَهَادَتِهِمَا ، قَامَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فَحَلَفَا بِاللَّهِ : إِنْ شَهَادَةُ الْكَافِرَيْنِ
بَاطِلَةٌ ^(٣) ، وَإِنَّا لَمْ نَعْتَدِ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَإِنْ عُذِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا ﴾ . يَقُولُ : إِنْ
أُطْلِعَ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَيْنِ كَذَبَا ، ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . يَقُولُ : مِنَ
الْأَوْلِيَاءِ ^(٤) ، فَحَلَفَا بِاللَّهِ : إِنْ شَهَادَةُ الْكَافِرَيْنِ بَاطِلَةٌ ، وَإِنَّا لَمْ نَعْتَدِ . فَتُرَدُّ شَهَادَةُ

(١) تقدم أوله في ص ٧٦ .

(٢) في ص ، ت ١ ، س : « ارتبت » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « باطل » .

(٤) في ت ١ ، والناسخ للنحاس ، ومطبوعة الدر : « الأوليان » .

الكافرين ، وتَجُوزُ شهادةُ الأولياءِ^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ : أى : اُطْلِعَ مِنْهُمَا عَلَى خِيَانَةٍ ، أَنَّهُمَا كَذَبَا أَوْ كَتَمَا^(٢) .

واخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فى المعنى الذى له حَكَمُ اللَّهِ تعالى ذكره على الشاهدين بالآيمان ، فنقلها^(٣) إلى الآخرَيْن بعد أن عُثِرَ عليهما أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ؛ فقال بعضهم : إنما أَلْزَمَهُمَا اليمينَ إذا^(٤) ارْتَبِتَ فى شهادتهما^(٥) على الميتِ فى وصيته ، أنه أَوْصَى بغيرِ^(٥) الذى يَجُوزُ فى حَكَمِ الإسلامِ ، وذلك أن يَشْهَدَا^(٦) أنه أَوْصَى بماله كله ، أو أَوْصَى أن يُفْضَلَ بعضُ ولده ببعضِ ماله .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ : من أهلِ الإسلامِ ، ﴿ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : من غيرِ أهلِ الإسلامِ ، ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ﴾ . يقولُ : فيخلفان بالله بعد الصلاة ، فإن حلفا على شىءٍ يُخَالِفُ ما أنزلَ اللَّهُ تعالى ذكره من الفريضة - يعنى اللذين ليسا من أهلِ الإسلامِ - ﴿ فَاخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ : من أولياءِ الميتِ ، فيخلفان بالله : ما كان صاحبنا ليُوصى بهذا ، و^(٧) إنهما لكاذبان ،

(١) ينظر ما تقدم تخريجه فى ص ٧٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى ص ، ت ١ : « فمن نقلها » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ : « ارتبت بشهادتهما » ، وفى س : « ارتبت بشهادتهما » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لغير » .

(٦) فى م : « يشهد » ، وفى ت ١ : « يشهدوا » .

(٧) فى م : « أو » .

وَلشَّهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا^(١) .

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : يُوقَفُ الرجلان بعد صلاتيهما في دينهما ، فيخلفان بالله : لا نشترى به ثمنًا ولو كان ذا قُرْبَى ، ولا نكثم شهادة الله ، إنا إذن لمن الآثمين ، إن صاحبكم لبهذا أوصى ، وإن هذه لتركته . فإذا شهدا ، وأجاز الإمام شهادتهما على ما شهدا ، قال لأوليائ الرجل : اذهبوا فاضربوا في الأرض واسألوا عنهما ، فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة ، / أو أحدا يطعن عليهما ، رددنا شهادتهما . فينطلق الأولياء ١١٤/٧ فيسألون ، فإن وجدوا أحدا يطعن عليهما ، أو هما غير مرضيين عندهم ، أو اطلع على أنهما خانا شيئًا من المال وجدوه عندهما ، أقبل^(٢) الأولياء فشهدوا عند الإمام ، وحلفوا بالله : لشهادتنا أنهما لخائنان متهمان في دينهما ، مطعون عليهما ، أحق من شهادتهما بما شهدا ، وما اعتدينا . فذلك قوله : ﴿ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَاجِنِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَٰئِينَ ﴾^(٣) .

وقال آخرون : بل إنما ألزم الشاهدان اليمين لأنهما ادّعى أنه أوصى لهما ببعض المال ، وإنما يُنْقَلُ إلى الآخرَيْن من أجل ذلك ، إذا ارتابا^(٤) بدعواهما .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر في قوله : ﴿ تَحْسُبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٣١، ١٢٣٣ (٦٩٤٢، ٦٩٥٥، ٦٩٥٨) عن محمد بن سعد به .

(٢) سقط من : س ، وفي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فأقبل » . والسياق يقتضي ما أثبت .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٣١، ١٢٣٣، ١٢٣٤ (٦٩٤٣، ٦٩٥٧، ٦٩٥٩) من طريق

أحمد بن مفضل به نحوه .

(٤) في م : « ارتابوا » .

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ﴿١﴾ . قال : زَعَمَا أَنَّهُمَا ^(١) أَوْصَى لهما بكذا وكذا ، ﴿ فَإِنَّ عُنْثَ عَلَى أَنَّهُمَا
أَسْتَحَقَّ إِنَّمَا ﴾ : أى بدعواهما لأنفسهما ، ﴿ فَاخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
أَسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ ﴾ : إن صاحبنا لم يُوصِ إليكما بشيء مما تقولان .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الشاهدين أُلزِمَا اليمينَ في ذلك باتهام
ورثة [٧٣٥/١] الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبلهما خيانة مالٍ
معلوم المبلغ ، ونُقِلَتْ بعدُ إلى الورثة عند ظهور الرِّبِّية التي كانت من الورثة فيهما ،
وصحة التهمة عليهما ، بشهادة شاهدٍ عليهما أو على أحدهما ، فيخلفُ الوارثُ
حينئذٍ مع شهادة الشاهدِ عليهما أو على أحدهما ، إنما صحَّح دَعْوَاهُ إِذْ حُقِّقَ حَقُّهُ ، أو
لإقرارٍ ^(٢) يَكُونُ مِنَ الشُّهُودِ ببعض ما ادَّعى عليهما الوارثُ أو بجميعه ، ثم دَعْوَاهُمَا فِي
الَّذِي أَقْرَأَ بِهِ مِنَ مَالِ الْمَيِّتِ مَا لَا يُقْبَلُ فِيهِ دَعْوَاهُمَا إِلَّا بَيِّنَةٌ ، ثم لَا يَكُونُ لهما على
دعواهما تلك بَيِّنَةٌ ، فَيُنْقَلُ حينئذٍ اليمينُ إلى أولياءِ الميت .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوالِ في ذلك بالصحة ؛ لأننا لَا نَعْلَمُ مِنْ أَحْكَامِ
الإسلامِ حَكْمًا يَجِبُ فِيهِ الْيَمِينُ عَلَى الشُّهُودِ ، ارْتِيَبُ بِشَهَادَتِهِمَا أَوْ لَمْ يُرْتَبْ بِهَا ،
فَيَكُونُ الْحَكْمُ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ نَظِيرًا لِذَلِكَ ، ^(٣) وَلَا - إِذْ لَمْ ^(٣) نَجِدْ ذَلِكَ كَذَلِكَ -
صَحَّ بِخَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَلَا بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْأُمَّةِ ؛ لِأَنَّ اسْتِحْلَافَ الشُّهُودِ فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ حَكْمِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، فَيَكُونُ أَصْلًا مُسَلَّمًا ، وَالْمَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَنْ
يَكُونُ أَصْلًا أَوْ نَظِيرًا لِأَصْلِ فِيمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ ، كَانَ وَاضِحًا فَسَادُهُ .

وَإِذَا فَسَدَ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا ذَكَرْنَا ، فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الشَّاهِدَيْنِ اسْتُحْلِفَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمَا

(١) فِي م : « أَنَّهُ » .

(٢) فِي م : « الْإِقْرَار » .

(٣ - ٣) فِي م : « وَلَمْ » .

ادَّعَى عَلَى الْمَيْتِ وَصِيَّةً لَهُمَا بِمَا لِي مِنْ مَالِهِ - أَفَسَدُ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي أَنْ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَنْ مُدَّعِيًا لَوْ ادَّعَى فِي مَالِ مَيْتٍ وَصِيَّةً ، أَنْ الْقَوْلَ قَوْلٌ وَرِثَةُ الْمُدَّعَى فِي مَالِهِ الْوَصِيَّةُ مَعَ أَيْمَانِهِمْ ، دُونَ قَوْلِ مُدَّعَى ذَلِكَ مَعَ يَمِينِهِ ، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُدَّعَى بَيِّنَةٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ الْيَمِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الشُّهُودِ إِذَا ارْتَبَى بِهِمَا ، وَإِنَّمَا نُقِلَ الْإِيمَانُ عَنْهُمْ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ إِذَا غُثِرَ عَلَى أَنْ الشُّهُودَ اسْتَحَقُّوا إِثْمًا فِي أَيْمَانِهِمْ ، فَمَعْلُومٌ بِذَلِكَ فَسَادُ قَوْلِ مَنْ قَالَ : أُلْزِمَ الْيَمِينَ الشُّهُودُ لِدَعْوَاهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَصِيَّةً أَوْصَى بِهَا لَهُمُ الْمَيْتُ مِنْ مَالِهِ .

على أن ما قلنا في ذلك عن أهل التأويل ، هو التأويل الذي وردت به الأخبار /عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قضى به حين نزلت هذه ١١٥/٧ الآية ، بين الذين نزلت فيهم وبسببهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا يحيى بن آدم ، عن يحيى بن أبي زائدة ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبيرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءَ ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مَسْلَمٌ ، فَلَمَّا قَدِمَا ^(١) بَتَرَكْتَهُ فَقَدَا جَاْمًا ^(٢) مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا بِالذَّهَبِ ^(٣) ، فَأَخْلَفَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ وَجَدَ الْجَاْمَ بِمَكَّةَ ، فَقَالُوا : اشْتَرَيْنَاهُ مِنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءَ . فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِ السَّهْمِيِّ ، فَحَلَفَا : لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ، وَإِنَّ الْجَاْمَ لَصَاحِبِهِمْ . قَالَ : وَفِيهِمْ أَنْزَلَتْ : ﴿ يَكْفُرُ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةً

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قدموا » .

(٢) الجام : الإناء . اللسان (ج و م) .

(٣) أى : عليه صفائح الذهب مثل خوص النخل . النهاية ٨٧/٢ .

بَيْنَكُمْ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ^(٢) أَحْمَدَ بْنِ^(٣) أَبِي شُعَيْبٍ الْحَرَّانِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْحَرَّانِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ بَازَانَ^(٤) مَوْلَى أُمِّ هَانِئِ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ . قَالَ : بَرِئُ النَّاسِ مِنْهَا غَيْرِي وَغَيْرِ عَدِيِّ بْنِ بَدَاءَ . وَكَانَا نَصْرَانِيَيْنِ يَخْتَلِفَانِ إِلَى الشَّامِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَأَتَيَا الشَّامَ لِتِجَارَتِهِمَا ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمَا مَوْلَى لَبْنَى سَهْمٍ يَقَالُ لَهُ : بُدَيْلُ^(٥) بْنُ أَبِي مَرْيَمَ . بِتِجَارَةٍ ، وَمَعَهُ جَانٌّ فَضِيَّةٌ يُرِيدُ بِهِ الْمَلِكَ ، وَهُوَ^(٦) عَظُمُ تِجَارَتِهِ ، فَمَرِضَ ، فَأَوْصَى إِلَيْهِمَا ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يُبْلِغَا مَا تَرَكَ أَهْلَهُ . قَالَ تَمِيمٌ : فَلَمَّا مَاتَ أَخَذْنَا ذَلِكَ الْجَانَّ فَبِغْنَاهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَسَمْنَاهُ أَنَا وَعَدِيُّ بْنُ بَدَاءَ^(٧) فَلَمَّا قَدِمْنَا إِلَى أَهْلِهِ دَفَعْنَا إِلَيْهِمْ مَا كَانَ مَعَنَا ، وَفَقَدُوا الْجَانَّ فَسَأَلُونَا عَنْهُ^(٨) ، فَقُلْنَا : مَا تَرَكَ غَيْرَ هَذَا ، وَمَا دَفَعَ إِلَيْنَا غَيْرَهُ . قَالَ تَمِيمٌ : فَلَمَّا أَسْلَمْتُ بَعْدَ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ تَأَثَّمْتُ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَأَخْبَرْتُهُمُ الْخَبَرَ ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْهِمْ خَمْسَمِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَنَّ عِنْدَ

(١) أخرجه الترمذى (٣٠٦٠) عن سفيان بن وكيع به ، وأخرجه البخارى (٢٧٨٠) فى تاريخه ٢١٥/١ ، وأبو داود (٣٦٠٦) ، والبيهقى ١٠/١٦٥ من طريق يحيى بن آدم به ، وأخرجه النحاس فى ناسخه ص ٤٠٨ ، والطبرانى (١٢٥٠٩) ، ١٧/١١٠ (٢٦٨) من طريق يحيى بن أبي زائدة به ، وعزاه السيوطى فى الدر ٣٤٢/٢ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زاذان » ، وفى س : « داود » ، وينظر تهذيب الكمال ٦/٤ .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بريل » ، وفى س : « بزسل » . - تصحيف : بزيل - وقال الحافظ فى الفتح

٤١١/٥ : ووقع فى رواية الكلبي عن أبى صالح ، عن ابن عباس عن تميم نفسه عند الترمذى والطبرى - وهى روايتنا هنا - بديل .. ورأيت فى نسخة صحيحة من تفسير الطبرى : بريل . براء بغير نقطة . ويقال أيضا :

بزيل ، وبرير . ينظر الإكمال ١/٢٦٤ ، والإصابة ١/٢٧٤ .

(٥) فى ص ، ت ١ : « هى » .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخريج .

صاحبى مثلها ، ^(١) فوثبوا إليه ^(٢) ، فأتوا به رسول الله ﷺ ، فسألهم البينة ، فلم يجدوا ، فأمرهم أن يشتخلفوه بما يعظم به على أهل دينه ، فحلف ، فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِمْ ﴾ . فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم ، فحلفا ، فنزعت الخمسمائة من عدى بن بداء ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وابن سيرين وغيره ، قال : وحدثنا الحجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة - دخل حديث بعضهم فى بعض - : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ الآية . قالوا ^(٤) : كان عدى وتميم الدارى ، وهما من لحم ، نصرانيان ، يتجران إلى مكة فى الجاهلية ، فلما هاجر رسول الله ﷺ حولا متجرهما إلى المدينة ، فقدم ابن أبى مارية مولى عمرو بن العاص المدينة ، وهو يريد الشام تاجرا ، فخرجوا جميعا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبى مارية ، فكتب وصيته بيده ، ثم دسها فى متاعه ، ثم أوصى إليهما ، فلما مات فتحا متاعه ، فأخذا ما أرادا ، ثم قدما على أهله ، فدفعوا ما أرادا ، ففتح أهله متاعه ، فوجدوا كتابه وعهده ، وما خرج / به ، ١١٦/٧ وفقدوا ^(٥) شيئا ، ^(٦) فسألوهما [٧٣٥/١ ظ] عنه ^(٦) ، فقالوا : هذا الذى قبضنا له ،

(١ - ١) سقط من : م ، ت ٢ .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٠٥٩) ، والنحاس فى النسخ والمنسوخ ص ٤٠٩ ، عن الحسن بن أحمد به .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤ / ١٢٣٠ ، ١٢٣١ (٦٩٤١) من طريق محمد بن سلمة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٣٤١ إلى أبى الشيخ وابن مردويه وأبى نعيم فى المعرفة .

(٤) فى م : « قال » .

(٥) فى ص ، ت ١ : « قعدوا » ، وفى س : « ولم يجدوا » .

(٦ - ٦) فى ص ، س : « وسألوهما عنها » ، وفى ت ١ : « وسألوهما عنهما » .

ودفع إلينا . قال لهما أهله : فباع شيئاً ، أو ابتاعه ؟ قالوا : لا . قالوا : فهل استهلك^(١) من متاعه شيئاً ؟ قالوا : لا . قالوا : فهل تجر تجارة ؟ قالوا : لا . قالوا : فإننا قد فقدنا بعضه . فأتتهما ، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ . إلى قوله : ﴿ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ . قال : فأمر رسول الله ﷺ أن يشتخلفوهما في دُبر صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو : ما قبضنا له غير هذا ، ولا كتمنا . قال : فمكثنا^(٢) ما شاء الله أن يمكثنا ، ثم ظهر معهما على إناء من فضة منقوش مموه بذهب ، فقال أهله : هذا من متاعه ؟ قالوا : نعم ، ولكننا اشتريناه منه ، ونسينا أن نذكره حين حلفنا ، فكريهنا أن نكذب أنفسنا . فترافعوا إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت^(٣) الآية الأخرى : ﴿ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَاجِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . فأمر رسول الله ﷺ رجلين من أهل الميت أن يخلفا على ما كتما وغيبا ، ويستحقانه . ثم إن تميما الداري أسلم وباع النبي ﷺ ، وكان يقول : صدق الله ورسوله ، أنا أخذت الإناء^(٤) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ الآية كلها . قال : هذا شيء حين لم يكن الإسلام إلا بالمدينة ، وكانت الأرض كلها كفراً^(٥) ، فقال الله تعالى ذكره : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : من

(١) استهلك المال : أنفقه وأنفده وأهلكه . اللسان (هل ك) ، وقال الشيخ شاكر : أى : أضاعه وافتقده ، وهذا حرف لم تقيده كتب اللغة ، استظهرت معناه من السياق .

(٢) في م : « فمكثنا » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٢١٠-٢١٢ عن الحجاج عن ابن جريج عن عكرمة - وحده - به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كفر » .

المسلمين ، ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ . قال : كان الرجلُ يُخْرِجُ مُسَافِرًا ، وهم ^(١) - العرب - أهلُ كفرٍ ، فعسى أن يموتَ في سفره ، فيُسْنَدُ ^(٢) وصيته إلى رجلين منهم ، ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ ﴾ في أمرهما ، إذا ^(٣) قال الورثة : كان مع صاحِبنا كذا وكذا . فيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ : ما كان معه إلا هذا الذي قلنا . ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ : إنما حلفا على باطلٍ وكذبٍ ، ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ ﴾ بالميت ، ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، ذَكَرْنَا أَنَّهُ كَانَ مَعَ صَاحِبِنَا كَذَا وَكَذَا ، قال هؤلاء : لم يَكُنْ مَعَهُ ذَاكَ ^(٤) . ثم عُثِرَ عَلَى بَعْضِ الْمَتَاعِ عِنْدَهُمَا ، فلما عُثِرَ عَلَى ذَلِكَ رُدَّتِ الْقَسَامَةُ عَلَى وَارِثِهِ ، فَأُقْسِمَا ، ثم ضَمِنَ هَذَانِ . قال الله تعالى ذكره : ﴿ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ ﴾ فتَبْطُلَ أَيْمَانُهُمْ ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ : الكاذبين الذين يَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ .

وقال ابنُ زيدٍ : وقَدِمَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ وصَاحِبُ لَهُ ، وَكَانَا يَوْمَئِذٍ مُشْرِكَيْنِ ، وَلَمْ يَكُونَا أَسْلَمًا ، فَأُخْبِرَا أَنَّهُمَا أَوْصَى إِلَيْهِمَا رَجُلٌ ، وَجَاءَ ^(٥) بِتَرْكِتِهِ ، فَقَالَ أَوْلِيَاءُ الْمَيْتِ : كَانَ مَعَ صَاحِبِنَا كَذَا وَكَذَا ^(٦) ، وَكَانَ مَعَهُ إِبْرِيْقُ فُضْيَةٍ . وَقَالَ الْآخَرَانِ : لَمْ

(١) سقط من : م .

(٢) في س : « فينفذ » .

(٣) سقط من : س .

(٤) في م ، ت ٢ ، س : « قال » .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « جاءوا » .

(٦) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « وكان مع صاحِبنا كذا » .

يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا الَّذِي جِئْنَا بِهِ . فَحَلَفَا خَلْفَ^(١) الصَّلَاةِ ، ثُمَّ عُثِرَ عَلَيْهِمَا بَعْدُ / وَالْإِبْرِيْقُ ١١٧/٧
مَعَهُمَا ، فَلَمَّا عُثِرَ عَلَيْهِمَا رُدَّتِ الْقَسَامَةُ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ بِالَّذِي قَالُوا مَعَ
صَاحِبِهِمْ ، ثُمَّ ضَمَّنَهُمَا الَّذِي حَلَفَ عَلَيْهِ الْأَوْلِيَانِ .

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ ، قَالَ : ثنا الشَّافِعِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا^(٢) أَبُو سَعِيدٍ مَعَاذُ بْنُ مُوسَى^(٢)
الْجَعْفَرِيُّ ، عَنْ بُكَيْرٍ^(٣) بْنِ مَعْرُوفٍ ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ - قَالَ بُكَيْرٌ^(٣) : قَالَ مُقَاتِلٌ :
أَخَذْتُ هَذَا التَّفْسِيرَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَالضَّحَّاكِ - فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ أَتَيْنَاكَ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ ﴾ : أَنَّ رَجُلَيْنِ نَصْرَانِيَيْنِ مِنْ أَهْلِ دَارَيْنَ^(٤) ، أَحَدُهُمَا تَمِيمِيُّ وَالْآخَرُ يَمَانِيُّ ،
صَاحِبُهُمَا مَوْلَى لَقْرِيشٍ فِي تِجَارَةٍ ، فَرَكِبُوا الْبَحْرَ ، وَمَعَ الْقَرَشِيُّ مَالٌ مَعْلُومٌ قَدْ
عَلِمَهُ أَوْلِيَائُهُ ؛ مِنْ بَيْنِ آنِيَةٍ وَبَزْ^(٥) وَرِقَّةٍ^(٦) ، فَمَرِضَ الْقَرَشِيُّ ، فَجَعَلَ وَصِيَّتَهُ إِلَى
الدَّارِيِّينَ^(٧) ، فَمَاتَ ، وَقَبِضَ الدَّارِيَّانِ الْمَالَ وَالْوَصِيَّةَ ، فَدَفَعَاهُ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ ،
وَجَاءَ^(٨) بَعْضُ مَالِهِ ، وَأَنْكَرَ الْقَوْمُ^(٩) قِلَّةَ الْمَالِ ، فَقَالُوا لِلدَّارِيِّينَ : إِنْ صَاحِبُنَا قَدْ
خَرَجَ مَعَهُ بِمَالٍ أَكْثَرَ مِمَّا أَتَيْتُمُونَا بِهِ ، فَهَلْ بَاعَ شَيْئًا أَوْ اشْتَرَى شَيْئًا فَوُضِعَ فِيهِ ؟ أَوْ
هَلْ طَالَ مَرَضُهُ فَأَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ ؟ قَالَا : لَا . قَالُوا : فَإِنْ كَمَا خُشُّمَانَا . فَقَبِضُوا
الْمَالَ ، وَرَفَعُوا أَمْرَهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) أى : بعد . التاج (خ ل ف) .

(٢ - ٢) فى م : « سعيد بن معاذ بن موسى » ، وفى س : « أبو سعيد عن معاذ بن موسى » . وينظر تعجيل المنفعة
٢٦٩/٢ .

(٣) فى م : « بكر » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥٢/٤ .

(٤) دارين : قرية فى بلاد فارس ، على شاطئ البحر . معجم ما استعجم ٥٣٨/٢ .

(٥) البز : الثياب . الصحاح (ب ز ز) .

(٦) الرقة : الدراهم المضروبة . الصحاح (ورق) .

(٧) فى ص ، ت ١ ، س : « الدارى » .

(٨) فى ص ، ت ١ : « جاء » .

(٩) بعده فى س : « عليه » .

شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . فَلَمَّا ^(١) نَزَلَ : أَنْ يُحْبَسَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ^(٢) . أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَا بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَحَلَفَا بِاللَّهِ ^(٣) رَبِّ السَّمَاوَاتِ : مَا تَرَكَ مَوْلَاكُمْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَا أَتَيْنَاكُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَا نَشْتَرِي بِأَيْمَانِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ، إِنَّا إِذْنُ لِمَنِ الْآثِمِينَ . فَلَمَّا حَلَفَا خَلَّى سَبِيلَهُمَا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ وَجَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِنَاءً مِنْ آتِيَةِ الْمَيْتِ ، فَأُخِذَ الدَّارِيَّانِ ، فَقَالَا : اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ . وَكَذَبَا ، فَكُلَّفَا الْبَيِّنَةَ ، فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَيْهَا ، فَرَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ فَإِنْ عُرِّرَ ﴾ . يَقُولُ : فَإِنْ أَطْلَعَ ، ﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ : يَعْنِي الدَّارِيَّانِ إِنْ كَتَمَا حَقًّا ، ﴿ فَاخْرَاجَنَّ ﴾ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ ﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايَنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ ﴾ : ^(٣) فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ ^(٤) : إِنْ مَالَ صَاحِبِنَا كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَإِنْ الَّذِي يُطْلَبُ قَبْلَ الدَّارِيَّانِ لِحَقٍّ ، ﴿ وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . هَذَا قَوْلُ الشَّاهِدَيْنِ أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ ، ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا ﴾ : يَعْنِي [٧٣٦/١] الدَّارِيَّانِ وَالنَّاسَ أَنْ يَعُودُوا لِمِثْلِ ذَلِكَ ^(٥) .

قال أبو جعفر : ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التي روينا دليل واضح على صحة ما قلنا ، من أن حكم الله تعالى ذكره باليمين على الشاهدين في هذا الموضع ، إنما هو من أجل دعوى ورثته على المُسْنَدِ إليهما الوصية خيانة فيما دفع الميث من ماله إليهما ، أو غير ذلك مما لا يَبْرَأُ فيه المدعى ذلك قبله إلا بيمين ، وأن نقل اليمين إلى ورثة الميث بما أوجبه الله تعالى ذكره ، بعد أن عُرِّرَ على الشاهدين ^(٥) أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ^(٥) في

(١ - ١) في س: « نزلت » .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س: « وبالسموات » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) أخرجه البيهقي ١٦٤/١٠ من طريق يزيد بن صالح عن بكير بن معروف به ، ثم أخرجه في ١٦٥/١٠ من طريق الربيع به ، وأحال لفظه على السابق ، وأخرج بعضه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣٢/٤ - ١٢٣٤ (٦٩٤٦ ، ٦٩٥٤ ، ٦٩٦٠ ، ٦٩٦١ ، ٦٩٦٣) من طريق بكير به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت كما أثبتته الشيخ شاکر في تعليقه على هذا الموضوع .

أَيَّمَانِهِمَا ، ثُمَّ ظَهَرَ عَلَى كَذِبِهِمَا فِيهَا ، إِنَّ الْقَوْمَ ادَّعَوْا فِيمَا صَحَّ أَنَّهُ كَانَ لِلْمِيَّتِ دَعْوَى ، مِنْ انْتِقَالِ مَلِكٍ عَنْهُ إِلَيْهِمَا ، بِيَعُضٍ مَا تَزُولُ بِهِ الْأَمْلاكُ ، مِمَّا يَكُونُ الْيَمِينُ فِيهَا عَلَى وَرَثَةِ الْمِيَّتِ دُونَ الْمُدَّعَى ، وَتَكُونُ الْبَيِّنَةُ فِيهَا عَلَى الْمُدَّعَى - وَفَسَادٍ مَا خَالَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا ^(١) قُلْنَا ^(٢) مِنَ التَّأْوِيلِ .

وَفِيهَا أَيْضًا الْبَيَانُ الْوَاضِحُ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الشَّهَادَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، إِنَّمَا هِيَ الْيَمِينُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور : ٦] . / فَالشَّهَادَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَعْنَاهَا الْقَسَمُ ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي ^(٣) لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ . إِنَّمَا هُوَ : قَسَمُ بَيْنَكُمْ ، ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ أَنْ يُقْسِمَ ﴿ أَشَّانَ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ إِنْ كَانَا ائْتَمْنَا ^(٤) عَلَى مَا قَالَ فَارْتِيبَ بِهِمَا ، أَوْ ائْتَمِنَ ^(٥) آخِرَانِ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاتَّهِمَا . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَمَّا ذَكَرَ نَقْلَ الْيَمِينِ مِنَ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَى خِيَانَتِهِمَا إِلَى الْآخَرِينَ ، قَالَ : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا ﴾ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْمِيَّتِ الْمُدَّعِينَ قَبْلَ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَى خِيَانَتِهِمَا ، غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَا شُهَدَاءَ بِمَعْنَى الشَّهَادَةِ الَّتِي يُؤْخَذُ بِهَا فِي الْحَكْمِ حَقُّ مُدَّعَى عَلَيْهِ لِمُدَّعٍ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْلَمُ لِلَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ حَكْمٌ قَضَى فِيهِ لِأَحَدٍ بَدَعُوَاهُ وَيَمِينُهُ عَلَى مُدَّعَى عَلَيْهِ ، بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا إِقْرَارٍ مِنَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَلَا بَرَهَانٍ .

(١) فِي م : « مِمَّا » .

(٢) فِي ص ، ت ١ : « قُلْنَا » .

(٣) فِي م : « إِنَّهُ » .

(٤) فِي م : « ائْتَمْنَا » .

(٥) فِي م : « ائْتَمِنَ » .

فإذ كان معلوماً أن قوله : ﴿لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا﴾ . إنما معناه : قَسَمْنَا أَحَقُّ مِنْ قَسَمِيهِمَا . وكان قَسَمُ اللذين عُثِرَ على أنهما أثما ، هو الشهادة التي ذكر الله تعالى ذكره في قوله : ﴿أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا﴾ - صحَّ أن معنى قوله : ﴿شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ . بمعنى الشهادة في قوله : ﴿لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا﴾ . وأنها بمعنى القسم .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ؛ فقرأ ذلك قراءة الحجاز والعراق والشام (من الذين استحقَّ عليهم الأوليان) . بضم التاء^(١) . وزوى عن علي وأبي بن كعب والحسن البصري أنهم قرءوا ذلك : ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ . بفتح التاء^(٢) .

واختلفت أيضاً في قراءة قوله : ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ؛ فقرأته عامة قراءة أهل المدينة والشام والبصرة : ﴿الْأَوَّلِينَ﴾^(٣) .

وقرأ ذلك عامة قراءة أهل الكوفة : «الأَوَّلِينَ»^(٤) .

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك : (من الذين استحقَّ عليهم الأولان)^(٥) .

وأولى القراءتين بالصواب في قوله : ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ . قراءة من

(١) بضم التاء قرأ نافع وابن كثير - في رواية - وابن عامر وأبو عمرو والكسائي وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٨ .

(٢) وهي قراءة حفص عن عاصم . المصدر السابق .

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر والكسائي ، وحفص عن عاصم . السبعة ص ٢٤٨ ، وينظر التيسير ص ٨٣ .

(٤) وهي قراءة حمزة ، وأبي بكر عن عاصم . المصدر السابق .

(٥) والقراءة شاذة ، كما سيذكر المصنف في ص ٩٩ . وينظر البحر المحيط ٤ / ٤٥ .

قرأ بضمّ التاء ؛ لإجماع الحجة من القراءة عليه ، مع مُتَابَعَةٍ^(١) عامة أهل التأويل على صحة تأويله^(٢) ، وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله : فأخرا من أهل الميت الذين استحقّ المؤمنان على مال الميت الإثم فيهم ، يقومان مقام المستحقّ^(٣) الإثم فيهما بخيانتيهما ما خانا من مال الميت .

وقد ذكرنا قائل ذلك ، أو أكثر قائله ، فيما مضى قبل^(٤) ، ونحن ذاكروا باقيهم ، إن شاء الله ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ شَهِدَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ : أن يموت المؤمن فيخضر موته مسلمان أو كافران ، لا يخضره غير اثنين منهم ، فإن رضى ورثته ما عاجل^(٥) عليه من تركته فذاك ، وحلف الشاهدان إن اتّهما : إنهما لصادقان ، ﴿ فَإِنْ عُرِيَ ﴾ : وَجِدَ لَطَخٌ^(٦) ، حلف الاثنان الأوليان من الورثة ، فاستحقا ، وأبطلا أيمان الشاهدين^(٧) .

وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بفتح التاء أرادوا أن يؤجّجوها تأويله إلى : فأخرا يقومان مقام المؤمنين اللذين عثر على خيانتيهما في القسم ، والاستحقاق

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مساعة » ، وفي م : « مساعدة » .

(٢) القراءتان متواترتان ، وليست إحداهما أولى بالصواب من الأخرى .

(٣) في م : « المستحق » .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٧٢ وما بعدها .

(٥) كذا في النسخ ، وفي تفسير مجاهد : « شهدوا » ، وفي الدر المنثور : « غابا » .

(٦) سقط من : س ، وفي ص بقدر كلمتين ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ بقدر سطر ونصف ، وكتب فيه : كذا

وجدت . وبعده في مصدرى التخريج : « أو لبس أو تشبيه » .

ويقال : لَطَخَ فلانٌ بشرًّا : رمى به ، ولَطَخْتَ فلانا بأمر قبيح : رميته به . والمراد هنا : الاتهام . ينظر اللسان والتاج (ل ط خ) .

(٧) تفسير مجاهد ص ٣١٨ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

به عليهما دَعَوَاهُمَا قِبَلَهُمَا ، مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَى الْمُؤْتَمِنِينَ عَلَى الْمَالِ عَلَى خِيَانَتِهِمَا الْقِيَامَ مَقَامَهُمَا فِي الْقَسَمِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ^(١) ، الْأُولَيَانِ بِالْمِيتِ .

وكذلك كانت قراءة مَنْ رُوِيَتْ هذه القراءة عنه ، فقرأ / ذلك : ﴿ مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَايْنِ ^(٢) ﴾ ؛ ﴿ اسْتَحَقَّ ^(٢) ﴾ بفتح التاء ، ^(٣) و ﴿ الْأُولَايْنِ ^(٣) ﴾ .
على معنى : الأوليان بالميّت وماله .

وذلك مذهبٌ صحيحٌ ، وقراءةٌ غيرُ مدفوعةٍ صحتها ، غيرُ أنا نختارُ الأخرى ؛ لإجماعِ الحجةِ مِنَ القراءةِ عليها ، مع موافقتها التأويلَ الذي ذكرنا عن الصحابةِ والتابعين .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا يحيى بنُ آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن وكُرَيْبٍ ، عن عليٍّ أنه كان يَقْرَأُ : ﴿ مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَايْنِ ^(٤) ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ^(٥) واصلٍ مَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ ^(٥) ، عن يحيى بنِ عُقَيْلٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ ، عن أبيٍّ بنِ كعبٍ أنه كان يَقْرَأُ : ﴿ مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَايْنِ ^(٦) ﴾ .

وأما أولى القراءاتِ بالصوابِ في قوله : ﴿ الْأُولَايْنِ ﴾ . عندى ، فقراءة مَنْ

(١) بعده فى م : « فى » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى المصنف والفريابى وعبد بن حميد وأبى عبيد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٥ - ٥) فى النسخ : « وائل مولى أبى عبيد » . وينظر تهذيب الكمال ٣٠/٤٠٨ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن عدى عن أبى مجلز عن أبى بن

كعب ، وفيه قصة .

(تفسیر الطبری ٧/٩)

قرأ : ﴿الْأُولَيْنِ﴾^(١) . بصفة^(٢) معناها ؛ وذلك لأن^(٣) معنى : ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ﴾^(٤) : فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيْنِ : فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ^(٥) فِيهِمُ الْإِثْمُ . ثم حُذِفَ الْإِثْمُ وَأُقِيمَ مَقَامَهُ الْأُولَيَانِ ؛ لِأَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ ظَلَمَا وَأُثِمَا فِيهِمَا ، بِمَا كَانَ مِنْ خِيَانَةِ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ الْإِثْمَ ، وَغُثِرَ عَلَيْهِمَا بِالْخِيَانَةِ مِنْهُمَا ، فِيمَا كَانَ أَثْمُهُمَا عَلَيْهِ الْمِثُّ . كما قد بَيَّنَّا فِيمَا مَضَى مِنْ فِعْلِ الْعَرَبِ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ مِنْ حَذْفِهِمُ الْفِعْلَ اجْتِرَاءً بِالْإِسْمِ ، وَحَذْفِهِمُ الْإِسْمَ اجْتِرَاءً بِالْفِعْلِ^(٦) . وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ ذَكَرْنَا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، [٧٣٦/١ ظ] وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ . وَمَعْنَاهُ : أَنْ يَشْهَدَ اثْنَانِ . وَكَمَا قَالَ : ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ . فَقَالَ : ﴿بِهِ﴾ . فَعَادَ بِالْهَاءِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى : لَا نَشْتَرِي بِقَسَمِنَا بِاللَّهِ . فَاجْتَرَى بِالْعَوْدِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِالذِّكْرِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ : لَا نَشْتَرِي بِالْقَسَمِ بِاللَّهِ . اسْتِغْنَاءً^(٧) بِفَهْمِ السَّامِعِ بِمَعْنَاهُ مِنْ^(٨) ذِكْرِ اسْمِ الْقَسَمِ . وَكَذَلِكَ اجْتَرَى بِذِكْرِ الْأُولَيْنِ مِنْ ذِكْرِ الْإِثْمِ الَّذِي اسْتَحَقَّهُ الْخَائِنَانِ لَخِيَانَتِهِمَا إِيَّاهُما^(٩) ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَى ذِكْرُ ذَلِكَ بِمَا أَغْنَى السَّامِعَ عِنْدَ سَمَاعِهِ إِيَّاهُ مِنْ^(١٠) إِعَادَتِهِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ .

وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَعُوا ذَلِكَ : (الْأُولَيْنِ) . فَإِنَّهُمْ قَصَدُوا فِي مَعْنَاهُ إِلَى التَّرْجُمَةِ بِهِ عَنْ ﴿الَّذِينَ﴾ . فَأَخْرَجُوا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْجَمْعِ ، إِذْ كَانَ ﴿الَّذِينَ﴾

(١) بل قراءة (الأوليان) و(الأولين) كلتاها صواب ، وليست إحداها أولى من الأخرى .

(٢) الباء هنا للسببية . وينظر معنى اللبيب بحاشية الأمير ٩٧/١ ، والجنى الدانى ص ٣٩ .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ .

(٤ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من تحقيق الشيخ شاكر .

(٥) يعنى بالفعل هنا المصدر كما تقدم .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « استغنى » .

(٧) فى م : « عن » .

(٨) فى م : « إياها » .

جميعاً^(١) ، وخفضاً ؛ إذ كان ﴿الَّذِينَ﴾ . مخفوضاً . وذلك وجهٌ من التأويل ، غير أنه إنما يُقال للشيء : أوَّلٌ . إذا كان له آخرٌ هو له أوَّلٌ ، وليس للذين استحقَّ عليهم الإثمُ آخرٌ ، هم له أوَّلٌ ، بل كانت أيمانُ الذين عُثِرَ على أنهما استحقَّا إثمًا قبلَ أيمانهم ، فهم إلى أن يكونوا - إذ كانت أيمانهم آخرًا - أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أولين ، وأيمانهم آخرٌ لأولى قبلها .

وأما القراءة التي حُكِيت عن الحسن ، فقراءةٌ عن قراءة الحجة من القراءة شاذة ، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بُعدها من الصواب .

واختلف أهل العربية في الرفع لقوله : ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ . إذا قرئ كذلك ؛ فكان^(٢) بعض نحوي البصرة يزعم أنه رُفِعَ ذلك بدلاً من ﴿فَآخِرَانِ﴾ في قوله : ﴿فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ . وقال : إنما جاز أن يُبدَلَ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ وهو معرفة ، من ﴿فَآخِرَانِ﴾ وهو نكرة ؛ لأنه حين قال : ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾ . كان كأنه قد حدَّهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى ، فقال : الأوليان . فأجرى المعرفة عليهما بدلاً . قال : ومثل هذا مما يجرى على المعنى كثير . واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز^(٣) :

١٢٠/٧

/علىَّ يومَ يَمْلِكُ الأمُورَا

صومَ شُهورٍ وَجَبَتْ نُذُورَا

وبادِنَا^(٤) مُقْلَدًا مَنَحُورَا

(١) في م : « جمعا » .

(٢) في ص ، م ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقال » .

(٣) سيأتي في ٥٥٣/١٦ .

(٤) البادن : السمين الجسيم ، ويريد هنا البدنة ، وهي الناقة أو البقرة تنجر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها . الصحاح واللسان (ب د ن) .

قال : فجعله : على واجب ؛ لأنه في المعنى قد أوجب .

وكان بعض نحوي الكوفة يُنكر ذلك ويقول : لا يجوز أن يكون ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ بدلاً من ﴿ءَاخِرَانِ﴾ من أجل أنه قد نسق^(١) ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ على ﴿يَقُومَانِ﴾ في قوله : ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ﴾ . فلم يَتِمَّ الخبر بعد^(٢) ﴿مِنْ﴾^(٣) . قال : و^(٤) لا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر . و^(٥) قال : غير جائز : مررت برجل قام زيد وقعد . وزيد بدل من رجل .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ . مرفوعان بما لم يُسَمَّ فاعله ، وهو قوله : (اسْتَحِقَّ عَلَيْهِم) ، وأنها وُضِعَا^(٦) موضع الخبر عنهما ، فعيل فيهما ما كان عاملاً في الخبر عنهما ؛ وذلك أن معنى الكلام : فأخران يقومان مقامهما من الذين استحقَّ عليهم الإثم بالخيانة . فوُضِعَ ﴿الْأَوَّلَيْنِ﴾ موضع الإثم ، كما قال تعالى ذكره في موضع آخر ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة : ١٩] . ومعناه : أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ؟ وكما قال : ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة : ٩٣] . وكما قال بعض الهذليين^(٧) :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنْ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ الْقِطَاطِ^(٨)
وهو يعنى : صاحب حانوت خمر . فأقام الحانوت مقامه ؛ لأنه معلوم أن

(١) نسق : عطف .

(٢) فى م : « عند » .

(٣) يعنى : بعد قوله ﴿من الذين استحق عليهم الأوليان﴾ .

(٤) زيادة يستقيم بها السياق .

(٥) فى النسخ : « كما » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٦) سقط من : م .

(٧) هو المتنخل الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢ / ٢١ .

(٨) والخرس الصراصرة : أعاجم من نبط الشام يقال لهم الصراصرة ، والقطاط : الجعاد ، والواحد : قطط ،

وهو أشد الجعودة . شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٢٦٨ .

الحانوت لا يُمَشَى ، ولكن لما كان معلوماً عنده أنه لا يخفى على سامعه ما قصد إليه من معناه ، حذف الصاحب ، واجتزأ بذكر الحانوت منه . فكذلك قوله : (من الذين استُحِقَّ عليهم الأوليان) . إنما هو : من الذين استُحِقَّ فيهم خيانتُهما . فحذفت الخيانة ، وأقيم المختاران مقامهما^(١) ، فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف لو ظهر .

وأما قوله ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ . في هذا الموضع ، فإن معناها : فيهم . كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٠٢] . يعنى : فى ملك سليمان . وكما قال : ﴿ وَلَاصَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] . ف « فى » توضع فى^(٢) موضع « على » ، و « على » فى موضع « فى » ، وكل واحد منهما تُعاقب صاحبتهما فى الكلام ، ومنه قول الشاعر^(٣) :

متى ما تُنْكروها تُعْرِفوها على أقطارها علق نفيث^(٤)

/ وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ عثرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيْنِ ﴾ . أنهما رجلان أخران من المسلمين ، أو رجلان أعْدَل من المُقْسِمَيْنِ الأولين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن شريح فى هذه الآية : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

(١) فى م : « مقامها » .

(٢) سقط من : م .

(٣) هو أبو المثلّم الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٤ . ونسبه الأصمعى - وتبعه ابن قتيبة فى المعانى الكبير

٩٦٩ / ٢ - إلى صخر الغى ، ورد ذلك ابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب ٣ / ٣٨١ .

(٤) أقطارها : نواحيها ، والعلق : الدم ، نفيث : منفوث من الفم . شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٦٤ .

أَلَمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ائْتَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴿١٠٧﴾ . قال : إذا كان الرجل بأرض غريبة ، ولم يجد مسلماً يُشهِدُه على وصيته ، فأشهد يهوديًا ، أو نصرانيًا ، أو مجوسيًا ، فشهادتهم جائزة ، فإن جاء رجلان [٧٣٧/١ و] مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما ، أُجيزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَإِنْ عُرِيَ ﴾ : أى : اطلع منهما على خيانة ، على أنهما كذبا أو كتما ، فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ما قالا ، أُجيزت شهادة الآخرين ، وأبطلت شهادة الأولين ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : كان ابن عباس يقرأ : (من الذين استحق عليهم الأولين) ^(٣) . وقال : كيف يكون الأوليان ، أرايت لو كان الأوليان صغيرين ^(٤) ؟

حدثنا هناد و ابن وكيع ، قالا : ثنا عبدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان يقرأ : (من الذين استحق عليهم الأولين) . قال : وقال : أرايت لو كان الأوليان صغيرين ، كيف يقومان مقامهما ^(٥) ؟

قال الإمام أبو جعفر : فذهب ابن عباس فيما أرى ، إلى نحو القول الذى حكيت عن شريح وقتادة ، من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام

(١) تقدم تخريجه فى ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٨٤ .

(٣) فى معانى القرآن : يجعله نعتاً لـ «الذين» . فظاهره أن قراءته بالجمع : «الأوليين» . وظاهر كلام المصنف هنا أن قراءته : «الأوليين» ، وكذا ضبطه الشيخ شاكراً . وهذه القراءة الأخيرة مروية عن ابن سيرين ، وهى شاذة ونقل القرطبي فى تفسيره ٣٥٩/٦ عن النحاس أنها لحن . فإله أعلم .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٦٠ - تفسير) من طريق عمرو بن دينار عن عطاء به .

(٥) أخرجه الفراء فى معانى القرآن ٣٢٤/١ عن قيس بن الربيع عن عطاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى أبى عبيد وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

النَّصْرَانِيَّيْنِ ، أَوْ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، هُمَا أَعْدَلُ وَأَجُوزُ شَهَادَةٍ مِنَ الشَّاهِدَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، أَوْ الْمُقْسِمِينَ .

وفى إجماع جميع أهل العلم على ألاَّ حكم لله تعالى ذكره يجب فيه على شاهد يمين فيما قام به من الشهادة ، دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذى قاله الحسن ، ومن قال بقوله فى قول الله تعالى : ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . أولى به .

وأما قوله : ﴿ الْأَوَّلَيْنِ ﴾ . فإن معناه عندنا : الأولى باليمين من المقسمين الأولين فالأولى . وقد يحتمل أن يكون معناه : الأولى باليمين منهما فالأولى . ثم ١٢٢/٧ حذف « منهما » ^(١) . والعرب تفعل ذلك ، فتقول : فلان أفضل . وهى تريد : أفضل منك . وذلك إذا وُضع « أفعل » موضع الخبر ، وإن وقع موقع الاسم ، وأدخلت فيه الألف واللام ، فعلموا ذلك أيضا ، إذا كان جوابا لكلام قد مضى ، فقالوا : هذا الأفضل ، وهذا الأشرف . يريدون : هو الأشرف منك .

وقال ابن زيد : معنى ذلك : الأوليان باليمين .

حدثنى يونس ، عن ابن وهب عنه ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عُثر على أنهما استحقا إثما بخيانتيهما مال الميث ، الأوليان باليمين واليمين من الخائنين ، ﴿ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا ﴾ . يقول : لأيماننا أحق من أيمان المقسمين

(١) سقط من : س ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيهما » . وهكذا رسمت فى ص إلا أنها غير منقوطة .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى المصنف .

المستحقين الإثم ، وأيمانهما الكاذبة ، في أنهما قد خانا في كذا وكذا من مال مِيتنا ، وكذباً^(١) في أيمانهما التي حلفا بها ، ﴿ وَمَا أَعْتَدَيْنَا ﴾ . يقول : وما تجاوزنا الحق في أيماننا .

وقد بينا أن معنى الاعتداء المجاوزة في الشيء حده^(٢) .

﴿ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . يقول : إنا إن كنا اعتدينا في أيماننا ، فحلفنا مُبْطِلِينَ فيها كاذبين ، ﴿ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . يقول : ﴿ لِمَن عِدَادٍ ﴾^(٣) مَن يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ أَخْذُهُ ، وَيَقْتَطِعُ بِأَيْمَانِهِ الْفَاجِرَةَ أَمْوَالِ النَّاسِ .

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ : هذا الذى قلت لكم فى أمر الأوصياء إذا ارْتَبْتُمْ بِأَمْرِهِمْ^(٤) ، وَاتَّهَمْتُمُوهُمْ بِخِيَانَةِ لِمَالٍ مِّنْ أَوْصَى إِلَيْهِمْ ، مِّنْ حَبْسِهِمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَاسْتِحْلَافِكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا ادَّعَى قِبَلَهُمْ أَوْلِيَاءُ الْمَيْتِ ، ﴿ أَدْنَى ﴾ لهم ، ﴿ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ﴾ . يقول : هذا الفعل إذا فعلتم بهم ، أقرب لهم أن يَصْدُقُوا فى أَيْمَانِهِمْ ، وَلَا يَكْتُمُوا ، وَيُقَرُّوا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَخُونُوا ، ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴾ . يقول : أَوْ يَخَافَ هَؤُلَاءِ الْأَوْصِيَاءُ إِنْ غُيِّرَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا إِثْمًا فى أَيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ ، أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمَيْتِ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ الَّتِي غُيِّرَ عَلَيْهَا أَنَّهَا كَذِبٌ ، فَيَسْتَحِقُّوا بِهَا مَا ادَّعَوْا قِبَلَهُمْ مِنْ حَقُوقِهِمْ ، فَيَصْدُقُوا حِينَئِذٍ فى أَيْمَانِهِمْ

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كذا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٣٢ / ٢ .

(٣ - ٣) فى م : « لمن عدا و » .

(٤) فى م ، ت ٢ : « فى أمرهم » .

وشهادتهم ؛ مخافة الفضيحة على أنفسهم ، وحذراً أن يشتحق عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم ، ونحن ذاكروا الرواية فى ذلك عن بعض من بقى منهم .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، / عن ابن عباس : ﴿ فَإِنْ عُدَّ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا ﴾ . يقول : ١٢٣/٧
 إن اطلع على أن الكافرين كذبا ، ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . يقول : من الأولياء^(١) ، فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإننا لم نعتد . فترد شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء . يقول تعالى ذكره : ﴿ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا ﴾^(٢) : الكافرون^(٣) ، ﴿ بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِمْ ﴾ . وليس على شهود المسلمين إقسام ، وإنما الإقسام إذا كانوا كافرين^(٤) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ ﴾ الآية . يقول : ذلك أخرى أن يصدقوا فى شهادتهم ، وأن يخافوا العقب^(٤) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ أَوْ

(١) فى س : « الأوليان » ، وينظر ص ٨٣ .

(٢ - ٢) فى ص : « أن يأتوا الكافرين » ، وفى م ، ت ٢ : « يأتى الكافرون » ، وفى ت ١ ، ت ٣ ، س : « يأتوا » ، وفى النسخ للنحاس : « يأتوا أى أن يأتى الكافران » ، وفى الدر المنثور : « يأتى الكافران » .

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٧٣ .

(٤) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « العقاب » . والمراد بالعقب العقبة ، أى عاقبة كذبهما فى اليمين .
 والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤ / ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، (٦٩٦٦ ، ٦٩٦٢) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢ / ٣٤٤ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿١﴾ . قال : فتَبَطَّلَ أَيْمَانُهُمْ ، وَتَوَخَّذَ أَيْمَانُ هَؤُلَاءِ ^(١) .
وقال آخرون : معنى ذلك : تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا
بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ^(٢) ، وَعَلَى ^(٢) أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ، فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ [٧٣٧/١ ظ] بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا
أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ ، قَالَ : يُوقَفُ الرَّجُلَانِ بَعْدَ صَلَاتَيْهِمَا فِي دِينِهِمَا ، فَيَخْلِفَانِ بِاللَّهِ :
لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ، إِنْ أِذْنُ مَنْ الْإِثْمِينَ ، إِنْ
صَاحِبَكُم لِبِهَذَا أَوْصَى ، وَإِنْ هَذِهِ لَتَرَكْتُهُ . فَيَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْإِمَامُ قَبْلَ أَنْ يَخْلِفَا : إِنَّكُمَا إِنْ
كُنْتُمَا كَتَمْتُمَا أَوْ خُتُمَا ، فَضَحْتُكُمَا فِي قَوْمِكُمَا ، وَلَمْ تَجْزُ ^(٣) لَكُمَا شَهَادَةٌ ،
وَعَاقِبْتُكُمَا . فَإِذَا قَالَ لَهُمَا ذَلِكَ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴾ (١٠٨) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَخَافُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَرَاقِبُوهُ فِي أَيْمَانِكُمْ ، أَنْ تَخْلِفُوا بِهَا
كَاذِبَةً ، وَأَنْ تُذْهِبُوا بِهَا مَالَ مَنْ يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ مَالُهُ ، وَأَنْ تَخُونُوا مَنْ أَتَمَّنَّكُمْ ،
﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ . يَقُولُ : اسْمَعُوا مَا يُقَالُ لَكُمْ ، وَمَا تُوعِظُونَ بِهِ ، فَاعْمَلُوا بِهِ ، وَانْتَهُوا
إِلَيْهِ ، ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . يَقُولُ : وَاللَّهُ لَا يُؤَفِّقُ مَنْ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ،
فَخَالَفَهُ وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَعَصَى رَبَّهُ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عَلَى » .

(٣) في م : « أَجْز » .

(٤) تقدم تخريجه في ص ٧٨ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ : الفاسقُ في هذا الموضعِ هو الكاذبُ .

حدَّثني يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ : الكاذبين الذين ^(١) يَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ^(٢) .

وليس الذي قال ابنُ زيدٍ من ذلك عندى بمدفوعٍ ، إلا أن الله تعالى ذكره عمَّ الخبرُ بأنه لا يَهْدِي جميعَ الفُسَّاقِ ، ولم يُخَصَّصْ منهم بعضًا دونَ بعضٍ ، بخبرٍ ولا عقلٍ ، فذلك على معانى الفسقِ كُلِّها ، حتى يُخَصَّصَ شيئًا منها ما يَجِبُ التسليمُ له ، فيُسلَّمُ له .

ثم اختلفَ أهلُ العلمِ فى حكمِ هاتين الآيتين ، هل هو منسوخٌ أو هو مُحْكَمٌ ثابتٌ ؟ فقال بعضهم : هو منسوخٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن رجلٍ قد سَمَّاهُ ، عن حمادٍ ، عن ١٢٤/٧ إبراهيمَ ، قال : هى منسوخةٌ .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هى منسوخةٌ . يعنى هذه الآية : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ﴾ الآية ^(٣) .

وقال جماعةٌ : هى مُحْكَمَةٌ وليست بمنسوخةٍ . وقد ذكرنا قولَ أكثرِهِم فيما مضى .

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم والدر المنثور .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٥/٤ (٦٩٦٨) من طريق أصبغ بن الفرّج عن ابن زيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٤/٤ ، ١٢٣٥ (٦٩٦٥) ، والبيهقى ١٠/١٦٤ من طريق محمد بن سعد

والصواب من القول في ذلك أن حكم الآية غير^(١) منسوخ ، وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره ، الذي عليه أهل الإسلام من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ إلى يومنا هذا ، أن من ادعى عليه دعوى مما يملكه بنو آدم ، أن المدعى عليه لا يبرئه مما ادعى عليه إلا اليمين ، إذا لم يكن للمدعى بينة تُصحح دعواه ، وأنه إن اعترف^(٢) في^(٣) يد المدعى عليه^(٤) سلعة له ، فادعى أنها له دون الذي في يده ، فقال الذي هي في يده : بل هي لي ، اشترئها من هذا المدعى . أن القول قول من زعم الذي هي في يده أنه اشتراها منه ، دون من هي في يده ، مع يمينه ، إذا لم يكن للذي هي في يده بينة تُحقق به دعواه الشراء منه .

فإذ كان ذلك حكم الله الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم ، وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصى إلى عدلين من المسلمين ، أو إلى آخرين من غيرهم ، إنما ألزم النبي ﷺ فيما ذكر عنه الوصيين اليمين حين ادعى عليهما الورثة ما ادعوا ، ثم لم يلزم المدعى عليهما شيئاً إذ حلفا ، حتى اعترفت الورثة في أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الإبريق أو غير ذلك من أموالهم ، فرعما أنهما اشترياه من ميتهم ، فحينئذ ألزم النبي ﷺ ورثة الميت اليمين ؛ لأن الوصيين تحولاً مدعيين بدعواهما ما وجدا في أيديهما من مال الميت ، أنه لهما ، اشتريا^(٥) ذلك منه ، فصارا مُقرّين بالمال للميت ، مدعيين منه الشراء ، فاحتاجا حينئذ إلى بينة تُصحح دعواهما ، وصارت^(٦) ورثة الميت رب السلعة أولى باليمين منهما ، فذلك

(١) سقط من النسخ ، ولا بد منها ، وكلام المصنف دال على ذلك .

(٢) اعترف : عرف . التاج (ع ر ف) .

(٣) في م : « وفي » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) في ص : « شراه » .

(٦) سقط من : م .

قوله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَايْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا ﴾ الآية .
 فإذا كان تأويل ذلك كذلك ، فلا وجه لدعوى مدّع أن هذه الآية منسوخة ؛
 لأنه غير جائز أن يُقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ ، إلا بخبر
 يقطع العذر ؛ إما من عند الله ، أو من عند رسوله ﷺ ، أو بورود النقل المستفيض
 بذلك ، فأما ولا خبر بذلك ، ولا يدفع صحته عقل ، فغير جائز أن يُقضى عليه بأنه
 منسوخ .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : واتقوا الله أيها الناس ، واسمعوا وعظوه إياكم ، وتذكيره
 لكم ، واحذروا يوم يجمع الله الرسل . ثم حذف « واحذروا » ، واكتفى بقوله :
 ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾ من ^(١) إظهاره ، كما قال الراجز ^(٢) :

١٢٥/٧ / علفتها تبتا وماء باردًا حتى شئت ^(٣) همالة عيناها

يريد : وسقيتها ماء باردًا . فاستغنى بقوله : علفتها تبتا . من إظهار « سقيتها » ،
 إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه ، فكذلك في قوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
 الرُّسُلَ ﴾ . حذف « واحذروا » ؛ لعلم السامع معناه ، اكتفاءً بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَاسْمَعُوا ﴾ . إذ كان ذلك تحذيرًا من أمر الله تعالى ذكره خلقه عقابه على معاصيه .
 وأما قوله : ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ . فإنه يعني به : ما الذي أجابكم به أممكم حين

(١) في م : « عن » .

(٢) تقدم تخريجه في ١ / ٢٧١ .

(٣) في م : « غدت » .

دَعَوْتُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِي ، وَإِقْرَارِي ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِي ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِي ؟
﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ .

فَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ - يَعْنِي ^(١) قَوْلَهُمْ : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ - : لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنَ الرُّسُلِ إِنْكَارًا أَنْ يَكُونُوا كَانُوا عَالِمِينَ بِمَا عَمِلَتْ أُمَّهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ ذَهَلُوا عَنِ الْجَوَابِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ أَجَابُوا بَعْدَ أَنْ ثَابَتَ إِلَيْهِمْ عَقُولُهُمْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى أُمَّهُمْ .

[٧٣٨/١] ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ : فَذَلِكَ ^(٢) أَنَّهُمْ لَمَّا نَزَلُوا مَنْزِلًا ذَهَلَتْ فِيهِ الْعُقُولُ ، فَلَمَّا سُئِلُوا قَالُوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ . ثُمَّ نَزَلُوا مَنْزِلًا آخَرَ ، فَشَهِدُوا عَلَى قَوْمِهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ عَنَبَسَةَ ، قَالَ : ^(٤) سَمِعْتُ شَيْخًا يَقُولُ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ

(١) فِي ص ، م : « مَعْنَى » .

(٢) فِي ص ، ت ١ : « بِذَلِكَ » ، وَفِي م : « قَالَ : ذَلِكَ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ١٢٣٦/٤ (٦٩٧٣) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ ٢/٣٤٤ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنَ النُّسخِ وَالْمُثَبَّتِ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ عَنِ الْمَصْنَفِ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٣٥/٤ (٦٩٧١) مِنْ طَرِيقِ عَنَبَسَةَ بِهِ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢١٧/٣ عَنِ الْمَصْنَفِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ ٢/٣٤٤ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

الأعمش ، عن مُجاهدٍ فى قوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ :
 فيفزعون ، فيقول : ماذا أُجِبْتُمْ ؟ فيقولون : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا علم لنا إلا ما علمتنا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا مُؤمِّلٌ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن الأعمش ،
 عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ .
 فيقولون : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(٢) إلا^(٣) ما علمتنا^(٤) ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ
 الْغُيُوبِ﴾^(٥) .

/وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا : لا علم لنا ، إلا علم أنت أعلم به منا . ١٢٦/٧

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى المشى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن
 على بنِ أبى طلحةٍ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾
 قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا : ﴿إلا علم أنت أعلم به منا﴾^(٥) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ : ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا
 أخذثوا ؟

(١) تفسير سفيان ص ١٠٥ ، وتفسير عبد الرزاق ٢٠١/١ .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ .

(٣ - ٣) سقط من : س .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم ١٢٣٦/٤ (٦٩٧٢) من طريق سفيان به ، وفيه زيادة : «فترد إليهم أفدتهم فيعلمون» .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ١٢٣٦/٤ (٦٩٧٥) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور

٣٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ : ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أخذثوا بعدكم ؟ ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبُ﴾^(١) .

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ؛ لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبُ﴾ . أى : إنك لا تخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره ، من خفى العلوم وجليها^(٢) ، وإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره ، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا ، كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك وهو تعالى ذكره يُخبر عنهم أنهم يُخبرون بما أجابتهم به الأمم ، وأنهم يستشهدون^(٣) على تبليغهم الرسالة شهداء ، فقال تعالى ذكره : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وأما الذى قاله ابنُ جُرَيْجٍ من أن معناه : ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أخذثوا ؟ فتأويل لا معنى له ؛ لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك ، وإذا سُئِلت عما عملت الأمم بعدها ، والأمر كذلك ، وإنما يُقال لها : ماذا عرفناك أنه كائن منهم بعدك ؟ وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألتهم إياهم ، يدل على غير ذلك .

القول فى تأويل قوله : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى

(١) ينظر البحر المحيط ٤/ ٤٨ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢١٧ .

(٢) فى ص ، ت ، ١ ، س : «جليله» .

(٣) فى م : «سيشهدون» .

وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ .

/ يقول تعالى ذكره لعباده : اخذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم : ماذا أجابكم أممكم في الدنيا ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ .

ف ﴿ إِذْ ﴾ من صلة ﴿ أُجِيبْتُمْ ﴾ . كأن معناها : ماذا أجابت عيسى الأم التي أرسل إليها عيسى .

فإن قال قائل : وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأم إياها في عهد عيسى ، ولم يكن في عهد عيسى من الرسل إلا أقل^(١) ذلك ؟

قيل : جائز أن يكون الله تعالى ذكره عنى بقوله : ﴿ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِيبْتُمْ ﴾ . الرسل الذين كانوا أرسلوا في عهد عيسى ، فخرج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان في عهد عيسى ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . والمراد واحد من الناس ، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس .

ومعنى^(٢) : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ ﴾ : حين قال الله^(٣) ، ﴿ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . يقول : يا عيسى ، اذكر أيادي عندك وعند والدتك ، إذ قوَّيتك بروح القدس وأعنتك به .

وقد اختلف أهل العربية في ﴿ أَيَّدْتُكَ ﴾ ؛ ما هو من الفعل ؟ فقال بعضهم : هو فعَّلْتُك ، كما^(٤) قولك : قوَّيتك . فعَّلْتُ من القوَّة .

(١) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « من » .

(٢) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الكلام » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ .

(٤) بعده في م : « في » .

وقال آخرون^(١) : هو « فاعلُك » من الأيد .

وروي عن مجاهد أنه قرأ : (إذ آيدُك) .^(٢) بمعنى : « أفعلُك » ، من القوة والأيد^(٣) .

وقوله : ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . يعنى بجبريل . يقول : إذ أعنتك بجبريل .

وقد بيئت معنى ذلك ، وما معنى « القدس » فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

يقول تعالى ذكره مُخْبِرًا عن قِيله لعيسى : اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس في حال تكليمك الناس في المهد وكهلاً .

وإنما هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره أنه أيدَه بروح القدس صغيراً في المهد ، وكهلاً كبيراً ، فردَّ « الكهل »^(٤) على قوله : ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ ؛ لأن معنى ذلك : صغيراً . كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [يونس : ١٢] .

(١) بعده في م : « بل » .

(٢) وهي قراءة شاذة ، قال أبو حيان في البحر المحيط ٥١/٤ : وقرأ مجاهد وابن محيصن : (آيدتك) على « أفعلتك » . وقال ابن عطية : على وزن « فاعلتك » . ثم قال أبو حيان : ويظهر أن الأصل في القراءتين « آيدتك » ثم اختلف الإعلال والمعنى فيهما .

(٣) ينظر ما تقدم في ٢٢١/٢ وما بعدها .

(٤) في م : « القول » .

وقوله : ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ . يقول :
 واذكُر أيضا نعمتي عليك إذ علّمتك ﴿الْكِتَابَ﴾ . وهو الخطُّ ،
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ . وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته [٧٣٨/١ ظ] إليك ، وهو
 الإنجيل ، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ . يقول : كصورة الطير يا ذنى .
 يعنى بقوله : ﴿تَخْلُقُ﴾ : تَعْمَلُ وتُصْلِحُ مِنَ الطِّينِ كهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴿يَا ذَنِ﴾ . يقول :
 بعونى على ذلك ، وعلم منى ، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ . يقول : فتنفخ فى الهيئة ، فتكونُ
 الهيئة / والصورة طيرا يا ذنى ، ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ . يقول : وتشفى الأكمه .
 وهو الأعمى الذى لا يُبْصِرُ شيئا ، المطموس البصر ، ﴿وَالْأَبْرَصَ يَا ذَنِ﴾ .
 ١٢٨/٧

وقد بيّنت معانى هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مُفسّرا بشواهده ، بما
 أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(١) .

وقوله : ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ .
 يقول : واذكُر أيضا نعمتى عليك بكفى عنك بنى إسرائيل إذ كففتهم عنك وقد
 همّوا بقتلك ، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ . يقول : إذ جئتهم بالأدلة والأعلام
 المُعْجِزة على نبوتك ، وحقيقة ^(٢) ما أرسلتك به إليهم ، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْهُمْ﴾ . يقول تعالى ذكره : فقال الذين جحدوا نبوتك ، وكذبوك من بنى إسرائيل :
 ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

واختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأته قراءة أهل المدينة وبعض أهل البصرة :
 ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ . يعنى : يُبَيِّنُ عما أتى به لمن رآه ونظر إليه أنه سحرٌ
 لا حقيقة له ^(٣) .

(١) ينظر ما تقدم ٥/٤١٢ ، وما بعدها .

(٢) فى م : « حقيقة » .

(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة : (إن هذا إلا ساحرٌ مُبينٌ) بمعنى : ما هذا - يعنى به عيسى - إلا ساحرٌ مُبينٌ ^(١) . يقول : يُبينُ - بأفعاله ، وما يأتي به من هذه الأمور العجيبة - عن نفسه ، أنه ساحرٌ لا نبيٌّ صادقٌ .

والصوابُ من القولِ في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، مُتَّفَقَتَانِ غيرُ مختلفتين ، وذلك أن كلَّ مَنْ كان موصوفاً بفعلِ السحرِ ، فهو موصوفٌ بأنه ساحرٌ ، ومَنْ كان موصوفاً بأنه ساحرٌ ، فإنه موصوفٌ بفعلِ السَّحَرِ ، فالفعلُ دالٌّ على فاعله ، والصفةُ تدلُّ على موصوفها ، والموصوفُ يدلُّ على صفته ، والفاعلُ يدلُّ على فعله ، فبأيُّ ذلك قرأ القارئُ فمصيبٌ الصوابُ في قراءته .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : وإذُ كُزِّ أيضاً يا عيسى إذ أُلْقِيتُ ﴿ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ . وهم وزراءُ عيسى على دينه .

وقد بيَّنا معنى ذلك ، ولم قيلَ لهم : الحواريون . فيما مضى بما أغنى عن إعادته ^(٢) . وقد اختلفت ألفاظُ أهلِ التأويلِ في تأويلِ قوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ ﴾ . وإن كانت متفقةً المعاني ؛ فقال بعضهم بما حدَّثني به محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ . يقولُ : قَدَفْتُ فِي قُلُوبِهِمْ ^(٣) .

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ .

(٢) ينظر ما تقدم في ٤٤٢/٥ - ٤٤٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٢/٤ (٧٠٠٥) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى أبي الشيخ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ألهمتهم .

فتأويل الكلام إذن : وإذ ألقيتُ إلى الحواريين أن صدّقوا بي وبرسولي عيسى ، فقالوا : ﴿ ءَامَنَّا ﴾ . أى : صدّقنا بما أمرتنا أن نُؤْمِنَ ^(١) يا ربّنا ، ﴿ وَأَشْهَدُ ﴾ علينا ، ﴿ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ . يقول : واشهد علينا بأننا خاضعون لك بالذلة ، سامعون مُطيعون لأمرك .

/ القول فى تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ .

يقول تعالى ذكره : واذكُر يا عيسى أيضا نعمتى عليك إذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولى ، إذ قالوا لعيسى ابنِ مريمَ : هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مائدةً مِنَ السَّمَاءِ . ف ﴿ إِذْ ﴾ الثانية من صلة ﴿ أَوْحِيَتْ ﴾ .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله : ﴿ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين : (هل تَسْتَطِيعُ) بالتاء (رَبُّكَ) ^(٢) بالنصب ، بمعنى : هل تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْأَلَ رَبُّكَ ؟ وهل تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْعُوَ رَبُّكَ ؟ أو هل تَسْتَطِيعُ وتَرى أَنْ تَدْعُوَهُ ؟ وقالوا : لم يَكُنِ الحواريون شاكّين أن الله تعالى ذكره قادرٌ أن يُنْزِلَ عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تَسْتَطِيعُ أنت ذلك ؟

حدّثنا ابنُ وَكيع ، قال : ثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، ^(٣) عن نافع بنِ عمرٍ ^(٤) ، عن ابنِ أبى

(١) بعده فى س : « بك » .

(٢) وهى قراءة الكسائى من السبعة . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ ، ونسبه أبو حيان فى البحر المحيط ٥٤/٤ إلى على ومعاذ وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير .

(٣ - ٣) فى النسخ : « عن نافع عن ابن عمر » . والصواب ما أثبتناه ، وينظر ما تقدم فى ١٢٢/١ .

مُؤَلِّفَةٌ ، قال : قالت عائشة : كان الحوارئون لا يَشْكُون أن الله قادرٌ أن يُنْزِلَ عليهم مائدةً ، ولكن قالوا : يا عيسى هل تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ؟^(١)

حدَّثني أحمدُ بنُ يوسفَ التَّغْلِبِيُّ^(٢) ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ، قال : ثنا ابنُ مَهْدِيٍّ ، عن جابرِ بنِ يزيدَ بنِ رِفاعَةَ ، عن حسانَ^(٣) بنِ مُخَارِقٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرة أنه قرأها كذلك : (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) . وقال : تَسْتَطِيعُ أن تسألَ ربَّكَ ؟ وقال : ألا ترى أنهم مؤمنون^(٤) ؟

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينة والعراقِ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ بالياءِ ﴿ رَبُّكَ ﴾^(٥) ، بمعنى : أن يُنْزِلَ علينا ربُّكَ . كما يقولُ الرجلُ لصاحبه : أَتَسْتَطِيعُ أن تنهَضَ معنا في كذا ؟ وهو يَعْلَمُ أنه يَسْتَطِيعُ ، ولكنه إنما يُريدُ : أَتَنْهَضُ معنا فيه ؟ وقد يجوزُ أن يكونَ مرادُ قارئه كذلك : هل يَسْتَجِيبُ لك ربُّكَ ، وَيُطِيعُكَ أن يُنْزِلَ علينا ؟

وأولى القراءتين عندى بالصوابِ قراءةُ مَنْ قرأ ذلك ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ بالياءِ^(٦) ، ﴿ رَبُّكَ ﴾ برفعِ « الربِّ » ، بمعنى : هل يَسْتَجِيبُ لك إن سأَلْتَهُ ذلك ، وَيُطِيعُكَ فيه ؟

ولنما قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصوابِ ؛ لما بيَّنا قبلُ من أن قوله : ﴿ إِذْ قَالَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٣/٤ (٧٠١٤) من طريق القاسم ، عن عائشة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) في النسخ « الثعلبي » ، والمثبت هو الصواب كما تقدم .

(٣) في م : « حيان » . وينظر التاريخ الكبير ٣/٣٣ ، والجرح والتعديل ٣/٢٣٥ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى المصنف وأبي عبيد .

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبي عمرو وابن عامر وحزمة . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ .

(٦) القراءتان كلتاها صواب ، وليست إحداها أولى من الأخرى .

الْحَوَارِيُّونَ ﴿١﴾ مِنْ صَلَٰةٍ ﴿٢﴾ إِذْ أَوْحَيْتُ ﴿٣﴾ ، وَأَنْ مَعْنَى الْكَلَامِ : وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ، إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ [٧٣٩/١] رَبُّكَ . فَبَيَّنَّ إِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ قَدْ كَرِهَ مِنْهُمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمَهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَمُرَاجَعَةِ الْإِيمَانِ مِنْ قِيلِهِمْ ذَلِكَ ، وَالْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ ، وَقَدْ قَالَ عِيسَى لَهُمْ عِنْدَ قِيلِهِمْ ذَلِكَ لَهُ - اسْتَغْظَامًا مِنْهُ لَمَّا قَالُوا - : ﴿٤﴾ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ . فَفِي اسْتِنَابَةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، وَدَعَائِهِ لَهُمْ إِلَى / الْإِيمَانِ بِهِ ، ١٣٠/٧ وَبِرَسُولِهِ ﷺ عِنْدَ قِيلِهِمْ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَاسْتَغْظَامِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَلِمَتِهِمْ - الدَّلَالَةُ الْكَافِيَةُ مِنْ غَيْرِهَا ، عَلَى صَحَّةِ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ بِالْيَأِ ، وَرَفْعِ « الرَّبِّ » ، إِذْ كَانَ لَا مَعْنَى فِي قَوْلِهِمْ لِعِيسَى - لَوْ كَانُوا قَالُوا لَهُ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ؟ - أَنْ يُسْتَكْبَرَ هَذَا الْاسْتِكْبَارَ .

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ لَهُ إِنَّمَا اسْتَغْظَمَ ^(١) مِنْهُمْ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ كَانَ مَسْأَلَةً آيَةً - فَإِنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا يَسْأَلُهَا الْأَنْبِيَاءُ مَنْ كَانَ بِهَا مُكَذِّبًا ؛ لِيَتَقَرَّرَ عِنْدَهُ حَقِيقَةُ ثُبُوتِهَا وَصَحَّةُ أَمْرِهَا ^(٢) ، كَمَا كَانَتْ مَسْأَلَةُ قَرِيشٍ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُحَوِّلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا ، وَيُفَجِّرَ فِجَاجَ مَكَّةَ أَنْهَارًا ، مَنْ سَأَلَهُ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ ، وَكَمَا كَانَتْ مَسْأَلَةُ صَالِحِ النَّاقَةِ مِنْ مُكَذِّبِي قَوْمِهِ ، وَمَسْأَلَةُ شُعَيْبٍ أَنْ يُسْقِطَ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ كُفَّارٍ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ^(٣) .

^(٤) فَإِنْ كَانَ الَّذِينَ سَأَلُوا عِيسَى أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةً مِنْ

(١) فِي م : « هُوَ اسْتَغْظَمَ » .

(٢) قَوْلُهُ « فَإِنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا يَسْأَلُهَا إلخ » . هُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ : « فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ » .

(٣) فِي م : « إِلَيْهِمْ » .

(٤ - ٤) فِي م : « وَكَانَ الَّذِينَ » ، وَفِي ت ١ : « كَانَ الَّذِي » ، وَفِي س : « فَإِنَّ الَّذِي » .

السماء ، على هذا الوجه كانت مسألتهم ، فقد أحلّهم الذين قرءوا ذلك بالتاء ونصب « الرب » ، مَحَلًّا أعظم من المَحَلِّ الذي ظنّوا أنهم ^(١) يَحِيدُون بهم عنه . أو يكونوا سألوا ذلك عيسى ، وهم مُوقِنُونَ بأنه لله نبيّ مبعوث ، ورسول مُرْسَلٌ ، وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادرٌ .

فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدُهم نبيّه إن ^(٢) كان فقيرًا ، أن يسأل له ربّه أن يُغْنِيه ، وإن عرَضت به حاجةٌ أن يسأل له ربّه أن يَقْضِيهَا ، فإن ^(٣) ذلك من مسألة الآية في شيء ، بل ذلك سؤالٌ ذي حاجةٍ عرَضت له إلى ربّه ، فسأل نبيّه مسألة ربّه أن يَقْضِيهَا له .

وخبرُ الله تعالى عن القومِ يُنبئُ بخلاف ذلك ، وذلك أنهم قالوا لعيسى - إذ قال لهم : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ - : ﴿ نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ [المائدة : ١١٤] فقد أنبأ هذا من ^(٤) قيلهم ، أنهم لم يكونوا يَعْلَمُونَ أن عيسى قد صدّقهم ، ولا اطمأنّت قلوبهم إلى حقيقة نبوته ، فلا بيانَ أبيضٍ من هذا الكلام ، في أن القومَ كانوا قد خالط قلوبهم مرضٌ وشكٌّ في دينهم وتصديقِ رسولهم ، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارًا ^(٥) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١ - ١) في م : « نزهوا ربهم » .

(٢) في م : « إذ » .

(٣) في م : « فأنى » . و« إن » ههنا نافية .

(٤) في النسخ : « عن » . وأثبتنا ما يقتضيه السياق .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « اختاراً » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ليث ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ عباسٍ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ تَصُومُوا لِلَّهِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ تَسْأَلُوهُ ، فَيُعْطِيَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ، فَإِنْ أَجَرَ الْعَامِلِ عَلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ ؟ ففَعَلُوا ، ثُمَّ قَالُوا : يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ قُلْتَ لَنَا : إِنْ أَجَرَ الْعَامِلِ عَلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ ، وَأَمَرْتَنَا أَنْ نَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ففَعَلْنَا ، وَلَمْ نَكُنْ نَعْمَلُ ^(١) لِأَحَدٍ ثَلَاثِينَ يَوْمًا إِلَّا أَطْعَمَنَا حِينَ نَفْرُغُ طَعَامًا ، ف ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ؟ قَالَ عِيسَى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . قَالُوا : ﴿ نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ : فَأَقْبَلَتِ الْمَلَائِكَةُ تَطِيرُ بِمَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ ، ١٣١/٧ عَلَيْهَا سَبْعَةُ أَخْوَاتٍ ، وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ ، حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَأَكَلَ مِنْهَا آخِرُ النَّاسِ كَمَا أَكَلَ مِنْهَا أَوَّلُهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . قَالُوا : هَلْ يُطِيعُكَ رَبُّكَ إِنْ سَأَلْتَهُ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، فِيهَا جَمِيعُ الطَّعَامِ إِلَّا اللَّحْمَ ، فَأَكَلُوا مِنْهَا ^(٣) .

(١) فِي ص : « نَعُول » . بغير نقط ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يَقُول » . وفي س : « وَقُول » .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٢١/٣ عَنْ الْمُصَنِّفِ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٤٤/٤ (٧٠١٦)

مِنْ طَرِيقِ لَيْثٍ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، كَمَا أَخْرَجَهُ أَيْضًا ١٢٤٦/٤ (٧٠٢٤) مِنْ طَرِيقِ وَهْبِ اللَّهِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مُخْتَصَرًا .

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ ٣٤٨/٢ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ ٣٤٦/٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

وأما « المائدة » فإنها الفاعلة ، من : ماد فلان القوم يَمِيدُهم مَيْدًا . إذا أَطْعَمَهم ومارَهم ، ومنه قولُ رُوْبَةٍ^(١) :

نُهْدِي رُءُوسَ الْمُتَرْفِينِ الْأُنْدَادِ

إلى أمير المؤمنين الْمُتَمَتِّدِ

يعنى بقوله : الْمُتَمَتِّدِ : الْمُسْتَعْطَى ، فـ « المائدة » الْمُطْعِمَةُ . سُمِّيَتِ الْخِوَانُ بِذَلِكَ لأنها تُطْعِمُ الْآكِلَ مِمَّا عَلَيْهَا . والمائدُ المُدَارُ به فى البحرِ ، يقالُ : مادَ يَمِيدُ مَيْدًا .

وأما قوله : ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . فإنه يعنى : قال عيسى للحواريين القائِلين له : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ : رَاقِبُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْقَوْمُ ، وخافوه أن يُنْزِلَ بكم مِنَ اللَّهِ عِقَابَهُ عَلَى قَوْلِكُمْ هَذَا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ ، وَفِي شَكِّكُمْ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِنْزَالِ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ كَفَرٌ بِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ يُنْزِلَ بكم نَقْمَتَهُ ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ : إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي عَلَى مَا أَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ عَلَى قَوْلِكُمْ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بذلك : قال الحواريون مُجِيبِي عيسى على قوله لهم : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فى قولكم لى^(٢) : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ [٧٣٩/١] عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ - : إنا إنما قلنا ذلك ، وسألناك أن تسألَ لنا رَبُّكَ لَنَاكُلَ مِنَ الْمَائِدَةِ ، فَتَعْلَمَ يَقِينًا قُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، ﴿ وَتَطْمِئَنَ قُلُوبُنَا ﴾ .

(١) ديوانه ص ٤٠ .

(٢) سقط من : م .

يقول : وَتَسْكُنْ قُلُوبُنَا وَتَسْتَقِرَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ مَا شَاءَ وَأَرَادَ ، ﴿وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ : وَنَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْنَا فِي خَبْرِكَ أَنَّكَ لِلَّهِ رَسُولٌ مَرْسَلٌ وَنَبِيٌّ مَبْعُوثٌ ، ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا﴾ . يقول : وَنَكُونُ عَلَى الْمَائِدَةِ ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ . يقول : مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حُجَّةً لِنَفْسِهِ عَلَيْنَا ، فِي تَوْحِيدِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مَا شَاءَ ، وَلَكَ عَلَى صَدَقِكَ فِي نُبُوتِكَ .

/ القول في تأويل قوله : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١٤) . وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى عليه السلام أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نُعَظِّمُهُ نحن ومن بعدنا .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ . يقول : نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نُعَظِّمُهُ نحن ومن بعدنا ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ . قال : أرادوا أن تكون لعقبيهم من بعدهم ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٨/٤ (٧٠٣٥) من طريق أحمد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى أبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٩/٤ (٧٠٣٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا ﴾ . قال : الذين هم أحياء منهم يومئذ ، ﴿ وَآخِرِنَا ﴾ : من بعدهم منهم ^(١) .

حدَّثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ . قالوا : نُصَلِّي فيه . قال ^(٢) : نزلت مرتين ^(٣) . وقال آخرون : معناه : نأكل منها ^(٤) جميعاً .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن عباس أنه قال : أكل منها - يعني من المائدة حين وُضِعَتْ بين أيديهم - آخرُ الناس كما أكل منها أولهم ^(٥) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ عِيدًا ﴾ . عائدة من الله تعالى علينا وحُجَّة وبرهاناً .

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : تكون لنا عيداً نَعْبُدُ ربَّنَا في اليوم الذي تَنَزَّلُ فيه ، ونُصَلِّي له فيه ، كما يَعْبُدُ ^(٦) الناس في أعيادهم ؛ لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا ، دون القول الذي قاله من قال معناه : عائدة من الله علينا . وتوجيه معاني كلام الله إلى المعروف من كلام من خُوطب به ،

(١) ينظر التبيان ٦١ / ٤ .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٩ / ٤ ، ١٢٥٠ ، (٧٠٣٦ ، ٧٠٤١) من طريق مهران عن سفيان .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منه » .

(٥) تقدم تخريجه في ص ١٢١ .

(٦) في م : « يعيد » .

أولى من توجيهه إلى المجهول منه ، ما وُجد إليه السبيل .

وأما قوله : ﴿لَا أَوْلَيْنَا وَءَاخِرَنَا﴾ . فإن الأولى من تأويله بالصواب قول من قال : تأويله : للأحياء منا اليوم ، ومن يَجِيءُ بعدنا منا . للعلّة التي ذكرناها في قوله : ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ . لأن ذلك هو الأغلب من معناه .

وأما قوله : ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾ . فإن معناه : وعلامةٌ وحجّةٌ منك يا ربّ على عبادك في وحدانيتك ، وفي / صدقي على أني رسولٌ إليهم بما أُرسلتني به . ١٣٣/٧
﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ : وأعطينا من عطائك ، فإنك يا ربّ خيرٌ من يُعطى ، وأجودٌ من تفضّل ؛ لأنه لا يَدْخُلُ عطاءه منّ ولا نكدٌ .

وقد اختلف أهل التأويل في المائدة ، هل أنزلت عليهم أم لا ؟ وما كانت ؟ فقال بعضهم : نزلت وكانت حوتًا وطعامًا ، فأكل القوم منها ، ولكنها رُفِعَتْ بعدما نزلت بأحداثٍ منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدّثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، قال : نزلت المائدة خبزًا وسمكًا^(١) .

حدّثني الحسين بن عليّ الصّدائى ، قال : ثنا أبى ، عن الفضيل ، عن عطية ، قال : المائدة سمكة ، فيها طعم كل طعام^(٢) .

حدّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن فضيل^(٣) بن مرزوق^(٣) عن عطية ، قال :

(١) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٥١ من طريق شعبة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤٦/٤ (٧٠٢٦) ، وابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٥١ من طريق الفضيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣ - ٣) فى النسخ : « عن مسروق » ، وتقدم على الصواب ٢/٢٣٠ ، وينظر تهذيب الكمال ٢٣/٣٠٦ .

المائدة سمك فيه من طعم كل طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : نزلت المائدة خبزاً وسمكاً .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نزلت على عيسى ابن مريم والحواريين خبزان ، عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا المنذر بن النعمان ، أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله : ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ . قال : نزل عليهم قرصة من شعير وأخوات . قال الحسن : قال أبو بكر^(٢) : فحدثت به عبد الصمد بن مغفل ، فقال : سمعت وهباً وقيل له : وما كان ذلك يُغني عنهم ؟ فقال : لا شيء ، ولكن الله حشاً^(٣) بين أضعافهن البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويجيء آخرون ، فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكلوا جميعهم وأفضلوا^(٤) .

حدثنا ابن وكيع ، [٧٤٠/١] قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى^(٥) ، عن مجاهد ، قال : هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا^(٦) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف .

(٢) هو عبد الرزاق الصنعاني .

(٣) في م : « حشا » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢٠٠/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٦/٤ (٧٠٢٧) عن الحسن به مختصراً .

(٦) في ت ١ : « نجيح » .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

نَجِيح ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ مَا يَدَّةٌ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ . قال : مائدةٌ عليها طعامٌ ، ^(١) أَتُوبُهَا ^(٢) حينَ عُرِضَ عليهم العذابُ إن ^(٣) كَفَرُوا ؛ ^(٣) أَلْوَانٌ مِّنْ طَعَامٍ ^(٤) يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ .
 حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن أبي مَعْشَرٍ ، عن إِسْحَاقَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أن المائدةَ نَزَلَتْ على عيسى ابنِ مريمَ ، عليها سبعةُ أرغفةٍ ، وسبعةُ أخواتٍ ، يَأْكُلُونَ منها ما شَاءُوا ، قال : فسَرَقَ بعضهم منها ، وقال : لعلها لا تَنْزِلُ غَدًا . فَرَفَعَتْ ^(٥) .

/ حَدَّثَنَا ^(٦) المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن سِمْكَ بْنِ حَرْبٍ ، ١٣٤/٧
 عن رجلٍ من بني عَجَلٍ قال : صَلَّيْتُ إلى جنبِ عمارِ بنِ ياسِرٍ ، فلما فرَغَ قال : هل تَدْرِي كيف كان شأنُ مائدةِ بني إِسْرَائِيلَ ؟ قال : فَقُلْتُ : لا . قال : إِنَّهُمْ سَأَلُوا عيسى ابنَ مريمَ مائدةً يَكُونُ عليها طعامٌ يَأْكُلُونَ منه لا يَنْفَدُ ، قال : فَقِيلَ لَهُمْ : فَإِنَّهَا مُقِيمَةٌ لَكُمْ ما لم تُخَبِّئُوا أو تَخُونُوا أو تَرْفَعُوا ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . قال : فَمَا تَمَّ يَوْمُهُمْ حَتَّى خَبَّئُوا وَرَفَعُوا وَخَانُوا ، فَعَذَّبُوا عَذَابًا لَمْ يُعَذِّبْهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَإِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ تَتَّبِعُونَ أَذْنَابَ الْإِبْلِ وَالشَّاءِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ فِيكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، تَعْرِفُونَ حَسْبَهُ وَنَسْبَهُ ، وَأَخْبَرَكُمْ على لسانِ نبيِّكُمْ أَنَّكُمْ سَتُظْهِرُونَ على الْعَرَبِ ^(٧) ، وَنَهَاكُمْ أَنْ تَكْنِزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَائْتُمُّوا اللَّهَ ، لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تَكْنِزُوهُمَا وَيُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ^(٨) .

(١ - ١) في م : « أبوها » .

(٢) في ص : « إذ » .

(٣ - ٣) في م : « فأبوا أن » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وأبي عبيد وابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف .

(٦) بعده في تفسير ابن كثير : « ابن » .

(٧) في تفسير ابن كثير : « العجم » .

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٢١/٣ عن المصنف .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ قَزَعَةَ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ،
 عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ خِلَاسٍ^(١) بْنِ عَمِيْرٍ ، عَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 « نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ خَبْزًا وَلَحْمًا ، وَأُمِرُوا أَلَّا يَخُونُوا ، وَلَا يَدَّخِرُوا ، وَلَا يَزِفَعُوا لَغَدٍ ، فَخَانُوا
 وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا ، فَمُسِخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ »^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ ، قَالَ : ثنا يَوْسُفُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : ثنا نَافِعُ بْنُ
 مَالِكٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَائِدَةِ ، قَالَ : كَانَ طَعَامًا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ
 السَّمَاءِ حَيْثَمَا نَزَلُوا^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَتِ الْمَائِدَةُ عَلَيْهَا^(٤) مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي عَدَى ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ
 خِلَاسٍ^(١) بْنِ عَمِيْرٍ ، عَنْ عَمَارِ ، قَالَ : نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ وَعَلَيْهَا ثَمَرٌ مِنَ ثَمَرِ الْجَنَّةِ ، فَأُمِرُوا أَلَّا
 يُخَبِّتُوا ، وَلَا يَخُونُوا ، وَلَا يَدَّخِرُوا . قَالَ : فَخَانَ الْقَوْمُ ، وَخَبَّتُوا ، وَادَّخَرُوا ،
 فَحَوَّلَهُمُ اللَّهُ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ^(٥) .

(١) فِي م : « جَلَّاس » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٦٤ / ٨ .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٦١) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٤٥ / ٤ (٧٠٢٢) ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي الْأَضْدَادِ
 ص ٣٥٠ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ قَزَعَةَ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٤٨ / ٢ إِلَى ابْنِ مَرْدَوَيْهِ وَأَبِي الشَّيْخِ .
 (٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي الْأَضْدَادِ ص ٣٥٠ مِنْ طَرِيقِ عِكْرَمَةَ بِهِ مُخْتَصِرًا ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ
 ٣٤٨ / ٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٤) فِي م : « تَنْزَلُ وَعَلَيْهَا ثَمَرٌ » .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَقِبَ حَدِيثِ (٣٠٦١) وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٤٥ / ٤ (٧٠٢٣) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ
 بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٤٨ / ٢ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهَا كَانَتْ مَائِدَةً يَنْزِلُ عَلَيْهَا الثَّمَرُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأُمِرُوا أَلَّا يُخَبِّتُوا ، وَلَا يَخُونُوا ، وَلَا يَدْخِرُوا لَغَدٍ ؛ بَلَاءٌ أَبْلَاهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَكَانُوا إِذَا فَعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَنْبَأَهُمْ بِهِ عِيسَى ، فَخَانَ الْقَوْمُ فِيهِ فَخَبَّتُوا وَادَّخَرُوا لَغَدٍ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ طَعَامٍ إِلَّا اللَّحْمَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : كَانَتْ إِذَا وُضِعَتِ الْمَائِدَةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، اخْتَلَفَتْ عَلَيْهَا الْأَيْدَى بِكُلِّ طَعَامٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، عَنْ شَرِيكِ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ مَيْسَرَةَ وَزَادَانِ ، قَالَا : كَانَتْ الْأَيْدَى تَخْتَلِفُ عَلَيْهَا بِكُلِّ طَعَامٍ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ زَادَانَ / وَمَيْسَرَةَ فِي : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . قَالَا : رَأَوْا الْأَيْدَى تَخْتَلِفُ عَلَيْهَا بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا اللَّحْمَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : لَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَائِدَةً .

ثُمَّ اخْتَلَفَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَخَلْقِهِ ، نَهَاَهُمْ بِهِ عَنْ مَسْأَلَةِ نَبِيِّ اللَّهِ الْآيَاتِ .

(١) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٥١ من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وابن أبي شيبة وابن المنذر .
(تفسير الطبري ٩/٩)

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مُجاهِدٍ في قوله : ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . قَالَ : مَثَلُ ضَرْبٍ ، لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ . اسْتَعَفَوْا مِنْهَا فَلَمْ تَنْزِلْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : لَمَّا قِيلَ لَهُمْ : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . قَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا . فَلَمْ تَنْزِلْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن أنه قال في المائدة : لَمْ تَنْزِلْ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مائدة عليها طعام أبوها حين عُرضَ عليهم العذاب إن كفروا ، فَأَبَوْا أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤٨/٤ (٧٠٣٣) من طريق يحيى بن آدم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٢/٤ (٧٠٤٦) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ ، ٣٤٩ إلى عبد بن حميد .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وأبي عبيد وابن المنذر .

والصوابُ مِنَ القولِ عندنا في ذلك أن يُقالَ : إن الله تعالى ذكره أنزل المائدةَ على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربّه .

وإنما قلنا ذلك ؛ للخبرِ الذي رَوينا بذلك عن رسولِ الله ﷺ وأصحابِهِ وأهلِ التأويلِ مِنْ بعدهم ، غيرَ مَنْ انفردَ بما ذكرنا عنه .

وبعدُ ، فإن الله تعالى ذكره لا يُخلفُ وعده ، ولا يَقَعُ في خبرِهِ الخُلفُ ، وقد قال تعالى ، مُخْبِرًا في كتابِهِ عن إجابةِ نبيِّهِ عيسى ﷺ حينَ سأله ما سأله [٧٤٠/١ ظ] من ذلك : ﴿ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ . وغيرُ جائزٍ أن يقولَ تعالى ذكره : ﴿ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم لا يُنَزَّلُهَا ؛ لأن ذلك منه تعالى خبرٌ ، ولا يَكُونُ منه خلافٌ ما يُخبرُ ، ولو جاز أن يقولَ : ﴿ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم لا يُنَزَّلُهَا عليهم ، جاز أن يقولَ ^(١) : فمن يكفرُ بعدُ مِنْكم فإنِّي معذَّبُهُ عذابًا لا أعذَّبُهُ أَحَدًا مِنَ العالمين . ثم يَكْفُرُ مِنْهم بعدَ ذلك فلا يُعذَّبُهُ ، فلا يَكُونُ لوعده ولا لوعيدِهِ حقيقةٌ ولا صحةٌ ، وغيرُ جائزٍ أن يُوصَفَ ربُّنا تعالى بذلك .

وأما الصوابُ مِنَ القولِ فيما كان على المائدةِ ، فأن يقالَ : كان عليها مأْكولٌ ، وجائزٌ أن يَكُونَ كان سمكًا وخبزًا ، وجائزٌ أن يَكُونَ كان ثمرًا مِنْ ثمرِ الجنةِ ، وغيرُ نافعِ العلمُ به ، ولا ضارٌّ الجهلُ به ، إذا أقرَّ تالِي الآيةِ بظاهرِ ما احتَمَلَهُ التنزيلُ .

/ القول في تأويل قوله : ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٥) .

وهذا جوابُ مِنَ الله تعالى ذكره القومَ فيما سألوا نبيَّهم عيسى مسألةَ ربُّهم مِنْ إنزالِهِ مائدةً عليهم ، فقال تعالى ذكره : إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحَوَارِيُّونَ فمُطْعِمُكُمْوَهَا ، ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ﴾ . يقولُ : فَمَنْ يَجْحَدُ بعدَ إنزالِها

(١) في ص، ت، ١، ت ٢ : « يكون » .

عليكم ، وإطعامكموها منكم رسالتى إليه ، ويُثَكِّرُ نبوة نبيِّ عيسى عليه السلام ، ويُخَالِفُ طاعتي فيما أَمَرْتُهُ ونَهَيْتُهُ ﴿ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا ﴾ من عالمي زمانه .
فَفَعَلَ الْقَوْمُ ، فَجَحَدُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا ، فَعَذَّبُوا فِيمَا بَلَّغْنَا ،
بأن مُسِيخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ .

كالذى حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية : ذِكْرٌ لَنَا أَنَّهُمْ حُوِّلُوا خَنَازِيرَ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَوْفٍ ، عَنْ أَبِي الْمَغِيرَةِ الْقَوَّاسِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قال : إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا ثَلَاثَةٌ ؛ الْمُنَافِقُونَ ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ ، وَآلُ فِرْعَوْنَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ ، قال : ثنا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ عَوْفٍ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا الْمَغِيرَةِ الْقَوَّاسَ يَقُولُ : قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ ، وَالْمُنَافِقُونَ ، وَآلُ فِرْعَوْنَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قال : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ ﴾ : بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ الْمَائِدَةُ ، ﴿ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ . يَقُولُ : أُعَذِّبُهُ بِعَذَابٍ لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ غَيْرَ أَهْلِ الْمَائِدَةِ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى عبد بن حميد والمصنف وابن أبي حاتم .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٢/٤ (٧٠٤٧) من طريق أحمد بن المفضل به .

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ .

يقول تعالى ذكره : يومَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فيقولُ : ماذا أُجِبْتُمْ إذ قال اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟
وقيل : إنَّ اللهَ قال هذا القولَ لعيسى حينَ رفعه إليه في الدنيا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، ١٣٧/٧
عن السدي : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي
إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . قال : لما رفع الله عيسى ابنَ مريمَ إليه ، قالت النصارى ما
قالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله عن قوله فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴾ ^(١) .

وقال آخرون : بل هذا خبرٌ مِنَ اللهِ تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك في
القيامة .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن ابنِ جريج : ﴿ وَإِذْ
قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .
قال : والناسُ يَسْمَعُونَ ، فراجعَه بما قد رأيت ، وأقرَّ له بالعبودية على نفسه ، فعلم مَنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٣/٤ (٧٠٥١) من طريق أحمد بن المفضل به .

كان يقول في عيسى ما يقول ، أنه إنما كان يقول باطلاً^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : قال الله : يا عيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله ؟ فأرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قال ، فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ - ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ الآية^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ : متى يكون ذلك ؟ قال : يوم القيامة ، ألا ترى أنه يقول : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^(٣) ؟ [المائدة : ١١٩] .

فعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جرير يجب أن يكون « وإذا » بمعنى « وإذا » ، كما قال في موضع آخر : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا ﴾ [سبا : ٥١] . بمعنى : يَفْزَعُونَ . وكما قال أبو النجم^(٤) :

ثم جزاه الله عنا إذ جَزَى

جَنَاتٍ عَذْنٍ فِي الْعَلَالِي^(٥)

والمعنى : إذا جَزَى . وكما قال الأسود^(٦) :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى أبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٢/٤ (٧٠٤٨) من طريق جرير . وأخرجه ١٢٥٣/٤ (٧٠٥٤) من طريق عطاء . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٣/٤ (٧٠٥٠) عن الحسن به .

(٤) ديوانه (مجموع) ص ٢١٠ .

(٥) العلالى جمع عليّة ، بضم العين وكسرهما : الغرفة . النهاية ٢٩٥/٣ .

(٦) البيت في الأضداد لابن الأنباري ص ١١٩ غير منسوب ، وفيه : « المرء » بدل الشيخ ، وينظر التبيان ٦٥/٤ .

[٧٤١/١و] فالآن إذ هازلتهنّ فإنما يَقُلْنَ ألا لم يَذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبًا
بمعنى : إذا هازلتهن .

وكان من قال في ذلك بقول ابن جريج هذا وجه تأويل الآية إلى : فمن يكفر
/بعد منكم ، فإنى أعدّ به عذابًا لا أعدّ به أحدًا من العالمين فى الدنيا ، وأعدّ به أيضًا فى
١٣٨/٧ الآخرة إذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس : اتخذونى وأمى إلهين من
دون الله ؟ .

وأولى القولين عندنا بالصواب فى ذلك قول من قال بقول السدى ، وهو أن الله
تعالى ذكره قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه ، وأن الخبر خبر عما مضى ؛ لعلتين ؛
إحدهما : أن « إذ » إنما تُصاحِبُ فى الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها ،
الماضى من الفعل ، وإن كانت قد تُدخلها أحيانًا فى موضع الخبر عما يحدث إذا
عرف السامعون معناها ، وذلك غير فاش ولا فصيح فى كلامهم ، فتوجيه معانى
كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعراف ما وجد إليه السبيل ، أولى من توجيهها إلى
الأجمل الأنكر .

والأخرى : أن عيسى لم يَشْكُكْ^(١) هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يَغْفِرُ لمشرك
مات على شركه ، فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول فى الآخرة مُجيبًا لرّبه تعالى :
إن تُعَذِّبْ من اتخذنى وأمى إلهين من دونك فإنهم عبادك ، وإن تَغْفِرْ لهم فإنك أنت
العزیز الحكيم .

فإن قال قائل : وما كان وجه سؤال الله عيسى : ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو العالم بأن عيسى لم يَقُلْ ذلك ؟

قيل : يَحْتَمِلُ ذلك وجهين من التأويل :

(١) فى م : « يشك » .

أحدهما : تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيّه ، كما يقول القائل لآخر : أفعلت كذا وكذا ؟ مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له : أفعلته ؟ على وجه النهي عن فعله والتهديد له فيه .

والآخر : إعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدّلوا دينهم بعده ، فيكون بذلك جامعاً لإعلامه حالهم بعده وتحذيراً له قبله .

وأما تأويل الكلام فإنه : ﴿ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ ﴾ . أى : معبودَيْن تعبدونهما ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؟ قال عيسى : تنزيهاً لك يارب وتعظيماً أن أفعل ذلك أو أتكلّم به ، ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ . يقول : ليس لي أن أقول ذلك ؛ لأنى عبد مخلوق ، وأمى أمة لك ، ^(١) فهل يكون ^(٢) للعبد والأمة ادّعاء ربوبية ؟

﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ . يقول : إنك لا يخفى عليك شيء ، وأنت عالم أنى لم أقل ذلك ولم أمرهم به .

القول فى تأويل قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ ﴾ (١١٦) .

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نبيه عيسى عليه السلام أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفى أمّه الكفرة من النصارى ، أن يكون دعاهم إليه ، أو أمرهم به ، فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ . ثم قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ . يقول : إنك يارب لا يخفى عليك ما أضمرته نفسى مما لم أنطق به ، ولم أظهره بجوارحى ، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحى ؟ يقول : لو كنت

(١ - ١) فى ص ، ت ١ : « فيكون يكون » ، وفى س : « فيكون » .

(٢) فى س : « العبد » .

قد قلت للناس : ﴿ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . كنت قد علمته ؛ لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما قد نطقت به ؟ ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ . يقول : ولا أعلم أنا ما أخفيته / عنى فلم تطلعني عليه ؛ لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتني ، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ . يقول : إنك أنت العالم بخفيات الأمور ، التى لا يطلع عليها سواك ، ولا يعلمها غيرك .

القول فى تأويل قوله : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١١٧) .

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى ، يقول : ما قلت لهم إلا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم ، وهو أن قلت لهم : ﴿ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ . ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . يقول : وكنت على ما يفعلونه ، وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم ، وعلى أفعالهم وأقوالهم ، ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ . يقول : فلما قبضتني إليك ﴿ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . يقول : كنت أنت الحفيظ عليهم دونى ؛ لأنى إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم .

وفى هذا تبيان أن الله تعالى ذكره إنما عرفه أفعال القوم ومقاتلتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه ، بقوله : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . يقول : وأنت تشهد على كل شيء ؛ لأنه لا يخفى عليك شيء ، وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء ، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم ، فإنما أنا أشهد على ذلك الذى عاينت ورأيت وشهدت .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : ﴿ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ : أما الرقيب فهو الحفيظ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : الحفيظ .

وكانت جماعة من أهل العلم تقول : كان جواب عيسى الذي أجاب به ربه من الله تعالى توفيقاً منه له فيه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ يَمَانَ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ . قَالَ : اللَّهُ وَفَّقَهُ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : [٧٤١/١ ظ] ثنا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ ^(٢) ، قَالَ : قُرِئَ عَلَى سَفْيَانَ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ / عَنْ أَبِيهِ طَاوُسٍ ، قَالَ : اخْتَجَّ عَيْسَى ، وَاللَّهُ وَفَّقَهُ ؛ ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية .

١٤٠/٧

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : يَا عَيْسَى ، ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؟ قَالَ : فَأُزِعِدَتْ مَفَاصِلُهُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَهَا ، فَقَالَ : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٣/٤ (٧٠٥٣) من طريق الفريابي عن سفيان به ، وعزاه السيوطي

في الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى عبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في ص ، س : « الجعفرى » . وينظر تهذيب الكمال ٣٦٠ / ٢١ .

أَقُولُ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١٨) .

يقول تعالى ذكره : إِنْ تُعَذِّبُ هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ، بإماتتك إياهم عليها ، ﴿ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ﴾ ، مُسْتَسْلِمُونَ لَكَ ، لَا يَمْتَنِعُونَ مما أَرَدْتَ بهم ، وَلَا يَدْفَعُونَ عن أنفسهم ضَرًّا وَلَا أَمْرًا تَنَالُهُمْ بِهِ ، ﴿ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ ، بهدايتك إياهم إلى التوبة منها ، فَتَشْتُرْ عليهم ، ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه مِمَّنْ أَرَادَ الانتقامَ منه ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُ ، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في هدايته مَنْ هَدَى مِنْ خَلْقِهِ إِلَى التوبة ، وتوفيقه مَنْ وَفَّقَ مِنْهُمْ لِسَبِيلِ النجاةِ مِنَ العقابِ .

كالذي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ في قوله : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ : فَتُخْرِجُهُمْ مِنَ النصرانية ، وَتَهْدِيَهُمْ إِلَى الإسلامِ ، ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . وهذا قولُ عيسى في الدنيا ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . قال : وَاللَّهِ مَا كَانُوا طَعَّانِينَ وَلَا لَعَّانِينَ ^(٣) .

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٥/٤ (٧٠٦٢) من طريق أحمد بن المفضل ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٠/٢ إلى أبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠١/١ .

القول في تأويل قوله عز ذكره : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١٩) .

اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ؛ فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة : (هذا يوم ينفع الصادقين) بنصب (يوم)^(١) .

وقرأ بعض أهل الحجاز ، وبعض أهل المدينة ، وعامة قراءة أهل العراق : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ برفع ﴿ يَوْمُ ﴾^(٢) ، فمن رفعه رفعه بـ ﴿ هَذَا ﴾ ، وجعل ﴿ يَوْمُ ﴾ اسماً وإن كانت إضافته غير محضة ؛ لأنه قد صار كالمنعوت .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون في إعراب الأوقات مثل « اليوم » و « الليلة » عملهم فيما بعدها ، إن كان ما بعدها رفعاً رفعوها ، كقولهم : هذا يوم يزكك / الأمير ، وليلة يصدُر الحاج ، ويوم أخوك مُنْطَلِقٌ . وإن كان ما بعدها نصباً نصبوها ، وذلك كقولهم : هذا يوم خرج الجيش ، وسار الناس ، وليلة قُتِل زيدٌ . ونحو ذلك ، وإن كان معناها في الحالين : إذ ، وإذا . وكأن من قرأ هذا هكذا رفعاً ، وجه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة .

وكذلك كان السدي يقول في ذلك .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أشباط ، عن السدي : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ : هذا فصل من كلام عيسى ، وهذا يوم القيامة^(٣) .

يعني السدي بقوله : هذا فصل من كلام عيسى . أن قوله : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا

(١) وهي قراءة نافع وحده . السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٠ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وعاصم وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٦/٤ (٧٠٦٥) من طريق أحمد بن المفضل .

يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ مِنْ خَبَرِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِيسَى أَنَّهُ قَالَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ أَنْ رَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ
اللَّهِ لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وأما النصبُ في ذلك فإنه يَتَوَجَّهُ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أحدهما : أن إضافة « يوم » ما لم تُكُنْ إلى اسمٍ تَجْعَلُهُ نصبًا ؛ لأن الإضافة
غَيْرُ مَحْضَةٍ ، وإنما تَكُونُ الإضافة مَحْضَةً إذا أُضِيفَ إلى اسمٍ صَحِيحٍ ، ونظيرُ
« اليوم » في ذلك : « الحين » و « الزمان » وما أَشَبَّهُهُمَا مِنَ الْأَزْمَنَةِ ، كما
قال النابغة^(١) :

على حينَ عاتَبْتُ المشيبَ على الصِّبا وقلتُ أَلْمَا تَصُحُ والشَّيبُ وازِعُ
والوجهُ الآخرُ : أن يَكُونُ مُرادًا بالكلامِ : هذا الأمرُ وهذا الشأنُ يومَ يَنْفَعُ
الصادقين . فيكونُ « اليوم » حينئذٍ منصوبًا على الوقتِ والصفةِ ، بمعنى : هذا الأمرُ
في يومٍ يَنْفَعُ الصادقين صدقُهم .

وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب^(٢) : (هذا يومَ يَنْفَعُ الصادقين) .
بنصبِ « اليوم » على أنه منصوبٌ على الوقتِ والصفةِ ؛ لأن معنى الكلامِ أن الله
تعالى أجاب عيسى حينَ قال : ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ . فقال له عزَّ
وجل : هذا القولُ النافعُ ، أو هذا الصدقُ النافعُ يومَ يَنْفَعُ الصادقين صدقُهم .
ف « اليوم » وقتُ القولِ والصدقِ النافعِ .

(١) ديوانه ص ٤٤ .

(٢) القراءتان كلتا هما صواب .

فإن قال قائل : فما موضع « هذا » ؟ قيل : رفع . فإن قال : فأين مُرافعه ^(١) ؟
 قيل : مُضمَّر . وكأنه قال : قال الله عز وجل : هذا ^(٢) ، هذا يوم ينفع الصادقين
 صدقهم . كما قال الشاعر :

أما ترى السحاب كيف يجرى

هذا ولا خيلك يا بن بشر

يريد : هذا ، هذا ولا خيلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا لما بيننا : قال الله لعيسى : هذا القول

النافع في يوم ينفع / الصادقين في الدنيا ، صدقهم ذلك في الآخرة عند الله . ١٤٢/٧

﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ [٧٤٢/١] تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . يقول : للصادقين في

الدنيا جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة ؛ ثواباً لهم من الله عز وجل على ما
 كان من صدقهم الذي صدقوا الله فيما وعدوه ، فوفوا به لله ، فوفى الله عز وجل لهم
 ما وعدهم من ثوابه ، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ . يقول : باقين في الجنات التي
 أعطاهموها ، أبداً دائماً ، لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول .

وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود الدوام والبقاء ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : رضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما
 وعدوه ، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ . يقول : ورضوا هم

(١) في م : « رافعه » .

(٢) سقط من : م ، س .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/٤٢٢ ، ٥٩٢ ، ٢/١٨٦ ، ١٨٧ .

عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه ، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ، ﴿ ذَلِكِ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ . يقول : هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، مَرْضِيًّا عنهم ، وراضين عن ربهم ، هو الظفر العظيم بالطلبية وإدراك الحاجة التي كانوا يطلبونها في الدنيا ، ولها كانوا يعملون فيها ، فنالوا ما طلبوا ، وأدركوا ما أملوا .

القول في تأويل قوله : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢٠) .

يقول تعالى ذكره : أيها النصارى ، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . يقول : له سلطان السماوات والأرض ، ﴿ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ ، دون عيسى الذي تزعمون أنه إلهكم ، ودون أمه ، ودون جميع من في السماوات ومن في الأرض ، فإن السماوات والأرض خلق من خلقه ، وما فيهن ، وعيسى وأمّه في ^(١) بعض ذلك بالحلول والانتقال ، يدلان بكونهما في المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال ، أنهما عبدان مملوكان ، لمن له ملك السماوات والأرض وما فيهن ، يُبَيِّهُم جميع خلقه على موضع حجته عليهم ليتدبروه ويعتبروه ، فيعقلوا عنه ، ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . يقول تعالى ذكره : والله الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن قادر على إفنائهن ، وعلى إهلاك كهن وإهلاك عيسى وأمّه ومن في الأرض جميعًا ، كما ابتدأ خلقهم ، لا يُعْجِزُهُ ذلك ، ولا شيء أرادته ؛ لأن قدرته القدرة التي لا يُشَبِّهها قدرة ، وسلطانه السلطان الذي لا يُشَبِّهه سلطان ولا مملكة .

/بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٣/٧

تفسير سورة الأنعام

القول في تأويل قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ : الحمد الكامل لله وحده لا شريك له ، دون جميع الأنداد والآلهة ، ودون ما سواه ، مما تعبدوه كفره خلقه من الأوثان والأصنام .

وهذا كلام مخرج الخبر ، يُنْحَى به نحو الأمر ، يقول : أخلصوا الحمد والشكر للذى خلقكم أيها الناس ، وخلق السماوات والأرض ، ولا تُشركوا معه فى ذلك أحدا شيئا ، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ، ونعمه عليكم ، لا من تعبدونه من دونه ، وتجعلونه له شريكا من خلقه .

وقد بينا الفصل بين معنى « الحمد » و « الشكر » بشواهد فيما مضى قبل^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض ، وأظلم الليل وأنار النهار .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا

أَسْبَاطُ ، عن السدي : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ . قال : الظلمات ظلمة الليل ، والنور نور النهار ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ . فإنه خلق السماوات قبل الأرض ، والظلمة قبل النور ، والجنة قبل النار ^(٢) .

فإن قال قائل : فما معنى قوله إذن : ﴿ جَعَلَ ﴾ ؟

قيل : إن العرب تجعلها ظرفاً للخبر والفعل ، فتقول : جعلت أفعل كذا ، وجعلت أقوم وأقعد . تدلُّ بقولها : جعلت . على اتصال الفعل ، كما تقول : علقْتُ ^(٣) أفعل كذا . لا أنها في نفسها فعلٌ ، يدلُّ على ذلك قول القائل : جعلت أقوم ^(٤) . وأنه لا جعل هناك سوى القيام ^(٥) ، وإنما دلَّ بقوله : جعلت . على اتصال الفعل ودوامه ، ومن ذلك قول الشاعر :

وزعمت أنك سوف تسلكُ فارداً ^(٦) والموتُ مُكْتَنَعٌ ^(٧) طريقَيَّ قادرٍ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٩/٤ ، ١٢٦٠ ، (٧٠٨٢ ، ٧٠٨٥) من طريق أحمد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٩/٤ (٧٠٨٣ ، ٧٠٧٩) من طريق يزيد ، وعزاه السيوطي

في الدر المنثور ٤/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) في س : « عقلت » . وعلق فلان يفعل كذا : ظل ، كقولك : طفق يفعل كذا . اللسان (ع ل ق) .

(٤) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وأقوم » .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « والقيام » .

(٦) في م : « قادرا » . وفاردا : منفردا .

(٧) في م : « متسع » . واكتنع الشيء : حضر ، وكنع الموت واكتنع : دنا وقرب . اللسان (ك ن ع) . وينظر

تعليق الشيخ شاكر على هذا البيت .

فاجْعَلْ تَحَلُّلٌ مِنْ يَمِينِكَ إِنَّمَا حِثُّ اليمِينِ عَلَى الْأَيْمِ (١) الْفَاجِرِ

١٤٤/٧ / يقول : فاجْعَلْ تَحَلُّلٌ . بمعنى : تحلل شيئاً بعد شيء . لا أن هناك جَعْلًا مِنْ غير التَّحْلِيلِ ، فكذلك كلُّ جَعْلٍ فِي الْكَلَامِ ، إِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى فَعْلٍ لَهُ اتِّصَالٌ ، لَا أَنْ لَهُ حِظًّا فِي مَعْنَى الْفَعْلِ .

فَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ . إِنَّمَا هُوَ : أَظْلَمَ لَيْلَهُمَا وَأَنَارَ نَهَارَهُمَا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُعْجَبًا خَلَقَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُفْرَةِ عِبَادِهِ ، وَمُحْتَجًّا عَلَى الْكَافِرِينَ : إِنْ الْإِلَهَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ حَمْدُهُ ، هُوَ الَّذِي [٧٤٢/١] خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، الَّذِي جَعَلَ مِنْهُمَا مَعَاشَكُمْ وَأَقْوَاتَكُمْ وَأَنْعَامَكُمْ الَّتِي بِهَا حَيَاتُكُمْ ، فَمِنْ السَّمَاوَاتِ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ الْغَيْثُ ، وَفِيهَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِاعْتِقَابٍ وَاخْتِلَافٍ لِمَصَالِحِكُمْ ، وَمِنْ الْأَرْضِ يَنْبُتُ الْحَبُّ الَّذِي بِهِ غِذَاؤُكُمْ ، وَالشَّمَارُ الَّتِي فِيهَا مَلَأْذُكُمْ ، مَعَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا مَصَالِحُكُمْ وَمَنْفَعَتُكُمْ بِهَا ، وَالَّذِينَ يَجْحَدُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿ بِرَبِّهِمْ ﴾ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ وَأَخَذَهُ ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ : يَجْعَلُونَ لَهُ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ ، فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ ، وَلَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ شَرِيكُهُ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا فِي إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، بَلْ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ فِي

عبادتهم إياه غيره . فسبحان الله ما أبلغها من ^(١) حجة ، وأوجزها من عظة ، لمن فكر ^(٢) فيها بعقل ، وتدبرها بفهم !
ولقد قيل : إنها فاتحة التوراة .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمري ^(١) ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : فاتحة التوراة : فاتحة « الأنعام » : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب مثله ، وزاد فيه : وخاتمة التوراة خاتمة « هود » ^(٤) .

يقال من مساواة الشيء بالشيء : عدلتُ هذا بهذا . إذا ساوَيْتَه به ، عدلاً . وأما في الحكم إذا أنصفت فيه ، فإنك ^(٥) تقول : عدلتُ فيه أعْدِلُ عدلاً .
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ . قال أهل التأويل .

(١) سقط من : س .

(٢) في س : « تذكر » .

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٩٧ ، ١٩٩) من طريق أبي عمران الجوني ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٠٢) من طريق جعفر بن سليمان ، وأخرجه الدارمي ٤٥٣/٢ من طريق أبي عمران الجوني ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/٢ إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وأبي الشيخ .

(٥) في ص ، ت ٢ : « فإنه » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ يَغْدِلُونَ ﴾ قَالَ : يُشْرِكُونَ ^(١) .

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَنْ غُنِيَ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : غُنِيَ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ ، قَالَ : جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ قَالَ لَهُ : أَلَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : وَانْصَرَفَ عَنْهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا بَنَ أَزْيَ ، إِنَّ هَذَا قَدْ أَرَادَ تَفْسِيرَ هَذِهِ غَيْرَ هَذَا ، إِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ . فَقَالَ : رُدُّوهُ عَلَيَّ . فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ : هَلْ تَدْرِي فِي مَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، اذْهَبْ لَا تَضَعُهَا عَلَى غَيْرِ حَدِّهَا ^(٢) .

١٤٥/٧

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ غُنِيَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ :

(١) تفسير مجاهد ص ٣١٩ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٠/٤ (٧٠٨٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٠/٤ (٧٠٨٧) من طريق يعقوب القمي به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٤/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ قال : هؤلاء أهلُ صُرَاحِيَّةٍ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ . قال : هم المشركون^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ . قال : الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله . قال : وليس لله عدل ولا نِدٌّ ، وليس معه آلهة ، ولا اتَّخَذَ صاحبةً ولا ولدًا^(٣) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين كفروا برَّبِّهم يعدلون . فعمَّ بذلك جميع الكفار ، ولم يخص من منهم بعضاً دون بعض ، فجميعهم داخلون في ذلك ؛ يهودهم ، ونصاراهم ، ومجوسهم ، وعبدَةُ الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر .

القول في تأويل قوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ . أن الله الذى خلق السماوات والأرض ، وأظلم ليلهما وأنار نهارهما ،^(٤) ثم كفر^(٥) به - مع إنعامه عليهم - الكافرون ، وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرهم ، هو الذى خلقكم أيها الناس من طين . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره أن الناس ولد من خلقه من طين ،

(١) فى م : « صراحة » . والصراحية والصراحة : الخالصة . اللسان (ص ر ح) . والمراد أنهم أهل شرك وكفر صريح .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٠/٤ عقب الأثر (٧٠٨٨) من طريق أسباط .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٠/٤ (٧٠٨٩) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٤ - ٥) فى م : « فكفر » .

فَأَخْرَجَ ذَلِكَ مُخْرَجَ الْخَطَابِ لَهُمْ ، إِذْ كَانُوا وَلَدَهُ .

وَبَنَحُوا الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ : بَدَأَ الْخَلْقَ ، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ طِينٍ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ . قَالَ : هُوَ آدَمُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : أَمَّا ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ . فَأَدَمُ .

١٤٦/٧ / حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو ثَمِيلَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ ، قَالَ : خُلِقَ آدَمُ مِنْ طِينٍ ، وَخُلِقَ النَّاسُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ . قَالَ : خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا مِنْ آدَمَ حِينَ أَخَذْنَا مِنْ ظَهْرِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ قَضَى [٧٤٣/١] أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ﴾ . ثُمَّ قَضَى لَكُمْ أَجُلَهَا النَّاسُ ﴿ أَجَلًا ﴾ ، وَذَلِكَ مَا بَيْنَ أَنْ يُخْلَقَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ . وَذَلِكَ مَا بَيْنَ أَنْ يَمُوتَ إِلَى أَنْ يُبْعَثَ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣ إلى عبد بن حميد .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ وَهَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ ، قَالَا : ثنا وَكَيْعٌ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِي بَكْرٍِ الْهَذَلِيِّ ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ ﴾ قَالَ : مَا بَيْنَ أَنْ يُخْلَقَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ . قَالَ : مَا بَيْنَ أَنْ يَمُوتَ إِلَى أَنْ يُبْعَثَ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ . كَانَ يَقُولُ : أَجَلُ حَيَاتِكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ ، وَأَجَلُ مَوْتِكَ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ ، فَأَنْتَ بَيْنَ أَجَلَيْنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا أَبُو ثَمِيلَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنِ الضُّحَاكِ بْنِ مَرْحَمٍ : ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ . قَالَ : قَضَىٰ أَجَلَ الْمَوْتِ ، وَكُلُّ نَفْسٍ أَجَلُهَا الْمَوْتُ . قَالَ : وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ . يَعْنِي أَجَلَ السَّاعَةِ ذَهَابِ الدُّنْيَا ، وَالْإِفْضَاءَ إِلَى اللَّهِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : ثُمَّ قَضَى الدُّنْيَا ، وَعِنْدَهُ الْآخِرَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ أَجَلًا ۖ ﴾ . قَالَ : الدُّنْيَا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ : الْآخِرَةُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ زَكْرِيَّا بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي

(١) ينظر تفسير البغوي ١٢٧/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٤/٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٢/٤ (٧٠٩٨) من طريق يزيد به .

(٣) تفسير البغوي ١٢٧/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٤/٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٠/٤ (٧٠٩٠) من طريق سفيان به . دون ذكر آخره .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ أَجَلًا ﴾ . قَالَ : الْآخِرَةُ عِنْدَهُ . ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . قَالَ :
الدُّنْيَا .

حَدَّثَنَا هَنَادٌ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مُجاهِدٍ وعكرمة :
﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ . قال : قَضَى أَجَلَ الدُّنْيَا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِنْدَهُ ﴾ . قال : هو أَجَلُ الْبَعْثِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يُحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ قَالَا : قَضَىٰ أَجَلَ الدُّنْيَا مِنْذُ يَوْمِ خُلِقَتْ إِلَى أَنْ تَمُوتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ^(٣) .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠٣/١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ وَابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَا : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ ﴾ . قَالَ : أَجَلُ الدُّنْيَا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ . قَالَ : الْبَعْثُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ : يَعْنِي أَجَلَ الْمَوْتِ ، وَالْأَجَلَ الْمُسَمًّى أَجَلَ السَّاعَةِ وَالْوَقُوفِ عِنْدَ اللَّهِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ ﴾ . قَالَ : أَمَا ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ ﴾ فَأَجَلَ الْمَوْتِ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ . قَالَ : أَمَا قَوْلُهُ : ﴿ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ ﴾ . فَهُوَ النَّوْمُ تُقْبَضُ فِيهِ الرُّوحُ ، ثُمَّ تَرْجَعُ إِلَى صَاحِبِهَا حِينَ الْيَقَظَةِ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ﴾ : هُوَ أَجَلُ مَوْتِ الْإِنْسَانِ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ^(٥) قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(٥) فِي قَوْلِهِ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ ۖ ﴾ . قَالَ : خَلَقَ آدَمَ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا مِنْ آدَمَ حِينَ ^(٦) أَخَذْنَا مِنْ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ

(١) ينظر تفسير البغوى ١٢٧/٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦١/٤ ، ١٢٦٢ (٧٠٩٦ ، ٧١٠١) من طريق أبى صالح .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦١/٤ (٧٠٩٢) ، وعقب الأثر (٧٠٩٥) من طريق عمرو بن حماد عن أشباط به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦١/٤ (٧٠٩٣ ، ٧٠٩٧) عن محمد بن سعد به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت مما تقدم فى ص ١٥٠ .

(٦) سقط من النسخ ، والمثبت مما تقدم فى ص ١٥٠ .

أَخَذَ الْأَجَلَ وَالْمِيثَاقَ فِي أَجَلٍ وَاحِدٍ مُسَمًّى فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : معناه : ثم قضى أجل الحياة الدنيا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ، وهو أجل البعث عنده .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه تعالى نبّه خلقه على موضع حُجَّتِهِ عليهم من أنفسهم ، فقال لهم : أيّها الناس ، إن الذى يَعدِلُ به كفاركم الآلهة والأنداد ، هو الذى خلَقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين ، فجعلكم صُورًا أَجْسَامًا أحياء ، بعد إذ كنتم طينًا جَمَادًا ، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم ؛ ليُعيدكم ترابًا وطينًا / كالذى كنتم قبل أن يُنشئكم ويخلقكم ، وأجل مُسَمًّى عنده لإعادتكم أحياء وأجسامًا ، كالذى كنتم قبل مماتكم . وذلك نظير قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ثم أنتم تشكون فى قدرة من قدر على خلق السماوات والأرض ، وإظلام الليل وإنارة النهار ، وخلقكم من طين ، حتى صيركم بالهيئة التى أنتم بها ^(١) - على إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم ، وإيجاده إياكم بعد عدمكم .

والمرئية فى كلام العرب هى الشك . وقد بيّنت ذلك بشواهد فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته ^(٢) .

وقد حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ^(٣) :

(١) بعده فى م : « و » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٦٧٣/٢ ، ٤٦٤/٥ ، ٤٦٥ .

(٣) فى س : « جريج » .

[١/٧٤٣ ظ] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ قال : الشك . قال : وقرأ قول الله : ﴿فِي مَرِيئَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج : ٥٥] . قال : في شك منه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ : تشكون ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ .

يقول تعالى ذكره : إن الذي له الألوهة التي لا تنبغي لغيره ، المستحق عليكم إخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس ، الذي يعدل به كفاركم من سواه ، هو الله الذي هو في السماوات و ^(٢) في الأرض يعلم سرركم وجهركم ، فلا يخفى عليه شيء . يقول : فربكم الذي يستحق عليكم الحمد ، ويجب عليكم إخلاص العباد له ، هو هذا الذي هذه ^(٢) صفته ، لا من لا يقدر لكم على ضر ولا نفع ، ولا يعمل شيئاً ، ولا يدفع عن نفسه سوءاً أريد بها .

وأما قوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ . يقول : ويعلم ما تعملون وتجرحون ، فيخصي ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه .

القول في تأويل قوله : ﴿وَمَا تَأْنِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وما تأتئ هؤلاء الكفار الذين برّبهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم ، آية من آيات ربهم . يقول : حجة وعلامة ودلالة من حجب

(١) في م : « بمثله » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٢/٤ (٧١٠٢) من طريق أحمد به .

(٢) سقط من : م .

رَبُّهُمْ، "وَدَلَالَاتِهِ وَأَعْلَامِهِ" على وحدانيته، وحقيقة نبوتك يا محمد، وصدق ما أتيتهم به من عندي، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. يقول: إلا أعرضوا عنها، / يعنى عن الآية، فصددوا عن قبولها، والإقرار بما شهدت على حقيقته، ودلت على صحته؛ جهلاً منهم بالله، واغتراراً بحلمه عنهم.

القول فى تأويل قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحق لما جاءهم. وذلك الحق هو محمد ﷺ، كذبوا به، وجحدوا نبوته لما جاءهم. قال الله لهم متوعداً على تكذيبهم إياه، وجحودهم نبوته: سوف يأتي المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم ﴿أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. يقول: سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزئون من آياتي وأدلتى التى آتيتهم. ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا فى غيهم، وعتوا على ربهم، فقتلهم يوم بدر بالسيف.

القول فى تأويل قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم يره هؤلاء المكذبون بآياتي، الجاحدون نبوتك، كثرة من أهلك من قبلهم من القرون، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض توطئة لم أوطئها لهم، وأعطيتهم فيها ما لم أعطهم؟

كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر،

عن قتادة في قوله : ﴿ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ . يقول : أعطيناهم ما لم نُعْطِكم ^(١) .

قال أبو جعفر : أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها ، وأعطتهم الأرض ريع نباتها ، وجابوا صخور جبالها ، ودرت عليهم السماء بمطارها ، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني ، ^(٢) فغمطوا نعمة ربهم ، وعصوا رسول خالقهم ، وخالفوا أمر بارئهم ، وبغوا حتى حق عليهم قولي ، فأخذتهم بما اجتروا من ذنوبهم ، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم ، وأهلكتهم بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصيحة ، وغير ذلك من أنواع العذاب .

ومعنى قوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا ﴾ . المطر . ويعنى بقوله : ﴿ مِذْرَارًا ﴾ . غزيرة دائمة ، ﴿ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ . يقول : وأحدثنا من بعد الذين أهلكناهم قرناً آخرين ، فابتدأنا سواهم .

فإن قال قائل : فما وجه قوله : ﴿ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ . ومن المخاطب بذلك ، / فقد ابتدأ الخبر في أول الآية عن قوم غيب بقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ؟ ﴾ .

قيل : إن المخاطب بقوله : ﴿ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ . هو المخبر عنهم بقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ . ولكن في الخبر معنى القول ، ومعناه : قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحق لما جاءهم : أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّا فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ . والعرب إذا أخبرت خبراً عن غائب

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٣/٤ (٧١١٠) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر

المنثور ٥/٣ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢ - ٢) في ص : « فطمعوا نعمة » ، وفي ت ١ : « فطمعوا نعمة » ، وفي س : « فطمعوا بنعمة » .

وَأَدْخَلَتْ فِيهِ قَوْلًا فَعَلَتْ ذَلِكَ ، فَوَجَّهَتْ الْخَبَرَ أَحْيَانًا إِلَى الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ ، وَأَحْيَانًا إِلَى الْخِطَابِ ، فَتَقُولُ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ : مَا أَكْرَمَهُ . وَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ : مَا أَكْرَمَكَ . وَتُخْبِرُ عَنْهُ أَحْيَانًا عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْخِطَابِ ، وَتُخْبِرُ عَلَى وَجْهِ الْخِطَابِ لَهُ ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْخَبَرِ عَنِ الْغَائِبِ . وَذَلِكَ فِي كَلَامِهَا وَأَشْعَارِهَا كَثِيرٌ فَاشٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ^(١) .

وقد كان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك : كَأَنَّهُ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ خَاطَبَهُ مَعَهُمْ . وَقَالَ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] . فَجَاءَ بِلَفْظِ الْغَائِبِ وَهُوَ يُخَاطَبُ ؛ لِأَنَّهُ الْمُخَاطَبُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

وهذا إخبارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِرَبُّهُمْ الْأَوْثَانَ وَالْأَلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ ، يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَكَيْفَ يَتَفَقَّهُونَ الْآيَاتِ ^(٢) ، أَمْ كَيْفَ يَسْتَدِلُّونَ عَلَى بُطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ [١/٧٤٤و] مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَجُحُودِ نُبُوَّتِكَ ، بِحُجَجِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَأَدْلَتِهِ ؟ وَهُمْ لِعِنَادِهِمُ الْحَقَّ ، وَبَعْدِهِمُ مِنَ الرُّشْدِ ، لَوْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ عَلَيْكَ مَعَ رَسُولِي فِي قِرْطَاسٍ ، يُعَايِنُونَهُ وَيَمَسُّونَهُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَءُونَهُ مِنْهُ ، مُعَلِّقًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، بِحَقِيقَةِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَصَحَّةِ مَا تَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِي وَتَنْزِيلِي - لَقَالَ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ بِي غَيْرِي ، فَيُشِيرُ كُونَ فِي تَوْحِيدِي سِوَايَ : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ . أَيْ : مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ إِلَّا سِحْرٌ سَحَرَتْ بِهِ أَعْيُنُنَا ، لَيْسَتْ لَهُ حَقِيقَةٌ وَلَا صَحَّةٌ ، ﴿ مُبِينٌ ﴾ .

(١) ينظر ما تقدم في ١/١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢/١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٣ ، ٢٩٤ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الأوثان » .

يقول : مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿ كَتَبْنَا فِي قُرْطَابٍ فَلََمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : فَمَسُّوهُ ونظروا إليه لم يُصدِّقوا به ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا / فِي قُرْطَابٍ فَلََمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . يقول : فعاینوه مُعَايَنَةً ، ﴿ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٢) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَابٍ فَلََمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . يقول : لو نزلنا من السماء صُحُفًا فيها كتاب فَلََمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ، لَزَادَهُمْ ذَلِكَ تَكْذِيبًا ^(٣) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَابٍ ﴾ : الصحف ^(٤) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١) تفسير مجاهد ص ٣١٩ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٦ ، ٧١١٩) ،

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٨) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٤/٤ عقب الأثر (٧١١٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

قتادة في قوله : ﴿ فِي قِرطَاسٍ ﴾ . يقول : في صحيفة ، ﴿ فَلَـمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾^(٢) .

يقول تعالى ذكره : فقال هؤلاء المكذبون بآياتي ، العادلون بي^(٣) الأنداد والآلهة ، يا محمد لك - لو دعوتهم إلى توحيدى ، والإقرار بربوبيتى ، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به ، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم ، مما قطعت به عذرهم - : هَلَّا نُزِّلَ عَلَيْكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي صُورَتِهِ ، يُصَدِّقُكَ عَلَى مَا جِئْنَا بِهِ ، وَيَشْهَدُ لَكَ بِحَقِيقَةِ مَا تَدَّعَى ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا . كما قال تعالى مخبراً عن المشركين في قيلهم لنبي الله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾^(٤) [الفرقان : ٧] .
﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ . يقول : ولو أنزلنا ملكاً على ما سألوا ، ثم كفروا ولم يؤمنوا بى وبرسولى ، لجاءهم العذاب عاجلاً غير آجل ، ولم يُنْظَرُوا فَيُؤَخَّرُوا بالعقوبة مُراجعة التوبة ، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التى سألت الآيات ، ثم كفرت بعد مجيئها ؛ مِنْ تعجيل النِّقْمَةِ ، وترك الإنظار .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ . يقول : لجاءهم العذاب^(٥) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٣/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٥) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٢) زيادة من : م .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يقول » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٦/٤ عقب الأثر (٧١٢٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ . يَقُولُ : وَلَوْ ^(١) أَنزَلْنَا إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا لَمْ يُنْظَرُوا ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لَوْلَا أَنزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ : فِي صُورَتِهِ ، ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ : لَقَامَتِ السَّاعَةُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، ^(٤) عَنْ أَبِيهِ ^(٤) ، عَنْ عِكْرَمَةَ : ﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ . قَالَ : لَقَامَتِ السَّاعَةُ ^(٥) .

/ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ ١٥٢/٧ قَتَادَةَ : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ . قَالَ : يَقُولُ : لَوْ أَنزَلَ اللَّهُ مَلَكًا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا ، لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ^(٦) .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ . قَالَ : لَوْ أَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَتِهِ لَمَاتُوا ، ثُمَّ لَمْ يُؤَخَّرُوا طَرْفَةَ عَيْنٍ ^(٧) .

(١) بعده في م : « أنهم » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٦/٤ (٧١٢٧) من طريق يزيد به ، ولفظه : ثم لم ينظروا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣١٩ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ (٧١٢١ ، ٧١٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وينظر تهذيب الكمال ١١ / ٦٠ .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ عقب الأثر (٧١٢٤) معلقا .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١ / ٢٠٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ (٧١٢٥) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ (٧١٢٢) من طريق أبي كريب به إلى قوله : في صورته ، وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى أبي الشيخ . (تفسير الطبري ٩ / ١١)

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العاديين بي ، القائلين : لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ^(١) . ملكا ينزل عليه من السماء ، ويشهد ^(٢) بتصديق ^(٣) محمد ^(٤) ، ويأمرهم باتباعه ، ﴿ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ ﴾ . يقول : لجعلناه في صورة رجل من البشر ؛ لأنهم لا يقدرّون أن يروا الملك في صورته . يقول : وإذا كان ذلك كذلك ، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا ، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكا إنما أنزله بصورة إنسي ، وحججى في كلتا الحالتين عليهم ثابتة بأنك صادق ، وأن ما جئتهم به حق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك [٧٤٤/١ ظ] قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ ﴾ . يقول : ما أتاهم إلا في صورة رجل ؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة ^(٥) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ ﴾ : في صورة رجل ، في ^(٦) خلق رجل ^(٧) .

(١) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لى » .

(٢ - ٢) في س : « بصدقه » .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٦/٤ (٧١٢٩) من طريق بشر بن عمار به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٥) فى تفسير مجاهد : « أى فى » ، وفى الدر المنثور أيضا : « وفى » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٣١٩ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ . يقولُ : لو بعثنا إليهم ملكًا لجعلناه في صورة آدمي^(١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ . يقولُ : في صورة آدمي .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقٍ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثله^(٢) .

حدَّثني يونسٌ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ . قال : لجعلنا ذلك الملكَ في صورة رجلٍ ، لم نرسله في صورة الملائكة^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلَلْبَشَنَّا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَلَلْبَشَنَّا عَلَيْهِمْ ﴾ : ولو أنزلنا ملكًا من السماء مُصدِّقًا لك يا محمدُ ، / شاهدًا لك عند هؤلاء العادِلين بى ، الجاحِدِينَ آياتِكَ^(٤) على ١٥٣/٧ حقيقة نبوتك ، فجعلناه في صورة رجلٍ من بنى آدم ، إذ كانوا لا يُطيقون رؤية الملك بصورته التى خلقته بها - التَّبَس عليهم أمره ، فلم يَدْرُوا أَمَلَكٌ هو أم إنسى ، فلم يُوقِنُوا به أنه ملكٌ ، ولم يُصدِّقوا به ، وقالوا : ليس هذا ملكًا . وللبشنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرِك ، وصحة برهانِك وشاهدِك على نبوتك .

(١) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « آدم » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٣/١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى المصنف .

(٤) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « نبوتك » .

يَقَالُ مِنْهُ : لَبِثْتُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ أَلْبِثُهُ لَبِثًا . إِذَا خَلَطْتَهُ عَلَيْهِمْ . وَ : لَبِثْتُ الثَّوْبَ أَلْبِثُهُ لَبِثًا . وَاللَّبُوسُ اسْمُ الثِّيَابِ .

وَبَنَحَوْا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِبْسُونَ ﴾ . يَقُولُ : لَشَبَّهْنَا عَلَيْهِمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِبْسُونَ ﴾ . يَقُولُ : مَا لَبَسَ قَوْمٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِلَّا لَبَسَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّبْسُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ النَّاسِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِبْسُونَ ﴾ . يَقُولُ : شَبَّهْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُشَبَّهُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ^(٣) .

وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ آخَرُ ، وَهُوَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِبْسُونَ ﴾ : فَهَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ، فَارَقُوا دِينَهُمْ ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ ، وَهُوَ تَحْرِيفُ الْكَلَامِ عَنْ مَوَاضِعِهِ ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٦٧/٤ (٧١٣٢) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٥/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٦٧/٤ (٧١٣٥) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٦٧/٤ (٧١٣٦) عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ : يَعْنِي التَّحْرِيفَ ، هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، فَرَّقُوا كِتَابَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ ، فَلَبَسَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا لَبَسُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ .

وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أول السورة بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان ، أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بما أغنى عن إعادته ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مُسَلِّيًا عَنْهُ بِوَعِيدِهِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ عِقَابَهُ ^(٢) مَا يَلْقَى مِنْهُمْ مِنْ أَذَى الْأَسْتَهْزَاءِ بِهِ ، وَالْأَسْتَهْزَافِ فِي ذَاتِ اللَّهِ : هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَا أَنْتَ لَاقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَ ، الْمُسْتَخَفِّينَ بِحَقِّكَ فِي طَاعَتِي ، وَأَمُضٍ لِّمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الدَّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِي ، وَالْإِقْرَارِ بِي ، وَالْإِذْعَانِ لَطَاعَتِي ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي غَيِّهِمْ ، وَأَصْرُوا عَلَى الْمَقَامِ عَلَى كُفْرِهِمْ ، نَسَلْتُكَ بِهِمْ سَبِيلَ أَسْلَافِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ مِنْ تَعْجِيلِ النَّقْمَةِ لَهُمْ ، وَحُلُولِ الْمَثَلَاتِ بِهِمْ ، فَقَدْ اسْتَهْزَأَتْ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكَ بِرُسُلِي أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْهِمْ ، / بِمَثَلِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَى قَوْمِكَ ، وَفَعَلُوا مِثَالَ ^(٣)

١٥٤/٧

فَعَلِ قَوْمِكَ بِكَ ، ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .
يعنى بقوله : ﴿ فَحَاقَ ﴾ : فَنَزَلَ وَأَحَاطَ بِالَّذِينَ هَزَعُوا بِرُسُلِهِمْ ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . يقول : الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَهْزِءُونَ بِهِ ، وَيُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ وَاقِعًا

(١) ينظر ما تقدم في ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عقوبته » .

(٣) في م : « مثل » .

بهم على ما أُنذَرْتَهُمْ رُسُلُهُمْ .

يقالُ منه : حاق بهم هذا الأمرُ ، يَحِيقُ بهم ، حَيْقًا وَحَيْوَقًا وَحَيْقَانًا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعةٌ من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدي : ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾ : من الرسل ، ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقول : وقع بهم العذابُ الذي استهزءوا به ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بي الأوثانَ والأندَادَ ، المُكَذِّبِينَ بك ، الجاحِدِينَ حقيقةَ ما جئتُهم به من عندى : ﴿ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : جُولُوا في بلادِ المُكَذِّبِينَ رُسُلَهُمْ ، الجاحِدِينَ آياتي من قَبْلِهِمْ ، من ضُرْبَائِهِمْ وأشكالِهِمْ من الناسِ ، ﴿ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ . يقولُ : ثم انظُرُوا كيف أعقبَهُمْ تكذيبُهُمْ ذلكَ الهلاكَ والعَطَبَ ، وخِزْيَ الدنيا وعَارَهَا ، وما حلَّ بهم من سَخَطِ اللَّهِ عليهم من البوارِ ، وخرابِ الديارِ ، وغُفُوِ الآثارِ ، فاعْتَبِرُوا به إن لم تنهَكُم حُلُومُكُمْ ، ولم تزجُرْكم حُجُجُ اللَّهِ عليكم عما أنتم عليه ^(٢) مُقِيمُونَ مِنَ التَّكْذِيبِ ، فاحذَرُوا مثلَ مَصَارِعِهِمْ ، واتَّقُوا أن يَحِلَّ بكم مثلُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٧/٤ ، ١٢٦٨ (٧١٣٨ ، ٧١٣٩) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) زيادة لازمة يستقيم بها الكلام .

الذى حلَّ بهم .

وكان قتادة يقولُ في ذلك بما حدَّثنا بشر بن معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادة قوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ : ^(١) «بئسَ واللهِ كان عاقبةُ المكذِّبين» ، دَمَّرَ اللهُ عليهم وأهلكهم ، ثم صيَّروهم إلى النارِ ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله عز ذكره : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ .

يَقُولُ تعالى ذكره لنبِيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ العادِلين برَّبِّهم : ﴿ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : لِمَنْ مُلْكُ ما في السماواتِ والأرضِ ؟ ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبدَ كلَّ شيءٍ ، وقهرَ كلَّ شيءٍ بمُلْكِهِ وسلطانِهِ ، لا للأوثانِ والأندادِ ، ولا لما يَعْبُدونه ويتَّخِذونه إلهًا ، مِنَ الأصنامِ التي لا تَمْلِكُ لأنفسِها نفعًا ، ولا تَدْفَعُ عنها ضرًّا .

/ وقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ . يقولُ : قضَى أنه بعبادِهِ رحيمٌ ، لا يَعَجَلُ عليهم بالعقوبةِ ، وَيَقْبَلُ منهم الإنابةَ والتوبةَ .

وهذا مِنَ اللَّهِ تعالى ذكره استعطافٌ للمُؤَلِّين ^(٣) عنه إلى الإقبالِ إليه بالتوبةِ . يَقُولُ تعالى ذكره : إن هؤلاءِ العادِلين بي ، الجاحدين نبوتَكَ يا محمدُ ، إن تابوا وأنا بوا ، قَبِلْتُ توبَتَهُمْ ، وإنى قد قَضَيْتُ في خَلْقِي أن رحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٨/٤ (٧١٤٠) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) في م ، ت ، ٢ : « للمعرضين » ، وقوله : استعطاف . أى استمالةً وترغيباً للمؤلِّين بالتوبة .

كالذى حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لما فرغ الله من الخلق كتب كتابًا : إن رحمتي سبقت غضبي »^(١) .

حدثنا محمد بنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : إن الله تعالى لما خلق السماء والأرض ، خلق مائة رحمة ، كل رحمة ملء ما بين السماء إلى الأرض ، فعنده تسع وتسعون رحمة ، وقسم رحمة بين الخلائق ، فيها يتعاطفون ، وبها تشرب الوحش والطير الماء ، فإذا كان يوم القيامة^(٢) قصرها الله على المتقين ، وزادهم تسعًا وتسعين .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا ابنُ أبي عدي ، عن داود ، عن أبي عثمان ، عن سلمان نحوه ، إلا أن ابنَ أبي عدي لم يذكر في حديثه : وبها تشرب الوحش والطير الماء .

حدثنا محمد بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمد بنُ ثور ، عن مَعْمَرٍ ، عن عاصم ابنِ سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : نجد في التوراة عطفتين ؛ إن الله خلق السماوات والأرض ، ثم خلق مائة رحمة - أو : جعل مائة رحمة - قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق الخلق ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة . قال : فيها يتراحمون ، وبها يتبذلون ، وبها يتعاطفون ، وبها يتزاوون ، وبها تحن الناقة ، وبها تتوج^(٣) البقرة ، وبها تتبع الشاة ، وبها تتابع الطير ،

(١) أخرجه أحمد ٧٠/١٦ (١٠٠١٤) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٥١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٨/٤ (٧١٤١) من طريق سفيان به . وأخرجه البخاري (٧٤٠٤) من طريق الأعمش به .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ : « ذلك » .

(٣) في م : « تنتج » ، وفي ت ١ : « تنوح » ، وكذا رسمت في ص ولكن غير منقوطة . وثاجت البقرة تناج وتنوح : صوت ، وأما النأج ، فيقال : نأج الثور ينحج وينأج : صاح . انظر اللسان (ث و ج) ، (ن أ ج) .

وبها تتابع الحيتان في البحر ، فإذا كان يوم القيامة ، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان ، في قوله : ﴿ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ الآية . قال : إنا نجد في التوراة عطفتين . ثم ذكر نحوه ، إلا أنه^(٢) قال : وبها تتابع الطير ، وبها تتابع الحيتان في البحر^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال ابن طاوس ، عن أبيه : إن الله تعالى لما خلق الخلق ، لم يعطف شئ على شئ ، حتى خلق مائة رحمة ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، فعطف بعض الخلق على بعض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه بمثله^(٣) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وأخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسيته أسنده ، قال : إذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه ، أخرج كتاباً من تحت العرش ، / فيه : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين . قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة . أو قال : مثلاً أهل الجنة . ولا أعلمه إلا قال : مثلاً . وأما « مثل » فلا أشك . مكتوباً ههنا - وأشار الحكم إلى

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٣ ، ٢٠٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٦٨ (٧١٤٢) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في م : « ما » . والأثر في تفسير عبد الرزاق وابن أبي حاتم بهذا اللفظ ، لا فرق بينه وبين الأثر قبله ، واستظهر الشيخ شاكر أن يكون الفرق بينهما في : تتابع بالتشديد في الأثر الأول ، وبالتخفيف في الأثر الثاني ، فالله أعلم .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٣ إلى عبد بن حميد .

نَحْرِهِ - : عُتِقَاءُ اللَّهِ . فقال رجلٌ لعكرمة : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، فإنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٧] . قال : ويلَكَ ، أولئك أهلُها الذين هم أهلُها^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن الحَكَمِ بنِ أبانٍ ، عن عِكرمةَ ، حَسِبْتُ أَنَّهُ أَسَنَدُهُ ، قال : إذا كان يومُ القيامةِ ، أخرجَ اللَّهُ كتابًا من تحتِ العرشِ . ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال : فقال رجلٌ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ﴾ ؟ . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ ابنِ عبدِ الأعلى^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن همامِ ابنِ منبهٍ ، قال : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٧٤٥/١ ظ] «لما قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ ، كَتَبَ في كتابٍ فهو عنده فوقَ العرشِ : إن رحمتي سَبَقَتْ^(٢) غَضَبِي^(٣)» .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن أبي أيوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو أنه كان يقولُ : إنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَهْبِطَ رَحْمَةً إلى أهلِ الدنيا ، يَتَرَا حُمُ بِهَا الجُنُّ ، والإنسُ ، وطائرُ السماءِ ، وحيتانُ الماءِ ، ودوابُّ الأرضِ وهوائُها ، وما بينَ الهواءِ ، واختزنَ عنده تسعًا وتسعينَ رَحْمَةً ، حتى إذا كان يومُ القيامةِ ، اختلَجَ^(٤) الرَحْمَةَ التي كان أَهْبَطَها إلى أهلِ الدنيا ، فحوَّاهَا إلى ما عنده ، فجعلَها في قلوبِ أهلِ الجنةِ ، وعلى أهلِ الجنةِ^(٥) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٤، ٢٠٥ .

(٢) في المسند وتفسير البغوي : « غلبت » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٥ ، ومن طريقه أحمد ٤٧٩/١٣ (٨١٢٧) ، والبغوي في تفسيره ٣/١٣٠ .

(٤) اختلج : انتزع . اللسان (خ ل ج) . .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٣ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال عبد الله بن عمرو : إن لله مائة رحمة ، أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة ، يتراحم بها الجن ، والإنس ، والطير ، والبهائم ، وهوام الأرض ^(١) .

حدَّثنا محمد بن عوف ، قال : أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج ، قال : ثنا صفوان بن عمرو قال : ثنى أبو المخارق زهير بن سالم ، قال : قال عمر لكعب : ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب : كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد ، ولكن كتبه بأصبعه يثلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت : أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتي غضبي ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

وهذه اللام التي في قوله : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . لام قسم .

ثم اختلف أهل العربية في جالبيها ، فكان بعض نحوئي الكوفة يقول ^(٣) : إن شئت جعلت ﴿ الرَّحْمَةُ ﴾ غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . قال : وإن شئت جعلته في موضع نصب - يعنى كتب ^(٤) ليجمعنكم - كما قال : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ﴾ [الأنعام : ٥٤] . يريد : كتب أنه من عمل منكم . قال : والعرب تقول في الحروف التي يصلح معها جواب ^(٥) الأيمان بـ « أن » المفتوحة وباللام ، فيقولون : أرسلت إليه

(١) تفسير عبد الرزاق ١ / ٢٠٤ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٣ إلى المصنف . وقال عنه الشيخ شاكر : وهو خبر كما ترى ، عن كعب الأحبار ، مشوب بما كان من دأبه في ذكر الإسرائيليات .

(٣) هو الفراء في معاني القرآن ١ / ٣٢٨ .

(٤) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س .

(٥) بعده في النسخ : « كلام » . والمثبت كما في معاني القرآن .

١٥٧/٧ أن / يقوم ، وأرسلت إليه ليقومن . قال : وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا
الْآيَاتِ لِيَسْجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٥] . قال : وهو فى القرآن كثير ، ألا ترى
أنك لو قلت : بَدَأْ لَهُمْ أَنْ يَسْجُنُوهُ . لكان صواباً ؟

وكان بعض نحوئى البصرة يقول : نُصِبَتْ لَامٌ ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ؛ لأن معنى
﴿ كَتَبَ ﴾ القسم^(١) ، كأنه قال : وَاللَّهِ لِيَجْمَعَنَّكُمْ .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يكون قوله : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ
الرَّحْمَةً ﴾ . غاية خبر^(٢) ، وأن يكون قوله : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . خبراً مبتدأ ، ويكون
معنى الكلام حينئذٍ : لِيَجْمَعَنَّكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِى لَا رَيْبَ
فِيهِ ؛ لِيُتَّقِمَ مِنْكُمْ بِكُفْرِكُمْ بِهِ .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب من إعمال : ﴿ كَتَبَ ﴾ . فى :
﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ كَتَبَ ﴾ . قد عمل فى ﴿ الرَّحْمَةً ﴾ ، فغير جائز
وقد عمل فى ﴿ الرَّحْمَةً ﴾ أن يعمل فى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . لأنه لا يتعدى إلى
اثنين .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فى قراءة من قرأ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ أَنَّهُ ﴾ بفتح « أن » ؟

قيل : إن ذلك إذا قرئ كذلك ، فإن « أن » بيان عن الرحمة وترجمة عنها ؛ لأن
معنى الكلام : كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْ يَرْحَمَ مِنْ عِبَادِهِ^(٣) من تاب^(٣) بعد إقتراف
الشَّوْءِ بِجَهَالَةٍ وَيَعْفُو . والرحمة يُترجم عنها وَيُبيِّنُ معناها بصفيتها ، وليس من صفة

(١) سقط من النسخ ، وأثبتها الشيخ شاكر هكذا : معنى « كتب » فرض وأوجب ، وهو بمعنى القسم .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) زيادة يستقيم بها السياق ، من معنى الآية .

الرحمة ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ فيكون مُبَيَّنًا به عنها . فإن كان ذلك كذلك ، فلم يَتَّقَ إلا أن يُنْصَبَ بنية تَكْرِيرٍ « كَتَبَ » مرةً أخرى معه ، ولا ضرورةً بالكلام إلى ذلك ، فَيُوجَّهَ إلى ما ليس بموجودٍ في ظاهره .

وأما تأويل قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . فإنه : لاشكَّ فيه . يقول : في أن الله يَجْمَعُكم إلى يومِ القيامة ، فيَحْشُرُكم إليه جميعًا ، ثم يُؤْتِي كلَّ عاملٍ منكم أجرَ ما عَمِلَ مِنْ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ : العادِلين به الأوثان والأصنام . يقول تعالى ذكره : لِيَجْمَعََنَّ اللهُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ . يقول : الذين أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَبَنُوهَا بِادِّعَائِهِمْ لِلَّهِ النَّدَّ وَالْعَدِيلَ ، فَأَوْبَقُوهَا بِإِيجَابِهِمْ سَخَطَ اللهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ فِي الْمَعَادِ .

وأصلُ الخَسَارِ الغَبْنُ ، يقالُ منه : خَسِرَ الرجلُ في البيعِ . إذا غَبِنَ ، كما قال الأَعَشَى ^(١) :

لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُبَالِي خَسَرَ ^(٢) الْخَاسِرِ

وقد بيَّنا ذلك في غيرِ هذا الموضعِ بما أَغْنَى عن إعادته ^(٣) .

وموضعُ ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله : ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ . / نصبت ، ١٥٨/٧
على الرَّدِّ على الكافِ والميمِ في قوله : ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ . على وجهِ البيانِ عنها ،

(١) ديوانه ص ١٤١ .

(٢) في الديوان : « غبن » .

(٣) ينظر ماتقدم في ١/ ٤٤٢ .

وذلك أن الذين خسرُوا أنفسهم هم الذين خُوطِبُوا بقوله : ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ .

وقوله : ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . يقول : فهم لإهلاكهم أنفسهم ، وغبنهم إياها حظها ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . أى : لا يُوحِدُونَ اللَّهَ ، ولا يُصدِّقون بوعده ووعيده ، ولا يُقرُّون بنبوَّة محمد ﷺ .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

يقول تعالى ذكره : لا يُؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان ، فيخلصوا له التوحيد ، ويُفردوا له الطاعة ، ويُقرُّوا بالألوهية جهلاً ، ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ . يقول : وله مُلك كلِّ شىء ؛ لأنه لا شىء من خلقِ اللَّهِ إلا وهو ساكنٌ فى الليل والنهار . فمعلومٌ بذلك أن معناه ما وصفنا ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ ما يقول هؤلاء المشركون فيه من ادِّعائهم له شريكاً ، وما يقول غيرهم من خلقه ^(١) ذلك ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يُضمِّرونه [٧٤٦/١] فى أنفسهم ، وما يُظهرونه بجوارحهم ، لا يخفى عليه شىء من ذلك ، فهو يُخصِّيه عليهم ؛ ليوفِّى كلَّ إنسانٍ ثواب ما اكتسب ، وجزاء ما عمل .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : ﴿سَكَنَ﴾ . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ . يقول : ما استقرَّ فى الليل والنهار ^(٢) .

(١) فى م : « خلاف » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٩/٤ (٧١٤٦) من طريق أحمد بن مفضل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى أبى الشيخ .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبينه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين ربهم الأوثان والأصنام ، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك ، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان : شيئاً غير الله تعالى اتَّخِذُ وَلِيًّا أَسْتَنْصِرُهُ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى النَّوَائِبِ وَالْحَوَادِثِ ؟

كما حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا ۗ ﴾ . قال : أما الولي ، فالذي يتولَّونه ويُقرُّون له بالربوبية ^(١) .

﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ . يقول : شيئاً غير الله فاطر السماوات والأرض اتَّخِذُ وَلِيًّا ؟ ف ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ من نعت ﴿ الله ۗ ﴾ وصفته ، ولذلك خُفِضَ . ويعنى بقوله : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ : مُبْتَدِعُهُمَا وَمُبْتَدِئُهُمَا وَخَالِقُهُمَا .

كالذي حدَّثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، / عن مجاهد ، قال : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ . حتى أتاني أعرابيان يَخْتَصِمَانِ فِي بئرٍ ، فقال أحدهما لصاحبه : أنا فطرْتُها . يقول : أنا ابْتَدَأْتُهَا ^(٢) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المُفضَّل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٩/٤ (١٧٤٧) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٠٦ ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٦٨٢) من طريق يحيى بن سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٣ إلى ابن الأنباري في الوقف والابتداء ، وفي ٢٤٤/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

السدي: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. قال: خالق السماوات والأرض.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. قال: خالق السماوات والأرض^(١).

يقال من ذلك: فطرها الله يَفْطُرُهَا، وَيَفْطَرُهَا فُطْرًا وفُطُورًا، ومنه قوله: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] يعنى: شقوقًا وضدوعًا^(٢). يقال: سيفٌ فُطَارٌ. إذا كثر^(٣) فيه التشقق^(٤)، وهو عيب فيه. ومنه قول عنترة^(٥):

وسيفي كالعقيقة^(٥) فهو كمعى^(٦) سلاحى لا أفل^(٧) ولا فُطَارًا

ومنه يُقال: فطر نابُ الجمل. إذا شقَّ^(٨) اللحم^(٩) فخرج. ومنه قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥]. أى: يتشققن ويتصدعن^(٩).

وأما قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾. فإنه يعنى: وهو يُزْزِقُ خَلْقَهُ وَلَا يُزْزَقُ.

كما حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾. قال: يزْزِقُ وَلَا يُزْزَقُ^(١٠).

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٠/٤ (٧١٤٩) عن الحسن بن يحيى به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤٤/٥ إلى عبد بن حميد.

(٢) لعل هنا سقطا، فقد انتقل سياق الكلام فجأة من «فطر» بمعنى «خلق» إلى «فطر» بمعنى «شق».

(٣ - ٣) فى ص، ت ١، ت ٣، س: «الرماة فيه تشقق».

(٤) ديوانه ص ٦٤.

(٥) العقيقة: البرق إذا رأيته فى وسط السحاب كأنه سيف مسلول. اللسان (ع ق ق) والبيت فيه.

(٦) الكمع: الضجيع. اللسان (ك م ع).

(٧) الفل: الثلم فى السيف. اللسان (ف ل ل). والبيت فى اللسان فى هذه المواضع.

(٨) فى النسخ: «تشقق». والمثبت هو الصواب، انظر مثلا اللسان (ف ط ر)، (ش ق ق).

(٩) سقط من: ص، ت ١، ت ٣، س.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٧٠/٤ (٧١٥٠، ٧١٥١) من طريق أحمد بن المفضل به. وعزاه

السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى أبى الشيخ.

وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرأ^(١) ذلك : (وهو يُطْعِمُ ولا يَطْعَمُ)^(٢) . أى أنه يُطْعِمُ خلقه ، ولا يأْكُلُ هو . ولا معنى لذلك ؛ لقلة القراءة^(٣) به .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ١٤ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثونك على عبادتها : أغير الله فاطر السماوات والأرض ، وهو يزقنى وغيرى ، ولا يزرقه أحد ، أتخذ ولياً هو له عبد مملوك ، وخلق مخلوق ؟ وقل لهم أيضاً : إني أمرنى ربى^(٤) ﴿ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ . يقول : أول من خضع له بالعبودية ، وتذلل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهرى وزمانى ، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . يقول : وقل لى : لا تكونن من المشركين بالله ، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء . وجعل قوله : ﴿ أُمِرْتُ ﴾ . بدلاً من « قيل لى » ؛ لأن قوله : ﴿ أُمِرْتُ ﴾ . معناه « قيل لى » . فكأنه قيل : قل : إني قيل لى : كن أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين . فاجتزئ بذكر الأمر من ذكر القول ، إذ كان الأمر معلوماً أنه قول .

/القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ١٥ .

(١) فى النسخ : « يقول » . والمثبت هو الصواب .

(٢) وهى قراءة الأعمش كما فى مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٢ ، ونسبها أبو حيان أيضاً فى البحر المحيط ٨٥/٤ إلى سعيد بن جبير وأبى حيوه وعمرو بن عبيد ، وأبى عمرو فى رواية عنه ، وكذا نسبها إلى مجاهد ، أما ابن خالويه فقد ذكر أن قراءة مجاهد بفتح الياء فى الأولى وضمها فى الثانية : (يَطْعَمُ ولا يُطْعَمُ) .

(٣) فى م : « القراءة » .

(٤) بعده فى ص ، ت ١ : « إني أمرت » ، وفى س : « إني » .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء المشركين العادلين بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم : إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه ، و ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ فعبدتها ، ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . يعنى : عذاب يوم القيامة . ووصفه تعالى ذكره بالعظيم ؛ لعظم هوله وفضاعة شأنه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ .

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قراءة الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ . بضم الياء وفتح الراء ، بمعنى : مَنْ يُصْرِفْ عنه العذاب يومئذ . وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة : (مَنْ يُصْرِفْ عنه) . بفتح الياء وكسر الراء ، بمعنى : مَنْ يُصْرِفِ الله عنه العذاب يومئذ ^(١) .

وأولى القراءتين ^(٢) فى ذلك بالصواب عندى قراءة مَنْ قرأه (يُصْرِفْ عنه) . بفتح الياء وكسر الراء ؛ لدلالة قوله : ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ . على صحة ذلك ، وأن القراءة فيه بتسمية فاعله ، ولو كانت القراءة فى قوله : ﴿ مَنْ يُصْرِفْ ﴾ . على وجه ما لم يُسم فاعله ، كان الوجه فى قوله : ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ . أن يقال : فقد رُجم . غير مُسمى فاعله . وفى تسمية الفاعل فى قوله : ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ . دليل بين على أن ذلك كذلك فى قوله : (مَنْ يُصْرِفْ عنه) ^(٣) .

(١) القراءة الأولى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ، والقراءة الثانية قراءة حمزة والكسائى وشعبة عن عاصم . انظر كتاب السبعة ص ٢٥٤ .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « القولين » ، وفى س : « القراءتين القولين » .

(٣) قال ابن عطية كما فى البحر المحيط ٨٧ / ٤ : وأما المعنى فالقراءتان واحد . ثم نقل عن أبى عمرو الزاهد فى كتاب اليواقيت أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا كان لا يرى التراجع بين القراءات السبع . وقال ثعلب : إذا اختلف الإعراب فى القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابا على إعراب فى القرآن .

وإذ كان ذلك هو الوجه الأولي بالقراءة ، فتأويل [٧٤٦/١] الكلام : مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ مِنْ خَلْقِهِ يَوْمَئِذٍ عَذَابُهُ فَقَدْ رَحِمَهُ ، ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ . ويعنى بقوله : ﴿وَذَلِكَ﴾ : وَصَرَفُ اللَّهِ عَنْهُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَحْمَتُهُ إِيَّاهُ ، ﴿الْفَوْزُ﴾ . أى : النجاة مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَالظَّفَرُ بِالطَّلِبَةِ ، ﴿الْمُبِينُ﴾ . يعنى الذى يَبَيِّنُ لِمَنْ رآه أَنَّهُ الظَّفَرُ بِالْحَاجَةِ ، وَإِذْرَاكَ الطَّلِبَةِ .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : ﴿مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ . قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فى قوله : ﴿مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ . قال : مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ الْعَذَابُ ^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(١٧) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا محمد ، إِنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ . يقول : بشدة فى دُنْيَاكَ ، / وَشَطَطٍ فى عَيْشِكَ ، وَضِيقٍ فِيهِ ^(٢) ، فَلَنْ يَكْشِفَ ذَلِكَ عَنْكَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِى أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَأَدْعَنَ لَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ ، دُونَ مَا يَدْعُوكَ الْعَادِلُونَ بِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ، وَدُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا مِنْ خَلْقِهِ ، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ . يقول : وَإِنْ يُصِيبَكَ بِخَيْرٍ . أى : بِرِخَاءٍ فى عَيْشٍ ، وَسَعَةٍ فى الرِّزْقِ ، وَكَثْرَةٍ فى الْمَالِ ^(٣) ، فَتَقَرَّ أَنَّهُ أَصَابَكَ بِذَلِكَ ،

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٠/٤ (٧١٥٥) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « وأرك » وفى ت ٢ : « دارك » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من » .

﴿ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . يقول تعالى ذكره : واللَّهُ الذي أصابك بذلك فهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، هو القادرُ على نفعك وضررك ، وهو على كلِّ شيءٍ يُريدُه قادرٌ ، لا يُعجزُه شيءٌ يُريدُه ، ولا يمتنعُ منه شيءٌ ^(١) طلبَه ، ليس كالألِهَةِ الدَّلِيلَةِ المِهْنَةِ التي لا تُقدِرُ على اجتلابِ نفعٍ على أنفسِها ولا غيرها ، ولا دفعِ ضرٍّ عنها ولا غيرها . يقولُ تعالى ذكره : فكيف تَعْبُدُ مَنْ كان هكذا ؟ أم كيف لا تُخلصُ العبادةَ ، وتُقرُّ لمن كان بيده الضرُّ والنفعُ ، والثوابُ والعقابُ ، وله القدرةُ الكاملةُ ، والعزةُ الظاهرةُ ؟

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ .
يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَهُوَ ﴾ : نفسه . يقولُ : واللَّهُ القاهرُ ^(٢) فوقَ عباده . ويعنى بقوله : ﴿ الْقَاهِرُ ﴾ : المذلُّ المُستَعْبِدَ خلقه ، العالى عليهم . وإنما قال : ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ . لأنه وصفَ نفسه تعالى بقهره إياهم ، ومن صفةٍ كلِّ قاهرٍ شيئاً أن يكون مُستَعْلِياً عليه .

فمعنى الكلامِ إذن : واللَّهُ الغالبُ عباده ، المذلُّ لهم ، العالى عليهم بتذليله لهم ، وخلقِه إياهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونَه .

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ الحكيمُ فى علوّه على عباده ، وقهره إياهم بقدرته ، وفى سائرِ تدبيره ، ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بمصالحِ الأشياءِ ومضارّها ، الذى لا يخفى عليه عواقبُ الأمورِ وبواديها ، ولا يَقَعُ فى تدبيره خللٌ ، ولا يَدْخُلُ حكمه دَخْلٌ ^(٣) .

القولُ فى تأويلِ قوله عز ذكره : ﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الظاهر » .

(٣) الدخُل : الفساد . اللسان (د خ ل) .

وَيَبَيِّنُكُمْ ﴿١٩﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجهلون نبوتك من قومك : أى شئ أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله الذى لا يجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى شهادة^(١) غيره من خلقه ؛ من السهو والخطأ والغلط والكذب . ثم قل لهم : إن / الذى هو أكبر الأشياء شهادة ﴿ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بالحق منا من المبطّل ، والرّشيد منا - فى فعله وقوله - من السفیه ، وقد رضينا به حكماً بيننا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى : ﴿ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ . قال : أمر محمد أن يسأل قريشاً ، ثم أمر أن يخبرهم فيقول : ﴿ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾^(٢) .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ .
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك :

(١) سقط من : م .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٠ . ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧١/٤ (٧١٥٩ ، ٧١٦٠) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى آدم بن أبى إياس وابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

﴿ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ ﴾ ﴿ عِقَابَهُ ، وَأُنْذِرَ بِهِ مَنْ بَلَغَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ غَيْرِكُمْ ، إِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ ، وَتَحْلِيلِ حَلَالِهِ ، وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ ، وَالْإِيمَانِ بِجَمِيعِهِ - نَزُولَ نَقْمَةِ اللَّهِ بِهِ .

وَبْنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، بَلِّغُوا وَلَوْ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ بَلَغَهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللَّهِ ؛ » ^(١) « أَخَذَهُ أَوْ تَرَكَهُ » ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « بَلِّغُوا عَنِ اللَّهِ ، فَمَنْ بَلَغَهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَقَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ اللَّهِ » ^(٣) .

حَدَّثَنَا هَنَادٌ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، [٧٤٧/١] قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ : ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ . قَالَ : مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَنْ بَلَغَ أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ ﴾ ^(٤) .

(١ - ١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أَخَذَهُ أَوْ تَرَكَهُ » ، وَفِي الدَّر الْمُنْثُور : « أَخَذَهَا أَوْ تَرَكَهَا » .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثُور ٧/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَأَبِي الشَّيْخِ مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ .

(٣) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٢٠٥/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ ١٢٧٢/٤ (٧١٦٦) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثُور ٧/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٤٦٨/١٠ (١٠٠٠٧) عَنْ وَكِيعٍ بِهِ بَلْفَظٍ : مَنْ قَرَأَ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ

١٢٧١/٤ (٧١٦٥) ، مِنْ طَرِيقِ وَكِيعٍ وَأَبِي أُسَامَةَ وَأَبِي خَالِدٍ بِهِ ، بِزِيَادَةٍ : وَكَلِمَةٍ . فِي حَدِيثِ أَبِي خَالِدٍ .

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمُنْثُور ٧/٣ إِلَى ابْنِ الضَّرِيرِ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن حسنِ بنِ صالحٍ ، قال : سألتُ ليثًا : هل بقي أحدٌ لم تبلغه الدعوة ؟ قال : كان مجاهدٌ يقولُ : حيثما يأتي القرآنُ فهو داعٍ ، وهو نذيرٌ . ثم قرأ : ﴿ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ ﴾ ^(١) .

١٦٣/٧ / حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ : ^(٢) مَنْ أَسْلَمَ ^(٢) مِنَ الْعَجَمِ ^(٣) وَغَيْرِهِمْ ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقٌ ، قال : ثنا خالدُ بنُ يزيدٍ ، قال : ثنا أبو معشرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ في قوله : ﴿ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ . قال : مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ أَبْلَغَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةٍ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ﴾ : يعني أهلَ مكة ، ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ : يعني : وَمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ ^(٥) .

حدَّثنا يونسٌ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يُحدِّثُ ، لا أعلمه إلا عن مجاهدٍ أنه قال في قوله : ﴿ وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ﴾ :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٣ إلى المصنف وأبي الشيخ .

(٢ - ٢) في تفسير ابن أبي حاتم : « من العرب والعجم » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٠ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧١/٤ (٧١٦٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٥) .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٠ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٧٠ تفسير) من طريق أبي معشر به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧١/٤ (٧١٦٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٤) من طريق

عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٣ إلى ابن المنذر .

العرب ، ﴿ وَمَنْ بَلَغٌ ﴾ : العجم ^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغٌ ﴾ : أما : ﴿ مَنْ بَلَغٌ ﴾ ، فمن بلغه القرآن فهو له نذير .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغٌ ﴾ . قال : يقول : مَنْ بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . وقرأ : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . قال : فمن بلغه القرآن ، فرسول الله ﷺ نذيره .

فمعنى هذا الكلام : لأُنذِرَكم بالقرآن أيها المشركون ، وأُنذِرَ مَنْ بلغه القرآن من الناس كلهم .

و ﴿ مَنْ ﴾ في موضع نصب بوقوع « أنذر » عليه ، و ﴿ بَلَغٌ ﴾ في صلاته ، وأسقطت الهاء العائدة على ﴿ مَنْ ﴾ في قوله : ﴿ بَلَغٌ ﴾ . لاستعمال العرب ذلك في صلات « من » و « ما » و « الذي » .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَيِنْكُم لَّتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴾ (١٩) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوتك ، العادلين بالله رباً غيره : ﴿ أَيِنْكُم ﴾ أيها المشركون ، ﴿ لَّتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾ . يقول : تشهدون أن معه معبودات غيره ، من الأوثان والأصنام .

(١) تفسير سفيان ص ١٠٦ . وأخرج أوله ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧١/٤ (٧١٦٢) عن يونس به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٣ إلى آدم بن أبي إياس وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

وقال : ﴿ أُخْرَى ﴾ . ولم يقل : أُخْر . والآلهة جمع ؛ لأن الجموع يلحقها التانيث ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ [طه : ٥١] . ولم يقل : الأول . ولا : الأولين .

ثم قال لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد : ﴿ لَا أَشْهَدُ ﴾ بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجد ذلك وأنكره ، ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ ﴾ . يقول : إنما هو معبود واحد ، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العباداة ، ﴿ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . يقول : قل : وإنني بريء من كل شريك تدعونه لله ، وتضيفونه إلى شركته ، وتعبّدونه / معه ، لا أعبد سوى الله شيئاً ، ولا أدعو غيره إلهاً .

١٦٤/٧

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأغيانهم ، من وجه لم تثبت صحته .

وذلك ما حدثنا به هناد بن السري وأبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء النّحام بن زيد ، وقزدم بن كعب ، وبخري^(١) بن عمرو^(٢) ، فقالوا : يا محمد ، ما تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا إله إلا الله ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو » . فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ . إلى قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) .

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يحيى » .

(٢) في النسخ : « عمير » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٥٦٨ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٢٧٢ (٧١٦٨) من طريق سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد من قوله . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧ / ٣ إلى ابن إسحاق وابن المنذر وأبي الشيخ .

القول في تأويل قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ : التوراة والإنجيل ، يعرفون
أنما هو إله واحد ، لا جماعة الآلهة ، وأن محمداً نبى مبعوث ، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ . من نعت ﴿ الَّذِينَ ﴾ الأولى .

ويعنى بقوله : ﴿ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ : أَهْلَكُوهَا وَأَوْبَقُوهَا ^(١) في نار جهنم ،
بإنكارهم محمداً أنه لله رسول مرسَل ، وهم بحقيقة ذلك عارفون ، ﴿ فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ . يقول : فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون .

وقد قيل : إن معنى خسارتهم أنفسهم ، أن كلَّ عبدٍ له منزل في الجنة ومنزل في
النار ، فإذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة ، وجعل
لأهل النار منازل أهل الجنة في النار ، فذلك خسران الخاسرين منهم ؛ لبئعهم منازلهم
من النار بمنازل أهل الجنة من النار ، بما فرط منهم في الدنيا ؛ من معصيتهم الله ،
وظلمهم أنفسهم ، وذلك معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٢) [المؤمنون : ١١] .

وبنحو ما قلنا في معنى قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ ﴾ . قال أهل التأويل .

(١) في م : « ألقوها » .

(٢) ذكر هذا القول الفراء في معاني القرآن ١ / ٣٢٩ ، وما سيذكره المصنف في تفسير هذه الآية في موضعه من
التفسير .

ذكر من قال ذلك

[٧٤٧/١] حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: يَعْرِفُونَ أَنْ الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ^(١).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: النَّصَارَى وَالْيَهُودُ، يَعْرِفُونَ رَسُولَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِمْ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ^(٢).

/حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثَنَا أُسْبَاطُ، عَنْ ١٦٥/٧ السَّدِيِّ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(٣).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثَنَى حُجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ. قَالَ: زَعَمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ^(٤) أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ أَسْلَمَ أَنَّهُمْ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَحْنُ أَعْرَفُ بِهِ مِنْ أَبْنَائِنَا، مِنْ أَجْلِ الصِّفَةِ وَالنَّعْتِ الَّذِي نَجِدُهُ فِي الْكِتَابِ، وَأَمَّا أَبْنَاؤُنَا فَلَا نَذَرِي مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير ١٢٧٣/٤ (٧١٧٢) من طريق يزيد به.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٢/٤ (٧١٦٩، ٧١٧٠) عن الحسن ابن يحيى به.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى أبي الشيخ وحده، وفيه: قال: يعنى يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم؛ لأن نعتهم في التوراة، ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ لأنهم كفروا به بعد المعرفة.

(٤) في ص، ت ١، ت ٣، س: «من».

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وَمَنْ أَشَدُّ اعتداءً ، وأخطأً فعلاً ، وأخطأً قولاً ، ﴿ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ؟ يعنى : ممن اختلق^(١) على الله قيل باطل ، واخترق^(٢) من نفسه عليه كذباً ، فزعم أن له شريكاً من خلقه ، وإلهاً يُعبد من دونه - كما قاله المشركون من عبدة الأوثان - أو ادعى له ولداً أو صاحبةً ، كما قالته النصارى ، ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ . يقول : أو كذب بحججه وأعلامه وأدلتيه التى أعطاهها رسله على حقيقة^(٣) نبوتها ، كما^(٤) كذبت بها اليهود ، ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ . يقول : إنه لا يُنجح^(٥) القائلون على الله الباطل ، ولا يُدركون البقاء فى الجنان ، والمفترون عليه الكذب ، والجاحدون بنبوة أنبيائه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المفتريين على الله كذباً ، والمكذبين بآياته ، لا يُفلحون اليوم فى الدنيا ، ولا ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ . يعنى : ولا فى الآخرة . وفى الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حُذِف .

وتأويل الكلام : إنه لا يُفْلِحُ الظالمون اليوم فى الدنيا ويوم نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا . فقوله : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾ . مَرْدُودٌ عَلَى الْمُرَادِ فى الكلام ؛ لأنه وإن كان

(١) اختلق واخترق : ابتدع الكذب . انظر اللسان (خ ر ق) ، (خ ل ق) .

(٢ - ٢) فى م : « نبوتهم » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « يصح » ، وفى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يفلح » . والمثبت كما تقدم فى تفسير المصنف للفلاح ، انظر ١/٢٥٦ ، ٣/٢٨١ ، ٦/٣٣٧ وغيرها .

محذوفاً منه ، فكأنه فيه ، لمعرفة السامعين بمعناه .

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آتِنِ شُرَكَاءُكُمْ ﴾ . يقول : ثم نقول إذا حشرنا هؤلاء المفتريين على الله الكذب ، بادعائهم له في سلطانه شريكاً ، والمكذبين بآياته ورسوله ، فجمعنا جميعهم يوم القيامة : ﴿ آتِنِ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم لكم آلهة من دون الله ؛ افتراءً وكذباً ، وتدعونهم من دونه أرباباً فأتوا بهم إن كنتم صادقين !

/القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم : ﴿ آتِنِ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ؟ إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك إذ فتناهم فاختبرناهم ، ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . كذباً منهم في أيمانهم على قائلهم ذلك .

ثم اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته جماعة من قراءة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (ثم لم تكن فتنتهم)^(١) . بالنصب^(٢) ، بمعنى : لم يكن اختبارناهم^(٣) إلا قائلهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ، غير أنهم كانوا^(٤) يقرءون : (تكن) . بالتاء على التأنيث ، وإن كانت للقول لا للفتنة ؛ لمجاورتها^(٥) الفتنة وهي خبر . وذلك عند أهل العربية شاذ غير فصيح في الكلام . وقد روى بيت للبيد بنحو ذلك ، وهو قوله^(٦) :

(١) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « بالياء » .

(٢) وهذه قراءة نافع وأبي عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر وفي رواية عن ابن كثير . السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٥ .

(٣) في م : « اختبارنا لهم » .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « لمجاورته » .

(٦) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٦ .

فمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّذَتْ^(١) إِقْدَامَهَا^(٢) فَقَالَ : وَكَانَتْ . بِتَأْنِيثٍ^(٢) الْإِقْدَامِ ؛ لِجَاوَرِيَّتِهَا^(٣) قَوْلُهُ : عَادَةً .

وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ قُرَآةِ الْكُوفِيِّينَ : (ثُمَّ لَمْ يَكُنْ) . بِالْيَاءِ ، (فِتْنَتَهُمْ) .
بِالنَّصْبِ ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ . بِنَحْوِ الْمَعْنَى الَّتِي قَصَدَهَا الْآخَرُونَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا
قِرَاءَتَهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا (يَكُونُ) لِتَذْكِيرِ (أَنْ)^(٤) .
وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا أَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ « أَنْ » أُثْبِتُ فِي الْمَعْرِفَةِ مِنَ
الْفِتْنَةِ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
مَعْنَاهُ : ثُمَّ لَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ :
قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ ﴾ . قَالَ : مَقَالَتُهُمْ . قَالَ مَعْمَرٌ : وَسَمِعْتُ
غَيْرَ قَتَادَةَ يَقُولُ : مَعْدَرَتُهُمْ^(٥) .

(١) عرذت : فرّدت . اللسان (ع ر د) .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وإن كانت وهى » .

(٣) وهذه قراءة حمزة والكسائي ولم يذكر المصنف قراءة من قرأ ﴿ ثم لم تكن ﴾ بالتاء (فيتنهم) بالرفع . وهى قراءة ابن عامر ، وعاصم فى رواية حفص ، ورواية عن ابن كثير . المصدر السابق . وانظر ما تقدم فى ١٢٢/٦ .

(٤) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٩٥/٤ عن توجيه هذه القراءة : لأن « أن » مع ما بعدها أجريت فى التعريف مجرى المضمر . وقال قبل ذلك فى ٨٧/٤ : وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١ .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ ﴾ . قال : قولهم ^(١) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ الآية : فهو كلامهم ، قالوا : ﴿ وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

/ حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ الْفَضْلَ بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ : ١٦٧/٧
ثنا عبيد بن سليمان ، قال سمعت الضحاک : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ ﴾ : يعني كلامهم ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك معذرتهم .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ ﴾ . قال : معذرتهم ^(٣) .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا [٧٤٨/١] وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . يقول : اعتذارهم بالباطل والكذب ^(٤) .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : معناه : ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله ، ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا ﴾

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٣/٤ (٧١٧٥) عن عطاء عن ابن عباس معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٤/٤ (٧١٧٩) من طريق أبي معاذ به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٣/٤ عقب الأثر (٧١٧٧) معلقا .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى عبد بن حميد .

مُشْرِكِينَ ﴿ فَوُضِعَتِ الْفِتْنَةُ مَوْضِعَ الْقَوْلِ ؛ لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَى الْكَلَامِ .

وإنما الفتنة الاختبار والابتلاء ، ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار ، وَضِعَتِ الْفِتْنَةُ الَّتِي هِيَ الْاِخْتِبَارُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ عَنْ جَوَابِهِمْ وَمَعْدَرَتِهِمْ .

وَاخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ أَيْضًا فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ : ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ؛ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قِرَاءَةَ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ : ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا ﴾ . خَفَضًا ، عَلَى أَنَّ الرَّبَّ نَعَتْ لِلَّهِ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ : (وَاللَّهُ رَبَّنَا) . بِالنَّصَبِ ، بِمَعْنَى : وَاللَّهُ يَا رَبَّنَا . وَهِيَ قِرَاءَةُ عَامَةٍ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ^(١) .

وَأُولَى الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ ^(٢) فِي ذَلِكَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : (وَاللَّهُ رَبَّنَا) . بِنَّصَبِ الرَّبِّ ، بِمَعْنَى : يَا رَبَّنَا . وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا جَوَابٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ الْمَقُولِ لَهُمْ : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ؟ وَكَانَ مِنْ جَوَابِ الْقَوْمِ لِرَبُّهُمْ : وَاللَّهُ يَا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . فَنفَوْا أَنْ يَكُونُوا قَالُوا ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا .

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ : مَا كُنَّا نَدْعُوكَ شَرِيكًا ، وَلَا نَدْعُو ^(٣) سِوَاكَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾ .

(١) بِالنَّصَبِ قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِيُّ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْكَسْرِ . التَّيْسِيرُ ص ٨٤ .

(٢) الْقِرَاءَتَانِ كِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لَكَ » .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : انظر يا محمد ، فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون برّبهم الأوثان والأصنام في الآخرة عند لقاء الله ، على أنفسهم بقليلهم : والله يا ربنا ما كنا مشركين . واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها يتخلّقون^(١) في الدنيا ، من الكذب والفريّة .

ومعنى النظر في هذا الموضع النظر بالقلب ، لا النظر بالبصر ، وإنما معناه : تبين فاعلم كيف كذبوا في الآخرة .

وقال : ﴿ كَذَبُوا ﴾ . ومعناه : يكذبون ؛ لأنه لما كان الخبر قد مضى في الآية قبلها ، صار كالشيء الذي قد كان ووجد .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ . يقول : وفارقهم الأنداد والأصنام ، / وتبرّءوا^{١٦٨/٧} منها ، فسلّكوا غير سبيلها ؛ لأنها هلكت ، وأعيد^(٢) الذين كانوا يعبدونها اجترأ ، ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قِيلهم فيها على الله ، وعبادتهم إياها ، وإشراكهم إياها في سلطان الله ، فضلت عنهم ، وعوقب عابدها بفريتهم .

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الضلال » الأخذ على غير الهدى^(٣) .

وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن مطرف ، عن المنهال

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « متخلّقون » ، وفي م : « متخلّقين » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عبدوا » .

(٣) ينظر ما تقدم في ٤١٥/٢ ، ٤١٦ .

ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : أتى رجل ابن عباس^(١) فقال : قال الله : ﴿ وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾^(٢) . وقال في آية أخرى : ﴿ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] . قال ابن عباس : أما قوله : ﴿ وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . فإنه لما رأوا أنه لا يَدْخُلُ الجنة إلا أهل الإسلام ، فقالوا : تعالوا لنَجْحَدُ . قالوا : ﴿ وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . فختَمَ الله على أفواههم ، وتكَلَّمَت أيديهم وأرجلهم ، ﴿ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾^(٣) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تُغْفَرُ - ولا يَغْفِرُ الله لمشرك - ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ : بتكذيب الله إياهم^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ بجوارحهم^(٤) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبي ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له : هاشم^(٥) ، عن سعيد بن جبير : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَيْنَا مَا كُنَّا

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) تقدم تخريجه في ٤٢ / ٧ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٠ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، (٧١٨٢ ، ٧١٨٤) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) في م : « هشام » . وينظر التاريخ الكبير ٨ / ٢٣٤ .

مُشْرِكِينَ ﴿ قَالَ : حَلَفُوا وَاعْتَذَرُوا ، قَالُوا : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا ﴾ ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : أقسموا واعتذروا : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا ﴾ .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يُقال له : هاشم ^(٢) ، عن سعيد بن جبيرة بنحوه .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن سفيان بن زياد الغضفري ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : لما أمر بإخراج رجال ^(٣) من ^(٤) النار من أهل التوحيد ، قال من فيها من المشركين : تعالوا نقول : لا إله إلا الله . لعنا نخرج مع هؤلاء . قال : فلم يُصدّقوا . قال : فحلفوا : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : فقال الله : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ : أى : يُشْرِكُونَ ^(٥) .

/ حدَّثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، [٧٤٨/١] ظ قال : ثنا المنهال بن عمرو ، ١٦٩/٧ عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم ، قالوا : تعالوا إذا سئلنا ^(٦) قلنا : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا ﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٤/٤ (٧١٨٣) من طريق حمزة الزيات به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٢) سقط من : س ، وفي ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هشام » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « رجل » .

(٤) بعده في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أهل » .

(٥) بعده في م ، والدر المنثور ٨/٣ : « به » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٥/٤ (٧١٨٧) من طريق يزيد به . وهو في الدر المنثور من تمام

الأثر المتقدم في ص ١٩١ .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « سألنا » .

مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١﴾ . فَسُئِلُوا ، فَقَالُوا ذَلِكَ ، فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَوَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ رَأَوْا ذَلِكَ : ﴿لَوْ نُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَى عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثَنَا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ ^(٢) ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ ، لَمَّا رَأَوْا ^(٣) أَهْلَ الشَّرِكِ أَهْلَ التَّوْحِيدِ يُغْفَرُ لَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ . قَالَ : ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ . بِخَفْضِهَا ^(٤) ، قَالَ : أَقْسَمُوا وَاعْتَذَرُوا . قَالَ الْحَارِثُ : قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : قَالَ سَفِيَانُ مَرَّةً أُخْرَى : ثَنَى هَاشِمٌ ^(٥) ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بَرِّهْمُ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ . يَقُولُ : مَنْ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ مِنْكَ ، وَيَسْتَمِعُ مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَلَا يَفْقَهُ مَا تَقُولُ ، وَلَا يُوعِيهِ قَلْبُهُ ، وَلَا يَتَذَكَّرُهُ ، وَلَا يُضْغِي لَهُ سَمْعَهُ لِيَتَفَقَّهَهُ فِيهِمْ حُجَجَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي تَنْزِيلِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ، إِنَّمَا يَسْمَعُ

(١) ينظر ما تقدم تخريجه في ٤٢ / ٧ .

(٢) في النسخ : « خلف » . وتقدم على الصواب في ٥١٣ / ٢ ، ٥٣٧ .

(٣) في م : « رأى » .

(٤) في م : « يخفضها » .

(٥) في النسخ : « هشام » .

صوتك وقراءتك وكلامك ، ولا يَعْقِلُ عنك ما تقول ؛ لأن الله قد جعل على قلبه أَكِنَّةً .

وهي جمعُ كِنَانٍ ، وهو الغطاء ، مثلُ سِنَانٍ وأَسْنَةٍ ، يُقالُ منه : أَكَنَنْتُ الشيءَ في نفسي - بالالف - وَكَنَنْتُ الشيءَ ، إذا غَطَّيْتَهُ . ومن ذلك ﴿ بَيَضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصفات : ٤٩] ، وهو الغطاء . ومنه قولُ الشاعر^(١) :

تَحْتَ عَيْنِ^(٢) كِنَانُنَا ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلٍ^(٣)

يعنى غطاءهم الذي يُكِنُّهم .

/ ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ . يقولُ تعالى ذكره : وَجَعَلَ فِي آذَانِهِمْ ثِقْلًا وَصَمَمًا ١٧٠/٧
عن فهمٍ ما تَتَلَوُ عَلَيْهِمْ ، والإصغاء لما تَدْعُوهم إليه .

والعربُ تَفْتَحُ الواوَ من الوَقْرِ في الأُذُنِ ، وهو الثُّقْلُ فيها ، وَتَكْسِرُها في الحِمْلِ ، فتقولُ : هو وَقْرُ الدابةِ . ويقالُ مِنَ الحِمْلِ : أَوْقَرْتُ الدابةَ . فهي موقورة^(٤) ، ومن السمعِ : وَقَرْتُ سمعه . فهو موقَّرٌ^(٥) . ومنه قولُ الشاعر^(٦) :

* ولى هامةٌ قد وَقَرَّ الضربُ سَمْعَهَا *

وقد ذُكِرَ سماعًا منهم : وَقَرْتُ أُذُنُهُ إذا ثَقُلَتْ ، فهي مَوْقُورَةٌ ، وَأَوْقَرْتُ النخلةَ فهي مُوقِرٌ . كما قيل : امرأةٌ طامَتْ وحائِضٌ . لأنه لا حظَّ فيه للمذكِرِ ، فإذا أُريدَ أن الله أَوْقَرَهَا ، قيل : مُوقِرَةٌ .

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، كما في مجاز القرآن ٤٦/١، ١٨٨ واللسان (ك ن ن) . وليس في ديوانه .

(٢) العين : السحاب . اللسان (ع ي ن) .

(٣) المرحل : ضُرب من بُرود اليمن ، سُمي مرحلا لأن عليه تصاوير رحل . اللسان (رح ل) .

(٤) في م : « موقرة » .

(٥) في م : « موقور » .

(٦) التبيان ١٠٣/٤ .

وقال تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ . بمعنى : ألاَّ يَفْقَهُوهُ . كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] . بمعنى : ألاَّ تَضِلُّوا ؛ لأن الكِنَّ إنما يجعل على القلب لئلا يفقهه ، لا ليفقهه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ . قال : يسمعون به بأذانهم ، ولا يعون منه شيئاً ، كمثّل البهيمة التي تسمع النداء ، ولا تدري ما يقال لها^(١) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ . وفيه أذانهم وقرأ : ﴿ أَمَا ﴾ : ﴿ أَكِنَّةً ﴾ : فالغطاء أكن قلوبهم ، لا يفقهون الحق ، ﴿ وفيه أذانهم وقرأ ﴾ . قال : صم^(٢) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ . قال : قرش^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٩/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٦/٤ (٧١٩٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٥/٤ ، ١٢٧٦ (٧١٩٠ ، ٧١٩١ ، ٧١٩٣) من طريق أحمد بن المفضل به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى أبي الشيخ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٠ . ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٥/٤ (٧١٨٨) .

مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وإن يَرَوْا هؤلاء العادِلون برُبِّهم الأوثان والأصنام ، الذين جَعَلْتُ على قلوبهم أَكِنَّةً أَنْ / يَفْقَهُوا عَنْكَ مَا يَسْمَعُونَ مِنْكَ ، ﴿كُلُّ آيَةٍ﴾ . ١٧١/٧ .
يقول : كُلُّ حُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ تَدُلُّ أَهْلَ الْحِجَا وَالْفَهْمِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَصَدَقَ قَوْلُكَ ، وَحَقِيقَةُ نَبَوِّتِكَ ، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ . يقول : لَا يُصَدِّقُونَ بِهَا ، وَلَا يُقَرِّونَ بِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ دَالَّةٌ ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ . يقول : حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا إِلَيْكَ بَعْدَ مُعَايِنَتِهِمُ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى حَقِيقَةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ ، ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ . يقول : يُخَاصِمُونَكَ ، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . يعنى بذلك : الذين جَعَدُوا آيَاتِ اللَّهِ وَأَنْكَرُوا حَقِيقَتَهَا ، يَقُولُونَ لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَمِعُوا حُجَجَ اللَّهِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ ، وَبَيَانَهُ الَّذِي بَيَّنَّهُ لَهُمْ : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ . أى : مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .

وَالْأَسَاطِيرُ جَمْعُ إِسْطَارَةٍ وَأُسْطُورَةٍ ، مِثْلُ أَفْكُوهٍ وَأُضْحُوكَةٍ . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ أَسْطَارًا ، مِثْلُ آيَاتٍ وَأَبَابِيَّتٍ ، وَأَقْوَالٍ وَأَقَاوِيلٍ ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾ [الطور : ٢] . مِنْ : سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا .

[١/٧٤٩و] فَإِنْ كَانَ مِنْ هَذَا ، فَإِنْ تَأْوِيلُهُ : مَا هَذَا إِلَّا مَا كَتَبَهُ الْأَوَّلُونَ .

وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَهُ بِهَذَا التَّأْوِيلِ ، وَيَقُولُونَ : مَعْنَاهُ : إِنْ هَذَا إِلَّا أَحَادِيثُ الْأَوَّلِينَ .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ الْمُشَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ،

عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس^(١) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أمّا ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ : فأساجيع الأولين^(٢) .

وكان بعض أهل العلم - وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى - بكلام العرب يقول^(٣) : الإسطورة لغة ،^(٤) ومجازها^(٥) الترهات .

وكان الأخفش يقول : قال بعضهم : واحده أسطورة . وقال بعضهم : إسطورة . قال : ولا أراه إلا من الجميع^(٦) الذي ليس له واحد ، نحو العباديد^(٧) والمذاكير والأبائيل . قال : وقال بعضهم : واحد الأبائيل إيئل . وقال بعضهم : إيؤل . مثل عجول^(٨) ، ولم أجِد العرب تعرف له واحدا ، وإنما هو مثل عباديد لا واحد لها . وأما الشمايط^(٩) ، فإنهم يزعمون أن واحده شمطاط . قال : وكل هذه لها واحد ، إلا أنه لم يشتغل ولم يتكلم به ، لأن هذا المثال لا يكون إلا جميعا^(١٠) . قال : وسمعت العرب الفصحاء تقول : أرسل خيله أبائيل . تريد جماعات ، فلا تتكلم بها بواحدة^(١١) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٦/٤ (٧١٩٧) من طريق أحمد بن مفضل به . وهو من تمام الأثر المتقدم في ص ١٩٨ .

(٣) مجاز القرآن ١/١٨٩ .

(٤ - ٤) في م : « الخرافات » ، وفي مجاز القرآن : « ومجازها مجاز الترهات » .

(٥) في م : « الجمع » .

(٦) في م : « العبايد » والعبايد والعبايد : الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها . اللسان (ع ب د) .

(٧) العجول والعجل : ولد البقرة . اللسان (ع ج ل) .

(٨) الشمايط : القطع المتفرقة . اللسان (ش م ط) .

(٩) في م : « جمعا » .

(١٠) في م : « موحد » .

وكانت مُجادِلُهم رسولَ اللَّهِ ﷺ التي ذَكَرَها اللَّهُ في هذه الآية فيما ذَكَرَ ، ما حَدَّثَنِي به مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : ثَنِي أَبِي ، قال : ثَنِي عَمِي ، قال : ثَنِي أَبِي ، عن أَبِيهِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ الآية . قال : هم المشركون ، يُجَادِلُونَ المسلمين في الذِّبْحَةِ ، يقولون : أما ما ذَبَحْتُمْ وَقَتَلْتُمْ فَتَأْكُلُونَ ، وأما ما قَتَلَ اللَّهُ فلا تَأْكُلُونَ ، وأنتم تَتَّبِعُونَ أمرَ اللَّهِ تعالى !^(١)

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : هؤلاء المشركون المكذِّبون بآياتِ اللَّهِ ، يَنْهَوْنَ الناسَ عن اتِّباعِ مُحَمَّدٍ ﷺ والقبولِ منه ، ﴿ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ : يَتَّبِعُونَ عنه .

١٧٢/٧

ذكرُ مَنْ قال ذلك

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا حفصُ بْنُ غِيَاثٍ وَهَانِيُّ بْنُ سَعِيدٍ ، عن حجاجٍ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ الحَنْفِيَّةِ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : يَتَخَلَّفُونَ عن النَّبِيِّ ﷺ ولا يُجِيبُونَهُ ، وَيَنْهَوْنَ الناسَ عنه^(٢) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قال : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قال : ثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عن عليِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . يعني : يَنْهَوْنَ الناسَ عن مُحَمَّدٍ أَنْ يُؤْمِنُوا به ، ﴿ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ : يعني : يَتَّبِعُونَ عنه^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٦/٤ (٧١٩٤، ٧١٩٦) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٧/٤ (٧٢٠١) من طريق حفص بن غياث به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٧/٤، ١٢٧٨ (٧٢٠٠، ٧٢٠٧) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السَّيِّدِيِّ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ : أَنْ يُتَّبَعَ مُحَمَّدٌ ، وَيَتَّبَعَدُونَ هُمْ
مِنْهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ . يَقُولُ : لَا يُلْقَوْنَهُ ، وَلَا
يَدْعُونَ أَحَدًا يَأْتِيهِ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَهُمْ
يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ . يَقُولُ : عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ : جَمَعُوا النَّهْيَ وَالنَّأْيَ ، وَالنَّأْيُ ^(٣) التَّبَاعُدُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ مَعْنَاهُ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ : عَنِ الْقُرْآنِ أَنْ يُسْمَعَ لَهُ وَيُعْمَلَ
بِمَا فِيهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قَالَ : يَنْهَوْنَ عَنِ الْقُرْآنِ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ ،
﴿ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ : وَيَتَّبَعَدُونَ عَنْهُ ^(٤) .

(١) انظر تفسير البغوي ١٣٦/٣ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى المصنف .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ س : « النهي » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢٠٥/١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٧/٤ (٧٢٠٣) عن الحسن بن يحيى
به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : قریش ، عن الذَّكْرِ ، ﴿ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . يقول : يتباعدون ^(١) .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ : قریش عن الذَّكْرِ ، ﴿ يَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ : يتباعدون .

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : يَنْهَوْنَ عن القرآن وعن النبي ﷺ ، ويتباعدون عنه .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : ﴿ يَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ يتعدونه ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم يَنْهَوْنَ عن أذى محمد ﷺ ، ﴿ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ : يتباعدون عن دينه وأتباعه .

١٧٣/٧

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا وكيع وقبيصة ، وحدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سميع ابن عباس يقول : نزلت في

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢١ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٧/٤ (٧٢٠٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٣ إلى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في م : « يبعدون » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٨/٤ (٧٢٠٨) من طريق أصبغ بن الفرغ عن ابن زيد به .

أبي طالب ، كان يَنْهَى عن محمدٍ أن يُؤذَى ، وَيَنْأَى عما جاء به أن يُؤْمِنَ به ^(١) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، قال : ثنى من سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [٧٤٩/١ ظ] وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ . قال : نزلت في أبي طالبٍ ، يَنْهَى عنه أن يُؤذَى ، وَيَنْأَى عما جاء به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عمن سمِع ابنَ عباسٍ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : نزلت في أبي طالبٍ ، كان ^(٢) يَنْهَى المشركين أن يُؤذُوا محمدًا ، وَيَنْأَى عما جاء به ^(٣) .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا عبدةٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن القاسمِ بنِ مخيمرةٍ ، قال : كان أبو طالبٍ يَنْهَى عن النبي ﷺ ولا يُصدِّقُه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ قال : ثنا أبي ومحمدُ بنُ بشرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن القاسمِ بنِ مخيمرةٍ في قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : نزلت في أبي طالبٍ . قال ابنُ وكيعٍ : قال ابنُ بشرٍ : كان أبو طالبٍ يَنْهَى عن النبي ﷺ أن يُؤذَى ، ولا يُصدِّقُ به ^(٤) .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن أبي محمدٍ الأسديِّ ، عن حبيبِ بنِ

(١) تفسير سفيان ص ١٠٦ ، ومن طريقه الحاكم ٣١٥ / ٢ ، والبيهقي في الدلائل ٣٤٠ / ٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٦ / ٤ ، ١٢٧٨ ، (٧١٩٩ ، ٧٢٠٦) من طريق وكيع به . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٧٤ - تفسير) ، والطبراني (١٢٦٨٢) من طريق حبيب بن أبي ثابت به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قال » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦ / ١ ، ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٣٤٠ / ٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٣ إلى المصنف وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

أبي ثابت ، قال : ثنى من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ : نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، ويتأى عما جاء به أن يتبعه ^(١) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة في قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ . قال : نزلت في أبي طالب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد ^(٢) الله بن موسى ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب ، قال : ذاك أبو طالب . في قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سعيد بن أبي أيوب ، قال : قال عطاء بن دينار في قول الله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ : إنها نزلت في أبي طالب ، أنه كان ينهى الناس عن إيذاء رسول الله ﷺ ، ويتأى عما جاء به من الهدى ^(٣) .

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : تأويله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ : عن اتباع محمد ﷺ من سواهم من الناس ، ويتأون عن اتباعه . وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به ^(٤) ، والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ . خبراً عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدل / على انصراف ١٧٤/٧ الخبر عنهم إلى غيرهم ، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ ، دون أن يكون خبراً عن خاص منهم .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٢٤٣/٣ .

(٢) في النسخ : « عبد » . وقد مضى مرارا .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ إلى المصنف .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بهم » .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : وَإِنْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ يَا مُحَمَّدُ كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُونَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْأَوَّلِينَ وَأَخْبَارُهُمْ . وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ اسْتِمَاعِ التَّنْزِيلِ ، وَيَتَأَوَّنَ عَنْكَ ، فَيَتَعَدُّونَ مِنْكَ وَمِنْ اتِّبَاعِكَ ، ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يَقُولُ : وَمَا يُهْلِكُونَ بِصِدْقِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ تَنْزِيلِهِ ، وَكَفَرِهِمْ بِرَبِّهِمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ لَا غَيْرَهَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُكْسِبُونَهَا بِفَعْلِهِمْ ذَلِكَ سَخَطَ اللَّهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ ، وَمَا لَا قِبَلَ لَهَا بِهِ ، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . يَقُولُ : وَمَا يَذُرُّونَ مَا هُمْ مُكْسِبُوهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ بِفَعْلِهِمْ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَنْ بَعْدَ عَنْ شَيْءٍ : قَدْ نَأَى عَنْهُ ، فَهُوَ يَنُأَى نَأًيًا . وَمَسْمُوعٌ مِنْهُمْ : نَأَيْتُكَ . بِمَعْنَى : نَأَيْتُ عَنْكَ . وَأَمَّا إِذَا أَرَادُوا : أَبْعَدْتُكَ عَنِّي . قَالُوا : أَنَأَيْتُكَ . وَمِنْ : نَأَيْتُكَ . بِمَعْنَى : نَأَيْتُ عَنْكَ . قَوْلُ الْحَطِيبَةِ ^(١) :

نَأَيْتُكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا بِطَيْفٍ ^(٢) خَيَالًا ^(٣)

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ نَكَذَّبَ بِحَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ ، الْجَاهِلِينَ نَبَوَّتِكَ ، الَّذِينَ وَصَفْتُ لَكَ صِفَتَهُمْ ﴿ إِذْ وَقَفُوا ﴾ . يَقُولُ : إِذْ حُبِسُوا ﴿ عَلَى النَّارِ ﴾ : يَعْنِي : فِي النَّارِ . فَوُضِعَتْ « عَلَى » مَوْضِعَ « فِي » ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

(١) ديوانه ص ٢١٤ .

(٢) فِي نَسْخَةٍ مِنَ الدِّيَّانِ : « بَغِيب » ، وَفِي نَسْخَةٍ : « بَعِين » .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حَدَّثَنِي يُونُس » ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ ، قَالَ : قَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ ، كَانَ يَنْهَى النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَنْأَى عَمَّا جَاءَ بِهِ . وَهُوَ تَكَرَّرَ لِلْأَثَرِ الْمُتَقَدِّمِ فِي ص ٢٠٥ .

بمعنى : فى ملك سليمان .

وقيل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا ﴾ . ومعناه : إذا وقفوا ؛ لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تَضَعُ «إذ» مكان «إذا» ، و «إذا» مكان «إذ» ، وإن كان حظُّ «إذ» أن تُصاحِبَ من الأخبار ما قد وُجد فقضى ، وحظُّ «إذا» أن تُصاحِبَ من الأخبار ما لم يُوجد^(١) ، ولكن ذلك كما قال الراجز ، وهو أبو النجم^(٢) :

مَدُّ لَنَا فِي عُمرِهِ رَبُّ طَهَا^(٣)

ثم جزاه الله عنا إذ جرى

جناتٍ عَذْبٍ فى العَلَالِي العَلَا

فقال : ثم جزاه الله عنا إذ جرى . فوضع «إذ» مكان «إذا» .

وقيل : ﴿ وَقِفُوا ﴾ . ولم يُقَلْ : أوقفوا . لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب ، يقال : وقفت الدابة وغيرها - بغير ألف - إذا حبستها . وكذلك : وقفت الأرض . إذا جعلتها صدقةً حبيساً . بغير ألف .

/وقد حدثنى الحارثُ ، عن^(٤) أبى عُبيدٍ ، قال : أخبرنى اليزيدى ١٧٥/٧ والأصمعى ، كلاهما عن أبى عمرو ، قال : ما سمعتُ أحداً من العرب يقول : أوقفْتُ الشيءَ . بالألف . قال : إلا أنى لو رأيتُ رجلاً بمكانٍ فقلتُ : ما أوقفك ههنا ؟ بالألف ، [٧٥٠/١] لرأيتُه حسناً^(٥) .

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) تقدم تخريج الآيات فى ص ١٣٤ .

(٣) قال فى اللسان (ط و ا) : فإنما أراد : رب طه السورة فحذف الألف .

(٤) فى م : « بن » ، وهو خطأ .

(٥) تهذيب اللغة ٣٣٣/٩ ، الصحاح (وق ف) بنحو ما هنا .

﴿ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرَدُّ ﴾ . يقول : فقال هؤلاء المشركون برّبهم إذ حُبِسوا في النار : يا ليتنا نُرَدُّ إلى الدنيا حتى نَتُوبَ ونُراجِعَ طاعةَ الله ، ﴿ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ . يقول : وَلَا نَكْذِبَ بِحُجَجِ رَبِّنَا وَلَا نَجْحَدَهَا ، ﴿ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . يقول : وَنَكُونُ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِاللَّهِ وَنُحْجِجَهُ وَرُسُلِهِ ، مُتَّبِعِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقَيْنِ ^(١) : (يا ليتنا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ^(٢) . بمعنى : يا ليتنا نُرَدُّ ، وَلِسْنَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَلَكِنَّا ^(٣) نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْكُوفَةِ : ﴿ يَلَيِّنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . بمعنى : يا ليتنا نُرَدُّ ، وَأَنْ لَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) . وتأولوا في ذلك شيئاً حَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ ، قَالَ : ثنا الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ هَارُونَ ، قَالَ : فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (يا ليتنا نُرَدُّ فَلَا نَكْذِبُ) . بِالْفَاءِ ^(٥) .

وَذَكَرَ عَنْ بَعْضِ قِرَاءَةِ أَهْلِ الشَّامِ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ : (يا ليتنا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ) بِالرَّفْعِ (وَنَكُونُ) ^(٦) بِالنَّصْبِ . كَأَنَّهُ وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ إِلَى أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا الرَّدَّ ، وَأَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُخْبِرُوا أَنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ إِنْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا .

(١) فِي النِّسْخِ : « الْعِرَاقَيْنِ » . وَالْعِرَاقَانِ هُمَا الْبَصْرَةُ وَالْكُوفَةُ . وَيَنْظُرُ مَا سَيَأْتِي فِي ص ٢١٩ .
(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَالْكَسَائِيُّ وَعَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ٢٥٥ .

(٣) فِي م : « لَكِن » .

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَعَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ ، وَرِوَايَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٥) عَزَاهُ السِّيَوِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ٩/٣ إِلَى الْمَصْنُفِ وَأَبِي عُبَيْدٍ ، وَالْقِرَاءَةُ شَاذَةٌ .

(٦) وَهِيَ رِوَايَةُ هِشَامِ بْنِ عِمَارٍ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ . يَنْظُرُ السَّبْعَةُ ص ٢٥٥ .

واختَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ مَنْصُوبًا وَمَرْفُوعًا ؛ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِييِ الْبَصْرَةِ : ﴿ لَا تُكَذِّبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ نَصَبٌ لِأَنَّهُ جَوَابٌ لِلتَّمْنَى ، وَمَا بَعْدَ الْوَائِ كَمَا بَعْدَ الْفَاءِ . قَالَ : وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَ ، وَجَعَلْتَهُ عَلَى غَيْرِ التَّمْنَى ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا : وَلَا تُكَذِّبُ وَاللَّهُ بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَتَكُونُ وَاللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . هَذَا إِذَا كَانَ عَلَى ذَا الْوَجْهِ كَانَ مُنْقَطِعًا مِنَ الْأَوَّلِ . قَالَ : وَالرَّفْعُ وَجْهُ الْكَلَامِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَصَبَ جَعَلَهَا وَائٍ عَطْفٍ ، فَإِذَا جَعَلَهَا وَائٍ عَطْفٍ ، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ تَمَنَّوْا أَنْ لَا يُكَذِّبُوا ، وَأَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَا يَكُونُ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَنَّوْا هَذَا ، إِنَّمَا تَمَنَّوْا الرَّدَّ ، وَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ وَيَكُونُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِييِ الْكُوفَةِ يَقُولُ : لَوْ نُسِبَ ﴿ نَكَذَّبَ ﴾ وَ ﴿ وَتَكُونُ ﴾ عَلَى الْجَوَابِ بِالْوَائِ ^(١) لَكَانَ صَوَابًا . قَالَ : وَالْعَرَبُ تُجِيبُ بِالْوَائِ وَ « ثُمَّ » كَمَا تُجِيبُ بِالْفَاءِ ، يَقُولُونَ : لَيْتَ لِي مَالًا وَأُعْطِيكَ ، وَلَيْتَ لِي مَالًا فَأُعْطِيكَ ، وَ : ثُمَّ أُعْطِيكَ . قَالَ : وَقَدْ تَكُونُ نَصَبًا عَلَى الصَّرْفِ ^(٢) ، كَقَوْلِكَ : لَا يَسْغُنِي شَيْءٌ وَيَعْجِزُ عَنْكَ .

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ : لَا أَحِبُّ النَّصَبَ فِي هَذَا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِتَمَنٍّ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ أَخْبَرُوا بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَذَّبَهُمْ فَقَالَ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ . وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّكْذِيبُ لِلْخَبَرِ لَا لِلتَّمْنَى .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ بِالْوَائِ ، وَبِحَرْفٍ غَيْرِ الْفَاءِ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّمَا الْوَائُ مَوْضِعُ حَالٍ : لَا يَسْغُنِي شَيْءٌ وَيَضِيقُ عَنْكَ . أَيْ : وَهُوَ يَضِيقُ عَنْكَ . قَالَ : وَكَذَلِكَ الصَّرْفُ فِي جَمِيعِ الْعَرَبِيَّةِ . قَالَ : وَأَمَّا الْفَاءُ فَجَوَابُ جَزَاءٍ : مَا قَمَتَ فَنَأْتِيكَ ^(٣) . أَيْ : لَوْ قَمَتَ لَأَتَيْتَنَّاكَ . قَالَ : فَهَكَذَا حَكَمَ الصَّرْفُ وَالْفَاءُ .

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قَالُوا » .

(٢) يَنْظُرُ كَلَامَ الْمُصَنِّفِ عَلَى الصَّرْفِ فِي ١/٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦/٩٢ .

(٣) فِي م : « فَأَتِيكَ » وَفِي س : « فَأَتِيكَ » .

١٧٦/٧ / قال : وأما قوله : ﴿ وَلَا تُكْذِبْ ﴾ ﴿ وَتَكُونْ ﴾ . فإنما جاز لأنهم قالوا : يا ليتنا نُرَدُّ في غير الحال التي وقفنا فيها على النار . فكان وقفهم في تلك ، فتمنَّوا أن لا يكونوا وقفوا في تلك الحال .

وكان معنى صاحب هذه المقالة في قوله هذا : ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا : قد وقفنا عليها مُكْذِبِينَ بآيات ربنا كفارًا ، فيا ليتنا نُرَدُّ إليها فنوقف عليها غير مُكْذِبِينَ بآيات ربنا ، ولا كفارًا .

وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل ، وذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ . فأخبر الله تعالى ذكره أنهم في قيلهم ذلك كذبة ، والتكذيب لا يقع في التمني ، ولكن صاحب هذه المقالة أظن به أنه لم يتدبر التأويل ، ولزم سنن العريية .

والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك : (يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكْذِبُ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) . بالرفع في كليهما ، بمعنى : يا ليتنا نُرَدُّ ، ولسنا نُكْذِبُ بآيات ربنا إن رُدِّدنا ، ولكننا نكون من المؤمنين . على وجه الخبر منهم عما يفعلون إن هم رُدُّوا إلى الدنيا ، لا على التمني منهم ألا يكذبوا بآيات ربهم ، ويكونوا من المؤمنين ؛ لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو رُدُّوا لعادوا لما نُهُوا عنه ، وأنهم كذبة في قيلهم ذلك . ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمني لاشتعال تكذيبهم فيه ؛ لأن التمني لا يكذب ، وإنما يكون التصديق والتكذيب في الأخبار .

وأما النصب في ذلك ، فإنني أظن بقارئه أنه برجاء^(١) تأويل قراءة عبد الله التي ذكرناها عنه ، وذلك قراءته ذلك : (يا ليتنا نُرَدُّ فلا نُكْذِبُ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) . على وجه جواب التمني بالفاء ، وهو إذا قرئ بالفاء كذلك ،^(٢) ولا شك

(١) كذا في م ، ت ٢ ، س ، وغير منقوطة في ص ، ت ١ ، وأثبتها الشيخ شاکر : « توخى » .

(٢- ٢) في م : « لا » .

فى صحفة إعرابه ومعناه فى ذلك ؛ أن تأويله إذا قرئ كذلك : لو أننا رددنا إلى الدنيا ما كذبنا بآيات ربنا ، ولكننا من المؤمنين . فإن يكن الذى ^(١) حكى من حكى عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو و « ثم » ، كهيئة الجواب بالفاء صحيحا ، فلا شك فى صحفة قراءة من قرأ ذلك : ﴿ يَلَيِّنَا نُرْدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ ﴾ . نصبا على جواب التمنى بالواو ، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء ، وإلا فإن القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ، ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا ، بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء ، والصرف بالواو .

القول فى تأويل قوله : ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ما ^(٢) قصد هؤلاء ^(٣) العادلين برؤهم ، الجاحدين نبوتك يا محمد ، فى قيلهم إذا وقفوا على النار : ﴿ يَلَيِّنَا نُرْدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . الأسى والندم على ترك [٧٥٠ / ١] الإيمان بالله والتصديق بك ، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه ، على معاصيهم التى كانوا يخفونها عن أعين الناس ، ويستترونها منهم ، فأبداها الله منهم يوم القيامة ، وأظهرها على رعوس الأشهاد ، ففضحهم بها ، ثم جازاهم بها جزاءهم .

يقول : بل بدا لهم ما كانوا يخفون من ^(٣) أعمالهم السيئة التى كانوا يخفونها من قبل ذلك فى الدنيا ، فظهرت ، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا ﴾ . يقول : ولو رددوا إلى الدنيا فأمهلوا ، / ﴿ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ . يقول : لرجعوا إلى مثل العمل الذى كانوا

(١) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ذكر » .

(٢-٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « هؤلاء » . وأثبتها الشيخ شاكر : « هؤلاء » . استظهارا من السياق بعدها .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ ذَلِكَ ؛ مِنْ جُحُودِ آيَاتِ اللَّهِ ، وَالْكَفْرِ بِهِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُشْخِطُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فِي قِيلِهِمْ : لَوْ زِدْنَا لَمْ نُكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . لَأَنَّهُمْ قَالُوهُ حِينَ قَالُوهُ خَشْيَةَ الْعَذَابِ لَا إِيمَانًا بِاللَّهِ .
وبالذی قلنا فی ذلك قال أهل التأویل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ . يَقُولُ : بَدَثَ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي أَخَفَّوْهَا فِي الدُّنْيَا ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ . قَالَ : مِنْ أَعْمَالِهِمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ . يَقُولُ : وَلَوْ وَصَلَ اللَّهُ لَهُمْ دُنْيَا كَدُنْيَاهُمْ ، لَعَادُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ ؛ أَعْمَالِ السُّوءِ ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٧٩/٤ (٧٢١٤ ، ٧٢١٥) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفْضِلِ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ٩/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢٠٧/١ وَسَقَطَ مِنْهُ : قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ - وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٧٩/٤ (٧٢١٣) عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٧٩/٤ (٧٢١٨ ، ٧٢١٩) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ٩/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

والأصنام ، الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم .

يقول تعالى ذكره : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ . يُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي خَلْقَهُ بَعْدَ أَنْ يُمَيِّتَهُمْ ، ويقولون : لا حياة بعد الممات ، ولا بعث ولا نُشُورَ بعدَ الفناء . فهم بِجُحُودِهِمْ ذَلِكَ ، وإنكارِهِمْ ثَوَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، لَا يُيَالُونَ مَا أَتَوْا وَمَا رَكِبُوا مِنْ إِثْمٍ وَمَعْصِيَةٍ ؛ لأنَّهُمْ لَا يَزُجُّونَ ثَوَابًا عَلَى إِيْمَانٍ بِاللَّهِ ، وَتَصَدِيقٍ بِرَسُولِهِ ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ بَعْدَ مَوْتٍ ، وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَسَيِّئٌ ^(١) مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ : هذا خبرٌ مِنَ اللَّهِ تعالى ذكره عن هؤلاء الكفرة الذين وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ، أَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا لَقَالُوا : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ .

حدَّثَنَا يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ : وَقَالُوا حِينَ يُرَدُّونَ : ﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ^(٢) .

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ^(٣) .

يقولُ تعالى ذكره : لو ترى يا محمدُ هؤلاء القائلين : ما هي إلا حياتنا الدنيا وما

نحن بمبعوثين . / ﴿ إِذْ وَقَفُوا ﴾ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَى : حُبِسُوا ﴿ عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ . يعنى : ١٧٨/٧ على حكمِ اللَّهِ وقضائه فيهم ، ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ . يقولُ : فقل لهم :

(١) فى م ، س ، ت ١ ، ت ٣ : « شىء » . وغير منقوطة فى ص ، ت ٢ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٩ / ٤ (٧٢٢٠) من طريق أصبغ بن الفرّج عن ابن زيد به .

أليس هذا البعثُ والنَّشْرُ بعدَ المماتِ الذى كنتم تُنْكِرُونَهُ فى الدنيا حقًّا ؟ فأجابوا فقالوا : ﴿ بَلَى ﴾ واللهِ إنه لحقٌّ . ﴿ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ . يقولُ : فقال اللهُ تعالى ذكره لهم : فَذُوقُوا الْعَذَابَ الذى كنتم به فى الدنيا تُكْذِبُونَ ، ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : بتكذيبكم به وجحودكموه الذى كان منكم فى الدنيا .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ : قد هلك وُكُسُ فى بيعهم الإيمانَ بالكفرِ ، ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ . يعنى : الذين أنكروا البعثَ بعدَ المماتِ ، والثوابَ والعقابَ ، والجنةَ والنارَ ، مِن مُشْرِكِي قريشٍ وَمَن سَلَكَ سَبِيلَهُمْ فى ذلك ، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ ﴾ . يقولُ : حتى إذا جاءَتْهم الساعةُ التى يَبْعَثُ اللهُ فيها الموتى من قبورهم .

وإنما أُذِخِلَتِ الألفُ واللامُ فى ﴿ السَّاعَةُ ﴾ ؛ لأنها معروفةُ المعنى عندَ المخاطبين بها ، وأنها مقصودٌ بها قصدُ الساعةِ التى وَصَفَتْ .

ويعنى بقوله : ﴿ بَغْتَةً ﴾ : فجأةً مِن غيرِ علمٍ مَن تَفْجُوهُ بوقتٍ مُفاجأتها إياه . يقالُ منه : بَغْتَهُ أَبْغَتْهُ بَغْتَةً . إذا أَخَذْتَهُ كَذَلِكَ .

﴿ قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ . يقولُ تعالى ذكره : وُكُسُ الذين كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ، ببيعهم منازلهم مِنَ الجنةِ بِمنازلٍ مَن اشْتَرَوْا منازلَهُ مِنْ أَهْلِ الجنةِ مِنَ النارِ ، فإذا جاءَتْهم الساعةُ بَغْتَةً قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشْتَرَوْا ، وتَبَيَّنُوا خسارةَ صَفْقَةٍ يَبِيعُهم التى سَلَفَتْ منهم فى الدنيا ؛ تَنْدَمًا وتَلَهْفًا على عَظِيمِ الغَبَنِ الذى غَبَّوهُ أَنْفُسَهُمْ ، وَجَلِيلِ الْخُسْرَانِ الذى لا خُسْرَانَ أَجَلٌ منه : ﴿ يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ . يقولُ : يا نَدَامَتَنَا على ما ضَيَّعْنَا فيها . يعنى : فى صَفْقَتِهِمْ تلكَ .

والهَاءُ وَالْأَلْفُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فِيهَا ﴾ . مِنْ ذِكْرِ الصَّفْقَةِ ، وَلَكِنْ اكْتَفَى بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ . عَلَيْهَا مِنْ ذِكْرِهَا ؛ إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْخُسْرَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي صَفْقَةٍ يَبِيعُ قَدْ خَسِرَتْ ^(١) .

وإنما معنى الكلام : قَدْ وُكِّسَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ، يَبِيعُهُمُ الْإِيمَانُ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنَ اللَّهِ رِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ ، بِالْكَفْرِ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ مِنْهُ سَخَطَهُ وَعَقُوبَتَهُ ، وَلَا يَشْعُرُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ذَلِكَ [٧٥١/١] حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، فَإِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، فَرَأَوْا مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي بَيْعِهِمْ ، قَالُوا حِينَئِذٍ تَنْدُمَا : ﴿ يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ .

وَبَنَحِوُ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَفْضَلِ ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : / ﴿ يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ : أَمَا ﴿ يَحْسَرُنَا ﴾ : فَنَدَامُنَا ، ١٧٩/٧ ﴿ عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾ فَضِيعَتُنَا مِنْ عَمَلِ الْجَنَّةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ الْأَسَدِيُّ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ مِهْرَانَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَحْسَرُنَا ﴾ . قَالَ : « يَرَى أَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ : يَا حَسْرَتُنَا » ^(٣) .

(١) فِي ص، ت ١ : « جرت » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٨١/٤ (٧٢٢٦) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمَفْضَلِ بِهِ مُقْتَصِرًا عَلَى آخِرِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ٣٨٩/٣ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ مِهْرَانَ - بَدَلًا مِنْ يَزِيدَ بْنِ مِهْرَانَ - بِهِ .

وَذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٨٠/٤ مُعَلِّقًا عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٩/٣ إِلَى

الطَّبْرَانِيِّ وَأَبِي الشَّيْخِ وَابْنَ مَرْدُودِيهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾



يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين كذبوا بقاء الله يحملون أوزارهم على ظهورهم . وقوله : ﴿ وَهُمْ ﴾ . من ذكرهم ، ﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ﴾ . يقول : آثامهم وذنوبهم . واحدا وزر ، يقال منه : قد وزر الرجل يزر . إذا أثم ، ^(١) قال الله : ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ^(٢) . فإن أريد أنهم أثموا ، قيل : قد وزر القوم ، فهم يوزرون ، وهم مؤزرون .

وقد زعم بعضهم أن الوزر الثقل والحمل . ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ، ولا من رواية ثقة عن العرب .

وقال تعالى ذكره : ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ . لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك ، فبين موضع حملهم ما يحملون من ذلك ، وذكر أن حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم ، نحو الذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ابن سلمان ^(٢) ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله ^(٣) أحسن صورة ، وأطيبه ريحا ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك ، وحسن صورتك . فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك الصالح ، طالما ركبك في الدنيا ، فازكبتني أنت اليوم . وتلا : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] . وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة ، وأنته ريحا ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد قبح صورتك ، وأنتن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) في م : « سليمان » . وينظر تهذيب الكمال ٨٩/٧ .

(٣) بعده في م ، والدر المنثور ٩/٣ : « عمله في » ، وفي حاشية س : « لعله : عمله في » والمثبت من باقي النسخ ، وهو موافق لما سيأتي في ٦٣٠ / ١٥ ، وفي المطبوعة هناك كما في النسخ هنا .

ريحك . فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك السيئ ، طالما ركبته في الدنيا ، فأنا اليوم أركبك . وتلا : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾^(١) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ : فإنه^(٢) ليس من رجلٍ ظالم يموت فيدخل قبره ، إلا جاءه رجلٌ قبيح الوجه ، أسود اللون ، مثنى الريح ، عليه ثيابٌ دَنَسَةٌ ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال له : ما أقبح وجهك ! قال : كذلك كان عملك قبيحاً . قال : ما أنتن ريحك ! قال : كذلك كان عملك مُثَنّاً . قال : ما أذنس ثيابك ! قال : فيقول : إن عملك كان دَنَساً . قال : من أنت ؟ قال : أنا عملك . قال : فيكون معه في قبره ، فإذا بُعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحمِلُك في الدنيا بالذات والشَّهواتِ ، فأنت اليوم تحمِلُنِي . قال : فيركب على ظهره ، فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾^(٣) .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ . فإنه يعنى : ألا ساء الوزر الذى يَزِرُونَ . أى : الإثم الذى يَأْتُمُونَهُ^(٤) برُبِّهم .

/ كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، ١٨٠/٧
عن قتادة فى قوله : ﴿ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ . قال : ساء ما يَعْمَلُونَ^(٥) .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩/٣ إلى المصنف وابن أبى حاتم ، وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٨١ (٧٢٢٨) من طريق أبى خالد عن عمرو بن قيس عن أبى مرزوق به .

(٢) فى م : « قال » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٨١ (٧٢٢٩) من طريق أحمد بن المفضل .

(٤) بعده فى م : « كفرهم » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٧ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٨١ (٧٢٣٠) عن الحسن ابن يحيى به .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(١) ﴾ .

وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات في قولهم : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ . يقول تعالى ذكره مُكَذِّبًا لهم في قيلهم ذلك : ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴾ أيها الناس ، ﴿ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ . يقول : ما باغى لذات الحياة التي أذنيث لكم ، وقرئت منكم في داركم هذه ، ونعيمها وسرورها فيها ، والمُلْتَذ ^(٢) بها ، والمنافس عليها - إلا في لعب ولهو ؛ لأنها عما قليل تزول عن المُسْتَمْتِع بها ، والمُلْتَذ فيها بملاذها ، أو تأتيه الأيام بفجائعها وضروفها ، فثمر ^(٣) عليه وتكدر ^(٤) ، كاللاعب اللاهي الذي يُسرِعُ اضْمِحْلالَ لهوه ولعبه عنه ، ثم يُعْقِبُه منه ندما ، ويورثه منه ترحا ^(٥) . يقول : لا تغتروا أيها الناس بها ، فإن المُغْتَرَّ بها عما قليل يندم .

﴿ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ . يقول : وللعمل بطاعته ، والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقى منافعها لأهلها ، ويدوم سرور أهلها فيها ، خير من الدار التي تفنى وشيكاً ^(٦) ، فلا يبقى لعمالها فيها سرور ، ولا يدوم لهم فيها نعيم . ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ . يقول : للذين يخشون الله ، فيتقونه بطاعته ، واجتناب معاصيه ، والمسارة إلى رضاه ، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . يقول : أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نُخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو ، وهم

(١) في س : « يعقلون » . وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي وحمزة ، وعاصم في رواية أبي بكر . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٦ .

(٢) في م : « المتلذذ » .

(٣) تمر : تصير مرة بعد حلاوتها .

(٤) في م : « تكرر » .

(٥) الترح : الحزن .

(٦) سقط من م .

يَرَوْنَ مَنْ يُخْتَرَمُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ يَهْلِكُ فَيَمُوتُ ، وَمَنْ تَنُوبُهُ فِيهَا النَّوَائِبُ ، وَتُصِيبُهُ الْمَصَائِبُ ، وَتَفْجَعُهُ الْفَجَائِعُ ، فِي ذَلِكَ لِمَنْ عَقَلَ مُدَّكَرٌ وَمُزْدَجَّرٌ عَنِ الرُّكُونِ إِلَيْهَا ، وَاسْتِعْبَادِ النَّفْسِ لَهَا ، وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ [٧٥١/١ ظ] عَلَى أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفًا يُلْزِمُ الْخَلْقَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ بِغَيْرِ إِشْرَافٍ شَيْءٍ سِوَاهُ مَعَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ ﴾ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لَهُ : إِنَّهُ كَذَابٌ . ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ ^(١) فَقَرَأَهُ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) . بِالتَّخْفِيفِ ^(٢) ، بِمَعْنَى : إِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ فِيمَا أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ ، وَلَا يَدْفَعُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا ، بَلْ يَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ ، وَلَكِنْهُمْ يَجْحَدُونَ حَقِيقَتَهُ قَوْلًا ، فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ .

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ^(٣) يَحْكِي عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : أَكْذَبْتُ الرَّجُلَ . إِذَا أُخْبِرْتُ أَنَّهُ جَاءَ بِالْكَذِبِ وَرَوَاهُ . / قَالَ : وَيَقُولُونَ : كَذَّبْتُهُ . إِذَا أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَاذِبٌ .

وَقَرَأَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قِرَاءَةِ الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقَيْنِ ^(٤) ؛ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ ^(٥) . بِمَعْنَى : إِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ عِلْمًا ، بَلْ يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ ،

(١ - ١) سقط من النسخ ، ولا بد من هذه الزيادة ، وهذه قراءة نافع المدني والكسائي وهو من قراءة الكوفة . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٧ .

(٢) هذه مقالة الكسائي ، ينظر تهذيب اللغة ١٠ / ١٦٨ ، والبحر المحيط ٤ / ١١٠ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « العراقيين » ، وفي م : « العراقيين و » . والمثبت هو الصواب .

(٤) وهي قراءة باقي السبعة . ينظر التيسير ص ٨٤ .

ولكنهم يُكذِّبونك قولاً ، عِنَادًا وَحَسَدًا .

والصوابُ مِنَ القولِ في ذلك عندى أن يُقالَ : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ
بكلِّ واحدةٍ منهما جماعةٌ مِنَ القراءةِ ، ولكلُّ واحدةٍ منهما فى الصحةِ مَخْرَجٌ
مفهومٌ ؛ وذلك أن المشركين لا شكُّ أنه كان منهم قومٌ يُكذِّبون رسولَ اللَّهِ ﷺ ،
ويَدْفَعُونَهُ عما كان اللَّهُ تعالى خصَّه به مِنَ النبوةِ ، فكان بعضهم يقولُ : هو شاعرٌ .
وبعضهم يقولُ : هو كاهنٌ . وبعضهم يقولُ : هو مجنونٌ . وينفى جميعُهم أن يكونَ
الذى أتاهم به مِنَ وحيِ السماءِ ، وَمِنْ تنزيلِ ربِّ العالمين قولاً . وكان بعضهم قد
تبَيَّنَ أمره ، وعِلِمَ صحَّةُ نبوتهِ ، وهو فى ذلك يُعَانِدُ وَيَجْحَدُ نبوتهِ حسداً له وبغياً .

فالقارئُ : (فإنهم لا يُكذِّبونك) . بمعنى ^(١) أن الذين كانوا يَعْرِفُونَ حقيقةَ
نبوتِكَ ، وصدقَ قولِكَ فيما تقولُ ، يَجْحَدُونَ أن يكونَ ما تَتْلُوهُ عليهم مِنَ تنزيلِ
اللَّهِ ، وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، قولاً ، وهم يَعْلَمُونَ أن ذلك مِنَ عِنْدِ اللَّهِ علماً صحيحاً -
مُصِيبٌ ؛ لما ذَكَرْنَا مِنْ أنه قد كان فيهم مَنْ هذه صفتهُ .

وفى قولِ اللَّهِ تعالى فى هذه السورةِ : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ . أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم المعاندُ ^(٢) فى جُحودِ
نبوتهِ ﷺ ، مع علمِ منه ^(٣) به وصحةِ نبوتهِ .

وكذلك القارئُ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ . بمعنى ^(٤) أنهم لا يُكذِّبون
رسولَ اللَّهِ ﷺ إلا عِنَادًا لا جهلاً بنبوتهِ وصدقِ لَهْجَتِهِ - مُصِيبٌ ؛ لما ذَكَرْنَا مِنْ أنه

(١) فى ص ، س ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « معنى » ، وفى م : « يعنى به » . والمثبت كما سيأتى فى تأويل القراءة بعدها .

(٢) فى م : « العناد » .

(٣) فى م : « منهم » .

(٤) فى م : « يعنى » .

قد كان فيهم من هذه صفته .

وقد ذهب إلى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال : معنى ذلك : فإنهم لا يكذبونك ، ولكنهم يجحدون الحق على علم منهم بأنك نبي لله صادق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله : (قد نعلم أنه ليخزئك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك) . قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزير ، فقال له : ما يخزئك ؟ فقال : « كذبتى هؤلاء » . قال : فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، هم يعلمون أنك صادق ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو جالس حزير ، فقال له : ما يخزئك ؟ فقال : « كذبتى هؤلاء » . فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، إنهم يعلمون أنك صادق ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ . قال : يعلمون أنك رسول الله ويجحدون ^(٢) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى المصنف .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٧ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٨٣ (٧٢٤١) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى ابن المنذر .

السدى في قوله : (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله / يجحدون) : لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمداً ابن أخيتكم ، فأنتم أحق من كف عنه ، فإنه إن كان نبياً لم تقاتلوه^(١) اليوم وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخيه^(٢) ، قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم ، فإن غلب محمد رجعتكم سالمين ، وإن غلب محمد ، فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئاً . فيومئذ سمي الأخنس ، وكان اسمه أبى ، فالتقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبى جهل ، فقال : يا أبا الحكم ، أخبرنى عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيرى وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك ، والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابه والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : (فإنهم لا يكذبوك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) . فآيات الله محمد ﷺ^(٣) .

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأبطس ، عن سعيد بن جبيرة : (فإنهم لا يكذبونك) . قال : ليس يكذبون محمداً ، ولكنهم بآيات الله يجحدون .

ذكر من قال : ذلك بمعنى :

فإنهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبون ما جئت به .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : [٧٥٢/١] ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن ناجية ، قال : قال أبو جهل للنبي ﷺ : ما نتهمك ،

(١) فى م : « تقاتلونه » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أخيه » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٦/٣ ، ٢٤٧ عن المصنف . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٣/٤

(٢٨٤٠) من طريق أحمد بن المفضل به مقتصر على آخره دون ذكر القصة .

ولكن نتههم الذى جئت به . فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، أن أبا جهل قال للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب الذى جئت به . فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإنهم لا يُطِيلون ما جئتهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ . قال : لا يُطِيلون ما فى يدك^(٢) .

وأما قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ . فإنه يقول : ولكن المشركين بالله ، بحجج الله وآي كتابه ورسوله يجحدون ، فيُنكرونها صحة ذلك كله .

وكان السدى يقول : الآيات فى هذا الموضع معنى بها محمد ﷺ . وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدَّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٢/٤ (٧٢٣٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٢/٤ (٧٢٣٧) من طريق أبى يحيى الرازى إسحاق بن سليمان به .

وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٧٦ - تفسير) من طريق أبى معشر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور

١٠/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

١٨٣/٧

/وهذا تسليّة من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ، وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله .

يقول تعالى ذكره : إن يُكذِّبُكَ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك ، فيجحدوا نبوتك ، ويُنكِروا آيات الله أنها من عنده ، فلا يحزنُكَ ذلك ، واصبرْ على تكذيبهم إياك ، وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله ، حتى يأتي^(١) نصرُ الله ، فقد كُذِّبَ رسلٌ من قبلك ، أُرْسِلَتْهُمْ إلى أممهم ، فنالوهم بمكروه ، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ، ولم يُثْنِهم ذلك من المضى لأمر الله الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه ، حتى حكم الله بينهم وبينهم ، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ . يقول^(٢) : ولا مُغَيِّرَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ . وكلماته تعالى ما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ من وعده إياه النصر على من خالفه وضاده ، والظفر على من تولّى عنه وأدبر .

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ . يقول : ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل ، وخبر أممهم ، وما صنعت بهم حين جحدوا آياتي ، وتمادوا في غيهم وضلالهم أنباء . وترك ذكر « أنباء » لدلالة « من » عليها . يقول تعالى ذكره : فانتظروا أنت أيضا من النُصرة والظفر مثل الذي كان مني في من كان قبلك من الرسل ، إذ كذبهم قومهم^(٣) ، واقتد بهم في صبرهم على ما لقوا من قومهم .

وبنحو ذلك تأوّل من تأوّل هذه الآية من أهل التأويل .

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أتاهم » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في م : « قومك » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا ﴾ : يُعْزَى نَبِيِّهِ ﷺ كَمَا تَسْمَعُونَ ، وَيُخْبِرُهُ أَنْ الرُّسُلَ قَدْ كُذِّبَتْ قَبْلَهُ ، فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا حَتَّى حَكَّمَ اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَبُو زُهَيْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قَالَ : يُعْزَى نَبِيِّهِ ﷺ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ^(٣) : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : يُعْزَى نَبِيِّهِ ﷺ ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَإِنْ كَانَ عَظُمَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ إِعْرَاضُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ عَنْكَ ، وَانْصَرَفَهُمْ عَنْ تَصَدِيقِكَ فِيمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْتُكَ بِهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ ، وَلَمْ تَصْبِرْ لِمَكْرُوهِ مَا يَنَالُكَ مِنْهُمْ ، ﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ . يَقُولُ : فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّخِذَ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ - مَثَلُ / نَافِقَاءِ الْيَرُبُوعِ ، ١٨٤/٧ وَهِيَ أَحَدُ جِحْرَتِهِ - فَتَذْهَبَ فِيهِ ، ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ﴾ . يَقُولُ : أَوْ مِصْعَدًا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٨٣/٤ ، ١٢٨٤ (٧٢٤٣ ، ٧٢٤٤) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بِهِ . وَعَزَاهُ

السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ١٠/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ١٠/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٣) فِي م : « جَرِير » .

(٤) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ ١٠/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

تَضَعْدُ فِيهِ ، كَالدَّرَجِ وَمَا أَشَبَّهَا ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١) :

لَا يُخْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ^(٢) الْبِلَادِ وَلَا يُبْنِي لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ السَّلَالِيمِ
﴿ فَتَأْتِيهِمْ بَيَاتٌ ﴾^(٣) مِنْهَا ، يَعْنِي : بِعَلَامَةٍ وَبِرَهَانٍ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِكَ ، غَيْرِ الَّذِي
أَتَيْتُكَ ، فَافْعَلْ .

وَبَنَحِوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُشَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاوية بن صالح ، عن
علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ﴾ : وَالتَّفَقُّ السَّرْبُ ، فَتَذْهَبُ
فِيهِ فَتَأْتِيهِمْ بَايَةٌ ، أَوْ^(٣) تَجْعَلُ لَهُمْ^(٣) سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَضَعْدُ عَلَيْهِ ، فَتَأْتِيهِمْ بَايَةٌ أَفْضَلُ مِمَّا
أَتَيْنَاهُمْ بِهِ ، فَافْعَلْ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ . قَالَ : سَرَبًا ، ﴿ أَوْ
سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ﴾ . قَالَ : يَعْنِي الدَّرَجُ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أسباط ، عَنْ

(١) هُوَ تَمِيمُ بْنُ أَبِي بَنْ مَقْبَلٍ ، وَابْنُ دِيوَانَةَ ص ٢٧٣ .

(٢) أَحْجَاءُ الْبِلَادِ : نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافُهَا . اللَّسَانُ (ح ج و) وَابْنُ دِيوَانَةَ .

(٣ - ٣) فِي م : « تَجْعَلُ لَكَ » ، وَفِي ت ١ : « يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ » ، وَفِي ت ٢ ، ت ٣ : « يَجْعَلُ لَهُمْ » .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٨٤/٤ (٧٢٤٨ ، ٧٢٤٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ
فِي الدَّرَجِ الْمُنْشُورِ ١٠/٣ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٥) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢٠٧/١ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٨٤/٤ (٧٢٤٦ ، ٧٢٤٧) عَنْ الْحَسَنِ

ابْنِ يَحْيَى بِهِ .

السدي : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ [٧٥٢/١] فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ﴾ : أما النفق فالسرب ، وأما السلم فالمصعد^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قوله : ﴿ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ . قال : سرباً^(٢) .

وترك جواب الجزاء فلم يذكر ؛ لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامعين بمعناه ، وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم^(٣) معناه عند المخاطبين به ، فيقول الرجل منهم للرجل : إن استطعت أن تنهض معنا في حاجتنا ، إن قدرت على معونتنا . ويحذف الجواب ، وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل . فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب لم يحذفوه ، لا يقال : إن تقم . فتسكت وتحذف الجواب ؛ لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره ، حتى يقال : إن تقم تصب خيراً . أو : إن تقم فحسن . وما أشبه ذلك . ونظير ما في الآية مما حذف جوابه وهو مراد ؛ لفهم المخاطب لمعنى الكلام ، قول الشاعر^(٤) :

فَبَحْظٌ مِمَّا نَعِيشُ وَلَا تَذُ هَبْ بِكَ التُّرَاهُثُ فِي الْأَهْوَالِ
والمعنى : فبحظٌ مما نعيش فعيش فعيشي^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٤/٤ عقب الأثر (٧٢٤٦، ٧٢٤٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٤/٤ (٧٢٤٥) من طريق ابن جريج به .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « معهم ما » .

(٣) هو عبيد بن الأبرص ، وتقدم البيت في ٢١ / ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

يقول تعالى ذكره : إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار يا محمد ، فيحزنوك تكذيبهم إياك ، لو أشاء / أن أجمعهم على استقامة من الدين ، وصواب من محجة الإسلام ، حتى تكون كلمة جمعكم^(١) واحدة ، وملثكم وملثهم واحدة ، لجمعتهم على ذلك ، ولم يكن بعيداً^(٢) عليّ ؛ لأنى القادر على ذلك بلطفى ، ولكنى لم أفعل ذلك لسابق علمى فى خلقى ، ونافذ قضائى فيهم ، من قبل أن أخلقهم ، وأصور أجسامهم ، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . يقول : فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه ، وأن من يكفر به من خلقه ، إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه بأنه كائن من الكافرين به اختياراً لا اضطراراً ، فإنك إذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك إعراض من أغرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحق ، وتكذيب من كذبك منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : يقول الله سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين^(٣) .

وفى هذا الخبر من الله تعالى الدلالة الواضحة على خطأ ما قال أهل التفويض من القدرية ، المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه ، يلطف

(١) فى م : « جميعكم » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) من تمام الأثر المتقدم فى ص ٢٢٦ ، وهذا اللفظ ليس عند ابن أبى حاتم فى الموضعين ، ولكن أخرجه فى ١٢٨٤/٤ (٧٢٥٠) من طريق أبى صالح به بلفظ آخر .

بها له ، حتى يَهْتَدِيَ للحقَّ فينقادَ له ، ويُنبِئَ إلى الرِّشَادِ ، فيُذعنَ به ، ويُؤثِّره على الضلالِ والكفرِ بالله . وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاء هدايةَ جميعِ مَنْ كَفَرَ به حتى يَجْتَمِعُوا على الهدى ، فَعَلَ ، ولاشكُّ أنه لو فَعَلَ ذلك بهم كانوا مُهْتَدِينَ لا ضلَّالًا ، وهم لو كانوا مُهْتَدِينَ كان لاشكُّ أن كونهم مهتدين كان خيرًا لهم . وفي تركه تعالى ذكره أن يَجْمَعَهُمْ على الهدى ، تركٌ منه أن يَفْعَلَ بهم في دينهم بعضَ ما هو خيرٌ لهم فيه ، مما هو قادرٌ على فعله بهم ، وقد ترك فعله بهم . وفي تركه فعلَ ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يُعْطِهِمْ كُلَّ الأسبابِ التي بها يَصِلُونَ إلى الهداية ، وَيَتَسَبَّبُونَ بها إلى الإيمان .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ : لا يَكْبُرَنَّ عليك إعراضُ هؤلاء المَعْرِضِينَ عنك ، وعن الاستجابةِ لدعائك ، إذا دَعَوْتَهُمْ إلى توحيدِ ربِّهم ، والإقرارِ بنبوتِكَ ، فإنه لا يَسْتَجِيبُ لدعائك إلى ما تَدْعُوهُ إليه مِنْ ذلك ، إلا الذين فَتَحَ اللَّهُ أَسْمَاعَهُمْ للإصغاءِ إلى الحقِّ ، وسَهَّلَ لهم اتباعَ الرُّشْدِ ، دونَ مَنْ خَتَمَ اللَّهُ على سَمْعِهِ ، فلا يَفْقَهُ مِنْ دعائك إياه إلى الله ، وإلى اتباعِ الحقِّ ، إلا ما تَفَقَّهَ الأنعامُ مِنْ أصواتِ رُعَاتِهَا ، فهم كما وَصَفَهُمُ اللَّهُ به تعالى ذكره : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُتَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] .

﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ . يقولُ : والكفارُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مع الموتى . فجَعَلَهُمُ تعالى ذكره في عِدادِ الموتى الذين لا يَسْمَعُونَ صوتًا ، ولا يَعْقِلُونَ دعاءً ، ولا يَفْقَهُونَ قولًا ، إذ كانوا لا يَتَذَكَّرُونَ حُجَجَ اللَّهِ ، ولا يَعْتَبِرُونَ آيَاتِهِ ، ولا يَتَذَكَّرُونَ فَيَنْزَجِرُوا عما هم عليه مِنْ تكذيبِ رسلِ اللَّهِ وخلافِهِمْ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

١٨٦/٧

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ : الْمُؤْمِنُونَ لِلذِّكْرِ ، ﴿ وَالْمَوْتَى ﴾ : الْكَافِرُ ، حِينَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ مَعَ الْمَوْتَى ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ . قَالَ : هَذَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ ، سَمِعَ كِتَابَ اللَّهِ ، فَانْتَفَعَ بِهِ ، وَأَخَذَ بِهِ وَعَقَلَهُ . ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا [٧٥٣/١] صُمْ وَبُكُمْ ﴾ : وَهَذَا مِثْلُ الْكَافِرِ ، أَصَمُّ أَبْكُمْ ، لَا يُنْصِرُ هُدًى ^(٢) ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ ، عَنْ الْحُسَيْنِ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ : الْمُؤْمِنُونَ : ﴿ وَالْمَوْتَى ﴾ . قَالَ : الْكَافِرُ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ . قَالَ : الْكَافِرُ ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢١ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٥/٤ (٧٢٥٢ ، ٧٢٥٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) في ت ١ : « شيئا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٥/٤ ، ١٢٨٦ (٧٢٥٣ ، ٧٢٦٣) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٥/٤ (٧٢٥١ ، ٧٢٥٤) من طريق أبي أسامة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ . فإنه يقول تعالى ذكره : ثم إلى الله يُرْجَعُونَ ؛ المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول ، والكفار الذين يحول الله بينهم وبين قلوبهم ^(١) أن يفقهوا عنك شيئاً ، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا ، بما وعد أهل الإيمان به من الثواب ، ويعاقب هذا الكافر بما أوعده أهل الكفر به من العقاب ، لا يظلم أحداً ^(٢) منهم مثقال ذرة .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون برّبهم ، المعرضون عن آياته : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ . يقول : قالوا : هلاًّ نُزِّلَ على محمد آية من ربه . كما قال الشاعر ^(٣) :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقَنَعَا
بمعنى : هلاًّ الْكَمِيُّ .

والآية العلامة ، وذلك أنهم قالوا : ﴿ مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ ^(٤) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ / لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ [الفرقان : ٧ ، ٨] . قال الله تعالى
لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لقائلي هذه المقالة لك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً ﴾ . يعنى : حجة على ما يُريدون ويسألون ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : ولكن أكثر ^(٥) الذين يقولون ذلك ، فيسألونك آية ، لا يعلمون ما

١٨٧/٧

(١) سقط من : م ، وفي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قولهم » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أحد » .

(٣) هو جرير ، وتقدم فى ٢ / ٤٧٦ .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أكثرهم » .

عليهم في الآية إن نزلها من البلاء ، ولا يذرون ما وجه ترك الله^(١) إنزال ذلك عليك ، ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك ، لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المغرضين عنك ، المكذبين بآيات الله : أيها القوم ، لا تحسبن الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دب على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناساً مجنسةً ، وأصنافاً مصنفةً ، تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سُخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب^(٢) ثم إنه^(٣) تعالى ذكره مميثها ثم منشئها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها ، يقول : فالرب الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض ، والطير في الهواء ، حتى حفظ عليها حرركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء^(٣) ، أخرى ألا يضيع أعمالكم ، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجتريحونها أيها الناس ، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ، ما لم يعم به غيركم في الدنيا ، وكنتم بشكره أحق ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ؛ لما أعطاكم من

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٣) في ت ١ : « الإسلام » .

العقل الذى به بين الأشياء تُمَيِّزُونَ ، والفهم الذى لم يُعْطِهِ البهائم والطير ، الذى به بين مصالحكم ومضاركم تُفَرِّقُونَ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ : أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ تُفَرِّقُ بِأَسْمَائِهَا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : / ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ . يَقُولُ : الطَّيْرُ أُمَّةٌ ، وَالْإِنْسُ أُمَّةٌ ، وَالْجَنُّ أُمَّةٌ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ . يَقُولُ : إِلَّا خَلَقَ أَمْثَالَكُمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ . قَالَ : الذَّرَّةُ فَمَا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٢٨٥/٤ (٧٢٥٦) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٨٥/٤ (٧٢٥٧) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ ، ١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٥٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب^(١) .

وأما قوله : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . فإن معناه : ما ضيعنا إثبات شيء منه .

كالذى حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ : ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه في أم الكتاب^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . قال : لم نُغْفَل [٧٥٣/١] الكتاب^(٣) ، ما من شيء إلا وهو في الكتاب^(٤) .

وحدثني به يونس مرة أخرى ، قال في قوله : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . قال : كلهم مكتوب في أم الكتاب .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فإن أهل التأويل اختلفوا في معنى حشروهم الذي عناه الله تعالى ذكره في هذا الموضع ؛ فقال بعضهم : حشرها موثها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد^(٥) الله بن موسى ، عن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣ إلى المصنف وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٥٩) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ . والمعنى : لم نغفل كتابته .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٦٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٥) في النسخ : « عبد » .

إسرائيل ، عن سعيد بن^(١) مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : موت البهائم حشرها^(٢) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . قال : يعني بالحشر الموت^(٣) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان^(٣) ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ : يعني بالحشر الموت^(٤) .

وقال آخرون : الحشر في هذا الموضع يُعْنَى به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن جعفر بن بزقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة في قوله : ﴿ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . قال : / يُحْشَرُ اللَّهُ الخلق كلهم يوم ١٨٩/٧ القيامة ؛ البهائم ، والدواب ، والطير ، وكل شيء ، فيتلع من عدل الله يومئذ أن يأخذ

(١) في النسخ : « عن » . وتقدم على الصواب في ٦/٣ ، ١٤٤ ، وسيأتي في ص ٤٩٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٦١) من طريق سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣ إلى أبي الشيخ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٢٤٩/٣ .

(٤) في م : « سليم » .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٦/٤ عقب الأثر (٧٢٦١) معلقا .

لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ ، ثم يقول : كوني ثرأبًا . فلذلك يقول الكافر : ﴿ يَلْتَنِي كُنْتُ ثَرَأَبًا ﴾ ^(١) [النبا : ٤٠] .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَرٍ ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الأعمش ، ذكره عن أبي ذر ، قال : بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون فيما انتطحتا ؟ » قالوا : لا ندري . قال : « لكن الله يَدْرِي ، وسيَقْضِي بينهما » ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ^(٣) ، قال : ثنا فطر ^(٤) بن خليفة ، عن مُنْذِرِ الثوري ، عن أبي ذر ، قال : انتطحت شاتان عند النبي ﷺ ، فقال لي : « يا أبا ذر ، أتدري فيم انتطحتا ؟ » قلت : لا . قال : « لكن الله يَدْرِي ، وسيَقْضِي بينهما » . قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يُقْلَبُ طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما ^(٥) .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يُقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه ، وجائر أن يكون معنياً بذلك حشر القيامة ، وجائر أن يكون معنياً به حشر الموت ، وجائر أن يكون معنياً به الحشران جميعاً ، ولا دلالة في ظاهر

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١ ، ومن طريقه الحاكم ٣١٦/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٦٢) من طريق جعفر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣ إلى أبي عبيد وابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٩/٣ عن المصنف وعبد الرزاق ، وفيه : عن الأعمش ، عمن ذكره .

(٣) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « سليم » .

(٤) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « مطر » .

(٥) أخرجه الطيالسي (٤٨٢) ، وأحمد ١٦٢/٥ من طريق أبي يعلى منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر به ، وأما قول أبي ذر فأخرجه أحمد ١٦٢/٥ (الميمية) من طريق فطر به .

التنزيل ولا في خبر عن النبي ﷺ أي ذلك المراد بقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . إذ كان الحشر في كلام العرب الجمع ، من ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهَا أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٩] . يعنى مجموعة . فإذا كان الجمع هو الحشر ، وكان الله تعالى ذكره جامعاً خلقه إليه يوم القيامة ، وجامعهم بالموت - كان أصوب القول في ذلك أن يُعمَّم بمعنى الآية ماعمه الله بظاهاها ، وأن يقال : كلُّ دابة وكلُّ طائر محشور إلى الله بعد الفناء ، وبعد بعث القيامة . إذ كان الله تعالى ذكره قد عمَّ بقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . ولم يخص به حشراً دون حشر .

فإن قال قائل : فما وجه قوله : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه ؟ فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة ؟

قيل : قد قدّمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم ، وبلغاتهم وما يتعارفونه ^(١) بينهم ويستعملونه في منطقتهم خاطبهم ، فإذا كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام ، أن يقولوا : كلّمت فلاناً بفمى ، ومشيت إليه برجلي ، وضربت بيدي . خاطبهم تعالى ذكره بنظير ما يتعارفونه في كلامهم ، ويستعملونه في خطابهم ، ومن ذلك قوله تعالى ذكره : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً أَنْثَى ^(٢)) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَن يَشَاءِ يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٩) .

/ يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدليته صُمُّ عن سماع ١٩٠/٧

(١) في ص : « يتعارفونهم » .

(٢) سقط من : م . وبدونها يسقط موضع الاستشهاد ، وهي قراءة ابن مسعود ، وهي قراءة شاذة ، وسيدكرها

المصنف في تفسير الآية ٢٣ من سورة ص .

الحقُّ ، بُكِّمَ عن القِيلِ به ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ . يعنى : فى ظلمة الكفرِ حائراً^(١) فيها ، يقولُ : هو مُزْتِطِمٌ فى ظلماتِ الكفرِ ، لا يُنْصِرُ آياتِ اللَّهِ فيُعْتَبِرَ بها وَيَعْلَمَ أن الذى خلقه وأنشأه ، فدبَّره^(٢) أحكمَ تدبيرٍ^(٣) ، وقَدَّرَه أحسنَ تقديرٍ ، وأعطاه القوةَ ، وصَحَّحَ له آلهَ جسمِهِ لم يَخْلُقْهُ عَبَثًا ، ولم يَتْرُكْهُ سُدىً ، ولم يُعْطِهِ ما أعطاه مِنَ الآلاتِ إلا لاستعمالِها فى طاعته وما يُرْضِيهِ ، دونَ معصيته وما يُشْخِطُهُ ، فهو لحيرته فى ظلماتِ الكفرِ ، وتردُّده فى غمراتِها ، غافلٌ عما اللَّهُ قد أثبت له فى أمِّ الكتابِ ، وما هو به فاعلٌ يومَ يُخْشَرُ إليه مع سائرِ الأممِ . ثم أَخْبَرَ تعالى ذكره أنه المُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ إِضْلَالَهُ مِنْ خَلْقِهِ عن الإيمانِ إلى الكفرِ ، والهادى إلى الصراطِ المستقيمِ منهم مَنْ أَحَبَّ هِدَايَتَهُ ، فمُؤَفَّقُهُ بفضله وطَوَّلَهُ للإيمانِ به ، وتركِ الكفرِ به [٧٥٤/١] وبرسلِهِ ، وما جاءت به أنبيأؤه ، وأنه لا يَهْتَدِى مِنْ خَلْقِهِ أَحَدٌ إلا مَنْ سَبَقَ له فى أمِّ الكتابِ السَّعَادَةُ ، ولا يَضِلُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلا مَنْ سَبَقَ له فيها الشَّقَاءُ ، وأنَّ بيده الخيرَ كُلَّهُ ، وإليه الفضلَ كُلَّهُ ، له الخلقُ والأمرُ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾ : هذا مثلُ الكافرِ أصمُّ أبكمٌ ، لا يُنْصِرُ هدىً ، ولا يَنْتَفِعُ به ، صمٌّ عن الحقِّ ، فى الظلماتِ لا يَسْتَطِيعُ منها خروجا^(٣) ، مُتَسَكِّعٌ^(٤) فيها^(٥) .

(١) فى م : « حائر » .

(٢ - ٢) فى م : « وأحكم تدبيره » .

(٣) بعده فى م : « له » .

(٤) متسكع : متحير . القاموس المحيط (س ك ع) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ ، ١٢٨٧ (٧٢٦٣ ، ٧٢٦٤) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٠) .

اختلف أهل العربية في معنى قوله : ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾ ؛ فقال بعض نحويي البصرة : الكاف التي بعد التاء من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾ . إنما جاءت للمخاطبة ، وتركت التاء مفتوحة ، كما كانت للواحد . قال : وهي مثل كاف : زويدك زيداً . إذا قلت : أزود زيداً . هذه الكاف ليس لها موضع مُسمًى بحرف ؛ لا رفع ولا نصب ، وإنما هي في المخاطبة مثل كاف « ذاك » ، ومثل ذلك قول العرب : أبصرَكَ^(١) زيداً . يُدخلون الكاف للمخاطبة .

وقال آخرون منهم : معنى ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَتْكُمْ ﴾ : أرايتم . قال : وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد ، والتاء وحدها هي الاسم ، كما أُدخلت الكاف التي تفرق بين الواحد والاثنين والجميع في المخاطبة ، كقولهم : هذا ، وذاك ، وتلك ، وأولئك . فتدخل الكاف للمخاطبة وليست باسم ، والتاء هو الاسم للواحد والجميع ، تركت على حال واحدة ، ومثل ذلك قولهم : ليسك ثم إلا زيد . يُراد : ليس ولا سيئك زيد . فيراد : ولا سيما زيد . و : بلاك . فيراد : بلى . في معنى « نعم »^(٢) . و : لبئسك رجلاً ، ولينعمك رجلاً . وقالوا : انظرك زيداً ما أضنع به ، وأبصرَكَ ما أضنع به . بمعنى^(٣) : أبصر . وحكى بعضهم : أبصركم^(٤) ما أضنع به . يُراد : أبصروا . وانظروكم زيداً . أي : انظروا . وحكى عن بعض بني كلاب : أتعلّمك كان أحد أشعر من ذي الرّمة ؟ فأدخل الكاف .

(١) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « انصرك » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ما » .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أبصرك » .

وقال بعض نحوي الكوفة^(١) : أَرَأَيْتَكَ عَمْرًا . أكثر الكلام فيه ترك / الهمز . قال : والكاف من « أَرَأَيْتَكَ » في موضع نصب ، كأن الأصل : أَرَأَيْتَ نَفْسَكَ عَلَى غير هذه الحال . قال : فهذا يُشْنَى وَيُجْمَعُ وَيُؤَنَّثُ ، فيقال : أَرَأَيْتُمَا كَمَا وَأَرَأَيْتُمُوكُم وَأَرَأَيْتُكُنَّ^(٢) . أَوْقَعَ فعله على نفسه ، وسأله عنها ، ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء مَوْحِدَةً للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا^(٣) : أَرَأَيْتُكُمْ زَيْدًا مَا صَنَعَ ، وَأَرَأَيْتُكُنَّ زَيْدًا مَا صَنَعَ ، فَوَحَّدُوا التاء وَثَنُوا الكاف وَجَمَعُوهَا ، فَجَعَلُوهَا بدلًا مِنَ التاء ، كما قال : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَّة ﴾ [الحاقة : ١٩] . وهاء يا رجل ، وهاءُما . ثم قالوا : هاكم . اكْتَفَى بالكاف والميم مما كان يُشْنَى وَيُجْمَعُ ، فكأن الكاف في موضع رفع ، إذ كانت بدلًا مِنَ التاء ، وربما وَحَّدَتِ للتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، وهي كقول القائل : عليك زَيْدًا . الكاف في موضع خفض ، والتأويل رفع . فأما ما يُجَلَبُ فأكثر ما يَقَعُ على الأسماء ، ثم تأتي بالاستفهام ، فيقال : أَرَأَيْتَكَ زَيْدًا هل قام ؟ لأنها صارت بمعنى : أَخْبِرْنِي عن زيد . ثم بين عما يَسْتَخْبِرُ . فهذا أكثر الكلام . ولم يَأْتِ و^(٤) الاستفهام يليها^(٥) ، لم يَقُلْ : أَرَأَيْتَكَ هل قمت ؟ لأنهم أرادوا أن يُبَيِّنُوا عَمَّنْ يَسْأَلُ ، ثم تُبَيِّنُ الحالة التي يَسْأَلُ عنها ، وربما جاء بالجزاء^(٦) ولم يَأْتِ بالاسم ، فقالوا : أَرَأَيْتَ^(٧) « إِنْ أَتَيْتُ » زَيْدًا هل يَأْتِينَا ؟ و : أَرَأَيْتَكَ . أيضًا ، و : أَرَأَيْتَ زَيْدًا إِنْ أَتَيْتَهُ هل يَأْتِينَا ؟ إذا كانت بمعنى : أَخْبِرْنِي . فيقال باللغات الثلاث .

وتأويل الكلام : قل يا محمد لهؤلاء العادِلين بالله الأوثان والأصنام : أَخْبِرُونِي

(١) هو الفراء في معاني القرآن ٣٣٣/١ .

(٢) في م ، ت ٢ : « أَرَأَيْتَنِي كُن » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ : « فقال » .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « ثنيها » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، س : « بينها » .

(٦) في م : « بالخبر » .

(٧ - ٧) سقط من : م .

إِنْ جَاءَكُمْ أَتْيَاهَا الْقَوْمُ ، عَذَابُ اللَّهِ كَالَّذِي جَاءَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ ^(١) هَلَكَ بَعْضُهُمْ بِالرَّجْفَةِ ، وَبَعْضُهُمْ بِالصَّاعِقَةِ ، أَوْ جَاءَتْكُمْ السَّاعَةُ الَّتِي تُنْشَرُونَ فِيهَا مِنْ قُبُورِكُمْ ، وَتُبْعَثُونَ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، أَغَيَّرَ اللَّهُ هُنَاكَ تَدْعُونَ لِكَشْفِ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ ، أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ تَفْزَعُونَ ؛ لِيُنْجِيَكُمْ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ ؟ ﴿ ٤٠ 〉 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٤١ 〉 . يَقُولُ : إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعَمِكُمْ أَنَّ آلِهَتَكُمْ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ ٤٠ 〉 بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿ ٤١ 〉 .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانِ : مَا أَنْتُمْ أَتْيَاهَا الْمَشْرُكُونَ بِاللَّهِ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادَ ، إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ، أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ - بِمُسْتَجِيرِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّاظِلِ بِكُمْ ، مِنْ آلِهَةٍ وَوَثْنٍ وَصَنَمٍ ، بَلْ تَدْعُونَ هُنَاكَ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، وَبِهِ تَسْتَغِيثُونَ ، وَإِلَيْهِ تَفْزَعُونَ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ ، ﴿ ٤٠ 〉 فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴿ ٤١ 〉 . يَقُولُ : فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ ، وَتَضُرُّكُمْ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْبَلَاءِ النَّاظِلِ بِكُمْ ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُفَرِّجَ ذَلِكَ عَنْكُمْ ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ ، دُونَ مَا تَدْعُونَهُ إِلَهًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ . ﴿ ٤١ 〉 وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿ ٤٢ 〉 . يَقُولُ : وَتَنْسَوْنَ حِينَ يَأْتِيَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ، أَوْ تَأْتِيَكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا ، مَا تُشْرِكُونَهُ مَعَ اللَّهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ ، فَتَجْعَلُونَهُ لَهُ نَدًّا ، [٧٥٤/١ ظ] مِنْ وَثْنٍ وَصَنَمٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَدْعُونَهُ إِلَهًا .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ ٤٢ 〉 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿ ٤٣ 〉 .

يقولُ تعالى ذكره مُتَوَعِّدًا لهؤلاء العادِلين به الأصنامَ ، ومَحذِّرهم أن يَسْلُكَ بهم إن هم تَمَادَوْا في ضَلَالِهِم ، سَبِيلَ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُم مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُم ، في تَعْجِيلِ اللَّهِ عِقَابَهُ لَهُم في الدنيا ، ومَخْبِرًا نَبِيَّه عن سُنَّتِهِ في الَّذِينَ خَلَوْا قَبْلَهُم مِنَ الْأُمَمِ عَلَى مِثْلِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِ الرِّسَالِ : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿ إِلَى أُمَمٍ ﴾ . يعنى : إلى جماعاتٍ وقرونٍ ﴿ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ ﴾ . يقولُ : فَأَمَرْنَاهُمْ وَنَهَيْتَنَاهُمْ ، فَكَذَّبُوا رِسَالَاتَنَا ، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا وَنَهْيَنَا ، فَأَمْتَحَنَّاَهُمْ بِالْإِبْتِلَاءِ ، ﴿ بِالْبَأْسَاءِ ﴾ . وهى شِدَّةُ الْفَقْرِ ، وَالضِّيقُ في الْمَعِيشَةِ ، ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ . وهى الْأَسْقَامُ وَالْعِلَلُ الْعَارِضَةُ في الْأَجْسَامِ .

وقد بيَّنا ذلك بشواهده ووجوه إعرابه في سورة « البقرة » ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) .

وقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْضَرُّعُونَ ﴾ . يقولُ : فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ لِيَنْضَرُّعُوا إِلَيْنَا ، وَيُخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ ، وَيُفَرِّدُوا رَغْبَتَهُمْ إِلَيْنَا دُونَ غَيْرِي ، بِالتَّذَلُّلِ مِنْهُمْ لِي بِالطَّاعَةِ ، وَالِاسْتِكَانَةِ مِنْهُمْ إِلَيْنَا بِالْإِنَابَةِ .

وفي الكلام محذوفٌ قد اسْتُغْنِيَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ عَنْ ^(٢) إظهاره دون ^(٣) قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ . وإنما كان سببُ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ تَكْذِيبُهُمُ الرِّسَالَ ، وَخِلَافُهُمْ أَمْرَهُ ، لَا إِرسَالَ الرِّسَالِ إِلَيْهِمْ . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن معنى الكلام : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ رِسَالًا فَكَذَّبُوهُمْ ، فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ .

والتَضَرُّعُ هُوَ التَّفَعُّلُ ^(٤) مِنَ الضَّرَاعَةِ ، وهى الذَّلَّةُ وَالِاسْتِكَانَةُ .

(١) ينظر ما تقدم في ٨٦/٣ - ٩١ .

(٢) فى ص، ت ٢، ت ٣، س : « من » .

(٣) فى م : « من » .

(٤) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣ : « الفعل » .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) .

وهذا أيضًا من الكلام الذي فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الأمم التي كذبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء لِيْتَضَرَّعُوا . ثم ^(١) قال : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ . ولم يُخْبِر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضراء .

ومعنى الكلام : ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلم يَتَضَرَّعُوا ، فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرَّعوا .

ومعنى ﴿ فَلَوْلَا ﴾ في هذا الموضع : فهلاً ، والعرب إذا أولت « لولا » اسمًا مرفوعًا ، جعلت ما بعدها خبرًا ، وتلقَّتها ^(٢) بالأمر ، فقالت : لولا أخوك لَزُرْتُكَ ، ولولا أبوك لَضَرَبْتُكَ . وإذا أولتها فعلاً ، أو لم تُولها اسمًا ، جعلوها استفهامًا ، فقالوا : لولا جئتنا فنكرمك ؟ ولولا زرت أخاك فنزورك . بمعنى : هلاً . كما قال تعالى ذكره : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ [المنافقون : ١٠] . وكذلك تَفْعَلُ بـ « لوما » . مثل فعلها بـ « لولا » .

فتأويل الكلام إذن : فهلاً إذ جاء بأسنا ^(٣) هؤلاء الأمم المكذبة رسلها الذين لم يَتَضَرَّعُوا عند أخذناهم / بالبأساء والضراء ، تضرَّعوا فاستكانوا لرَّبِّهم ، وخضعوا لطاعته ، فيصرف ربهم عنهم بأسه ، وهو عذابه .

وقد بيَّنا معنى « البأس » في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « به » .

(٢) في م : « تلتها » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

هذا الموضع ^(١) .

﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ . يقول : ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم ، وأصروا على ذلك ، واشتكروا عن أمر ربهم ؛ استهانةً بعقاب الله ، واستخفافاً بعذابه ، وقساوة قلب منهم ، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . يقول : وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويشخطها منهم .

القول في تأويل قوله : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ^(٢) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ : فلما تركوا العمل بما أمروناهم به على ألسن رسلنا .

كالذى حدثنى المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ . يعنى : تركوا ما ذكروا به ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ . قال : ما دعاهم الله إليه ورسله أبوه وردوه عليهم ^(٣) .
﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ . يقول : بدّلنا مكان البأساء الرخاء والسعة فى العيش ، ومكان الضراء الصحة والسلامة فى الأبدان والأجسام ؛ استندراجاً منا لهم .

(١) ينظر ما تقدم فى ٩٠/٣ ، ٩١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٢) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ،
وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
فى قول الله : ﴿ فَتَحْنَاهُمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال : رخاء الدنيا ويُسرها
على القرون الأولى ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن
قتادة فى قوله : ﴿ فَتَحْنَاهُمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال : يعنى الرخاء وسعة
الرزق ^(٢) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدى قوله : ﴿ فَتَحْنَاهُمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . يقول : من الرزق ^(٣) .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿ فَتَحْنَاهُمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . وقد
علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يُفتح لهم ، و ^(٤) أبواب أخر غيرُه كثيرة ؟
[٧٥٥/١] قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننت من معناه ، وإنما
معنى ذلك : فتحنا عليهم ؛ استدراجاً منا لهم ، أبواب ، كل ما كنا سدّنا عليهم بابه ،
عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ؛ ليتضرّعوا ، إذ لم يتضرّعوا وتركوا أمر الله تعالى
ذكره . لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله ، وذلك كما قال تعالى ذكره فى موضع
آخر من كتابه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢١ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٩٠/٤ (٧٢٨٥) ، وأخرجه ابن أبى حاتم
فى تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٤) من طريق شبل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى ابن أبى شبة
وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩١/٤ (٧٢٩٠) من طريق أحمد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور
١١/٣ إلى أبى الشيخ .

(٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ^(١) ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا / قَدْ مَسَّ
 ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ [الأعراف : ٩٤ ، ٩٥] . ففُتِحَ
 اللّٰهُ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ذِكْرَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ - هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها
 في حال امتحانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة ، ومن الضر في الأجسام
 إلى الصحة والعافية ، وهو فتح أبواب كل شيء كان أغلق باباه عليهم ، مما^(٢) جرى
 ذكره قبل قوله : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . فردّ قوله : ﴿ فَتَحْنَا
 عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ عليه .

ويعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ . يقول : حتى إذا فرح
 هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة ، والصحة في
 الأجسام .

كالذى حدّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا
 أسباط ، عن السدي : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ : من الرزق^(٣) .

حدّثنا الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : سمعت عبد الرحمن بن
 مهدي ، يُحدّث عن حماد بن زيد ، قال : كان رجل يقول : رحم الله رجلاً تلا هذه
 الآية . ثم فكر فيها ماذا أريد بها : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ .

حدّثني الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبي رجب ، رجل^(٤) من أهل

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س : « يتضرعون » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، س : « ما » .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٤) سقط من : م .

الشعر^(١) ، عن عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن النضر الحارثي في قوله : ﴿ أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً ﴾ . قال : أمهلوا عشرين سنة^(٢) .

ويعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً ﴾ : أتيّناهم بالعذاب فجأة ، وهم غاؤون ، لا يشعرون أن ذلك كائن ، ولا هو بهم حال .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً ﴾ . قال : أعجب ما كانت إليهم ، وأغرّها^(٣) لهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً ﴾ . يقول : أخذهم العذاب بغتة^(٤) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً ﴾ . قال : فجأة آمين^(٥) .

وأما قوله : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ . فإنه هالكون ، مُنْقَطِعَةٌ حُجُجُهُمْ ، نادِمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم .

كالذي حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ . قال : فإذا هم مُهْلَكُونَ ، مُتَغَيَّرُونَ

(١) في ص ، ت ١ ، س : « الشعر » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٢/٤ (٧٢٩٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٢٠/٨ من طريق ابن المبارك به وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أعزها » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩١/٤ (٧٢٩٢) من طريق أحمد به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٣٢١ .

حَالَهُمْ^(١) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثنا شَيْخٌ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ . قَالَ : الْاِكْتِثَابُ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ . / قَالَ : الْمُبْلِسُ : الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِ الشَّرُّ الَّذِي لَا يَدْفَعُهُ ، وَالْمُبْلِسُ أَشَدُّ مِنَ الْمُسْتَكِينِ . وَقَرَأَ : ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ : ٧٦] . وَكَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِيهِ مُعَاتَبَةٌ وَبَقِيَّةٌ^(٣) . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَنْضَعُونَ ﴾ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا^(٤) . حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . ثُمَّ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ^(٣) ، وَقَرَأَ : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ ، فَجَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ^(٤) ، وَكَانَ الْأَوَّلُ ، لَوْ أَنَّهُمْ تَضَرَّعُوا كُشِفَ عَنْهُمْ^(٤) .

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو السَّكُونِيُّ ، قَالَ : ثنا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، عَنْ أَبِي شَرِيحٍ ضُبَارَةَ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي الصَّلْتِ ، عَنْ حَزْمَلَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي عَبْدَهُ فِي دُنْيَاهُ ، إِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ » . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٩٢/٤ (٧٣٠٠) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مَفْضَلٍ بِهِ .

(٢) فِي م : « فَإِذَا هُمْ هَالِكُونَ »

وَالْأَثَرُ عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ ١٢/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لَقِيَّة » ، وَفِي م : « تَقِيَّة » .

وَالْبَقِيَّةُ الْأَسْمُ مِنَ الْإِبْقَاءِ . اللَّسَانُ (ب ق ي) .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٩٢/٤ (٧٣٠١) مِنْ طَرِيقِ أَصْبَغٍ ، عَنْ ابْنِ زَيْدٍ .

إلى قوله : ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

وحدّث بهذا الحديث عن محمد بن حرب ، عن ابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ ، قال : « إذا رأيت الله تعالى يُعطي العباد ما يَسْأَلُونَ على مَعاصيهم إياه ، فإنما ذلك استِدرَاجٌ منه لهم » . ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الآية^(٢) .

وأضِلُّ الإِبْلَاسِ في كلامِ العربِ عندَ بعضهم الحزنُ على الشيءِ والندمُ عليه . وعندَ بعضهم انقطاعُ الحُجَّةِ ، والسكوتُ عندَ انقطاعِ الحجةِ . وعندَ بعضهم الخشوعُ ، وقالوا : هو المخذولُ المتروكُ ، ومنه قولُ العجاج^(٣) :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا

قال نَعَمْ أَغْرِفُهُ وَأَبْلَسًا

فتأويلُ قوله : وأبْلَسًا . عند^(٤) الذين زعموا أن الإِبْلَاسَ انقطاعُ الحُجَّةِ والسكوتُ عنده ، بمعنى أنه لم يُخِزْ جوابًا .

وتأويله الآخرون بمعنى الخشوع ، وتركِ أهله إِيَّاه مُقيماً بمكانه . والآخرون : بمعنى الحزنِ والندمِ ، يقالُ منه : أبْلَسَ الرجلُ إبْلَاسًا . ومنه قيلُ لإبليسَ : إبليسُ .

(١) أخرجه أحمد ٥٤٧/٢٨ (١٧٣١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٨) ، والطبراني ٣٣٠/١٧ (٩١٣) ، وفي الأوسط (٩٢٧٢) ، والبيهقي في الشعب (٤٥٤٠) ، والأسماء والصفات (١٠٢١) من طريق حرمله بن عمران به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٨) ، وابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ٢٩٣ ، والطبراني ٣٣١/١٧ (٩١٤) من طريق ابن لهيعة به .

(٣) ينظر ما تقدم في ٥٤٣/١ .

(٤) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٥) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ : فاستؤصل القوم
الذين [٧٥٥/١ ظ] عَتَوْا على ربهم ، وكذبوا رسله ، وخالفوا أمره ، عن آخرهم ، فلم
يترك منهم أحداً إلا أهلك بغتةً إذ جاءهم عذاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

١٩٦/٧

/ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . يقول : فُقطِع أصل الذين ظلموا^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ فَقُطِعَ
دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . قال : استؤصلوا^(٢) .

ودابر القوم الذى يدبرهم ، وهو الذى يكون فى أذبارهم وآخرهم ، يقال فى
الكلام : قد دبر القوم فلان يدبرهم دبراً ودُبوراً . إذا كان آخرهم ، ومنه قول أمية^(٣) :

فأهْلِكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ^(٤) فما استطاعوا له صَرْفاً ولا انتصروا
﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . يقول : والثناء الكامل والشكر التام لله رب
العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته ، بإظهار حُجَجِهِمْ على مَنْ خالفهم من
أهل الكفر ، وتحقيق عِدَاتِهِمْ^(٥) ما وعدهم على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسله ، من

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٣/٤ (٧٣٠٢) من طريق أحمد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٣/٤ (٧٣٠٣) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٣) ديوانه ص ٦٣ .

(٤) « حص دابرهم » : أذهبهم ، وأصل الحص : إذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض . ينظر التاج (ح ص ص) .

(٥) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « عدتهم » . وعداتهم جمع عِدَّة .

نَقِمَ اللَّهُ وَعَاجِلِ عَذَابِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٤٦) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بي الأوثان والأصنام ، المكذبين بك : أرايتم أيها المشركون بالله غيره إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم ، وأعماكم فذهب بأبصاركم ، وختم على قلوبكم ، فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولاً ، ولا تبصروا حجةً ، ولا تفهموا مفهوماً ، أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد ﴿ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ . يقول : يرُدُّ عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام ، فتعبدوه أو تُشْرِكُوهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّكُمْ الذي يَقْدِرُ عَلَى « ذَهَابِهِ بِذَلِكَ » منكم ، وعلى رده عليكم إذا شاء ؟

وهذا من الله تعالى ذكره تعليم^(٢) نبيه الحجة على المشركين به ، يقول له : قل لهم : إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرراً ولا نفعاً ، وإنما يستحقُّ العبادَةَ عليكم مَنْ كَانَ بِيَدِهِ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ ، وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ مَا أَرَادَ ، لَا الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ .

ثم قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ أَنْظَرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ . يقول : انظر كيف تُتَابَعُ عليهم الحجج ، ونضرب لهم الأمثال والعبر ؛ ليشتَبَرُوا وَيَذْكُرُوا فَيُنَبِّهُوا . ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ . يقول : ثم هم مع مُتَابَعَتِنَا عليهم الحجج ، وتنبهنا إياهم بالعبر ، عن الادرار والاعتبار يُعْرِضُونَ .

(١ - ١) في ص، ت، ا، س : « ذهاب ذلك به » .

(٢) في ص، س : « تعلم » ، وفي ت، ا : « يعلم » .

يقالُ منه : صدَف فلانٌ عني بوجهه ، فهو يَصْدِفُ صُدُوفًا وصدَفًا . أى : عدَل وأَعْرَض . ومنه قولُ ابنِ الرُّقَاع^(١) :

١٩٧/٧ / إذا ذَكَرَ حَديثًا قُلْنَ أَحْسَنَهُ وَهُنَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدْفُ^(٢)
وقال لبيد^(٣) :

يُزَوِّى قَوَامِحَ^(٤) قَبْلَ اللَّيْلِ صَادِفَةً أَشْبَاهَ جِنٍّ عَلَيْهَا الرِّيطُ^(٥) وَالْأُزُرُ
فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ . فوَحَّدَ الهَاءَ ،
وقد مضى الذِّكْرُ قَبْلُ بِالْجَمْعِ ، فقال : ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ
عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ ؟

قيل : جائِزٌ أَنْ تَكُونَ الهَاءُ عَائِدَةً عَلَى « السَّمْعِ » ، فتَكُونُ مُوَحَّدَةً لِتَوْحِيدِ
« السَّمْعِ » ، وجائِزٌ أَنْ تَكُونَ مَعْنِيًّا بِهَا : مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِمَا أَخَذَ مِنْكُمْ ؛ مِنْ
السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْعِدَةِ ؟ فتَكُونُ مُوَحَّدَةً لِتَوْحِيدِ (مَا) . والعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا
كَثُرَتْ عَنْ الْأَفْعَالِ وَحَدَّتِ الْكِنَايَةُ ، وَإِنْ كَثُرَ مَا يُكْنَى بِهَا عَنْهُ مِنَ الْأَفْعَالِ ،
كَقَوْلِهِمْ : إِقْبَالُكَ وَإِدْبَارُكَ يُعْجِبُنِي .

وقد قيل : إِنْ الهَاءُ الَّتِي فِي ﴿بِهِ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الْهُدَى .

وَبَنَحَوْ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿يَصْدِفُونَ﴾ . قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

(١) تفسير القرطبي ٤٢٨/٦ .

(٢) صدَف ، جمع صدُوف ، وهى المرأة تَعْرِضُ وَجْهَهَا عَلَيْكَ ثُمَّ تَصْدِفُ . تاج العروس (ص د ف) .

(٣) شرح ديوان لبيد ص ٦٦ .

(٤) قوامح ، جمع قامح ، وهو التارك للشرب . ينظر التاج (ق م ح) .

(٥) الريط ، جمع ريطه ، وهى كل ملاءة غير ذات لفقين ، أى لم يضمم بعضه ببعض بخيط أو نحوه . التاج

(رى ط) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ . قَالَ : يُعْرِضُونَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ . قَالَ : يَغْدِلُونَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ . قَالَ : يُعْرِضُونَ عَنْهَا ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّ : ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ . قَالَ : يَصُدُّونَ ^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَلَنَّاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٤٧) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بَرُّهُمْ الْأَوْثَانُ ، الْمَكْذِبِينَ / بِأَنَّكَ لِي رَسُولٌ إِلَيْهِمْ : أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ وَعِقَابُهُ [٧٥٦/١] عَلَى مَا تُشْرِكُونَ بِهِ مَا تُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ ، وَتَكْذِيبِكُمْ إِيَّايَ ، بَعْدَ الَّذِي قَدْ عَايَنْتُمْ مِنَ الْبُرْهَانِ عَلَى حَقِيقَةِ قَوْلِي ، ﴿ بَفْتَةً ﴾ . يَقُولُ : فَجَاءَ عَلَى

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٧٣١١) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٧٣١٠) من طريق أبي صالح به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٣٧١٢) من طريق أحمد به .

غِرَّةٌ لَا تَشْعُرُونَ ، ﴿ أَوْ جَهْرَةً ﴾ . يَقُولُ : أَوْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُعَايِنُونَهُ وَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، ﴿ هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴾ . يَقُولُ : هَلْ يُهْلِكُ اللَّهُ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا الْعِبَادَةَ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا الْعِبَادَةَ ؟

وقد بيَّنا معنى « الجَهْرَةِ » في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ، وأنها مِنَ الإِجْهَارِ ، وهو إظهارُ الشيءِ لِلْعَيْنِ ^(١) .

كما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ جَهْرَةً ﴾ . قَالَ : وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةً ﴾ : فَجَاءَ آمِينَ ، ﴿ أَوْ جَهْرَةً ﴾ : وَهُمْ يَنْظُرُونَ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾  .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَمَا نُرْسِلُ رُسُلَنَا إِلَّا بِيَشَارَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ لَنَا بِالْجَنَّةِ وَالْفُوزِ الْمُبِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ جَزَاءً مِنْهُمْ عَلَى طَاعَتِنَا ، وَإِنْذَارٍ مَنْ عَصَانَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا ، عَقُوبَتَنَا إِثْمًا عَلَى مَعْصِيَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ جَزَاءً مِنْهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِنَا ، لِنُعْذِرَ إِلَيْهِ فِيهِلِكَ إِنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ . يَقُولُ : فَمَنْ صَدَّقَ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِنَا إِنْذَارَهُمْ إِيَّاهُ ، وَقَبِلَ ^(٣) مِنْهُمْ مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي الدُّنْيَا ، ﴿ فَلَا

(١) ينظر ما تقدم في ٦٨٧/١ وما بعدها .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٧٣١٣ ، ٧٣١٤) .

(٣) في م : « قِيلَ » .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴿٤٨﴾ عِنْدَ قُدُومِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، مِنْ عِقَابِهِ وَعَذَابِهِ الَّذِي أَعَدَّه اللَّهُ
لِأَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَعَاصِيهِ ، ﴿٤٩﴾ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ عِنْدَ ذَلِكَ ، عَلَى مَا خَلَفُوا وَرَاءَهُمْ فِي
الدُّنْيَا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَأَمَّا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِمَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رُسُلِنَا ، وَخَالَفُوا أَمْرَنَا
وَنَهَيْنَا ، وَدَافَعُوا حُجَّتَنَا ، فَإِنَّهُمْ يُبَاشِرُهُمْ عَذَابُنَا وَعِقَابُنَا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ مَا كَذَّبُوا بِهِ
مِنْ حُجَجِنَا ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ . يَقُولُ : بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ .

وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ : كُلُّ فِسْقٍ فِي الْقُرْآنِ فَمَعْنَاهُ الْكَذِبُ .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْهُ ^(١) .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَيْعٌ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَكِرِينَ نَبُوءَتَكَ : لَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ : إِنِّي الرَّبُّ
الَّذِي لَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ غُيُوبَ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، فَتُكَذِّبُونِي فِيمَا أَقُولُ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ رَبًّا إِلَّا مَنْ لَهُ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ .
وَذَلِكَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ

(١) تقدم تخريجه ص ١٠٧ ، كما عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣ إلى المصنف .

يكونَ ظاهرًا بصورته^(١) لأبصارِ البشرِ في الدنيا ، فتَجحدوا ما أقولُ لكم من ذلك ، ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ . يقولُ : قل لهم : ما أَتَّبِعُ فيما أقولُ لكم وأدعوكم إليه إلا وحيَ الله الذي يُوحى إليه ، وتنزيله الذي يُنزلُه عليَّ ، فأَمْضِي لَوْحِيهِ وَأَتَمِّرُ^(٢) لأمره ، وقد أَتَيْتُكُمْ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ مِنَ اللَّهِ عَذَرَكم على صحةِ قولي في ذلك ، وليس الذي أقولُ من ذلك بِمُنْكَرٍ في عقولِكم ، ولا مستحيلٍ كونه ، بل ذلك مع وجودِ البرهانِ على حقيقته هو الحكمةُ البالغةُ ، فما وجهُ إنكارِكم ذلك ؟

وذلك تنبيهٌ مِنَ اللَّهِ تعالى ذكره نبيه ﷺ على موضعِ حُجَّتِهِ على منكري نبوته من مشركي قومه .

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ . يقولُ تعالى ذكره : قل يا محمدُ لهم : هل يَسْتَوِي الْأَعْمَى عن الحقِّ والبصيرُ به ؟ والأعمى هو الكافرُ الذي قد عَمِيَ عن حُجَجِ اللَّهِ فلا يَتَّبِعُهَا فَيَتَّبِعَهَا ، والبصيرُ المؤمنُ الذي قد أَبْصَرَ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجَهُ ، فاقْتَدَى^(٣) بها واستضاء بضياءها ، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ . يقولُ لهؤلاء الذين كَذَّبُوا بآيَاتِ اللَّهِ : أفلا تتفكرون فيما أحتج عليكم به أيُّها القومُ من هذه الحُجَجِ ، فتعلّموا صحةَ ما أقولُ وأدعوكم إليه ، من فسادِ ما أنتم عليه مقيمون ؛ من إشراكِ الأوثانِ والأندادِ بِاللَّهِ ربِّكم ، وتكذيبِكم إِيَّايَ ، مع ظهورِ حُجَجِ صدقي لأعينِكم ، فتدعوا ما أنتم عليه من الكفرِ مقيمون ، إلى ما أدعوكم إليه من الإيمانِ الذي به تفوزون ؟

وبنحو الذي قلنا في تأويلِ ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

(١) في ص، ت، ١، س : « بعبودته » .

(٢) في م : « أَمَّر » .

(٣) في ص، ت، ١، س : « ما يقتدى » .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ .
قَالَ : الضَّالُّ وَالْمُهْتَدَى ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَةُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ الْآيَةِ . قَالَ : الْأَعْمَى : الْكَافِرُ الَّذِي قَدْ عَمِيَ عَنْ حَقِّ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنِعَمِهِ عَلَيْهِ ، وَالْبَصِيرُ : الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي أَبْصَرَ بَصَرًا نَافِعًا ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَانْتَفَعَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ ^(٢) .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ^(٣) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : وَأَنْذِرْ [٧٥٦/١ ظ] يَا مُحَمَّدُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ، الْقَوْمَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، عَلَمًا مِنْهُمْ بِأَنْ ذَلِكَ كَائِنٌ ، فَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ ، عَامِلُونَ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ ، دَائِبُونَ ^(٤) فِي السَّعْيِ فِيمَا يُنْقِذُهُمْ فِي مَعَادِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ حِينَ ^(٥) لَيْسَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ عَذَّبَهُمْ ، وَلِيٌّ يَنْصُرُهُمْ فَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْهُ ، وَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَيُخَلِّصُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ ،

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٢ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٦/٤ (٧٣٢٢ ، ٧٣٢٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٦/٤ (٧٣٢٥) من طريق يزيد به .

(٣) في م ، ت ٢ : « دائمون » .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ليس لهم من دونه ولي أي » .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ . يقول : أُنذِرْهُمْ كَيْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَيُطِيعُوا رَبَّهُمْ ، وَيَعْمَلُوا لِمَعَادِهِمْ ، وَيَحْذَرُوا سَخَطَهُ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ .

وقيل : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ ومعناه : يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ . فَوُضِعَتْ «المخافة» موضع «العلم» ؛ لأن خوفهم كان مِنْ أَجْلِ عِلْمِهِمْ بِوُقُوعِ ذَلِكَ وَوُجُودِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ .

وهذا أمرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه مِنْ وَحْيِهِ ، وتذكيرهم ، والإقبال عليهم بالإنذار ، ^(١) «وصدَّ عنه المشركون» به بعد الإعذار إليهم ، وبعد إقامة الحجة عليهم ، حتى يكونَ اللَّهُ هو الحاكم في أمرهم بما يَشَاءُ مِنَ الْحُكْمِ فِيهِمْ .

القول في تأويل قوله : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢) .

ذِكْرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبَبِ جَمَاعَةٍ مِنْ ضَعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ الْمَشْرُكُونَ لَهُ : لَوْ طَرَدْتَ هَؤُلَاءِ عَنْكَ لَغَشَيْنَاكَ وَحَضَرْنَا مَجْلِسَكَ .

ذِكْرُ الرِّوَايَةِ بِذَلِكَ

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ ، قَالَ : ثنا أَبُو زَيْدٍ ^(٢) ، عَنْ أَشْعَثَ ، عَنْ كُرْدُوسِ الثَّعْلَبِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : مرَّ الْمَلَأُ مِنْ قَرِيشٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ صُهِيبٌ وَعِمَارٌ وَبِلَالٌ وَخُبَّابٌ ، وَنَحْوُهُمْ مِنْ ضَعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، رَضِيتَ بِهِؤُلَاءِ مِنْ قَوْمِكَ ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ؟ أَنَحْنُ نَكُونُ تَبَعًا لَهُؤُلَاءِ ؟ اطْرُدْهُمْ

(١ - ١) فِي م ، ت ٢ : « وَصَدَّهُ عَنِ الْمَشْرُكِينَ » .

(٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زَيْدٌ » .

عنك ، فلعلك إن طردتهم أن تتبّعك . فنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ - ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ إلى آخر الآية^(١) .

حدثنا جرير^(٢) ، عن أشعث ، عن كردوس الثعلبي ، عن عبد الله ، قال : مرّ الملائكة من قريش على رسول الله ﷺ . ثم ذكر نحوه^(٣) .

/ حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن كردوس ، ٢٠١/٧
عن ابن عباس ، قال : مرّ على رسول الله ﷺ ملائكة من قريش . ثم ذكر نحوه^(٤) .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ،
عن السدي ، عن أبي سعيد^(٥) الأزدي - وكان قارئ الأزدي - عن أبي الكنود ، عن
خَبَّابٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . قال : جاء الأقرع بن حابس
التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب
وعمار وخباب ، في أناس من^(٦) الضعفاء المؤمنين ، فلما رأوهم حوله
حقروهم ، فأتوه فقالوا : إنا نحب أن نجعل لك منك مجلساً تعرف لنا العرب به

(١) أخرجه أحمد ٩٢/٧ (٣٩٨٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٤٢) ، والطبراني (١٠٥٢٠) ، والواحدى في أسباب النزول ص ١٦٢ ، ١٦٣ من طريق أشعث به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣ إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) كذا في النسخ ، وسقط منها شيخ المصنف ، وشيخ المصنف في مثل هذا الإسناد إما أن يكون محمد بن حميد ، وإما أن يكون سفيان بن وكيع ، وقد يكونان هما معا ، ينظر ٤٠/٥ ، ٥٣٢/٧ ، ٥٥٠ ، ٥٠٩/١١ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ، ٦٠٩/١٢ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٤٦/١ من طريق جرير به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٦/٤ (٧٣٢٦) من طريق أشعث به .

(٥) في ص ، س : « سعد » . وكلاهما صواب . ينظر تهذيب الكمال ٣٣/٣٤٤ .

(٦ - ٦) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « ضعفاء » .

فَضَّلْنَا ، فَإِنْ وَفَوْدَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَتَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَعْبِيدِ ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمَّهُمْ عِنَّا ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَعْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ . قَالَ : « نَعَمْ » .
 قَالُوا : فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ بِذَلِكَ كِتَابًا . قَالَ : فَدَعَا بِالصَّحِيفَةِ ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ ،
 قَالَ : وَنَحْنُ قَعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ ، إِذْ نَزَلَ جَبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . فَالْقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحِيفَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ دَعَانَا ، فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ يَقُولُ : « ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ » .
 فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَهُ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكْنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٢٨] . قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْعُدُ مَعَنَا بَعْدُ ، فَإِذَا بَلَغَ السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا ، قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَزْدِيِّ ، عَنْ أَبِي الْكَثُودِ ، عَنْ خُبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ بْنِحَوْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَمْرٍو ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ : فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَهُ نَفَرُواهُمْ ، فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ . وَقَالَ أَيْضًا : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثُمَّ

(١) أخرجه البزار (٢١٢٩) ، وأبو يعلى - كما فى المطالب العالية (٣٩٧٧) - عن الحسين بن عمرو به ، وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٧) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٧/٤ ، ١٣٠٠ (٧٣٣١ ، ٧٣٤٦) من طريق عمرو بن محمد العنقزى به ، وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٦٢ ، والبيهقى فى الدلائل ٣٥٢/١ ، ٣٥٣ من طريق السدى به مختصرا ، وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف ٤٣٩/١ إلى ابن راهويه فى مسنده ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

ذَكَرَ الْأَقْرَعَ وَصَاحِبَهُ ، فَقَالَ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية . وقال أيضًا :
فَدَعَانَا فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ . فَدَنَوْنَا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى وَضَعْنَا
رُكْبَنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ . وسائر الحديث نحوه ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ
وَالْكَلْبِيِّ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنْ سَرَّكَ أَنْ نَتَّبِعَكَ ، فَاطْرُدْ عَنَّا
فَلَانًا وَفَلَانًا - نَاسًا مِنْ ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ - فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ ^(٢) .

/ حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾
الآية . قَالَ : وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ النَّاسِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ سَرَّكَ أَنْ
نَتَّبِعَكَ ، فَاطْرُدْ عَنَّا فَلَانًا وَفَلَانًا - لَأَنَاسٍ كَانُوا دُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، ازْدَرَاهُمُ
الْمُشْرِكُونَ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ : بِلَالٌ وَابْنُ
أُمِّ عَبْدِ ، كَانَا يُجَالِسَانِ [٧٥٧/١] مُحَمَّدًا ﷺ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ مُحَقَّرَتَهُمَا : لَوْلَاهُمَا
وَأَمْثَالُهُمَا لَجَالَسْنَاهُ . فَتَنَاهُ عَنْ طَرْدِهِمْ ، حَتَّى قَوْلِهِ : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ ﴾ . قَالَ : ﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ . فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي هَذَا ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/٢٠٧، ٢٠٨ - ومن طريقه الطبراني (٣٦٩٣)، وأبو نعيم في الحلية ١/٣٤٤ -
والبزار (٢١٣٠)، والطحاوي في المشكل (٣٦٧) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٠٨ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٢، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٣٩) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن المقدم بن شريح ، عن أبيه ، قال : قال سعد^(١) : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ ؛ منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي ﷺ ونذنو منه ، ونسمع منه ، فقالت قريش : يُذنى هؤلاء دوننا ! فنزلت : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ الآية . قال : جاء عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحارث بن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، في أشراف من بنى عبد مناف من الكفار ، إلى أبي طالب ، فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك يطرُدُ عنه موالينا وحلفاءنا ، فإنما هم عبيدنا وغسفاؤنا^(٣) ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه ، وتصدقنا له . قال : فأتى أبو طالب النبي ﷺ ، فحدثه بالذي كَلَّموه به ، فقال عمرُ ابن الخطاب : لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يُريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ قال : وكانوا : بلالاً ، وعمار بن ياسر ، وسالم المولى أبي حذيفة ، وصبيح المولى أسيد ، ومن الحلفاء : ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القاري ، وواقد بن عبد الله

(١) في النسخ : « سعيد » والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه مسلم (٤٥/٢٤١٣) ، والنسائي (٨٢٢٠) ، وفي فضائل الصحابة (١١٦ ، ١٦٠) ، والبخاري (١٢٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤ ، وأبو يعلى (٨٢٦) من طرق عن سفيان به ، وأخرجه مسلم (٤٦/٢٤١٣) ، وابن ماجه (٤١٢٨) وعبد بن حميد (١٣١) ، وابن حبان (٦٥٧٣) ، وأبو نعيم في الحلية ٣٤٦/١ ، والحاكم ٣/٣١٩ ، والواحدى في أسباب النزول ص ١٦٢ ، والبيهقي في الدلائل ٣٥٣/١ من طريق المقدم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/١٣ إلى الفريابي وأحمد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٣) العسفاء : الأجراء . واحد هم عسييف . النهاية ٢٣٦/٣ .

الْحَنْظَلِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ عَمْرِو ذُو الشُّمَالَيْنِ ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ - وَأَبُو مَرْثَدٍ مِنْ غَنِيٍّ ، حَلِيفُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - وَأَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْحُلَفَاءِ . وَنَزَلَتْ فِي أُمَّةِ الْكُفْرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمَوَالِي وَالْحُلَفَاءِ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ الآية . فَلَمَّا نَزَلَتْ أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ فَاغْتَدَرَ مِنْ مَقَالَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَيْتَنَّا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية ^(١) .

/ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، ٢٠٣/٧
قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَانِي مَعَ سَلْمَانَ وَبِلَالٍ وَذَوَيْهِمْ فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ ، وَجَالِسَ فُلَانًا وَفُلَانًا . قَالَ : فَتَزَلِ الْقُرْآنُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ إِلَّا أَنْ تَطْرُدْهُمْ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمْرُكَ أَنْ تَطْرُدْهُمْ ، فَأَبْلَغَهُمْ مَنَى السَّلَامِ وَبَشَّرَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . وَقَرَأَ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَيْتَنَّا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ . قَالَ : لَتَعْرِفَهَا ^(٢) .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي « الدَّعَاءِ » الَّذِي كَانَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ نَهَى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَنْ طَرْدِهِمْ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُشَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٤٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . يَعْنِي : يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يَعْنِي الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ . قَالَ : هِيَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ الْفَرَائِضُ ، وَلَوْ كَانَ يَقُولُ الْقُصَّاصُ ، هَلَكَ مَنْ لَمْ يَجْلِسْ إِلَيْهِمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ وَابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَا : ثنا ابْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ . قَالَ : هِيَ الصَّلَاةُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ : الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ ، الصَّبْحُ وَالْعَصْرُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي ^(٥) مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنْدِيُّ ، قَالَ : ثنا حُسَيْنٌ ^(٥) الْجُعْفِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي حَمْزَةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَيْسَى ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ فَسَأَلْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] . أَهْمَ هَؤُلَاءِ الْقُصَّاصُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُمْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤ (٧٣٣٣) من طريق أبي صالح ببعضه ، وعلق باقيه عقب الأثر (٧٣٣٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤ عقب الأثر (٧٣٣٦) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤ ، ١٢٩٩ (٧٣٣٦ ، ٧٣٣٧) من طريق ابن أبي نجيح به .

(٤ - ٤) في ص ، ت ٣ : « محمد بن موسى بن عبد الرحمن » . وتقدم في ١/١٧٢ ، ٥٠٨ ، ٣/٣٨٦ ، وينظر تهذيب الكمال ٩٨/٢٩ .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حسن » .

المُحَافِظُونَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ : ثنا عيسى ،
وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثنا وُرْقَاءُ ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قَالَ : الصَّلَاةُ
الْمَكْتُوبَةُ^(٢) .

/حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبيدٌ ، ٢٠٤/٧
قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قَالَ :
يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ [٧٥٧/١ ظ] وَالْعَشِيِّ ، يَعْنِي : الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] : هُمَا الصَّلَاتَانِ ؛ صَلَاةُ
الصَّبْحِ ، وَصَلَاةُ الْعَصْرِ .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرَقِيِّ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : ثنا
مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ
مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] الْآيَةِ : إِنَّهُمْ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةَ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ وَإِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٢٥٤ / ٣ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨ / ٤ عقب الأثر (٧٣٣٦) معلقًا .

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل ٣٤١ / ١ عقب الحديث (٣٦٧) من طريق ابن أبي مريم به ، وعزاه السيوطي
في الدر المنثور ٢١٩ / ٤ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

قالا : الصلوات الخمس^(١) .

حدثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهدٍ مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قال : المصلين المؤمنين ، بلالٌ وابنُ أمِّ عبدٍ^(٢) .

قال ابنُ جريج : وأخبرني عبدُ الله بنُ كثير ، عن مجاهد ، قال : صَلَّيْتُ الصُّبْحَ مع سعيدِ بنِ المسيب ، فلما سَلَّمَ الإمامُ ابْتَدَرَ النَّاسُ الْقَاصَّ ، فقال سعيدٌ : ما أَسْرَعَهُمْ^(٣) إلى هذا المجلس ! قال مجاهدٌ : فقلتُ : يَتَأَوَّلُونَ ما قال اللهُ تعالى . قال : وما قال ؟ قلتُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قال : وفي هذا ذا ؟ إنما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن ، إنما ذاك في الصلاة^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن منصور ، عن عبدِ الرحمن بنِ أبي عَمْرٍو ، قال : الصلاة المكتوبة^(٥) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : هي الصلاة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه و^(٦) إسرائيل ، عن عامر ، قال : هي الصلاة .

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٩١٦) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٢ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٣٩) .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أسرع » .

(٤) ينظر تفسير البغوي ١٤٦/٣ ، ١٤٧ .

(٥) ينظر البحر المحيط ١٣٦/٤ .

(٦) في ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن » . وينظر ما تقدم في ٤٩٧/٨ .

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ . يَقُولُ : صلاةُ الصبحِ ، وصلاةُ العصرِ .
 حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : صَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(١) بْنُ أَبِي عَمْرَةَ ^(٢) فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ، فَلَمَّا صَلَّى قَامَ فَاسْتَنَدَ إِلَى حَجَرَةٍ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَنَّثَالَ ^(٣) النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِلَيْكُمْ . فَقِيلَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا جَاءُوا يُرِيدُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . فَقَالَ : وَهَذَا عُنَى بِهِذَا ؟ ! إِنَّمَا هُوَ فِي الصَّلَاةِ .

/ وقال آخرون : هي الصلاة ، ولكنَّ القومَ لم يَسْأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرْدَ هَؤُلَاءِ الضَّعَفَاءِ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخِيرَهُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ تَأْخِيرَهُمْ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يَكُونُوا وَرَاءَهُمْ فِي الصَّفِّ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الْآيَةَ : فَهَمُّ أَنَاسٍ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْفُقَرَاءِ ، فَقَالَ أَنَاسٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ : نُوْمِنُ لَكَ ، وَإِذَا صَلَّيْنَا فَأَخَّرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَعَكَ ، فَلْيُصَلُّوا خَلْفَنَا ^(٣) .

وقال آخرون : بل معنى دُعَائِهِمْ كَانَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرُهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، وَحَدَّثَنَا هَنَّادٌ ، قَالَ : ثنا وَكَيْعٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) انثال الناس عليه : انصبوا عليه . تاج العروس (ث و ل) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن مردويه .

عن منصور ، عن إبراهيم قوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ .
قال : أهل الذكر^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قال : هم أهل الذكر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قال : لا تطردهم عن الذكر^(٢) .
وقال آخرون : بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ،
عن أبي جعفر قوله : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ .
قال : كان يُقْرَأُ لهم القرآن ،^(٣) من الذي يَقُصُّ على^(٤) النبي ﷺ !؟
وقال آخرون : بل غنى بدعائهم ربهم عبادتهم إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال :
سمعت الضحاک يقول في قوله : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ . قال : يعنى :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤ (٧٣٣٤) من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة عن إبراهيم ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٧٩ - تفسير) من طريق جرير به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤ (٧٣٣٥) من طريق إسرائيل به بنحوه .

يَعْبُدُونَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [غافر : ٤٣] . يعنى :
تَعْبُدُونَ ^(١) .

والصوابُ من القولِ فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمداً ﷺ أن يَطْرُدَ قوماً كانوا يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغداة والعشي . والدعاءُ لله يكونُ بذكره وتمجيده والثناءِ عليه قولاً وكلاماً ، وقد يكونُ بالعملِ له بالجوارحِ الأعمالِ التى كان عليهم فَرْضُهَا ، وغيرَها من النوافلِ التى تُرْضَى ، والعاملُ له عابده بما هو عاملٌ له ، وقد يجوزُ أن يكونَ القومُ كانوا جامعين هذه المعانى كلها ، فوصفهم الله بذلك ، بأنهم يَدْعُونَهُ بالغداة والعشي ؛ لأن الله قد سَمَّى العبادةَ دعاءً ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي / أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ [١/٧٥٨ و] يَسْتَكْبِرُونَ ٢٠٦/٧ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] . وقد يجوزُ أن يكونَ ذلك على خاصٍّ من الدعاءِ .

ولا قولٌ أولى بذلك بالصحة من وصفِ القومِ بما وصفهم الله به ، من أنهم كانوا يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغداة والعشي ، فيَعْمُونَ بالصفةِ التى وصفهم بها ربهم ، ولا يُخَصُّون منها بشىءٍ دونَ شىءٍ .

فتأويلُ الكلامِ إذن : يا محمدُ ، أُنذِرُ بالقرآنِ الذى أنزلته إليك ، الذين يَعلَمُونَ أنهم إلى ربهم مَحْشُورُونَ ، فهم من خوفِ وُرودِهِم على الله الذى لا شَفِيعَ لهم من دونه ولا نصيرَ ، فى العملِ له دائِمُونَ ، إذ أَعْرَضَ عن إنذارِكَ واستماعِ ما أنزل الله عليك المكذِبُونَ بالله واليومِ الآخرِ من قومِكَ ؛ استِكْبَاراً على الله . ولا تَطْرُدْهُمْ ولا تُقْصِبْهُمْ فتكونَ ممن وَضَعَ الإِقْصَاءَ فى غيرِ موضِعِهِ ، فَأَقْصَى وطَرَدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَرْدُهُ وإِقْصَاؤُهُ ، وقَرَّبَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَقْدِيمُهُ بِقُرْبِهِ وإِذْنَاؤُهُ ، فإن الذين نهَيْتُكَ عن

(١) ينظر البحر المحيط ١٣٦/٤ ، والآية المذكورة لا يستقيم بها الاستدلال ، ولعله أراد الآية (٦٦) من سورة غافر : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

طَرِدَهُمُ هُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ، فَيَسْأَلُونَ عَفْوَهِ وَمَغْفِرَتَهُ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ ، وَأَدَاءِ مَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِ تَطَوُّعِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ إِيَّاهُ بِالسَّيِّئَاتِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ وَالْدُّنْوَ مِنْ رِضَاهُ ، ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . يَقُولُ : مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ حِسَابِ مَا رَزَقْتِكَ مِنَ الرِّزْقِ مِنْ شَيْءٍ ﴿ فَطَرَدَهُمْ ﴾ حِذَارَ مُحَاسَبَتِي إِيَّاكَ بِمَا خَوَّلْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرِّزْقِ .

وقوله : ﴿ فَطَرَدَهُمْ ﴾ . جواب لقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ .

وقوله : ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ جواب لقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (٥٣) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ : وكذلك اخْتَبَرْنَا وَابْتَلَيْنَا .

كالذى حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ يقول : ابْتَلَيْنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ^(١) .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى « الفتنة » ، وأنها الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٣٥٦/٢ ، ٣٥٧ .

وإنما فتنهُ اللهُ تعالى ذكرهُ بعضَ خلقهِ ببعضٍ مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق ، فجعل بعضاً غنياً وبعضاً فقيراً ، وبعضاً قوياً وبعضاً ضعيفاً ، فأخوج بعضهم إلى بعضٍ ؛ اختباراً منه لهم بذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

/ حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن ٢٠٧/٧ عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ : يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : ﴿ أَهْلُولَاءَ مِنْكَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَبِينُنَا ﴾ . يعنى : هداهم الله . وإنما قالوا ذلك استهزاءً وسخريةً^(١) .

وأما قوله : ﴿ لِيَقُولُوا أَهْلُولَاءَ مِنْكَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَبِينُنَا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرهُ : اخْتَبَرْنَا النَّاسَ بِالْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَالْعِزِّ وَالذُّلِّ ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ ؛ كى يَقُولَ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَأَعْمَاهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ لِلَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَوَفَّقَهُمْ : ﴿ أَهْلُولَاءَ مِنْكَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالهدى والرشد ، وهم فقراء ضعفاء أذلاء ، ﴿ مَنْ يَبِينُنَا ﴾ ، ونحن أغنياء أقوياء ؟ استهزاءً بهم ، معابةً^(٢) للإسلام وأهله .

يقولُ تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ . وهذا منه تعالى ذكرهُ إجابةً لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكونَ اللهُ هدىً أهلَ المسكنة والضعف للحق ، وخذلهم عنه وهم أغنياء ، وتقريرٌ لهم : أنا أعلمُ بمن كان من خلقى شاكرًا نعمتى ،

(١) فى م ، س : « سخرية » .

والأثر أخرجه ابن ابى حاتم فى تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٤١) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « معادة » .

مَنْ هُوَ 'لَهَا كَافِرٌ' (١) ، فَمَنْ عَلَى مَنْ مَنَنْتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِالْهُدَايَةِ ؛ جَزَاءَ شُكْرِهِ إِيَّايَ عَلَى نِعْمَتِي ، وَتَخْذِيلِي مَنْ خَذَلْتُ مِنْهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ ؛ عِقَابَهُ كُفْرَانِهِ إِيَّايَ نِعْمَتِي - لَا لَغْنَى الْغِنَى مِنْهُمْ ، وَلَا لِفَقْرِ الْفَقِيرِ ؛ لِأَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ لَا يَسْتَحِقُّهُ أَحَدٌ إِلَّا جَزَاءً عَلَى عَمَلِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ ، لَا عَلَى غِنَاهُ وَفَقْرِهِ ؛ لِأَنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ ، وَالْعِجْزَ وَالْقُوَّةَ ، لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِ خَلْقِي .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٤) .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَنِ الَّذِينَ نَهَى اللَّهُ نَبِيَّهُ عَنْ طَرْدِهِمْ . وَقَدْ مَضَتْ الرِّوَايَةُ بِذَلِكَ عَنْ قَائِلِيهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : عَنِ بَهَا قَوْمًا اسْتَفْتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي ذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عِظَامٌ ، فَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ اللَّهُ مِنَ التَّوْبَةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ مُجَمِّعٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَا هَانَ ، قَالَ : جَاءَ قَوْمٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَصَابُوا ذُنُوبًا عِظَامًا ، قَالَ مَا هَانَ : فَمَا إِخَالَهُ رَدُّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الْآيَةُ (٢) .

حَدَّثَنَا هَنَادٌ ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مُجَمِّعٍ ، عَنْ مَا هَانَ ، أَنَّ قَوْمًا

(١ - ١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لَهُ كَافِرًا » .

(٢) تَفْسِيرُ سَفْيَانَ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، وَأَخْرَجَهُ مُسَدَّدٌ فِي مُسْنَدِهِ - كَمَا فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ (٣٩٧٣) - مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٤/٣ إِلَى الْفَرِيَّانِيِّ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

جاءوا إلى النبي ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، إنا أصبنا ذنوبًا عظامًا . فما إخاله ردّ عليهم شيئًا ، فأنصرفوا ، فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . قال : فدعاهم ، فقرأها عليهم .

/ حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجمع التميمي ، قال : ٢٠٨/٧ سَمِعْتُ مَا هَانَ يَقُولُ [٧٥٨/١ ظ] . فذكر نحوه ^(١) .

وقال آخرون : بل غنى بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبي ﷺ بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم ، فكان ذلك منهم خطيئة ، فغفرها الله لهم ، وعفا عنهم ، وأمر نبيه ﷺ إذا أتوه أن يُبشِّرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم بمشورتهم على النبي ﷺ بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم . وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد ، وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بتأويل الآية قول من قال : المعنيون بقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ . غير الذين نهى الله النبي ﷺ عن طردهم ؛ لأن قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾ خبرٌ مُستأنفٌ بعدَ تَقْضِي الخبر عن الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم ، ولو كانوا هم لقل : وإذا جاءوك فقل : سلامٌ عليكم . وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأولين ما يُنبئ عن أنهم غيرهم .

فتأويل الكلام ^(٢) إذ كان الأمر على ما وصفنا : وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يُصدّقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا ، فيقرّون بذلك قولاً وعملاً ، مُسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم ، هل لهم منها توبة ؟ فلا تُؤيِّسهم منها ، وقل

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٠/٤ (٧٣٤٥) من طريق أبي نعيم به .

(٢) بعده في س : « إذن » .

لهم : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أَمَنَةُ اللَّهِ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، أَنْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِكُمْ مِنْهَا ، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . يقول : قضى ربُّكم الرحمة بخلقه ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْمَدَنِيِّينَ : (أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا) . فَيَجْعَلُونَ « أَنْ » منصوبةً على الترجمة بها عن « الرحمة » ، (ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ^(١) . على ائْتِنَافٍ « إِنَّهُ » بَعْدَ الْفَاءِ ، فَيَكْسِرُونَهَا وَيَجْعَلُونَهَا أَدَاةً لَا مَوْضِعَ لَهَا ، بِمَعْنَى : فَهُوَ لَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، أَوْ : فَلَهُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ .

وَقَرَأَهُمَا بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ بِفَتْحِ الْأَلِفِ مِنْهُمَا جَمِيعًا ، بِمَعْنَى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ثُمَّ تَرْجَمَ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾ . عن الرحمة ، ﴿ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) . فَيُعْطَفُ بِ « أَنَّهُ » الثَّانِيَةِ ، عَلَى « أَنَّهُ » الْأُولَى ، وَيَجْعَلُهُمَا اسْمَيْنِ مَنْصُوبَيْنِ عَلَى مَا يَتَّبَعُ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَعَامَّةُ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، بِكَسْرِ الْأَلِفِ مِنْ « إِنَّهُ » وَ « إِنَّهُ » عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَعَلَى أَنَّهُمَا أَدَاتَانِ لَا مَوْضِعَ لَهُمَا ^(٣) .

وَأُولَى الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُمَا بِالْكَسْرِ : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ) عَلَى إِبْتِدَاءِ الْكَلَامِ ، وَأَنَّ الْخَبَرَ قَدْ انْتَهَى عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ ، ثُمَّ اسْتَوْثِنَ الْخَبْرُ عَمَّا هُوَ فَاعِلٌ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِمَنْ عَمِلَ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ وَأَصْلَحَ مِنْهُ .

(١) وهى قراءة نافع وأبى جعفر . ينظر النشر ٢ / ١٩٤ .

(٢) وهى قراءة عاصم وابن عامر ويعقوب . المصدر السابق .

(٣) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وحمزة والكسائى وخلف . المصدر السابق .

ومعنى قوله : ﴿ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ﴾ : أنه من اقترف منكم ذنبًا ، فجهل باقترافه إياه ، ثم تاب / وأصلح ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ ﴾ لذنبه إذا تاب وأناب ، ٢٠٩/٧ وراجع العمل بطاعة الله ، وترك العود إلى مثله مع الندم على ما فرط منه ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بالتائب أن يُعاقبه على ذنبه بعد توبته منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان ، عن مجاهد : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ﴾ . قال : من جهل أنه لا يعلم حلالاً من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جريز ، عن ليث ، عن مجاهد : ﴿ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ﴾ [النساء : ١٧] . قال : من عمل بمعصية الله ، فذاك منه جهل حتى يرجع^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا بكر بن خنيس ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ﴾ . قال : كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا خالد بن دينار أبو خلدة ، قال : كنا إذا دخلنا على أبى العالية قال : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/٤ (٧٣٤٧) من طريق أبى خالد به بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/٤ (٧٣٤٨) من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿١﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .
الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ : وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد إلى هذا الموضع ، حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان ، وأدلتنا ، وميزانها لك وبينناها ، كذلك نُفَصِّلُ لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق يُنْكِرُهُ أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم ، فنبينها لك حتى يتبين حقه من باطله ، وصحيحه من سقيميه .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامة قراة أهل المدينة : (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء (سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) ^(١) بنصب « السبيل » ، على أن « تستبين » خطاب للنبي ﷺ ، كأن معناه عندهم : وَلِتَسْتَبِينَ أنت يا محمد سبيل المجرمين .

وكان ابن زید يَأْوُلُ ذلك : وَلِتَسْتَبِينَ أنت يا محمد سبيل المجرمين الذين سألوك طرد النفر الذين سألوهم طردهم عنه من أصحابه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زید : (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) . قال : الذين يَأْمُرُونَكَ بطرد هؤلاء ^(٢) .

وقرأ ذلك بعض المكِّيِّين وبعض البصريين : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ بالتاء ﴿ سَبِيلُ ﴾

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢ / ٢٢١ ، وابن عساكر في تاريخه ١٨ / ١٨٥ من طريق أبي خلدة به .

(٢) وهي قراءة نافع وأبي جعفر . ينظر النشر ٢ / ١٩٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٣٠٢ (٧٣٥٧) من طريق أصبغ ، عن ابن زید .

الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ برفع « السبيل » على أن القصد للسبيل ، ولكنه يُؤنَّثها ، وكأن معنى الكلام عندهم : وكذلك نُفَصِّلُ الآياتِ وَلِتَتَّضِحَ لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين .

وَقَرَأْ ذَلِكَ عَامَةً قَرَأَةً أَهْلِ الْكُوفَةِ : / (وَلِئَسْتَيْنِ) بالياءِ (سبيلُ المجرمين) ﴿٢﴾ ٢١٠/٧
 برفع « السبيل » ، على أن الفعل للسبيل ، ولكنهم يُذَكِّرُونَهُ ، [٧٥٩/١ و] ومعنى هؤلاء في هذا الكلام ، ومعنى مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بالتاءِ في : ﴿ وَلِئَسْتَيْنِ ﴾ ، ورفع السبيلَ ، واحدٌ ، وإنما الاختلافُ بينهم في تذكير السبيل وتأنيثها .

وأولى القراءتين بالصوابِ عندى فى « السبيل » الرفع ؛ لأن الله تعالى ذكره فَصَّلَ آيَاتِهِ فى كتابه وتنزيله لِيَتَّبِعَنَّ الْحَقَّ بها مِنَ الْبَاطِلِ جميعُ مَنْ خُوطِبَ بها ، لا بعضٌ دونَ بعضٍ .

وَمَنْ قَرَأَ « السبيلَ » بالنصبِ ، فإنما جعل تبين ذلك مَحْصُورًا على النَّبِيِّ ﷺ .
 وأما القراءةُ فى قوله : ﴿ وَلِئَسْتَيْنِ ﴾ فسواءُ قُرِئَتْ بالتاءِ أو بالياءِ ؛ لأن من العربِ مَنْ يُذَكِّرُ « السبيلَ » ، وهى تميمٌ وأهل نجد ، ومنهم مَنْ يُؤنِّثُ « السبيلَ » ، وهم أهل الحجاز ، وهما قراءتان مُستَفِيزتان فى قراءةِ الأُمصارِ ، ولغتان مشهورتان من لغات العربِ ، وليس فى قراءة ذلك بإحداهما خلافٌ لقراءته بالأخرى ، ولا وجهٌ لاختيار إحداهما على الأخرى بعد أن يُزَفَعَ « السبيلُ » ؛ للعلَّةِ التى ذكرنا .
 وبنحو الذى قلنا فى تأويلِ قوله : ﴿ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ . قال أهل التأويل .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الرزاق ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادة : ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ : نُبَيِّنُ الْآيَاتِ ﴿٣﴾ .

(١) وهى قراءة ابن كثير ، وحفص عن عاصم ، وأبى عمرو وابن عامر ويعقوب . ينظر النشر ١٩٤ / ٢ .

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر عن عاصم ، وخلف . النشر ١٩٤ / ٢ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٧ / ١ .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في : ﴿ نَفْصِلُ
الْآيَاتِ ﴾ : نُبَيِّنُ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا
أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) .

يقولُ تعالى ذكره لنبيه محمدٍ ﷺ : قل يا محمدُ لهؤلاء المشركين برَبِّهم من
قومِكَ ، العادِلين به الأوثانَ والأندادَ الذين يدْعونكَ إلى موافقتهم على دينهم ،
وعبادة الأوثانِ - : إن الله نهاني أن أعْبُدَ الذين تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ، فلن أَتَّبِعَكُمْ على ما
تَدْعُونَنِي إليه مِنْ ذلك ، ولا أُوَافِقُكُمْ عليه ، ولا أُعْطِيَكُمْ محبَّتكم وهو اكم فيه ، وإن
فَعَلْتُ ذلك فقد تَرَكْتُ مَحَجَّةَ الْحَقِّ ، وسَلَكْتُ على غيرِ الْهُدَى ، فَصِرْتُ ضَالًّا
مِثْلَكُمْ على غيرِ استقامة .

وللعربِ في « ضَلَلْتُ » لغتان ؛ فتح اللام وكسرها ، واللغة الفصيحة المشهورة
هي فتحها ، وبها قرأ عامةُ قُرَاءَةِ الْأَمْصَارِ ، وبها نَقَرُ ؛ لشهرتها في العربِ ، وأما الكسرُ
فليس بالغالبِ في كلامِها ، والقراءةُ بها قليلون^(١) ، فَمَنْ قال : « ضَلَلْتُ » قال :
أَضِلُّ . وَمَنْ قال : « ضَلِلْتُ » قال في المستقبلِ : أَضِلُّ . وكذلك القراءةُ عندنا في
سائرِ القرآنِ ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا ﴾ [السجدة : ١٠] بفتح اللام .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمُّ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴾ (٥٧) .

يقولُ / تعالى ذكره لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين برَبِّهم ،
الداعين لك إلى الإِشْرَاقِ بِرَبِّكَ : ﴿ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أي : إني على بيانٍ قد
تَبَيَّنَتْهُ ، وبرهانٍ قد وَضَحَ لِي ﴿ مِنْ رَبِّي ﴾ . يقولُ : مِنْ تَوْحِيدِهِ^(٢) ، وما أنا عليه مِنْ

٢١١/٧

(١) وهي قراءة شاذة ، قرأ بها السلمي وابن وثاب وطلحة . البحر المحيط ٤ / ١٤٢ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « توحيدى » .

إخلاص عبوديته من غير إشراك شيء به .

وكذلك تقول العرب : فلان على بينة من هذا الأمر . إذا كان على بيان منه ،
ومن ذلك قول الشاعر^(١) :

أَبَيِّنَةً تَبْغُونَ بَعْدَ اعْتِرَافِهِ وَقَوْلِ سُؤْيِدٍ قَدْ كَفَيْتُكُمْ بِشَرًّا
﴿ وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ﴾ . يقول : وكذبتُم أنتم برَّبِّكم . والهاء في قوله :
﴿ بِهِ ﴾^(٢) من ذكر الربِّ جلَّ وعزَّ . ﴿ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ . يقول : ما
الذي تَسْتَعْجِلُونَ مِن نِّقَمِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ بِيَدِي ، ولا أنا على ذلك بقادر . وذلك أنهم
قالوا حين بعث الله نبيَّه محمداً ﷺ بتوحيده ، فدعاهم إلى الله ، وأخبرهم أنه رسوله
إليهم : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾
[الأنبياء : ٣] . وقالوا للقرآن : هو أضغاث أحلام . وقال بعضهم : بل هو اختلاق
اختلقه . وقال آخرون : بل محمدٌ شاعرٌ ، فليأتنا بآية كما أُرْسِلَ الأولون . فقال الله
لنبيِّه ﷺ : أَجِبْنَهُمْ بِأَنَّ الْآيَاتِ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِكَ ، وإنما أنت رسولٌ ، وليس عليك إلا
البلاغ لما أُرْسِلْتَ به ، وأن الله يَقْضِي الْحَقَّ فِيهِمْ وَفِيكَ ، ويفصلُ به بينك وبينهم ،
فَيَتَبَيَّنُ الْمُحِقُّ مِنْكُمْ وَالْمُبْطِلُ ، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ . أى : وهو خيرُ مَنْ بَيْنَ
وَمِيزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمُبْطِلِ ، وأعدلُّهم ؛ لأنه لا يَقَعُ فِي حَكْمِهِ وَقَضَائِهِ حَيْفٌ إِلَى أَحَدٍ ،
لوسيلة له إليه ، ولا لقراية ولا مُناسبة ، ولا في قضائه جَوْرٌ ؛ لأنه لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي
الْأَحْكَامِ فَيَجُورُ ، فهو أعدلُ الْحُكَّامِ وَخَيْرُ الْفَاصِلِينَ .

وقد ذكر لنا في قراءة عبد الله : (وهو أَسْرَعُ الْفَاصِلِينَ)^(٣) .

حدَّثنا محمد بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمد بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةٌ ، عن أبي

(١) مجاز القرآن ١/ ١٩٣ .

(٢) سقط من : م .

(٣) البحر المحيط ٤/ ١٤٣ ، وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف .

بشر، عن سعيد بن جبيرة أنه قال : في قراءة عبد الله : (يَقْضِي الْحَقُّ وَهُوَ أَسْرَعُ الْفَاصِلِينَ)^(١) .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ : (يَقْضِي الْحَقُّ) ؛ فَقَرَأَهُ عَامَةً قِرَاءَةُ الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةِ وَبَعْضُ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ ﴾ ، بِالْصَادِ بِمَعْنَى الْقَصَصِ^(٢) . وَتَأَوَّلُوا فِي ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف : ٣] . وَذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : ﴿ يَقُصُّ الْحَقُّ ﴾ . وَقَالَ [١/٧٥٩ ظ] : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾^(٣) .

وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قِرَاءَةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ : (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ) بِالضَّادِ^(٤) ، مِنْ الْقَضَاءِ بِمَعْنَى الْحُكْمِ وَالْفَصْلِ بِالْقَضَاءِ ، وَاعْتَبَرُوا صِحَّةَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ ﴾ . وَأَنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَضَاءِ لَا بِالْقَصَصِ . وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا أَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ^(٥) ؛ لِمَا ذَكَرْنَا لِأَهْلِهَا مِنَ الْعِلَّةِ .

فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذَنْ : مَا الْحُكْمُ / فِيمَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَفِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي لَا يَجُوزُ فِي حُكْمِهِ ، وَبِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، يَقْضِي الْحَقُّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ بَيْنَنَا بِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤/٣ إلى المصنف وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) وهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وعاصم . النشر ١/١٩٤ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٨٠ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٣/٤ (٧٣٦٠) من طريق ابن عيينة به .

(٤) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب . النشر ١/١٩٤ .

(٥) القراءتان كلتاهما صواب .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٥٨) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادِلين برّبهم الآلهة والأوثان ، المكذّيك فيما جئتهم به ، السائليك أن تأتيهم بآية ؛ استعجالاً منهم بالعذاب : لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب ﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه ، ولكن ذلك بيد الله ، الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين ، الذين يضغون عبادتهم التي لا تنبغي أن تكون إلا لله في غير موضعها ، فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام ، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم ، وحال القضاء بيني وبينهم .

وقد قيل : معنى قوله : ﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ : الذبح للموت . حدّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، قال : بلغني في قوله : ﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ . قال : ذبح الموت ^(١) .

وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله : ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ [مریم : ٣٩] . فإنه روى عن النبي ﷺ في ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل في قضاء الأمر ^(٢) . وليس قوله : ﴿ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ من ذلك في شيء ، وإنما هذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها : لو أن العذاب والآيات بيدي وعندى ، لعاجلْتُكم بالذي تسألوني من ذلك ، ولكنه بيد من هو أعلم بما

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٣/٤ (٧٣٦٥) من طريق أبي خالد الأحمر به .

(٢) يشير إلى ما رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار » . ثم ذكر ذبحه .

يُصْلِحْ خَلْقَهُ مِنِّي وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .

يقول : وَعِنْدَ اللَّهِ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ . والمَفَاتِحُ : جمعُ مِفْتَاحٍ ، يقالُ فيه : مِفْتَاحٌ وَمِفْتَاحٌ . فَمَنْ قَالَ : مِفْتَاحٌ . جَمَعَهُ مَفَاتِحَ ، وَمَنْ قَالَ : مِفْتَاحٌ . جَمَعَهُ مَفَاتِيحَ .

ويعنى بقوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ : خزائنُ الغيبِ .

كالذى حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ . قال : يقول : خزائنُ الغيب^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مشعر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود ، قال : أُعْطِيَ نَبِيُّكُمْ^(٢) كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا مَفَاتِحَ الْغَيْبِ^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن / ابن عباس : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ . قال : هن خمس : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ إلى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٤) [لقمان : ٣٤] .

فتأويل الكلام إذن : واللَّهُ أعلمُ بالظالمين من خلقه ، وما هم مُسْتَحِقُّوه ، وما هو

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/٤١٣٠ (٧٣٦٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) بعده في ص : « علم » .

(٣) أخرجه أحمد ٧/٢٨٦ (٤٢٥٣) عن وكيع به ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/٤٧٧ من طريق مسعر به ،

وأخرجه الطيالسي (٣٨٥) ، وأحمد ٦/١٧٢ ، ٧/٢٣٢ (٣٦٥٩ ، ٤١٦٧) من طريق عمرو بن مرة به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥ إلى المصنف وابن المنذر .

بهم صانع ، فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه ، فلم يَطْلَعُوا عليه ولم يُدْرِكوه ولم يَعْلَمُوهُ ، ولن^(١) يُدْرِكوه ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ . يقول : وعنده علم ما لم يَغِبْ أيضًا عنكم ؛ لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين يَعْلَمُهُ العباد .

فكأن معنى الكلام : وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تَعْلَمُونَهُ ولن تَعْلَمُوهُ مما استأثر بعلمه نفسه ، وَيَعْلَمُ أيضًا مع ذلك جميع ما يَعْلَمُهُ جميعكم ، لا يَخْفَى عليه شيء ؛ لأنه لا شيء إلا ما يَخْفَى عن الناس ، أو ما لا يَخْفَى عليهم ، فأخبر تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون ، وما هو كائن مما لم يكن بعد ، وذلك هو الغيب .

القول في تأويل قوله : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ولا تسقط ورقة في الصحارى والبرارى ، ولا فى الأمصار والقرى ، إلا الله يَعْلَمُهَا ، ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ . يقول : ولا شيء أيضًا مما هو موجود ، أو مما سيوجد ولم يوجد بعد ، إلا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ ، مكتوب ذلك فيه ، ومرسوم عدده ومبلغه ، والوقت الذى يوجد فيه ، والحال التى يَفْنَى فيها .

ويعنى بقوله : ﴿مُبِينٍ﴾ . أنه يُبَيِّنُ عن صحة ما هو فيه بوجود ما رُسِمَ فيه على ما رُسِمَ .

فإن قال قائل : وما وجه إثباته فى اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لا يَخْفَى عليه ، وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه ؟

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « لا » .

قيل له : لله تعالى فعلٌ ما شاء ، وجائزٌ أن يكونَ كان ذلك [٧٦٠/١] منه امتحاناً منه لحفظته ، واختباراً للمؤكّلين بكتابة أعمالهم ، فإنهم فيما ذُكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ، ثم بعرضها على ما أثبتّه الله من ذلك في اللوح المحفوظ ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم . وقيل : إن ذلك معنى قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] . وجائزٌ أن يكونَ ذلك لغير ذلك ، مما هو أعلم به ، إما بحجة يَحْتَجُّ بها على بعض ملائكته ، وإما على بنى آدم ، وغير ذلك .

وقد حدّثنى زياد بن يحيى ^(١) الحسناني أبو الخطاب ، قال : ثنا مالك بن سَعْيَر ، قال : ثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : ما في الأرض من شجرة ولا كمغزيرة ، إلا عليها ملكٌ مُوَكَّلٌ بها ، يأتي الله بعلمها ^(٢) ؛ يُسَيِّها إذا يَسَتْ ، ورطوبيتها إذا رطبت ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ .

/يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : وقل لهم يا محمد : والله أعلم بالظالمين ، والله هو الذي يتوفّى أزواحكم بالليل ، فيقبضها من أجسادكم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ . يقول : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار .

ومعنى « التوفّى » في كلام العرب استيفاء العدد ، كما قال الشاعر ^(٤) :

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « عبد الله » . وينظر تهذيب الكمال ٥٢٣/٩ ، والأنساب ٢١٧/٢ .

(٢) في م : « يعلمه » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٤/٤ (٧٣٧١) من طريق مالك به ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٩/١٤ ، وأبو الشيخ في العظمة (٣٢٨) من طريق الأعمش به .

(٤) هو منظور الوبرى ، والرجز في تهذيب اللغة ٥٨٥/١٥ ، واللسان (و ف ي) .

إِنْ بَنَى الْأُدْرَمَ^(١) لَيْسُوا مِنْ أَحَدٍ

وَلَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ

بمعنى : لم تُدخلهم قريش في العدد .

وأما الاجترار عند العرب فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فيه ، وهي الجوارح عندهم ، جوارح البدن فيما ذكر عنهم ، ثم يُقال لكل مُكتسب عملاً : جارح ؛ لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح ، ثم كثر ذلك في الكلام ، حتى قيل لكل مُكتسب كسباً ، بأي أعضاء جسمه اكتسب : مُجترح .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ : أما ﴿ يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ ﴾ ففي النوم ، وأما ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ . فيقول : ما اكتسبتم من الإثم .

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ : يعني : ما اكتسبتم من الإثم^(٢) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الأدم » ، وفي م ، واللسان : « الأدرم » والصواب ما أثبتناه من تهذيب اللغة . وبنو الأدرم حي من قريش . اللسان (د ر م) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٥/٤ (٧٣٧٦) من طريق عبد الله بن صالح به .

قتادة : ﴿ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾ . قال : ما عملتم بالنهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ : يعنى بذلك نومهم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ ، أى : ما عملتم من ذنب فهو يعلمه ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ . قال : أما وفاته إياهم بالليل فمنامهم ، وأما ﴿ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ فيقول : ما اكتسبتم بالنهار ^(٢) .

وهذا الكلام وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن قدرته وعلمه ، فإن فيه احتجاجاً على المشركين به الذين كانوا يُنكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم ، وبعثهم بعد فنائهم ، فقال تعالى ذكره مُخْتَجاً عليهم : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . يقول : فالذى يقبض أرواحكم بالليل ، ويبعثكم فى النهار لتبلغوا أجلاً مُّسمى ، وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحته ، غير مُنكرٍ له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم ، ثم ردها إلى أجسادكم وإنشائكم بعد مماتكم ، فإن ذلك نظير ما تُعانون وتُشاهدون ، وغير مُنكرٍ لمن قدر على ما تُعانون من ذلك ، القدرة على ما لم تُعانونه ، وإن الذى لم تروه

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به مختصراً ، وذكر باقيه معلقاً عقب الأثر (٧٣٧٦ ، ٧٣٧٨) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٠٥/٤ (٧٣٧٥) من طريق أبى حذيفة به ، دون آخره ، فقد علقه عقب الأثر (٧٣٧٦) .

ولم تُعاینوه مِن ذلك ، شبيهه ما رأيتم وعايتم .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦٠) .

يقول تعالى ذكره : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ ﴾ : يُبْرِكُم ويوقظكم من منامكم ، ﴿ فِيهِ ﴾ . يعنى : فى النهار . والهاء التى فى ^(١) ﴿ فِيهِ ﴾ راجعة على النهار . ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . يقول : ليُقْضَىٰ الله الأجل الذى سماه لحياتكم ، وذلك الموت ، فيبلغ مدته ونهايته ، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . يقول : ثم إلى الله معاذكم ومصيركم ، ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . يقول : ثم يُخْبِرُكُم بما كنتم تعملون فى حياتكم الدنيا ، ثم يُجازيكم بذلك ، إن خيراً فخييراً ، وإن شراً فشرّاً . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ . قال : فى النهار ^(٢) .

[٧٦٠/١ ظ] حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ : فى النهار ، والبعث اليقظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ^(٣) مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٣ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به .

السدّي : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ . قال : ^(١) « في النهار » .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ . قال : يبعثكم في المنام .
﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ : وذلك الموت .

ذكر من قال ذلك

حدّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ : وهو الموت ^(٢) .

حدّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . قال : هو أجل الحياة إلى الموت .

حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . قال : مدّتهم ^(٣) .

/ القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ ^(٤) .

يقول تعالى ذكره : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ ﴾ : والله الغالب خلقه ، العالی عليهم بقدرته ، لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم ، المذلّ المغلّ ^(٤) عليه لذّته .

(١ - ١) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بالنهار » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٦/٤ عقب الأثر (٧٣٧٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٧٩) من طريق أبي حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٨٠) من طريق الحجاج به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المغلوب » .

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ . وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً ،
يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَيُحْصُونَهَا ، ولا يُفَرِّطُونَ فى حفظ ذلك وإحصائه ولا
يُضَيِّعُونَ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدى قوله : ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ . قال : هى المعقبات من الملائكة ،
يَحْفَظُونَهُ وَيَحْفَظُونَ عَمَلَهُ ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ . يقول : حَفَظَةٌ يا بن آدم يَحْفَظُونَ عليك عملك ورزقك
وأجلك ، إذا تَوَفَّيْتَ ذلك قُبِضَتْ إلى ربك ^(٢) .

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ . يقول تعالى
ذكره : إن ربكم يَحْفَظُكُمْ بِرُسُلٍ يُعَقِّبُ بَيْنَهَا ، يُرْسِلُهُم إِلَيْكُمْ بِحَفَظِكُمْ وَبِحَفَظِ
أَعْمَالِكُمْ ، إلى أن يَحْضُرَكُمْ الموتُ وَيُنْزِلَ بِكُمْ أَمْرُ اللَّهِ ، فإذا جاء ذلك أحدكم ،
تَوَفَّاهُ أَمَلَاكُنَا الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ ، وَرُسُلُنَا الْمُرْسَلُونَ بِهِ ، وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ فى
ذلك فَيُضَيِّعُونَهُ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٨٣) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطى فى
الدر المنثور ١٦/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٨٤) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور
١٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ . (تفسير الطبرى ١٩/٩)

فإن قال قائل : أو ليس الذى يَقْبِضُ الأرواحَ ملكُ الموتِ ، فكيف قيل : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . والرسُلُ جملةٌ وهو واحدٌ ؟ أو ليس قد قال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة : ١١] .

قيل : جائزٌ أن يكونَ اللهُ تعالى ذكره أعانَ ملكَ الموتِ بأعوانٍ مِنْ عنده ، فَيَتَوَلَّوْنَ ذلكَ بأمرِ ملكِ الموتِ ، فيكونُ التَّوَفَّى مضافاً - وإن كان ذلكَ مِنْ فعلِ أعوانِ ملكِ الموتِ - إلى ملكِ الموتِ ، إذ كان فعلُهُم ما فعلوا مِنْ ذلكَ بأمرِهِ ، كما يُضافُ قتلُ مَنْ قتلَ أعوانُ السلطانِ وجلدُ مَنْ جلدوه بأمرِ السلطانِ ، إلى السلطانِ ، وإن لم يَكُنِ السلطانُ باشرَ ذلكَ بنفسِهِ ولا وليه بيده .

وقد تأوَّل ذلكَ كذلكَ جماعةٌ مِنْ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَنْ قال ذلكَ

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عُبيدِ اللهِ ، عن إبراهيمَ فى قولِهِ : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : لِمَلِكِ الْمَوْتِ أعوانٌ مِنَ الملائكةِ ^(١) .

٢١٧/٧ / حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللهِ فى قولِهِ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : سئِلَ ابنُ عباسٍ عنها ، فقال : إن لملكِ الموتِ أعواناً مِنَ الملائكةِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللهِ ، عن إبراهيمَ فى قولِهِ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : أعوانُ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٧/٤ (٧٣٨٧) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٥٨) من طريق الحسن بن عبيد الله به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٢ إلى ابن المنذر .

ملك الموت^(١) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : الرسلُ توفَّى الأنفسَ ، ويذهبُ بها ملكُ الموتِ^(٢) .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا حفصٌ ، عن الحسنِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ،^(٣) عن إبراهيمَ^(٣) ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : أعوانُ ملكِ الموتِ مِنَ الملائكةِ^(٤) . حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا قبيصةٌ ، عن سفيانَ ، عن الحسنِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : هم الملائكةُ أعوانُ ملكِ الموتِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : إن ملكَ الموتِ له رُسلٌ ، فيُرْسَلُ ويُرفَعُ ذلكُ إليه ، وقال الكلبيُّ : إن ملكَ الموتِ هو يلي ذلك ، فيدفعُه إن كان مؤمناً إلى ملائكةِ الرحمةِ ، وإن كان كافراً إلى ملائكةِ العذابِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : يلي قبضَها الرسلُ ، ثم يدفَعونها إلى ملكِ الموتِ^(٥) .

(١) بعده في م : « حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا حفصٌ ، عن الحسنِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : الرسلُ توفَّى الأنفسَ ، ويذهبُ بها ملكُ الموتِ .

والأثر في تفسير سفيان ص ١٠٨ ، ومن طريقه عبد الرزاق في تفسيره ٢٠٩/١ ، وأبو الشيخ في العظمة (٤٥٧) .

(٢) تفسير سفيان ص ١٠٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٧/٤ (٧٣٨٦) ، وأبو الشيخ في العظمة (٤٥٦) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبَةَ ٣٧٢/١٣ عن حفص به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢٠٩/١ ، ومن طريقه أبو الشيخ في العظمة ص ١٦٤ (٤٥٥) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم [٧٦١/١] في قوله : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : يتوفاه الرسل ، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس^(١) .

قال الثوري : وأخبرني الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : هم أعوان لملك الموت^(١) .

قال الثوري : وأخبرني رجل ، عن مجاهد ، قال : جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء ، وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم^(١) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : الملائكة أعوان ملك الموت .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : يتوفونه ثم يدفعونه إلى ملك الموت .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال : سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت ، أهو وحده الذي يقبض الأرواح ؟ قال : هو الذي يلي أمر الأرواح ، وله أعوان على ذلك ، ألا تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٣٧] . وقال : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . غير أن ملك الموت هو^(٢) الرئيس ، و^(٢) كل خطوة منه من المشرق

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٩ / ١ .

(٢ - ٢) في النسخ : « الذي يسير » . والمثبت من مصدرى التخريج .

إلى المغرب . قلتُ : أين تكونُ أرواحُ المؤمنين ؟ قال : عندَ السُّدْرَةِ في الجنة^(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ مسلم ، عن إبراهيمَ بنِ ميسرة ، عن مجاهدٍ ، قال : ما منَ أهلٍ بيتٍ شعيرٍ ولا مَدَرٍ إلا ومَلِكُ الموتِ يُطِيفُ بهم كلَّ يومٍ مرتين^(٢) .

وقد بيَّنا أن معنى « التَّفْرِيطِ » التَّضْيِيعُ فيما مضى قبل^(٣) ، وكذلك تأوَّله المتأولون في هذا الموضع .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . يقولُ : لا يُضَيِّعون^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديّ : ﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : لا يُضَيِّعون^(٥) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٦٢) .

يقولُ تعالى ذكره : ثم رُدَّتْ الملائكةُ الذين تَوَفَّوْهُمْ ، فقبضوا نفوسَهم وأرواحَهم إلى الله سيديهم الحقُّ . ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ يقولُ : ألا له الحكمُ والقضاءُ

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤٣٣) من طريق عبد الله به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١ / ٢١٠ ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤٦٩) من طريق محمد بن مسلم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦ / ٣ إلى ابن المنذر .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٢٣٤ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٧ / ٤ (٧٣٨٨) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٧ / ٤ عقب الأثر (٧٣٨٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ . يَقُولُ : وَهُوَ أَسْرَعُ مَنْ حَسَبَ عَدَدَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ وَآجَالَكُمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَأَخْصَاهَا وَعَرَفَ مَقَادِيرَهَا وَمَبَالِغَهَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْسُبُ بِعَقْدِ يَدٍ ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ خَافِيَةٌ ، وَلَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجَيْنَا ^(٢) مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ ، الدَّاعِينَ لَكَ إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ : مَنْ الَّذِي يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ إِذَا ضَلَلْتُمْ فِيهِ فَتَحَيَّرْتُمْ ، فَأَظْلَمَ عَلَيْكُمْ الْهُدَى وَالْمَحَجَّةُ ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ إِذَا رَكِبْتُمُوهُ فَأَخْطَأْتُمْ فِيهِ الْمَحَجَّةَ ، فَأَظْلَمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ السَّبِيلُ ، ^(٣) فَلَمْ تَهْتَدُوا ^(٤) لَهُ - غَيْرُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ ^(٤) مَفْرَعُكُمْ حِينَئِذٍ بِالْدَعَاءِ ، تَضَرُّعًا مِنْكُمْ إِلَيْهِ وَاسْتِكَانَةً ، جَهْرًا ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ . يَقُولُ : وَإِخْفَاءً لِلدَّعَاءِ أَحْيَانًا ، وَإِعْلَانًا وَإِظْهَارًا ، تَقُولُونَ : (لَعَنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ) يَارَبِّ ، أَيْ : مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا ، ﴿ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ . يَقُولُ : لَنَكُونَ مِمَّنْ يُؤَحِّدُكَ بِالشُّكْرِ ، وَيُخْلِصُ لَكَ الْعِبَادَةَ ، دُونَ مَنْ كُنَّا نُشْرِكُكَ مَعَكَ فِي عِبَادَتِكَ .

٢١٩/٧

وَبَنَحَوْ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

(١) تَضْمِينُ لِلآيَةِ (٣) مِنْ سُورَةِ « سَبَأ » .

(٢) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « أَنْجَيْنَا » . وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ ، وَالْمَثْبُوتُ قِرَاءَةُ الْكُوفِيِّينَ يَنْظُرُ حُجَّةَ الْقِرَآتِ ص ٢٥٥ .

(٣ - ٣) فِي م : « فَلَا تَهْتَدُونَ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ . يقول : إذا أضلَّ الرجلُ الطريقَ دعا الله : (لئن أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين)^(١) .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ . يقول : من كَرَبِ البرِّ والبحرِ^(٢) .
القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾^(٦٤) .

يقول تعالى ذكره لنبئه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادلين برئهم سواه من الآلهة إذا أنت استشفهم عنهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البرِّ والبحر : الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم ، يُنَجِّيكُمْ مِنْ عَظِيمِ النَّازِلِ بِكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، مِنْ هَمِّ الضَّلَالِ ، وَخَوْفِ الْهَلَاكِ ، وَمِنْ^(٣) كُلِّ كَرْبٍ^(٣) سوى [٧٦١/١] ذلك وهم ، لا آلهتكم التي تُشْرِكُونَ بها في عبادته ، ولا أوثانكم التي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ التي لا تُقْدِرُ لَكُمْ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ تَفْضِيلِهِ عَلَيْكُمْ بِكَشْفِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنَ الْكَرْبِ وَدَفْعِ الْحَالِّ بِكُمْ مِنْ جَسِيمِ الْهَمِّ تَعْدِلُونَ بِهِ آلِهَتَكُمْ وَأَصْنَامَكُمْ ، فَتُشْرِكُونَهَا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٨/٤ (٧٣٩٤) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠٨/٤ (٧٣٩١) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور

١٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣ - ٣) في م : « كرب كل » .

فى عبادتكم إياه ، وذلك منكم جهلٌ بواجبِ حقِّه عليكم ، وكفرٌ لأيديه عندكم ، وتعرض منكم لإنزالِ عقوبته عاجلاً بكم .

القول فى تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء العادِلين برّبهم^(١) الأصنام والأوثان يا محمد : إن الذى يُنَجِّيكُم من ظلمات البر والبحر ، ومن كل كَرْبٍ ، ثم تُعودون للإشراك به ، هو القادرُ على أن يُرْسِلَ عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ؛ لشرككم به ، وادِّعائكم معه إلهاً آخرَ غيره ، وكفرانكم نعمه ، مع إسباغِهِ عليكم آلاءه ومنّته .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « العذاب » الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم ؛ فقال بعضهم : أما العذاب الذى توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم فالرجم . وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم فالخسف .

/ ذكر من قال ذلك

٢٢٠/٧

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : ﴿ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾^(٢) قال : الرجم^(٣) . ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : الخسف^(٣) .

(١) بعده فى م : « غيره من » .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت موافق لما فى مصادر التخريج .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤ / ١٣١٠ ، ١٣١١ (٧٤٠٢ ، ٧٤٠٩) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣ / ١٦ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

حدَّثنا سفيانُ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن الأشجعيِّ ، عن سفيانَ ، عن السديِّ ، عن أبي مالكٍ وسعيدِ بنِ جبْرِ مثله .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةٌ ، عن شبِلٍ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : الحَسَفُ ^(١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ : فعذابُ السماءِ ، ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : فيخسفُ بكم الأرضُ ^(١) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : كان ابنُ مسعودٍ يصيحُ وهو في المجلس - أو على المنبر - : ألا أيُّها الناسُ ، إنه نزلَ بكم ؛ إن الله يقولُ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ لو جاءكم عذابٌ مِنَ السماءِ لم يُتَيَّقِ منكم أحدًا ، ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ لو خسفَ بكم الأرضُ أَهْلَكَكُمْ ولم يُتَيَّقِ منكم أحدًا ، ﴿ أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ألا إنه نزلَ بكم أسوأَ الثلاثِ ^(٢) .

وقال آخرون : غنى بالعذابِ من فوقهم أئمةُ السَّوءِ ، أو من تحتِ أرجلهم ، الخدمُ وسفلةُ الناسِ .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٢٧٠/٣ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٧٠/٣ نقلا عن المصنف .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ خَلَادًا يَقُولُ : سَمِعْتُ
عَامَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : إِنْ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى
أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : فَأَمَّا الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِكُمْ فَأُثْمَةُ
السَّوْءِ ، وَأَمَّا الْعَذَابُ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ فَخَدَمُ السَّوْءِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ
فَوْقِكُمْ ﴾ . يَعْنِي : مِنْ أَمْرَائِكُمْ ، ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : يَعْنِي : سَفَلَتِكُمْ ^(٢) .

وَأُولَى التَّأْوِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ : غُنِيَ بِالْعَذَابِ مِنْ
فَوْقِهِمُ الرَّجْمُ أَوْ الطُّوفَانُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقٍ رَّعَوْسِهِمْ ، وَمِنْ
تَحْتِ أَرْجُلِهِمُ الْخَسْفُ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ مَعْنَى
« فَوْق » وَ « تَحْتِ » الْأَرْجُلِ ، هُوَ ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَمَّا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
فِي ذَلِكَ وَجْهٌ صَحِيحٌ ، غَيْرَ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا تَنَوَّزَ فِي تَأْوِيلِهِ ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْأَغْلَبِ
الْأَشْهَرِ مِنْ مَعْنَاهُ أَحَقُّ وَأُولَى مِنْ غَيْرِهِ ، مَا لَمْ تَأْتِ حُجَّةٌ مَانِعَةٌ مِنْ ذَلِكَ يَجِبُ التَّسْلِيمُ
لَهَا .

٢٢١/٧

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : أَوْ يَخْلِطُكُمْ ﴿ شِيْعًا ﴾ ؛ فِرْقًا ، وَاحَدْتُهَا شِيْعَةٌ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤/ ١٣٠٩ ، ١٣١٠ (٧٤٠٠ ، ٧٤٠٧) عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى بِهِ ،
وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٦/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤/ ١٣١١ (٧٤٠٨) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي
الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٦/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

وأما قوله : ﴿ يَلْبِسْكُمْ ﴾ فهو من قولك : لبستُ عليه الأمر ، إذا خلطت ، فأنا ألبسه . وإنما قلت : إن ذلك كذلك ؛ لأنه لا خلاف بين القراءة في ذلك بكسر الباء ، ففي ذلك دليلٌ يبين على أنه من : لبس يلبس . وذلك هو معنى الخلط . وإنما عنى بذلك : أو يخلطكم أهواءً مختلفةً ، وأحزاباً مفترقةً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا ﴾ : الأهواءُ المفترقة^(١) .

حدثنا محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا ﴾ . قال : يُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ^(٢) .

حدثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا ﴾ . [٧٦٢/١] قال : ما كان فيكم من الفتن والاختلاف^(٣) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد في قوله : ﴿ أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا ﴾ . قال : الذي فيه الناسُ اليومَ من الاختلافِ والأهواءِ وسفكِ دماءٍ بعضهم بعضاً .

حدثني محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا ﴾ . قال : الأهواءُ والاختلاف .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٢/٤ (٧٤١٤) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤١٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ : يعنى بالشَّيْعِ الأهواءُ المختلفة^(١) .

وأما قوله : ﴿ وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . فإنه يعنى : يُقْتَلُ بعضُكم بيدِ بعضٍ .
والعربُ تقولُ للرجلِ يَنَالُ الرجلَ بِسلاحٍ ، فيَقْتُلُه به : قد أذاقَ فلانٌ فلانًا الموتَ ، وأذاقه بَأْسَه . وأصلُ ذلك من ذَوْقِ الطعامِ ، وهو يَطْعَمُه ، ثم اسْتُعْمِلَ ذلك فى كُلِّ ما وَصَلَ إلى الرجلِ مِنْ لَذَّةٍ وَحَلَاوَةٍ ، أو مَرَارَةٍ ومَكْرُوهٍ وأَلَمٍ .
وقد يَبْثُثُ معنى البأسِ فى كلامِ العربِ فيما مَضَى ، بما أَغْنَى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدى : ﴿ وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ : بالسيوفِ .

٢٢٢/٧ / حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو الثَّعْمَانِ عارِمٌ ، قال : ثنا حمادُ ، عن أبي هارونَ العَبْدِيِّ ، عن نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ أنه قال فى قوله : ﴿ وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : هى واللَّهِ الرجالُ فى أيديهم الحِرَابُ ، يَطْعُنُونَ فى خَوَاصِرِكم^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى مُعاويةُ بنُ صالح ، عن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤١٢) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) تقدم فى ٩٠/٣ ، ٢٦٧/٧ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٢/٤ (٧٤١٧) من طريق حماد بن أبى سليمان به .

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قَالَ : يُسَلِّطُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقَتْلِ وَالْعَذَابِ ^(١) .

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ الرَّازِيُّ ، قَالَ : ثنا سَفِيَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : عَذَابُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَهْلِ الْإِقْرَارِ بِالسَّيْفِ ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . وَعَذَابُ أَهْلِ التَّكْذِيبِ الصَّيْحَةُ وَالزَّلْزَلَةُ ^(٢) .

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَنْ غُنِيَ بِهِ هَذِهِ الْآيَةُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : غُنِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الدَّمَغَانِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : فَهِنَّ أَرْبَعٌ ، وَكُلُّهُنَّ عَذَابٌ ، فَجَاءَ ^(٣) مُسْتَقَرُّ اثْنَتَيْنِ ^(٣) بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ؛ فَلَبِسُوا شِيْعًا ، وَأُذِيقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، وَبَقِيَتْ اثْنَتَانِ ، فَهَمَّا لَا بَدَّ وَاقِعَتَانِ . يَعْنِي الْحَسْفَ وَالْمَسْخَ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَغْفَاكُمْ مِنْهُ ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ . قَالَ : مَا كَانَ فِيكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَالْإِخْتِلَافِ ^(٤) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣١٢/٤ (٧٤١٦) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ ١٧/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ .

(٣ - ٣) فِي م : « مِنْهُنَّ اثْنَتَيْنِ » .

(٤) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٣٢٣ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣١٠ ، ١٣١١ (٧٤٠٤ ، ٧٤١٣) .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾ الآية : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ صلى ذات يوم الصبح فأطالها ، فقال له بعض أهله : يا نبي الله ، لقد صليت صلاة ما كنت تُصليها ! قال : « إنها صلاة رغبة ورهبة ، وإنني سألت ربي فيها ثلاثا ؛ سألته ألا يُسلطَ على أمتي عدوا من غيرهم فيهلكهم ، فأعطانيها ، وسألته ألا يُسلطَ على أمتي السنة ، فأعطانيها ، وسألته ألا يلبسهم شيئا ولا يُدقيق بعضهم بأس بعض ، فمَنَعَنيها » ^(١) .
ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » ^(٢) .

حدَّثنا أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع الرازي ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، سمع جابرا يقول : لما أنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ / عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ » . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُدْخِلَكُمْ فِيْكُمْ بَعْضٌ ﴾ . قال : « هَاتَانِ أَيْسَرُ ، أَوْ أَهْوَنُ » ^(٣) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : لما نزلت

(١) أخرجه أحمد ٤٦٨/١٩ (١٢٤٨٦) من حديث أنس بن مالك ، وأخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان بنحوه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٦٠) من حديث معاوية .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢١١ ، والحميدي (١٢٥٩) ، ونعيم بن حماد في الفتن (١٧٣٠) ، وأحمد ٢١٨/٢٢ (١٤٣١٦) ، والبخاري (٧٣١٣) ، والترمذي (٣٠٦٥) ، وأبو يعلى (١٩٦٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣١١ (٧٤١٠) ، وابن حبان (٧٢٢٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤٦) من طريق سفيان به ، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١١٦٤ ، ١١١٦٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤٧) من طريق عمرو به ، وزاد عزوه السيوطي في الدر المنثور ٣/١٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : « نَعُوذُ بِكَ ، نَعُوذُ بِكَ » . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ . قال : « هُوَ أَهْوَنُ » .

حدثني زياد بن عبيد الله المرئي^(١) ، قال : ثنا مزوان بن معاوية الفزاري ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثنى نافع بن خالد الخزامي ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ صلى صلاة [٧٦٢/١] خفيفة تامة الركوع والسجود ، فقال : « قد كانت صلاة رغبة ورهبة ، فسألت الله فيها ثلاثا ، فأعطاني اثنتين وبقي واحدة ؛ سألت الله ألا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم ، فأعطانيها ، وسألت الله ألا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم ، فأعطانيها ، وسأله ألا يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض ، فمنعنيها »^(٢) . قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله ﷺ^(٣) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس ، يرفعه إلى النبي ﷺ ، أنه قال : « إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها ، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي ألا يهلك قومي بسنة عامة ، وألا يلبسهم شيئا ، ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فقال : يا محمد ، إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة »^(٤) ، ولا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكوهم^(٥)

(١) في النسخ : « المزني » . وتقدم على الصواب في ٢٧٢/٦ .

(٢) في ص ، ت ١ : « فمنعها » .

(٣) أخرجه الطبراني (٤١١٢ ، ٤١١٤) من طريق مروان بن معاوية به ، وأخرجه البخاري في تاريخه ١٣٨/٣ ، والطبراني (٤١١٢ - ٤١١٤) وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير ٢٦٨/٣ - من طريق أبي مالك الأشجعي به .

(٤) في م : « عامة » .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيهلكهم » .

بِعَامَّةٍ ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُتَمَّةِ الْمُضِلِّينَ ، فَإِذَا وُضِعَ السِّيفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُزَفَّغْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَيُّوبُ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأُتَمَّةَ الْمُضِلِّينَ » ^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، قَالَ : ثنا مَعْمَرٌ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ ، وَكَانَ بَدْرِيًّا ، النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ ، وَكَانَ فِي الصَّبْحِ ، قَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُكَ تُصَلِّي صَلَاةً مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ مِثْلَهَا ! قَالَ : « أَجَلُ ، إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ ، سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً ؛ سَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ ، فَأَعْطَانِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْنَا عَدُوًّا ، فَأَعْطَانِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَلْبِسَنَا شَيْعًا ، فَمَنْعَنِي » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ ^(٢) فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ . قَالَ : رَأَيْتُ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ ، وَكَانَ بَدْرِيًّا ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَ خِصَالٍ » ^(٣) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٠/١ ، ومن طريقه أخرجه أحمد ٣٣٩/٢٨ (١٧١١٥) والبخاري (٣٤٨٧) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخریج .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٠/١ ، ومن طريقه الطبراني (٣٦٢٤) ، وأخرجه أحمد ١٠٨/٥ ، ١٠٩ (الميمية) ، والترمذي (٢١٧٥) ، والنسائي (١٦٣٧) ، والطبراني (٣٦٢٣ - ٣٦٢١) وابن حبان (٧٢٣٦) ، من طرق عن الزهري به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن عمرو بن دينارٍ ، قال : سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ الله يقولُ : لما نزلت على النبي ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ . قال النبي ﷺ : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ » . ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ ﴾ . قال النبي ﷺ : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ » . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ . قال : « هذه أهونُ » ^(١) .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيم ، قال : ثنا ابنُ عُليّة ، عن يونس ، عن الحسنِ ، أن النبي ﷺ قال : « سألتُ ربي أربعًا ^(٢) ، فأُعْطِيتُ ثلاثًا ، ومُنِعْتُ واحدةً ؛ سألتُهُ ألا يُسَلِّطَ على أمتي عدوًّا من غيرِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيَضَتَهُمْ ، ولا يُسَلِّطَ عليهم جوعًا ، ولا يَجْمَعَهُمْ على ضلالةٍ ، فأُعْطِيتُهُنَّ ، وسألتُهُ ألا يَلْبِسَهُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بِأَسَ بَعْضٍ ، فَمُنِعْتُ » .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إني سألتُ ربي خِصَالًا ، فأُعْطاني ثلاثًا ومنَعني واحدةً ؛ سألتُهُ ألا تَكْفُرَ أمتي صَفْقَةً واحدةً ، فأُعْطانيها ، وسألتُهُ ألا يُظْهِرَ عليهم عدوًّا من غيرِهِمْ ، فأُعْطانيها ، وسألتُهُ ألا يُعَذِّبَهُمْ بما عَذَّبَ به الأُمَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فأُعْطانيها ، وسألتُهُ ألا يَجْعَلَ بِأَسْهِمْ بَيْنَهُمْ ، فَمَنَعَنِيهَا » .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن أبي بكرٍ ، عن الحسنِ ، قال : لما نزلت هذه الآية ؛ قوله : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بِأَسَ بَعْضٍ ﴾ . قال الحسنُ : ثم قال لمحمدٍ ﷺ وهو يُشْهِدُهُ عَلَيْهِمْ : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ . فقام رسولُ الله ﷺ ، فتوضَّأ ، فسألَ ربَّه ألا يُرْسِلَ عليهم عذابًا من

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١١/١ ، وتقدم في ص ٣٠٢ .

(٢) سقط من : م .

فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيئا ، ويُذيق بعضهم بأس بعض ، كما أذاق بنى إسرائيل ، فهبط إليه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، إنك سألت ربك أربعاً ، فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين ؛ لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم ، فإنهما عذابان لكل أمة استجمعت ^(١) على تكذيب نبيها ورد كتاب [٧٦٣/١] ربها ، ولكنهم يلبسهم شيئا ويُذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتب والتصديق بالأنبياء ، ولكن يُعذبون بذنوبهم ، وأوحى إليه : ﴿ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴾ . يقول : من أمتك ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ [الزخرف : ٤٢] . من / العذاب وأنت حي ؛ ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ [الزخرف : ٤١ ، ٤٢] . فقام نبي الله ﷺ ، فراجع ربه ، فقال : « أئى مُصيبة أشد من أن أرى أمتى يُعذب بعضها بعضاً » . وأوحى إليه : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] . فأعلمه أن أمته لم تُخصَّ دون الأمم بالفتن ، وأنها سُبُلَى كما ابْتُلِيَتِ الأمم ، ثم أنزل عليه : ﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ [٩٣] رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٩٣ ، ٩٤] . فتعوذ نبي الله فأعاده الله ، لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة ، ثم أنزل عليه آية حذر فيها أصحابه الفتنة ، فأخبره أنه إنما يُخصَّ بها ناس منهم دون ناس ، فقال : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٢٥] . فخصَّ بها أقواماً من أصحاب محمد ﷺ بعده ، وعصم بها أقواماً ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع

(١) فى م : « اجتمعت » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٣ إلى المصنف .

ابن أنس ، عن أبي العالية ، قال : لما جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ ، فأخبره بما يكونُ في أمته من الفرقة والاختلاف ، فشق ذلك عليه ، ثم دعا ، فقال : « اللهم أظهر عليهم أفضلهم بقيَّة »^(١) .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو الأسود ، قال : أخبرنا ابنُ لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن أبي الزبير ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسولُ الله ﷺ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » . قال : ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ » . قال : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا ﴾ . قال : « هذه أيسرُ » . ولو استعاده لأعاده^(٢) .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا المؤملُ البصريُّ ، قال : أخبرنا يعقوبُ بنُ إسماعيلَ بنِ يسارِ المدينيِّ ، قال : ثنا زيدُ بنُ أسلم ، قال : لما نزلت : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال رسولُ الله ﷺ : « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ بالسيفِ » . فقالوا : ونحن نشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ ، وأنتَ رسولُ اللهِ ! قال : « نعم » . فقال بعضُ الناس : لا يكونُ هذا أبدًا . فأنزل اللهُ : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْكَ ۖ ﴾^(٣) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ [الأنعام : ٦٥-٦٧] .

وقال آخرون : غنى ببعضها أهلُ الشرك ، وبعضها أهلُ الإسلام .

(١) في م : « تقية » . وبقية : يقال : قوم لهم بقية ، إذا كانت بهم مُشْكَة وفيهم خير . ينظر اللسان (ب ق ي) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤١١) من طريق أبي الأسود موصولاً عن أبي الزبير ، عن جابر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٢/٤ (٧٤١٨) من طريق المؤمل به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني المشنى ، قال : ثنا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرِ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن هَارُونَ بْنِ مُوسَى ، عن حَفْصِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عن الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : هذا للمشركين . ﴿ أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : هذا للمسلمين ^(١) .

والصوابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ تَوَعَّدَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلَ الشَّرِكِ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، / وَإِيَاهُمْ خَاطَبَ بِهَا ؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ إِخْبَارٍ عَنْهُمْ وَخَطَابٍ لَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَتْلُو قَوْلَهُ : ﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجِنَا ^(٢) مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ٦٣ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ . وَيَتْلُوهَا قَوْلَهُ : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ . وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَانُوا بِهِ مُكَذِّبِينَ ، فَإِذَا كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، كَانَ بَيِّنًا أَنَّ ذَلِكَ وَعِيدٌ لِمَنْ تَقَدَّمَ وَصَفُ اللَّهِ إِيَّاهُ بِالشَّرِكِ ، وَتَأَخَّرَ الْخَبْرُ عَنْهُ بِالتَّكْذِيبِ ، لَا لِمَنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ عَمَّ وَعِيدُهُ بِذَلِكَ كُلَّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ ، وَالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ وَغَيْرِهَا .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً » . فَجَائِزٌ ^(٣) أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَعِيدًا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣١٠/٤ (٧٤٠٥) مِنْ طَرِيقِ هَارُونَ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْتُورِ ٢٠/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٢) فِي ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أَنْجَيْنَا » . وَهِيَ قِرَاءَةٌ ، وَيَنْظُرُ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي ص ٢٩٤ .

(٣) فِي ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « وَ » .

لَمَنْ ذَكَرْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِنْهَا جِهَمٌ مِنَ الْمُخَالِفِينَ رَبُّهُمْ ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعِيدَ أُمَّتَهُ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ الْأُمَمُ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ ، فَأَعَاذَهُمْ بِدَعَائِهِ إِيَّاهُ وَرَغَبَتِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَسْتَحِقُّونَ بِهَا مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ الْأَرْبَعِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ اثْنَتَيْنِ^(١) ، وَلَمْ يُعَذِّبْهُمْ مِنْ ذَلِكَ [٧٦٣/١] مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ اثْنَتَيْنِ مِنْهَا .

وَأَمَّا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا أَنَّهُ عَنَى بِجَمِيعِ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، فَإِنِّي أَرَاهُمْ تَأَوَّلُوا أَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ سَيَأْتِي مِنَ مَعَاصِي اللَّهِ وَرُكُوبِ مَا يُشْخِطُ اللَّهَ ، نَحْوَ الَّذِي رَكِبَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، مِنْ خِلَافِهِ وَالْكَفْرِ بِهِ ، فَيَحِلُّ بِهِمْ مِثْلُ الَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ وَالنُّقَمَاتِ ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ : جَاءَ^(٢) «مُسْتَقَرُّ اثْنَتَيْنِ»^(٢) بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِينَ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَبَقِيَتِ اثْنَتَانِ ؛ الْخَسْفُ وَالْمَسْخُ . وَذَلِكَ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ »^(٣) . وَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِهِ سَيَبِيتُونَ عَلَىٰ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ، ثُمَّ يُصْبِحُونَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ^(٤) . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ نَظِيرُ الَّذِي كَانَ فِي الْأُمَمِ الَّذِينَ عَتَوْا عَلَىٰ رَبِّهِمْ فِي التَّكْذِيبِ وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ .

وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ الَّذِي رُوِيَ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنْ أَبِي .

حَدَّثَنَا هَنَّاذٌ ، قَالَ : ثَنَا وَكِيعٌ ، وَحَدَّثَنَا سَفِيَانٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ

(١) فِي م : « أَغْلَظَهَا » .

(٢ - ٢) فِي م : « مِنْهُنِ اثْنَتَانِ » .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢١٨٥) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٥٩٠) مُعْلَقًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ، وَوَصَلَهُ الْبَيْهَقِيُّ ١٠ / ٢٢١ ،

وَالْحَافِظُ فِي التَّغْلِيقِ ١٧ / ٥ .

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا ﴿٦٥﴾ . قال : هنَّ أربع خلالٍ ، وكلهن عذابٌ ، وكلهن واقع قبل يوم القيامة ، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسين وعشرين سنة ؛ ألبسوا^(١) شِيعًا ، وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لا محالة ؛ الحسف والرجم^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْتُ لَعَلَّهِمْ يَفْقَهُوْكَ ﴾ ﴿٦٥﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ : انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حجبنا على هؤلاء المكذبين برؤهم ، الجاحدين نعمه ، وتضريفناها فيهم ﴿ لَعَلَّهِمْ يَفْقَهُوْكَ ﴾ ٢٢٧/٧ . يقول : ليتفقها^(٣) ذلك / ويعتبروه ، فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون ، مما يسخطه الله منهم من عبادة الأوثان والأصنام ، والتكذيب بكتاب الله تعالى ذكره ورسوله ﷺ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ .

يقول تعالى ذكره : وكذب يا محمد قومك بما تقول وتُخبر وتوعد من الوعيد ، ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ . يقول : والوعد الذى أوعدناهم على مقامهم على شركهم ، من بعث العذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، أو لبسهم شِيعًا ،

(١) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « ثم لبسوا » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ١٨٠ / ١٥ ، وأحمد فى مسنده ١٣٤ / ٥ ، ١٣٥ (الميمنية) ، وأبو نعيم فى الحلية ٢٥٣ / ١ من طريق وكيع به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٩ / ٤ (٣٧٩٨) من طريق أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٧ / ٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٣) فى م : « ليفقها » .

وإذا ذاق بعضهم بأس بعض - الحق الذي لاشك فيه أنه واقع ، إن هم لم يتوبوا
ويُنيبوا مما هم عليه مُقيمون من معصية الله والشرك به ، إلى طاعة الله والإيمان
به . ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ . يقول : قل لهم يا محمد : لسْتُ عليكم بحفيظ
ولا رقيب ، وإنما أنا رسول أُبَلِّغُكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ .
يقول : لكل خبر ﴿ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . يعنى : قرارٌ يستقرُّ عنده ، ونهايةٌ ينتهى إليها ، فيتبين
حقُّه وصدقُه من كذبه وباطله . ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : وسوف تعلمون
أيُّها المكذَّبون بصفة ما أُخبرُكم به من وعيد الله إياكم أيُّها المشركون ، وحقَّقته^(١)
عند حلول عذابه بكم ، فرأوا ذلك وعاینوه ، فقتلهم يومئذ بأيدي أوليائه من
المؤمنين .

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدِّي : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ . يقول : كذَّبت قريش بالقرآن وهو
الحق . وأما الوكيل فالحفيظ . وأما ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ ، فكان نبأ القرآن استقرَّ يوم
بدر ، بما كان يعدُّهم من العذاب^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن
مجاهد : ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ : لكلُّ نبأ حقيقة ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ،

(١) في م : « حقيقته » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٠ ، ٧٤٢١ ، ٧٤٢٤) من طريق أحمد بن مفضل به ،

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ إلى أبي الشيخ .

﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما كان في الدنيا فسوف ترونه ، وما كان في الآخرة يتدو لكم^(١) .

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . يقول : حقيقة^(٢) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : فعلٌ وحقيقة ، ما كان منه في الدنيا ، وما كان منه في الآخرة^(٣) .

وكان الحسن يتأول في ذلك أنه الفتنة التي كانت بين أصحاب رسول الله ﷺ .

٢٢٨/٧ / حدثني المشي ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جعفر بن حيان ، عن الحسن أنه قرأ : ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : حُبست عقوبتها ، حتى إذا^(٤) عُمل ذنبها أُرسلت عقوبتها^(٥) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٥) من طريق أبي حذيفة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٢) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ إلى المصنف .

(٤) سقط من النسخ والدر المنثور ، والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٣) من طريق جعفر بن حيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

يقول تعالى ذكره لنبئه محمد ﷺ : وإذا رأيت يا محمدُ المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها [٧٦٤/١ ظ] إليك ، ووحينا الذي أوحيناه إليك . وخوضهم فيها كان استهزاءهم بها ، وسبهم من أنزلها وتكلم بها ، وتكذيبهم بها . ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ . يقول : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم ﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ . يقول : حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله ، من حديثهم بينهم . ﴿ وَإِنَّمَا يُنِيسُكَ الشَّيْطَانُ ﴾ . يقول : وإن أنساك الشيطانُ نهينا إياك عن الجلوس معهم ، والإعراض عنهم ، في حال خوضهم في آياتنا ، ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه ، بما خاضوا به فيه . وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ . قال : نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها ، فإن نسي فلا يقعد بعد الذكرى ^(١) مع القوم الظالمين ^(٢) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك

(١) في ص ، ت ١ : « الذكر » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢١٢ / ١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠ / ٣ إلى عبد بن حميد .

وسعيد بن جبير في قوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا﴾ . قال : الذين يكذبون بآياتنا^(١) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ . قال : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن ، فسبوه واشتهزوا به ، فأمرهم الله ألا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره^(٢) .

وأما قوله : ﴿وَإِذَا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ﴾ . يقول : نهينا^(٣) ، فتقعد معهم ، فإذا ذكرت فقم .

٢٢٩/٧ / حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا﴾ . قال : يكذبون بآياتنا^(٤) .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن أبي جعفر ، قال : لا تجالسوا أهل الخصومات ، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله^(٥) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن

(١) سيأتي تخريجه في ص ٣١٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٤/٤ (٧٤٣٠) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) في م : « نسيت » .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٣ .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٨٤/٣ من طريق ليث ، عن الحكم ، عن أبي جعفر ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ إلى عبد بن حميد .

أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا ﴾ . وقوله : ﴿ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ﴾ [الأنعام : ١٥٩] . وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] . وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . ونحو هذا فى القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك ^(١) مَنْ كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله عز وجل ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا ﴾ . قال : يستهزئون بها . قال : نهى رسول الله ﷺ أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم ، فذلك قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبى ﷺ يُحِبُّونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ الآية ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا ﴾ . قال : يكذبون .

(١) فى ص ، ت ١ : « أهلك » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٤/٤ (٧٤٢٦) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٣ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٥/٤ (٧٤٣٣) من طريق يحيى ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى ابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر ، وسيأتى قول ابن جريج بتمامه فى ص ٣١٧ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عُبيدُ^(١) اللَّهِ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ . يعنى المشركين ، ﴿ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ : إن نسيته فذكرت فلا تجلس معهم^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْتُقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى لَعَلَّهُمْ يَنْتُقُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فَخَافَهُ ، فَأَطَاعَهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ، واجْتَنَبَ مَا نَهَاها عَنْهُ ، فليس عليه بترك الإغراض عن هؤلاء الخائضين فى آياتِ اللَّهِ فى حال خوضهم فى آياتِ اللَّهِ - شىءٌ من تبعه فيما بينه وبين اللَّهِ ، إذا لم يكن تركه الإغراض عنهم رضا بما هم فيه ، وكان لله بحقوقه مُتَّقِيًا ، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج ، ولكن ليغرضوا عنهم حينئذٍ ذكرى لأمرِ اللَّهِ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْتُقُونَ ﴾ . يقول : لِيَنْتُقُوا .

ومعنى « الذكرى » / الذكْرُ ، والذكْرُ والذكرى بمعنى .

٢٣٠/٧

وقد يجوز أن يكون ﴿ ذِكْرِى ﴾ فى موضع نصبٍ ورفعٍ ؛ فأما النصبُ فعلى ما وصفتُ من تأويل : ولكن ليغرضوا عنهم ذكرى . وأما الرفعُ فعلى تأويل : وما على الذين ينتقون من حسابهم شىءٌ^(٣) بترك الإغراض^(٤) ، ولكن إغراضهم ذكرى

(١) فى النسخ : « عبد الله » وتقدم مرارًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٤/٤ ، ١٣١٥ ، (٧٤٢٩ ، ٧٤٣٥) من طريق عبيد الله بن موسى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) بعده فى : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بمعنى » .

لأمرِ الله ، لعلهم يَتَّقُونَ .

وقد ذُكر أن النبي ﷺ إنما أُمِر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا [٧٦٤/١] في آياتِ الله ؛ لأن قيامه عنهم كان ممّا^(١) يكرهونه ، فقال الله له : إذا خاضوا في آياتِ الله ، فقم عنهم ؛ ليتَّقوا الخوض فيها ويترُكوا ذلك .

ذكر مَنْ قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : كان المشركون يجلسون إلى النبي ﷺ يُجِبُّون أن يسمَعوا منه ، فإذا سمِعوا استَهْزَءوا ، فنزلت : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ الآية . قال : فجعل^(٢) إذا استَهْزَءوا قام ، فحذروا وقالوا : لا تَسْتَهْزِئُوا فيقوم . فذلك قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أن يخوضوا فيقوم ، ونزل : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) إن تقعد^(٤) معهم ، ولكن لا تقعد^(٥) ، ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة : ﴿ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ إنكم إذا مثلهم ﴿ [النساء : ١٤٠] فَنُسِخَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية^(٥) .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قوله : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . يقول : من

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « فيما » .

(٢) في ص ، س ، والدر : « فجعلوا » .

(٣) في ص ، س ، ت ، ١ : « قعد » ، وفي م ، ت ، ٢ ، ٣ : « قعدوا » ، والمثبت من الدر المنثور .

(٤) في م : « تقعدوا » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٣ ، ٢١ إلى المصنف وابن المنذر وأبي الشيخ .

حساب الكفار من شيء ، ﴿ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ ﴾ . يقول : إذا ذكرت فقم ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ مساءتكم ، إذا رأوكم لا تجالسوهم استخيووا منكم فكفوا عنكم ، ثم نسخها الله بعد ، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا ، قال : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾ الآية ^(١) [النساء : ١٤٠] .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ : إن قعدوا ، ولكن لا تقعدوا ^(٢) .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ ﴾ . قال : وما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ / بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا ﴾ .

٢٣١/٧

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبا ولهوا ، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته ، واللهو

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٦/٤ ، ١٣١٧ (٧٤٤١ ، ٧٤٤٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٣ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٦/٤ (٧٤٣٩) من طريق عبيد الله بن موسى به ، وتقدم أوله في

والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم ، فأعرض عنهم ، فإنى لهم بالمرصاد ، وإنى لهم من وراء الانتقام منهم ، والعقوبة لهم على ما يفعلون ، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ، ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى ذكره ، والمصير إليه بعد الممات .

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ . قال : كقوله : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ ^(١) [المدثر : ١١] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله : ﴿ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] . وكذلك قال عدد من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن قتادة : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ : ثم أنزل فى سورة « براءة » ، فأمر بقتالهم ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبي عروبة ، فقال : هكذا سمعته من قتادة : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ : ثم

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٤ . ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٧/٤ (٧٤٤٧) .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ٣٢٦ من طريق همام به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/٢١٢ -

ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٧/٤ (٧٤٤٨) ، والنحاس فى الناسخ ص ٤١٨ - عن معمر عن

قتادة بلفظ آخر ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه وابن المنذر .

أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ « بَرَاءة » ، وَأَمَرَ بِقِتَالِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَذَكَرَ بِهِ ﴾ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : وَذَكَرَ يَا مُحَمَّدُ بِهَذَا الْقُرْآنِ هَؤُلَاءِ الْمُؤَلِّينَ عَنْكَ وَعَنْهُ ، ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ . بِمَعْنَى : أَلَّا تُبْسَلَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] . بِمَعْنَى : أَلَّا تَضِلُّوا . وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ : وَذَكَرَهُمْ ^(١) بِهِ لِيُؤْمِنُوا وَيَتَّبِعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ ، فَلَا تُبْسَلَ أَنْفُسُهُمْ بِمَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَوْزَارِ . وَلَكِنْ حُذِفَتْ « لَا » لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : أَنْ تُسَلَّمَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ، عَنْ يَزِيدَ النَّخَوِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ قَوْلِهِ : ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ . قَالَ : تُسَلَّمَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ : ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ . قَالَ : أَنْ تُسَلَّمَ .

/ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الْحُسَيْنِ مِثْلَهُ ^(٢) .

٢٣٢/٧

(١) فِي م : « ذَكَرَ » .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣١٨/٤ عَقِبَ الْأَثَرِ (٧٤٥٢) مَعْلَقًا .

حدَّثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَنْ تَبْسَلَ ﴾ . قال : تُسَلِّمُ^(١) .

حدَّثني المشي، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : ﴿ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسُ ﴾ . قال : تُسَلِّمُ .

حدَّثنا ابن حميد، قال : ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا ﴾ : أُسْلِمُوا^(٢) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تُحْبَسُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمد بن عبد [٧٦٥/١] الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة : ﴿ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسُ ﴾ . قال : تُؤْخَذُ فَتُحْبَسُ .

حدَّثنا الحسن بن يحيى، قال : أخبرنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا معمر، عن قتادة مثله^(٣) .

حدَّثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ : أَنْ تُؤْخَذَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ^(٤) .

وقال آخرون : معناه : تُفْضَحُ .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٤ .

(٢) سقط من : ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٨/٤ (٧٤٥٤) عن الحسن بن يحيى به، وعزاه السيوطي في الدر

المنثور ٢١/٣ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٩/٤ (٧٤٥٩) من طريق أصبغ، عن ابن زيد (تفسير الطبري ٢١/٩)

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، ^(١) قَالَ : حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ^(٢) ،
عن عليِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَذَكَرَ بِهِ ﴾ أَنْ تُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا
كَسَبَتْ ﴿ . يَقُولُ : تُفْضَحُ ^(٣) .

وقال آخرون : معناه : أَنْ تُجْزَى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يحيى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : ثنا الحسينُ بْنُ واقدٍ ، قَالَ :
قال الكلبيُّ : ﴿ أَنْ تُبَسِّلَ ﴾ : أَنْ تُجْزَى .

وأصلُ « الإِبْسَالِ » التحريمُ ، يقالُ منه : أَبَسَلْتُ المكانَ . إذا حَرَّمْتَهُ فلم
يُقَرَّبَ ^(٤) . ومنه قولُ الشاعرِ ^(٥) :

بَكَرْتُ ^(٥) تَلُومَكَ بَعْدَ وَهْنٍ ^(٦) فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتابِي
أَي : حَرَامٌ ^(٧) عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتابِي . ومنه قولُهُم : أَسَدٌ بِاسِلٌ ^(٧) . يُرَادُّ بِهِ : لَا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٨/٤ (٧٤٥٣) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) في م : « تقربه » .

(٤) هو ضمرة بن ضمرة النهشلي كما في النوادر لأبي زيد ص ٢ ، والأمالى للقالى ٢٧٩/٢ ونسبه في الوحشيات ص ٢٥٦ إلى ابنه حُرَي بن ضمرة .

(٥) بكرت : عجلت . ينظر اللسان (ب ك ر) .

(٦) الوهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل ، أو هو ساعة تمضي من الليل .
التاج (و ه ن) .

(٧ - ٧) في النسخ : « ومنه قولهم : وعتابي أسد أسد » . وينظر معاني القرآن للفراء ٣٣٨/١ ، وتعليق الشيخ
شاكر على هذا الموضع .

يَقْرَبُهُ شَيْءٌ . فَكَأَنَّهُ قَدْ حَرَّمَ نَفْسَهُ . ثُمَّ يُجْعَلُ ذَلِكَ / صِفَةً لِكُلِّ شَدِيدٍ يَتَحَامَى
لشِدَّتِهِ ، وَيُقَالُ : أَعْطِ الرَّاقِيَ بُسْلَتَهُ^(١) . يُرَادُ بِذَلِكَ : أُجْرَتَهُ . وَشَرَابٌ بَسِيلٌ . بِمَعْنَى :
مَتْرُوكٌ . وَكَذَلِكَ الْمُبْسَلُ بِالْجَرِيرَةِ^(٢) ، وَهُوَ الْمُزْتَهَنُ بِهَا ، قِيلَ لَهُ : مُبْسَلٌ . لِأَنَّهُ
مُحَرَّمٌ^(٣) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِمَّا رُهِنَ فِيهِ وَأُسْلِمَ بِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ عَوْفِ بْنِ الْأَحْوَصِ
الْكِلَابِيِّ^(٤) :

وَابْسَالِي بَنِي بَغِيرٍ جُزْمٍ بَعُونَاهُ^(٥) وَلَا بَدَمٍ مُرَاقٍ
وَقَالَ الشُّنْفَرِيُّ^(٦) :

هَنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَمِيرٌ^(٧) اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ
فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ : وَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ، وَغَيْرِهِمْ
مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، كَيْلًا تُبْسَلَ نَفْسٌ بِذُنُوبِهَا وَكَفَرِهَا بِرَبِّهَا ، وَتُزْتَهَنُ
فَتُغْلَقُ^(٨) بِمَا كَسَبَتْ مِنْ أَجْرَامِهَا فِي عَذَابِ اللَّهِ ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .
يَقُولُ : لَيْسَ لَهَا حِينَ تُسَلَّمُ بِذُنُوبِهَا ، فَتُزْتَهَنُ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ آثَامِهَا ، أَحَدٌ يَنْصُرُهَا ،
فَيُنْقِذُهَا مِنَ اللَّهِ الَّذِي جَازَاهَا بِذُنُوبِهَا جَزَاءَهَا ، وَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَهَا ، لَوْ سِيلَةٌ لَهُ عِنْدَهُ .
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ .

(١) فِي م : « بَسِيلَتُهُ » .

(٢) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَايَةُ . الصَّحَاحُ (ج ر ر) .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَمِنْهُ » .

(٤) النُّوَادِرُ لِأَبِي زَيْد ١٥١ ، وَمَجَازُ الْقُرْآنِ ١٩٤/١ ، وَالْمَعَانِي الْكَبِيرُ ١١١٤/٢ .

(٥) بَعَا الذَّنْبَ يَبْعَاهُ وَيَبْعُوهُ : اجْتَرَمَهُ وَاكْتَسَبَهُ . اللَّسَانُ (ب ع و) ، وَالْبَيْتُ فِيهِ .

(٦) دِيَوَانُهُ الطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ ص ٣٦ .

(٧) فِي الدِّيَوَانِ : « سَجِيس » . وَسَمِيرُ اللَّيَالِي وَسَجِيهَا : أَبَدُ اللَّيَالِي . اللَّسَانُ (س م ر ، س ج س) .
وَالْبَيْتُ فِيهِ .

(٨) هُوَ مَنْ غُلِقَ الرَّهْنُ ، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يُفْتَكَّ فِي الْوَقْتِ الْمَشْرُوطِ ، فَيَسْتَحِقُّهُ الْمُرْتَهَنُ . يَنْظُرُ اللَّسَانُ (غ ل ق) .

يقولُ تعالى ذكره : وَإِنْ تَعَدَّلِ النَّفْسُ الَّتِي أُبْسِلَتْ بِمَا كَسَبَتْ ، يَعْنِي : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ﴾ . يَعْنِي : كُلُّ فِدَاءٍ .

يَقَالُ مِنْهُ : عَدَلُ يَعْدِلُ ، إِذَا فَدَى ، عَدْلًا . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة : ٩٥] . وَهُوَ مَا عَادَلَهُ مِنْ غَيْرِ نَوْعِهِ .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ . قَالَ : لَوْ جَاءَتْ بِمَلَأِ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهَا^(١) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ : فَمَا يَعْدِلُهَا ، لَوْ جَاءَتْ بِمَلَأِ^(٢) الْأَرْضِ ذَهَبًا لَتَفْتَدِيَ بِهِ مَا قُبِلَ مِنْهَا .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ . قَالَ : ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ﴾ : وَإِنْ تَفْتَدِ ، يَكُونُ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا يَفْتَدِي بِهَا ، لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ ، عَدْلًا عَنْ نَفْسِهِ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ^(٣) .

وَقَدْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ^(٤) بِمَعْنَى : وَإِنْ تُقْسِطُ كُلَّ قِسْطٍ لَا

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٨/٤ (٧٤٥٥) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في ص : « بمثل » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٩/٤ (٧٤٥٦) من طريق أصبغ بن الفرغ عن ابن زيد به .

(٤) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/١٩٥ .

٢٣٤/٧

يُقْبَلُ مِنْهَا . / وقال : لَأَتَمَّا^(١) التوبة في الحياة .

وليس لما قال من ذلك معنى ؛ وذلك أن كلَّ تائب في^(٢) الدنيا فإن الله تعالى ذكره يَقْبَلُ توبته .

القول في تأويل قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠) .

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين إن فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كلَّ فداء ، لم يُؤْخَذْ منهم ، هم ﴿ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ . يقول : أُسْلِمُوا لعذاب الله ، فرهنوا به ؛ جزاء بما كسبوا في الدنيا من الآثام والأوزار ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ . والحميم هو الحار في كلام العرب ، وإنما هو محمومٌ صُرِفَ إلى فعيل ، ومنه قيل للحَمَام : حَمَامٌ . لإسخائه الجسم ، ومنه قول مُرْقِش^(٣) :

فِي كُلِّ مُمَسَّى لَهَا مِقْطَرَةٌ^(٤) فِيهَا كِبَاءٌ^(٥) مُّعَدٌّ وَحَمِيمٌ

يعنى بذلك ماء حارًّا . ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة فرس^(٦) :

تَأْتِي بِدِرَّتِهَا^(٧) إِذَا مَا اسْتَغْضَبَتْ^(٨) إِلَّا الْحَمِيمُ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ^(٩)

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « لأنها » . وفي م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إنها » . والمثبت من مجاز القرآن .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س .

(٣) المفضليات ص ٢٤٨ .

(٤) المقطرة : المجرة . اللسان (ق ط ر) . والبيت فيه .

(٥) الكباء : ضرب من العود والدخنة . اللسان (ك ب ي) .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٧ .

(٧) الدرة : درة العدو ، أي : تأتي أن تدّر بما عندها من الجرى إذا استغضبتها . شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٥ .

(٨) في ص ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « استغضبت » ، وهي رواية ، وفي ت ، ١ : « استعصيت » . ورواية الديوان :

« استكرهت » .

(٩) يتبضع : يتبزل ويتفجر ويفتح بالعرق ، ويرشح به الجلد على كره . المصدر السابق .

يعنى بالحميم عَرَقَ الفرس .

وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية شراباً من حميم ؛ لأن الحار من الماء لا يزوى من عطش . فأخبر أنهم إذا عطشوا فى جهنم لم يغاثوا بماء يزويهم ، ولكن بما يزيدون به ^(١) عطشاً على ما بهم من العطش . ﴿ وَعَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ . يقول : ولهم أيضاً مع الشراب من ^(٢) الحميم من الله العذاب الأليم ، والهوان المقيم ، ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ . يقول : بما كان من كفرهم فى الدنيا بالله ، وإنكارهم توحيدَه ، وعبادتهم معه آلهة دونه .

٢٣٥/٧

/حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ . [٧٦٥/١ ظ] قال : يقول : أسلموا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا ﴾ . قال : فضحوا ^(٣) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ . قال : أخذوا بما كسبوا ^(٤) .

القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا ﴾ .

(١) سقط من ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٩/٤ (٧٤٥٨) من طريق عبد الله بن صالح به ، وتقدم أوله فى ص

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٩/٤ (٧٤٥٩) من طريق أصبغ بن الفرغ ، عن ابن زيد .

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان ، يقول له تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء العاديين ربهم الأوثان والأنداد ، والآمرين لك باتباع دينهم ، وعبادة الأصنام معهم : أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضررنا ، فنخلصه^(١) بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع ، والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون فتمييزون بين الخير والشر ؟ فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يُزجى نفعه ويُزهب ضرره ، أحق وأولى من خدمة من لا يُزجى نفعه ولا يُخشى ضرره .

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ﴾ . يقول : ونُرَدُّ إلى أديبارنا ، فنرجع القهقري خلفنا ، لم نَظْفَرْ بحاجتنا .

وقد بينا معنى « الرد على العقب » ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها : رُدَّ على عقبيه . فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع^(٢) .

وإنما يُراد به في هذا الموضع : ونُرَدُّ من الإسلام إلى الكفر ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ﴾ فوققنا له ، فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوى في الأرض حيران .

وقوله : ﴿ اسْتَهْوَتْهُ ﴾ . استفعلته ، من قول القائل : هوى فلان إلى كذا ، يهوى إليه . و^(٣) من قول الله تعالى ذكره : ﴿ فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] . بمعنى : تنزع إليهم وتريدتهم .

وأما ﴿ حَيْرَانَ ﴾ فإنه فعلان ، من قول القائل : قد حار فلان في الطريق ، فهو

(١) في م : « فنخلصه » ، وفي ت ٢ : « لنخلصه » ، وفي س : « فيخلصه » .

(٢) ينظر ما تقدم في ٦٤٦/٢ .

(٣) سقط من ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

يَحَارُّ فِيهِ حَيْرَةٌ وَحَيْرَانًا وَحَيْرُورَةً . وَذَلِكَ إِذَا ضَلَّ فَلَمْ يَهْتَدِ لِلْمَحَجَّةِ .

﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ . يَقُولُ : لِهَذَا الْحَيْرَانِ الَّذِي قَدْ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ، أَصْحَابٌ عَلَى الْمَحَجَّةِ وَاسْتِقَامَةٍ مِنْ ^(١) السَّبِيلِ ، يَدْعُونَهُ إِلَى الْمَحَجَّةِ ؛ ^(٢) «لَطَرِيقِ الْهُدَى» الَّذِي هُمْ ^(٣) عَلَيْهِ ، يَقُولُونَ لَهُ ^(٤) : ائْتِنَا .

وَتَرِكَ إِجْرَاءَ ﴿ حَيْرَان ﴾ ؛ لِأَنَّهُ فَعْلَانٌ ، وَكُلُّ اسْمٍ كَانَ عَلَى فَعْلَانٍ مِمَّا أُنْشِأَتْ فَعْلَى ، فَإِنَّهُ لَا يُجْرَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَعْرِفَةٍ وَلَا نَكْرَةٍ .

وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، فَاتَّبَعَ الشَّيَاطِينُ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ ، وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَهُ فِي حَالِ إِسْلَامِهِ ، الْمُقِيمُونَ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ ، يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ / مُقِيمُونَ ، وَالصَّوَابِ الَّذِي هُمْ بِهِ مُتَمَسِّكُونَ ، وَهُوَ لَهُ مُفَارِقٌ ، وَعَنْهُ زَائِلٌ ، يَقُولُونَ لَهُ : ائْتِنَا ، فَكُنْ مَعَنَا عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَهُدًى . وَهُوَ يَأْبَى ذَلِكَ ، وَيَتَّبِعُ دَوَاعِيَ الشَّيْطَانِ ، وَيَعْبُدُ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ .

وَبِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ فِي ^(٥) ذَلِكَ مَثَلِ مَا قُلْنَا

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «الطريق ولا الهدى» ، وَلَعَلَّ صَوَابَ مَا فِي هَذِهِ النُّسخِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا : الْمَحَجَّةُ - طَرِيقٌ - وَإِلَى الْهُدَى .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «هو» .

(٤) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «أيضا» .

(٥) سقط من : م .

السدى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا ۚ ۞ ١ ٠ قال : قال المشركون للمؤمنين : اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَاتْرُكُوا دِينَ مُحَمَّدٍ ^(١) . فقال الله تعالى ذكره : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ۚ ۞ ٢ ٠ فهذه الآلهة ، ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ ۚ ۞ ٣ ٠ فيكون مثلنا كمثلي الذي ﴾ ﴿ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ۚ ۞ ٤ ٠ يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان كمثلي رجل كان مع قوم على الطريق ، فضل الطريق ، فحيرته الشياطين ، واستهوته في الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم ، يقولون : اتينا فإنا على الطريق . فأبى أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ، ومحمد الذي يدعوا إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام ^(٢) .

حدثني المشنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ۚ ۞ ١ ٠ قال : هذا مثل ضرب به الله للآلهة ومن يدعو إليها ، وللدعاة الذين يدعون إلى الله ، كمثلي رجل ضل عن الطريق ^(٣) تائها ضالاً ^(٣) ، إذ ناداه مُنَادٍ : يا فلان بن فلان ، هلم إلى الطريق . وله أصحاب يدعونه : يا فلان ، هلم إلى الطريق . فإن اتبع الداعي الأول ، انطلق به حتى يُلْقِيهِ فِي الْهَلَكَةِ ، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق ، وهذه الداعية التي تدعو في البرية من الغيلان ، يقول : مثل من يعبد هؤلاء

(١) بعده في النسخ ، وتفسير ابن أبي حاتم : « صلى الله عليه وسلم » . ولا يقوله المشركون ، وينظر في تفسير ابن كثير ٢٧٤/٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٠/٤ - ١٣٢٢ (٧٤٦٦ ، ٧٤٦٨ ، ٧٤٧٢ ، ٧٤٧٤) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/٣ إلى أبي الشيخ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

الآلهة من دون الله ، فإنه يرى أنه في شيء ، حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة .

وقوله : ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وهم الغيلان ، يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جدّه ، فيتَّبِعُهَا ، فيرى أنه في شيء ، فيُضْبِحُ ^(١) وقد ألقته في الهلكة ، وربما أكلته ، أو تُلْقِيهِ فِي مَضَلَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، يَهْلِكُ فِيهَا عَطْشًا ، فهذا مَثَلُ ^(٢) مَنْ أَجَابَ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) .

حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة : ﴿ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ﴾ . قال : أضلته في الأرض حيران ^(٤) .

حدّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ . قال : الأوثان ^(٥) .

حدّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدّثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَان ﴾ . قال : رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق ، فذلك ^(٦) مَثَلُ مَنْ يَضِلُّ بَعْدَ إِذْ هُدِيَ ^(٥) .

(١) سقط من : ت ٢ ، وفي ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « فيصير » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢١/٤ (٧٤٦٩ ، ٧٤٧٣) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٣ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ عن معمر به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٣٢٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٠/٤ ، ١٣٢١ (٧٤٦٧) ، (٧٤٧١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/٣ إلى ابن أبي شبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٦) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « كذلك » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور ، وفي تفسير مجاهد : « ذلك » . وهو صواب أيضا .

٢٣٧/٧ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، قَالَ : ثنا رجلٌ ، عن مجاهدٍ قال : ﴿ حَيْرَانٌ ﴾ : هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْكَافِرِ ، يَقُولُ : الْكَافِرُ حَيْرَانٌ ، يَدْعُوهُ الْمُسْلِمُ إِلَى الْهُدَى فَلَا يُجِيبُ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ . حتى بلغ : ﴿ لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) : عَلَّمَهَا اللَّهُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، يُخَاصِمُونَ بِهَا أَهْلَ الضَّلَالَةِ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ : فَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا يَسْتَجِيبُ لهُدَى اللَّهِ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ ، وَعَمِلَ فِي الْأَرْضِ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَحَارَ عَنِ الْحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُ ، وَلَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي يَأْمُرُونَهُ هُدًى ، يَقُولُ اللَّهُ ذَلِكَ لِأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ ، يَقُولُ ^(٤) : إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ، وَالضَّلَالَةُ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْجَنُّ ^(٥) .

فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ كَانَ يَرَى أَنَّ أَصْحَابَ هَذَا الْحَيْرَانِ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ ، إِنَّمَا يَدْعُونَهُ إِلَى الضَّلَالِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ هُدًى ، وَأَنَّ اللَّهَ أَكْذَبُهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾ . لَا مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ عن معمر ورجل ، عن مجاهد .

(٢) بعده في تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور : « خصومة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٢/٤ (٧٤٧٦) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٢/٤ (٧٤٧٥) عن محمد بن سعد به .

وهذا تأويل له وجهٌ لو^(١) لم يَكُنِ اللَّهُ سَمَّى الذى دعا الحيرانَ إليه أصحابه هُدًى ، وكان الخبرُ بذلك عن أصحابِ الدُّعاةِ له إلى ما دَعَوْهُ إليه ، أنهم هم الذين سَمَّوْهُ ، ولكنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ هُدًى ، وأخبر عن أصحابِ الحيرانِ أنهم يَدْعُونَهُ إليه ، وغيرُ جائزٍ أن يُسَمَّى اللَّهَ الضلالَ هُدًى ؛ لأن ذلك كَذِبٌ ، وغيرُ جائزٍ وصفُ اللَّهِ بالكذبِ ؛ لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته ، وإنما كان يجوزُ توجيهُ ذلك إلى الصوابِ ، لو كان ذلك خبراً من اللَّهِ عن الداعى الحيرانِ أنهم قالوا له : تعالَ إلى الهدى . فأما وهو قائلٌ : ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ . فغيرُ جائزٍ أن يكونَ ذلك وهم كانوا يَدْعُونَهُ إلى الضلالِ .

وأما قوله : ﴿ أَتَيْنَا ﴾ . فإن معناه : يقولون : اتينا ، هَلُمَّ إلينا . فحذف القولُ لدلالةِ الكلامِ عليه .

وذكر عن ابنِ مسعودٍ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا) .

حدَّثنا بذلك ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا غُنْدَرٌ ، عن شعبةٍ ، عن أبى إسحاقٍ ، قال : فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا)^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، أنه سَمِعَ مجاهدًا يقولُ : فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (له أصحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا) . قال : الْهُدَى الطريقُ ، أنه بَيِّنٌ^(٣) .

وإذا قُرِئَ ذلك كذلك ، كان « البَيِّنُ » من صفةِ « الهدى » ، ويكونُ نصبُ « البَيِّنِ » على القطعِ من « الهدى » ، كأنه قيل : يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى الْبَيِّنِ . ثم نُصِبَ

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/٣ إلى المصنف وابن الأنبارى ، وينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٤ .

(٣) وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ١٧١ عن حجاج به دون آخره ، وعزاه السيوطى فى الدر ٢٢/٣ إلى أبى الشيخ .

«البَيِّنُ» لما حُذِفَت الألف واللام ، وصار نكرةً من صفة المعرفة .

وهذه القراءة التي ذكرناها عن ابن مسعود تؤيّد قول من قال : الهدى في هذا الموضع هو الهدى على الحقيقة .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١) .

/يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادِلين برّبهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ فَإِنَا عَلَى هُدًى : ليس الأمر كما زعمتم ، ﴿ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾ . يقول : إن طريق الله الذي بيّنه لنا وأوضحه ، وسبيله الذي أمرنا بلزومه ، ودينه الذي شرعه لنا فيّنه ، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها ، لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، فلا نترك الحقّ ونتبّع الباطل ، ﴿ وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . يقول : وأمرنا ربّنا ورب كل شيء تعالى وجهه ، لنسلم له ؛ لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له ، دون ما سواه من الأنداد والآلهة .

وقد بيّنا معنى «الإسلام» بشواهد فيما مضى من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته ^(١) .

وقيل : ﴿ وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ ﴾ . بمعنى ^(٢) : وأمرنا كي نسلم ، وأمرنا ^(٣) أن نسلم لرب العالمين ؛ لأن العرب تضع « كي » و « اللام » التي بمعنى « كي » ، مكان « أن » ، و « أن » مكانها .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُوهَا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

(١) ينظر ما تقدم في ٤٣٢/٢ .

(٢) في ص ، س : « يعني » .

(٣) سقط من : م .

تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ .

يقول تعالى ذكره : وأْمِرْنَا أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ .

وإنما قيل : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ فعطف بـ ﴿ أَنْ ﴾ على اللامِ مِنْ ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾ . معناه : أَنْ ^(١) نُسْلِمَ . فردَّ قوله : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا ﴾ . على معنى ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾ . إذ كانت اللامُ التي في قوله : ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾ . لامًا لا تَصْحَبُ إِلَّا الْمُسْتَقْبَلُ مِنَ الْأَفْعَالِ ، وكانت ^(٢) « أَنْ » مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْاِسْتِقْبَالِ دَلَالَةَ اللَّامِ الَّتِي فِي : ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾ . فعطف [٧٦٦/١] بها عليها ؛ لاتفاق معنييهما فيما ذكُرْتُ ، فـ « أَنْ » في موضع نصبٍ بالردِّ على اللامِ ^(٣) .

وكان بعضُ نحوِي البصرة يقول : إما أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ : ﴿ أَمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ . يقول : أَمِرْنَا كى نُسْلِمَ . كما قال : ^(٤) ﴿ وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٥) [الزمر : ١٢] . أى : إنما أَمِرْتُ لذلك ، ثم قال : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقَوْهُ ﴾ . أى : أَمِرْنَا أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ . أو يَكُونَ أَوْصَلَ الْفِعْلَ بِاللَامِ . والمعنى : أَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ . كما أَوْصَلَ ^(٥) الْفِعْلَ بِاللَامِ فِي ^(٦) قَوْلِهِ : ﴿ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] .

فتأويل الكلام : وأْمِرْنَا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وذلك أداؤها بحدودها التي فُرِضَتْ

(١) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « وَأَنْ » .

(٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « فَكَانَتْ » .

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « الْأَمْر » ، وينظر معانى القرآن للفراء ١ / ٣٣٩ .

(٤ - ٤) فى النسخ : « وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » . وصواب ما فى هذه النسخ : ﴿ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ١٠٤] . والمثبت هو صواب الاستشهاد فى هذا الموضع ، وينظر الكتاب ٣ / ١٦١ .

(٥) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أَفْعَل » .

(٦ - ٦) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « قَوْلُهُمْ » .

علينا ، ﴿ وَاتَّقُوهُ ﴾ . يقول : واتَّقُوا رَبَّ العالمين الذى أُمِرْنَا أَنْ نُسَلِّمَ لَهُ ، فخافوه ،
واحذروا سَخَطَهُ بِأداءِ الصلاةِ المفروضةِ عليكم ، والإذعانِ له بالطاعة ، وإخلاصِ
العبادةِ له ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ . يقول : وربُّكم ربُّ العالمين هو الذى
إليه تُحْشَرُونَ ، فتُجْمَعُونَ يومَ القيامةِ ، فيُجازى كلَّ عاملٍ منكم بعملِهِ ، وتُوفَّى كلُّ
نفسٍ ما كَسَبَتْ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾
وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ .

/ يقولُ تعالى ذكره لنبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤْلَاءِ الْعَادِلِينَ رَبُّهُمْ
الْأَنْدَادُ ، الداعيكِ إلى عبادةِ الأوثانِ : أُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، الذى خلقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، لا مَنْ لا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ ، ولا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ .

واخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾^(١) ؛ فقال بعضهم : معنى
ذلك : وهو الذى خلقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَقًّا وَصَوَابًا ، لا باطلاً وخطأً ، كما قال
تعالى ذكره : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ [ص : ٢٧] . قالوا :
وَأُدْخِلْتَ فِيهِ الْبَاءُ وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ كما تَفْعَلُ الْعَرَبُ فى نظائِرِ ذلك ، فتقولُ : فلانٌ
يقولُ بالحقِّ . بمعنى : أنه يقولُ الحقَّ . قالوا : ولا شَيْءَ فى قوله بالحقِّ غيرَ إصابتهِ
الصَّوَابِ فيه ،^(٢) لا أن^(٢) الحقَّ معنى غيرِ القولِ ، وإنما هو صِفَةٌ لِلْقَوْلِ ، إذا كان بها القولُ
كان القائلُ موصوفًا بالقولِ بالحقِّ ، وبقولِ الحقِّ . قالوا : فكذلك خلقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، حِكْمَةٌ مِنْ حَكَمِ اللَّهِ ، فاللَّهُ موصوفٌ بالحكمةِ فى خلقِهما ، وخلقِ ما

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله الحق » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لأن » .

سواهما من سائر خلقه ، لا أن ذلك حق^(١) ^(٢) سوى خلقهما خلقهما^(٢) به .
وقال آخرون : معنى ذلك : خلق السماوات والأرض بكلامه وقوله لهما :
﴿ أَتَيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت : ١١] . قالوا : فالحق في هذا الموضع معنى به
كلامه . واستشهدوا لقيهم ذلك^(٣) بقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ ﴾^(٣)
الْحَقُّ : الحق هو قوله وكلامه . قالوا : والله خلق الأشياء بكلامه وقيله ، فما^(٤)
خلق به الأشياء ، فغير^(٥) الأشياء المخلوقة . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وجب أن
يكون كلام الله الذي خلق به الخلق غير مخلوق .

وأما قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . فإن أهل العربية اختلفوا في
العامل في ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ﴾ . وفي معنى ذلك ؛ فقال بعض نحويي البصرة : اليوم
مضاف إلى ﴿ يَقُولُ ﴾^(٦) كُنْ فَيَكُونُ . قال : وهو نصب ، وليس له خبر
ظاهر ، والله أعلم ، وهو على ما فسرت لك . كأنه يعني بذلك أن نصبه على : واذكرو
يوم يقول : كُنْ فيكون . قال : وكذلك ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ . قال : وقال
بعضهم : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمٌ ﴾ .

وقال بعضهم^(٧) : ﴿ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . للصورة خاصة .
فمعنى الكلام على تأويلهم : يوم يقول للصورة : كُنْ . فيكون . قوله الحق يوم

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « حقا » .

(٢ - ٢) في م : « سوى خلقهما به » . وينظر التبيان ١٧٢ / ٤ .

(٣ - ٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قوله ويوم يقول كن فيكون قوله » .

(٤) في م : « كما » .

(٥) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « بغير » ، وفي م : « غير » ، والمثبت هو الصواب .

(٦) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « قوله » .

(٧) هو الفراء في معاني القرآن ١ / ٣٤٠ .

يُنْفَخُ فِيهِ ، عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . فَيَكُونُ الْقَوْلُ حِينَئِذٍ ^(١) مَرْفُوعًا ، بِالْحَقِّ ، وَالْحَقُّ بِالْقَوْلِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، و ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ صَلََةُ الْحَقِّ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ قَوْلُهُ : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . مَعْنَى بِهِ كُلُّ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَيِّدَهُ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ إِفْنَائِهِ ، وَمُنْشِئَهُ بَعْدَ إِغْدَامِهِ . فَالْكَلَامُ عَلَى مَذْهَبِ هَؤُلَاءِ مُتَنَاهٍ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وَقَوْلُهُ : ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ . خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ .

وَتَأْوِيلُهُ : وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ لِلْأَشْيَاءِ : كُنْ فَيَكُونُ . خَلَقَهُمَا بِالْحَقِّ بَعْدَ فَنَائِهِمَا ، ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنْ قَوْلِهِ وَوَعَدَهُ خَلْقَهُ أَنَّهُ مُعَيِّدُهُمَا بَعْدَ فَنَائِهِمَا ، عَنْ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَقَالَ : قَوْلُهُ / هَذَا الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ . وَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُ ٢٤٠/٧ الْمَلِكَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، ف ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ يَكُونُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ صَلََةِ الْمَلِكِ .

وَقَدْ يَجُوزُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ . مِنْ صَلََةِ الْحَقِّ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى الْكَلَامِ : وَيَوْمَ يَقُولُ لِمَا فَنَى : كُنْ . فَيَكُونُ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ . فَجَعَلَ الْقَوْلَ مَرْفُوعًا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وَجَعَلَ قَوْلَهُ : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . لِلْقَوْلِ مَحَلًّا ، وَقَوْلُهُ : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ . مِنْ صَلََةِ الْحَقِّ ، كَأَنَّهُ وَجَّهَ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَى : وَيَوْمَئِذٍ قَوْلُهُ الْحَقُّ ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ . وَإِنْ جُعِلَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ بَيَانًا عَنِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ، كَانَ وَجْهًا صَحِيحًا ، وَلَوْ جُعِلَ قَوْلُهُ : ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ . مَرْفُوعًا بِقَوْلِهِ : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يَوْمَئِذٍ » .

الْصُّورِ ﴿١﴾ ، وقوله : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ . مَحَلًّا ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . من صليته ، كان جائزًا .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يُقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه المنفرد بخلق السماوات والأرض دون كل ما سواه ، مُعَرِّفًا مَنْ أَشْرَكَ بِهِ مِنْ [٧٦٧/١] خلقه جهله في عبادته^(١) الأوثان والأصنام ، وخطأ ما هم عليه مُقِيمُونَ مِنْ عِبَادَةٍ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى اجْتِلَابِ نَفْعٍ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا دَفْعِ ضَرٍّ عَنْهَا ، وَمُحْتَاجًا عَلَيْهِمْ فِي إنكارهم البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، بقدرته على ابتداء ذلك ابتداءً ، وأن الذى ابتدع ذلك غير مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ إِفْنَاؤُهُ ، ثم إعادته بعد إِفْنَائِهِ ، فقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أيها العادلون برّبهم مَنْ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾ حجة على خلقه ؛ ليعرفوا بها صانعها ، وَلِيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . يقول : ويوم يقول حين تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسماوات كذلك : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ . كما شاء تعالى ذكره ، فَتَكُونُ الأرض غير الأرض .^(٢) وَيَكُونُ^(٣) الكلام^(٣) عند قوله : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ . مُتَنَاهِيًا .

وإذا كان كذلك معناه ، وجب أن يكون في الكلام محذوف يدل عليه الظاهر ، ويكون معنى الكلام : ويوم يقول كذلك^(٤) : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ . تَبَدُّلُهُ^(٥) غير السماوات والأرض . ويدل على ذلك قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

(١) فى م : « عبادة » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) سقط من النسخ ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) فى م : « لذلك » .

(٥) فى م : « تبدل » .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴿١﴾ ، ثم ابْتَدَأَ الْخَبَرَ عَنِ الْقَوْلِ فَقَالَ : ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ .
 بمعنى : وعده هذا ^(١) الذى وعدَ تعالى ذكره ، مِنْ تَبْدِيلِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ غَيْرِ
 الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
 الصُّورِ﴾ . فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ . مِنْ صَلَهِ الْمُلْكِ ، وَيَكُونُ مَعْنَى
 الْكَلَامِ : وَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ؛ لِأَنَّ النْفَخَةَ الثَّانِيَةَ فِي الصُّورِ حَالِ تَبْدِيلِ اللَّهِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ غَيْرَهُمَا ^(٢) .

وجائز أن يكونَ القولُ ، أَعْنَى : ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ . مَرْفُوعًا بِقَوْلِهِ : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ
 كُنْ فَيَكُونُ﴾ . وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ . مُحَلًّا لِلْقَوْلِ مُرَافِعًا .

فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ : وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَيَوْمَ
 يُبَدِّلُهَا غَيْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَيَقُولُ لِذَلِكَ : ﴿كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ .

٢٤١/٧ /وأما قوله : ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ . فإنه خُصَّ بِالْخَبَرِ عَنْ
 مَلِكِهِ يَوْمَئِذٍ ، وَإِنْ كَانَ الْمُلْكُ لَهُ خَالِصًا فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ لِأَنَّهُ عَنِ
 تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا مُنَازَعَ لَهُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا مُدَّعِيَّ لَهُ ، وَأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِهِ دُونَ كُلِّ مَنْ كَانَ
 يُنَازِعُهُ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَأَذْعَنَ جَمِيعُهُمْ يَوْمَئِذٍ لَهُ بِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ
 دَعْوَاهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي بَاطِلٍ .

وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى «الصُّورِ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ
 نَفْخَتَانِ ؛ إِحْدَاهُمَا لِفَنَاءِ مَنْ كَانَ حَيًّا عَلَى الْأَرْضِ ، وَالثَّانِيَةُ لِنَشْرِ كُلِّ مَيِّتٍ . وَاعْتَلُّوا
 لِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ^(٣) : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

(١) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « هو » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وغيرهما » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ [الزمر: ٦٨] . وبالحبر الذي روى عن رسول الله ﷺ ، أنه قال إذ سُئِلَ عن الصور : « هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » ^(١) .

وقال آخرون : الصورُ في هذا الموضع جمعُ صورة ، يُنْفَخُ فيها رُوحُها فتُحْيَا ، كقولهم ^(٢) : سُورٌ . لسور المدينة ، وهو جمعُ سورة ، كما قال جرير ^(٣) :

* سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالِ الْخُشْعِ *

والعربُ تقولُ : نُفِخَ في الصورِ ، ونُفِخَ الصورُ . ومن قولهم : نُفِخَ الصورُ . قولُ الشاعر ^(٤) :

لولا ابنُ جَعْدَةَ لم تُفْتَحْ قَهْنْدُزُكُمْ ^(٥) ولا خُرَاسَانُ حتى يُنْفَخَ الصُّورُ
والصوابُ من القولِ في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبارُ عن رسولِ الله ﷺ
أنه قال : « إن إسرَافيلَ قد أَلْتَقَمَ الصُّورَ وحنى جَبْهَتَهُ ، يَنْتَظِرُ متى يُؤْمَرُ فَيُنْفَخَ » . وأنه قال : « الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » .

وذكر عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ في قوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ . يعنى : أن عالمَ الغيبِ والشهادة ^(٦) هو الذى يُنْفَخُ فى الصورِ ^(٦) .

(١) ينظر ما سيأتى تخريجه فى تفسير الآية ٩٩ من سورة الكهف ، والآية ٨٧ من سورة النمل ، والآية ١٨ من سورة النبأ .

(٢) فى النسخ : « لقولهم » . والمثبت هو الصواب .

(٣) تقدم تخريج البيت بتمامه فى ١/٦٢٣ .

(٤) البيت فى نسب قريش ص ٣٤٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١/٣٤٠ ، والمغرب للجوالقى ص ٣١٥ ، واللسان (ن ف خ ، ص و ر) .

(٥) القهندز : اسم جنس لكل حصن فى وسط المدينة العظمى ، وقل ما يخلو بلد من خراسان وما وراء النهر من قهندز . المشترك وضعاً ص ٣٦٣ .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س .

حدَّثني به المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ . يعنى : أن عالم الغيب والشهادة هو الذى يَنْفُخُ فى الصور^(١) .

فكان ابنُ عباسٍ تأوّل فى ذلك أن قوله : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ . اسمُ الفاعلِ الذى لم يُسمَّ فى قوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ ﴾ . وأن معنى الكلام : يوم يَنْفُخُ اللَّهُ فى الصورِ عالمُ الغيبِ والشهادة . كما تقولُ العربُ : أَكَلَ طعامك عبدُ اللَّهِ . فتُظهرُ اسمَ الآكلِ بعد أن قد جرى الخبرُ بما لم يُسمَّ آكله . وذلك وإن / كان وجهًا غيرَ مدفوع ، فإن أحسنَ من ذلك أن يكونَ قوله : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ . مرفوعًا على أنه نعتٌ لـ ﴿ الَّذِى ﴾ ، فى قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ .

وروى عنه أيضًا أنه كان يقولُ : الصُّورُ فى هذا الموضعِ النَّفْخَةُ الأولى .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ : يعنى بالصُّورِ النفخة الأولى ، ألم تسمع أنه يقولُ : ﴿ وَنُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخْرَى ﴾ يعنى الثانية ، ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾^(٢) [الزمر : ٦٨] .

ويعنى بقوله : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ : عالم ما تُعاينون أيُّها الناسُ فتُشاهدونه ،^(٣) وما^(٣) يَغِيبُ عن حواسِّكم وأبصاركم فلا تُحِسُّونه ولا تُبْصِرُونه ،

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٤/٤ (٧٤٨٥) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٣/٤ (٧٤٨٤) عن محمد بن سعد به .

(٣ - ٣) فى ص : « مما » .

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ فى تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم ، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود ، ثم فى مُجازاتهم بما يُجازيهم به ، من ثواب أو عقاب ، ﴿ الْخَيْرُ ﴾ بكل ما يَعْمَلُونَهُ وَيَكْسِبُونَهُ مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ ، حافظ ذلك عليهم ، لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ . يقول تعالى ذكره : فاحذروا أيها العادلون برّبكم عقابه ؛ فإنه عليهم بكل ما تَأْتُونَ وَتَذَرُونَ ، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تَعْمَلُونَ .
* القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واذكُرْ يا محمدُ لحِجَابِكَ الذى تُحَاجُّ به قومك ، وخصومتك إياهم فى آلهتهم ، وما تُرَاجِعُهُمْ فيها ، مما نُلْقِيهِ إِلَيْكَ ، ونُعَلِّمُكَ مِنَ الْبَرهَانِ والدلالة على باطل ما عليه قومك مُقِيمُونَ ، وصحة ما أنت عليه مُقِيمٌ مِنَ الدِّينِ ، وحقِيقَةُ^(١) ما أنت^(٢) عليهم مُحْتَجٌّ - حِجَابُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِى قَوْمِهِ ، ومُرَاجَعَتُهُ إِيَّاهُمْ فى باطل ما كانوا عليه مُقِيمِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وانقطاعه إلى الله ، والرضا به واليَا وَنَاصِرًا دُونَ الْأَصْنَامِ ، فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا ، وَاقْتَدِ بِهِ ، وَاجْعَلْ سِيرَتَهُ فى قَوْمِهِ لِنَفْسِكَ مَثَلًا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ مُفَارِقًا لِدِينِهِ ، وَعَائِيًا^(٣) عَلَيْهِ^(٤) عِبَادَتَهُ الْأَصْنَامَ دُونَ بَارئِهِ وَخَالِقِهِ :
يَا آزَرَ .

ثم اختلف أهل العلم فى المعنى بـ ﴿ ءَاذَرَ ﴾ ، وما هو ، اسمٌ هو^(٤) أم صفة ؟ وإن كان اسمًا فمن المسمى به ؟ فقال بعضهم : هو اسم أبيه .

* من هنا تبدأ نسخة مركز الملك فيصل ، وسنشير إليها بالرمز « ف » .

(١) فى م : « حقية » .

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أنعم » وفى ف : « أنهم » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « عاتبا » .

(٤) سقط من : م .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ ﴾ . قَالَ : اسْمُ أَبِيهِ آزَرُ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ بْنُ الفضلِ ، قَالَ : ثنى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ،
قَالَ : آزَرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ فِيمَا ذَكَرْنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - رَجُلًا مِنْ أَهْلِ كُوَيْتٍ ، مِنْ
قَرْيَةٍ بِالسَّوَادِ ، سَوَادِ الْكُوفَةِ ^(٢) .

٢٤٣/٧ / حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرَقِيِّ ، قَالَ : ثنا عمرو بْنُ أَبِي سلمةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزِيزِ يَذْكُرُ قَالَ : هُوَ آزَرُ ، وَهُوَ تَارَحُ ، مِثْلُ إِسْرَائِيلَ وَيَعْقُوبَ .
^(٣) وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّهُ لَيْسَ أَبَا إِبْرَاهِيمَ ^(٣) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ وَسَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، قَالَا : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ ، قَالَ : لَيْسَ آزَرُ أَبَا إِبْرَاهِيمَ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنى عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثنا الثَّوْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ ،
عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ ﴾ . ^(٥) قَالَ : آزَرُ ^(٥) لَمْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٢٤/٤ (٧٤٩٠) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ بِهِ ، بِزِيَادَةِ تَأْتِي فِي
الْصَّفْحَةِ الْقَادِمَةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٣٣/١ عَنْ ابْنِ حَمِيدٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٢٥/٤
(٧٤٩٤) مِنْ طَرِيقِ سلمةَ بِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٢٥ / ٤ (٧٤٩٢) مِنْ طَرِيقِ جَرِيرٍ بِهِ ، وَضَعَفَهُ الْحَافِظُ فِي
الْفَتْحِ ٤٩٩/٨ ، وَقَالَ : « وَهُوَ شَاذٌ » .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

يَكُنْ بِأَبِيهِ ، إِنَّمَا هُوَ صَنَمٌ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا يحيى بْنُ يَمَانَ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : آزَرُ اسْمُ صَنِمٍ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ ، قَالَ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ . قَالَ : اسْمُ أَبِيهِ . وَيُقَالُ : لَا ، بَلْ اسْمُهُ تَارِخٌ ^(٢) ، وَاسْمُ الصَنِمِ آزَرُ ، يَقُولُ : اتَّخَذُ آزَرَ ^(٣) أَصْنَامًا آلِهَةً ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ سَبٌّ وَعَيْبٌ بِكَلَامِهِمْ ، وَمَعْنَاهُ مُعْوَجٌّ . كَأَنَّهُ تَأَوَّلَ أَنَّهُ عَابَهُ بِزَيْغِهِ وَاعْوَجَّاجِهِ عَنِ الْحَقِّ .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ . بَفَتْحِ آزَرَ عَلَى إِتْبَاعِهِ الْأَبَ فِي الْخَفْضِ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ اسْمًا أَعْجَمِيًّا فَتَحُوهُ ، إِذْ لَمْ يُجْزَوْهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ .

وَذَكَرَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُمَا كَانَا يَقْرَأَانِ ذَلِكَ : (آزَرُ) . بِالرَّفْعِ عَلَى النِّدَاءِ ، بِمَعْنَى : يَا آزَرُ ^(٥) .

فَأَمَّا الَّذِي ذَكَرَ عَنِ السَّدِيِّ مِنْ ^(٦) حِكَايَتِهِ أَنَّ آزَرَ اسْمُ صَنِمٍ ، وَإِنَّمَا نَصَبُهُ بِمَعْنَى : اتَّخَذَ آزَرَ أَصْنَامًا آلِهَةً . فَقَوْلُ مِنَ الصَّوَابِ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعِيدٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في ت ١ ، ف : « تارخ » ، وهو قول فيه . ينظر اللسان (أ ز ر) .

(٣) زيادة من : م ، وهو موافق لما سيأتى في كلام المصنف في رد قول السدي .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٥) ينظر النشر ١٩٥/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٢٧ ، وفيهما أن الذي قرأ برفع الراء هو يعقوب

الحضرمي ، وأن قراءة أبي جعفر يزيد بن الققاع - وهما من العشرة - بفتح الراء .

(٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عن » .

تَنْصِبُ اسْمًا بِفَعْلٍ بَعْدَ حَرْفِ الاسْتِفْهَامِ ، لَا تَقُولُ : أَخَاكَ أَكَلَّمْتُ ؟ وَهِيَ تُرِيدُ :
أَكَلَّمْتُ أَخَاكَ ؟

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي قِرَاءَةٌ مِّنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الرَّاءِ مِّنْ ﴿عَازَرَ﴾^(١) ،
عَلَى إِتِّبَاعِهِ إِعْرَابَ الْأَبِ ، وَأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ ، فَفُتِّحَ إِذْ لَمْ يَكُنْ جَارِيًا ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ
أَعْجَمِيٌّ . وَإِنَّمَا اخْتَرْتُ^(٢) قِرَاءَةَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ ، وَكَانَ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا
بِالْفِعْلِ الَّذِي بَعْدَ حَرْفِ الاسْتِفْهَامِ ، صَحَّ لَكَ فَتْحُهُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ
اسْمًا لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، فَيَكُونَ فِي مَوْضِعِ
خَفْضٍ رَدًّا عَلَى الْأَبِ ، وَلَكِنَّهُ فُتِّحَ لِمَا ذَكَرْتُ مِنْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ اسْمًا أَعْجَمِيًّا تُرِكَ
إِجْرَاؤُهُ ، فَفُتِّحَ كَمَا تَفَعَّلُ^(٣) الْعَرَبُ فِي أَسْمَاءِ الْعَجَمِ . أَوْ يَكُونَ نَعْتًا لَهُ ، فَيَكُونَ أَيْضًا
خَفْضًا ، بِمَعْنَى تَكْرِيرِ اللَّامِ^(٤) عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مَخْرَجَ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ، تُرِكَ
إِجْرَاؤُهُ ، وَفُعِلَ بِهِ كَمَا يُفَعَّلُ بِأَشْكَالِهِ . / فَيَكُونُ تَأْوِيلُ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ : وَإِذَا قَالَ ٢٤٤/٧
إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ الزَّائِغِ^(٥) : أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ؟

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ^(٦) فِي الصَّوَابِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ ، فَأُولَى الْقَوْلَيْنِ
مِنْهُمَا^(٧) بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ : هُوَ اسْمٌ أَبِيهِ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَبُوهُ ،
وَهُوَ الْقَوْلُ الْمَحْفُوظُ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، دُونَ الْقَوْلِ الْآخِرِ الَّذِي زَعَمَ قَائِلُهُ أَنَّهُ نَعْتُ .

(١) القراءتان كلتاها صواب .

(٢) فِي م : « أُجِيزَتْ » .

(٣) فِي م : « فَتَحَ » .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الْأَمْر » .

(٥) فِي النُّسخ : « آزر » وَهُوَ لَفْظُ الْآيَةِ لَا تَأْوِيلُهَا ، وَالْمَثْبُوتُ كَمَا أَثْبَتَهُ الشَّيْخُ شَاكِر .

(٦) فِي ص ، م : « وَجْهَةٌ » .

(٧) سَقَطَ مِنْ : م .

فإن قال قائلٌ : فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارخ^(١) ، فكيف يكون آزر اسمًا له ، والمعروف به من الاسم تارخ^(١) ؟

قيل له : غير مُحال أن يكون كان^(٢) له اسمان ، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم ، وجائز أن يكون كان^(٢) لقبًا^(٣) يُلقَّب به^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرْكَأُ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤) .

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال : أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً تَعْبُدُهَا رَبًّا دُونَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ وَرَزَقَكَ ؟

والأصنام جمع صنم ، والصنم [٧٦٨/١] التمثال من حجرٍ أو خشبٍ أو من غير ذلك ، في صورة إنسان ، وهو الوثن ، وقد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان في الحائط وغيره : صنمٌ ووثنٌ .

﴿ إِنِّي أَرْكَأُ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . يقول : إني أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الأصنام ، ويتخذونها آلهة ، ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ . يقول : في زوالٍ عن مَحَجَّةِ الْحَقِّ ، وعدولٍ عن سبيل الصواب ، ﴿ مُّبِينٍ ﴾ . يقول : يتبين لمن أبصره أنه جَوْرٌ عن قصد السبيل ، وزوالٌ عن مَحَجَّةِ الطريق القويم . يعنى بذلك : أنه قد ضلَّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته ، الذي استوجب عليهم إخلاص العبادَةِ له بآلائِهِ

(١) في ت ١ ، ف : « تارخ » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في م ، ف : « والله تعالى أعلم » .

واللعلامة أحمد شاكر ، رحمه الله ، تحقيق جيد في إثبات اسم أبي إبراهيم ، عليه السلام ، وأن اسمه آزر ، وقد ألحق هذا التحقيق في آخر تحقيقه للمعرب للجواليقي ، فانظره من ص ٤٠٧ - ٤١٣ .

عندهم ، دون غيره من الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ : وكما أريناه البصيرة في دينه ، والحق في خلافه ^(١) ما ^(٢) كانوا عليه من الضلال ، نريه ملكوت السماوات والأرض . يعنى ملكه ^(٣) .

وزيدت فيه التاء كما زيدت في ^(٤) الجبروت من الجبر ، وكما قيل : رهبوت خير من رحموت . بمعنى : رهبة خير من رحمة . وحكى عن العرب سماعاً : له ملكوت اليمن والعراق . بمعنى : له ملك ذلك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : نريه خلق السماوات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . يقول ^(٥) : خلق السماوات والأرض ^(٦) .

(١) في م : « خلاف » ، وبعدها في ص ، س بياض بقدر كلمة ، وكتب مقابله في ص : « ط » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بما » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « ملكوت » . وبعده في ص ، س بياض بمقدار كلمتين ، وكتب مقابله أيضا في ص ، ف : « ط » .

(٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٥) في م : « أى » .

(٦) ذكره البغوى في تفسيره ١٥٨/٣ .

٢٤٥/٧

/ حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : أَيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : ^(١) يَعْنِي بِـ ﴿ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى الْمَلَكُوتِ الْمُلْكُ . بِنَحْوِ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : ثنا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قَالَ : ^(٣) « هُوَ الْمُلْكُ » ، غَيْرَ أَنَّهُ ^(٤) بِكَلَامِ النَّبِطِ مَلَكُوثًا ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ ابْنِ أَبِي زَائِدَةَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : هِيَ بِالنَّبْطِيَّةِ مَلَكُوثًا ^(٦) .

(١ - ١) فِي ص : « يَعْنِي مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالَ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قَالَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٢٦/٤ (٧٤٩٩) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أَنَّهَا » .

(٥) فِي ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ « مَلَكُوثًا » ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ ت ١ ، وَالِدْرُ الْمَنْشُورُ ، وَهُوَ الصَّوَابُ ، فَقَدْ نَصَّ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي مَخْتَصَرِهِ ص ٤٤ ، وَأَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ١٦٥ / ٤ ، أَنَّ عِكْرَمَةَ قَرَأَهَا بِالثَّاءِ الْمَثْلَثَةِ ، إِلَّا أَنَّ أَبَا حَيَّانٍ قَالَ : وَقَالَ : مَلَكُوثًا بِالْيُونَانِيَّةِ أَوْ الْقِبْطِيَّةِ .

وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٢٦/٤ (٧٥٠٠) مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ بِهِ .

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ ٢٤/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٦) فِي ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « مَلَكُوثًا » .

وقال آخرون : معنى ذلك : آيات السماوات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال : آيات السماوات والأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال : آيات^(١) .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال : تفرّجت لإبراهيم السماوات السبع حتى العرش ، فنظر فيهن ، وتفرّجت^(٢) له الأرضون^(٣) السبع فنظر فيهن^(٣) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . قال : أقيم على صخرة ، وفُتِحَتْ له السماوات ، فنظر إلى ملك الله فيها ، حتى نظر إلى مكانه في الجنة ، وفُتِحَتْ له الأرضون ، حتى نظر إلى أسفل

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٤ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٧/٤ (٧٥٠٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٣) .

(٢ - ٢) في ص : « الأرضين » . وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الأرض » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٥٠١) من طريق أبي حذيفة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٣ إلى آدم بن أبي إياس وابن المنذر وأبي الشيخ .

الأرض ، فذلك قوله : ﴿وَعَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت : ٢٧] . يقول : آتيناه مكانه في الجنة . ويقال : أجره الثناء الحسن^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد قوله : ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال : فُرِجَتْ له السماوات ، فنظر إلى ما فيهن ، حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفُرِجَتْ له الأرضون السبع ، فنظر ما فيهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ٢٤٦/٧ : ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى / إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال : كُشِفَ له عن أديم السماوات والأرض ، حتى نظر إليهن على صخرة ، والصخرة على حوت ، والحوت على^(٢) خاتم رب العزة ، لا إله إلا الله .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : لما أرى^(٣) إبراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى عبداً على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ، ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ، ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ، فقال : أنزلوا عبادي لا يهلك عبادي^(٤) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٥٠٢) من طريق أحمد بن مفضل به ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٨٣- تفسير) عن الحكم بن ظهير ، عن السدي ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « في » .

(٣) في م : « رأى » .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٠/١٣ عن أبي معاوية به ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٨٤- تفسير) من طريق شهر بن حوشب عن سلمان بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

قال : لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السماوات ، أشرف فرأى عبدا يزني ، فدعا عليه فهلك ، ثم رفع ، فأشرف فرأى عبدا يزني ، فدعا عليه فهلك ، ثم رفع ، فأشرف فرأى عبدا يزني ، فدعا عليه ، فتوذي : على رسلك يا إبراهيم ، فإنك عبدٌ مُستجابٌ لك ، وإنني من عبادي على ثلاث ؛ إما أن يتوب إلي فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة ، وإما أن يتمادي فيما هو فيه ، فأنا من ورائه ^(١) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن قسامة ^(٢) ، أن إبراهيم خليل الرحمن حدث نفسه أنه أرحم الخلق ، وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم ، فلما رآهم يعملون بالمعاصي ، قال : اللهم دمّر عليهم . فقال له ربه : أنا أرحم بعبادي منك ، اهبط فلعلهم أن يتوبوا إلي ويراجعوا ^(٣) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال : الشمس والقمر والنجوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٦٦٩٩) من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/٣ إلى عبد ابن حميد وأبي الشيخ .

(٢) في م : « أسامة » ، وينظر تهذيب الكمال ٦٠٢/٢٣ .

(٣) في م : « يرجعوا » .

مجاهد : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال : الشمس والقمر .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : يعنى به ^(١) الشمس والقمر والنجوم ^(٢) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ^(٣) خشي إبراهيم عليه السلام من جبار من الجبابرة ، فجعل له رزق في أصابعه ، فإذا مص أصبعاً من أصابعه وجد فيها رزقاً ، فلما خرج أراه الله ملكوت السماوات والأرض ، فكان ملكوت السماوات الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار ^(٤) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن نبي الله إبراهيم عليه السلام ^(٥) فرَّ به من ^(٦) جبارٍ مُتَرَفٍّ ، فجعل في سرب ^(٦) ، وجعل رزقه في أطرافه ، فجعل لا يُمِصُّ أصبعاً من أصابعه إلا وجد فيها / رزقاً ، فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السماوات ، فأراه شمساً وقمرًا ونجومًا وسحابًا ، وخلقاً

(١) بعده في م : « نريه » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٤٩٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٢) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) في تاريخ دمشق : « خشي » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٧/٤ (٧٥٠٥) مختصراً ، وبلغظه ابن عساكر في تاريخه ١٧٢/٦ .

(٥ - ٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « قربه » .

(٦) السرب : بيت تحت الأرض . التاج (س ر ب) .

عظيمًا ، وأراه ملكوت الأرض ، فأراه جبالًا وبحورًا وأنهارًا وشجرًا ، ومن كل الدواب ، وخلقًا عظيمًا^(١) .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . أنه أراه ملك السماوات والأرض ، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم^(٢) والجبال^(٣) والشجر والدواب ، وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما ، وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها ؛ لما ذكرنا قبل من معنى الملكوت في كلام العرب ، فيما مضى قبل .

وأما قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . فإنه يعنى أنه أراه ملكوت السماوات والأرض ليكون ممن يتوحد بتوحيد الله ، ويعلم حقيقة^(٣) ما هداه له وبصره إياه من معرفة وحدانيته ، وما عليه قومه من الضلالة من عبادتهم الأصنام ، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى ذكره .

وكان ابن عباس يقول في تأويل ذلك ما حدثني به محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ : إنه جلّى له الأمر ؛ سرّه وعلايته ، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق ، فلمّا جعل يلعن أصحاب الذنوب ، قال الله : إنك لا تستطيع هذا . فردّه الله كما كان قبل ذلك^(٤) .

فتأويل ذلك على هذا التأويل : أريناه ملكوت السماوات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسًا لا خبرًا .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « حقيقة » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٧/٤ (٧٥٠٧) عن محمد بن سعد به . (تفسير الطبرى ٢٣/٩)

حدَّثني العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: ثنا ابن^(١) جابر، قال: وحدَّثنا الأوزاعي أيضًا، قال: ثنا خالد^(٢) بن اللجلاج^(٣)، قال: سمعتُ عبدَ الرحمن ابنَ عائش^(٤) الحضرمي يقول: صلى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ، فقال له قائلٌ: ما^(٥) رأيُك أسفرَ وجهًا^(٦) منك الغداة. قال: «وما لي وقد تبدَّى لي^(٧) ربي في أحسنِ صورةٍ، فقال: فيم^(٨) يختصمُ الملأُ الأعلى يا محمد؟ قلتُ: أنت أعلم^(٩) يا رب^(١٠). فوضع يده بينَ كتفي، فوجدتُ بردها بينَ ثديي^(١١)، فعلمتُ ما في السماواتِ والأرضِ». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(١٢).

[٧٦٩/١] القول في تأويل قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(١٣).

يقول تعالى ذكره: فلما واراها الليل وغيبه^(١٤).

يقال منه: جنَّ عليه الليل، وجنَّه الليل، وأجنَّه، وأجنَّ عليه. وإذا ألقيت

(١) في النسخ «أبو» والمثبت من مصادر التخريج. وتهذيب الكمال ١٨/٥.

(٢ - ٢) في النسخ: «الحلاج». والمثبت من مصادر التخريج، وتهذيب الكمال ٨/١٦٠.

(٣) في النسخ: «عياش». والمثبت من مصادر التخريج، وانظر تهذيب الكمال ١٧/٢٠٢.

(٤ - ٤) في النسخ: «رأيت أسعد». والمثبت من مصادر التخريج.

(٥ - ٥) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س «سأى» كذا غير منقوطة، وفي م: «أتاني»، وفي ف: «هياني». والمثبت من مصادر التخريج.

(٦) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «فقم»، وفي م: «فقيم». والمثبت من مصادر التخريج.

(٧ - ٧) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر التخريج.

(٨ - ٨) سقط من: م، وفي ص: «ثدي»، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «يدي». والمثبت من مصادر التخريج.

(٩) أخرجه المصنف في المنتخب من ذيل المذيل ص ٥٨٤، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٤٤) من طريق العباس بن الوليد به.

(١٠) في م: «جنه».

« على » ، كان الكلام بالالف أفصح منه بغير الالف : أجنّه الليل ، أفصح من : أجنّ عليه ، و : جنّ عليه الليل ، أفصح من : جنّه . وكلّ ذلك مقول^(١) مسموع من العرب . وجنّه الليل في أسد ، وأجنّه وجنّه في تميم . والمصدر من : جنّ عليه ، جَنَّا وجُنُونًا وجَنَانًا . ومن : أجنّ ، إجنّنا . ويقال : أتى^(٢) فلان في جنّ / الليل . والجِنُّ من ذلك ؛ لأنهم استَجَنُوا عن أعين بني آدم فلا يُروْن ، وكلّ ما توارى عن أبصار الناس فإن العرب تقول فيه^(٣) : قد جنّ . ومنه قول الهذلي^(٤) :

وماء ورذث^(٥) قبيل الكرى^(٦) وقد جنّه السدف^(٧) الأذهم^(٨)
وقال عبيد^(٩) :

وخرق^(٩) تصيحُ البوم^(١٠) فيه مع الصدى^(١١) مخوف إذا ما جنّه الليل مرهوب
ومنه : أجننت الميت ، إذا وارثته في اللحد ، وجنّته . وهو نظير جنون الليل ، في معنى : غطيته . ومنه قيل للتّرس : مجنّ . لأنه يُجنّ من استَجَنَ به فيُغْطيه ويواريه .

-
- (١) في م : « مقبول » .
(٢) في ص : « أتانا » ، وفي ت ١ : « أتاني » .
(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .
(٤) هو البريق ، عياض بن خويلد الخناعي ، والبيت في ديوان الهذليين ٥٦ / ٣ .
(٥ - ٥) في ديوان الهذليين : « على خيفة » .
(٦) السدف هنا : الليل . اللسان (س د ف) والبيت فيه .
(٧) الأذهم : الأسود . اللسان (د ه م) .
(٨) ديوانه ص ٢٦ .
(٩) الخرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . الصحاح (خ ر ق) .
(١٠) في الديوان : « الهام » .
(١١) الصدى : ذكر البوم . اللسان (ص د ي) .

وقوله : ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ . يقول : أبصر كوكبا حين طلع ، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ .

فروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني به ^(١) المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ : يعنى به الشمس والقمر والنجوم ، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فعنده حتى غاب ، فلما غاب قال : ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ، ﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فعنده حتى غاب ، فلما غاب قال : ﴿لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ، ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ فعندها حتى غابت ، فلما غابت قال : ﴿يَقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ^(٢) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ : علم أن ربه دائم لا يزول . فقرا حتى بلغ : ﴿هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ : ^(٣) «فراى خلقا» هو أكبر من الخلقين الأولين وأنور ^(٤) .

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك ما حدثني به محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ابن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق : فيما ذكر لنا - والله أعلم - أن آزر كان رجلا من أهل كوثى ، من قرية بالسواد ، سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملك المشرق

(١) زيادة من : م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٨/٤ ، ١٣٢٩ ، (٧٥١١ ، ٧٥١٧ ، ٧٥٢٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٢) من طريق أبي صالح به . وتقدم أوله في ص ٣٥٢ .

(٣ - ٣) في ص : «وأى خلقا» ، وفي م : «وأى خلق» وفي تفسير ابن أبي حاتم : «أى خلقا» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٩/٤ (٧٥١٥ ، ٧٥٢٢) شطره الأول من طريق يزيد به .

لنُمرود^(١) ، فلمَّا أراد الله أن يبعث إبراهيمَ حُجَّةً على قومِهِ ، ورسولًا إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيمَ نبيٌّ إلا هودٌ وصالحٌ ، فلمَّا تقارب زمانُ إبراهيمَ الذي أراد الله ما أراد ، أتى أصحابُ النجومِ نمرودَ ، فقالوا له : تعلَّمْ أنا نجدُ في علمنا أن غلامًا يولدُ في قريتك هذه ، يقالُ له : إبراهيمُ . يُفارقُ دينكم ، ويَكْسِرُ^(٢) أوثانكم ، في شهرٍ كذا وكذا ، من سنةٍ كذا وكذا . فلمَّا دخلت السنة التي وصف أصحابُ النجومِ لَنُمرودَ ، بعث نمرودُ إلى كلِّ امرأةٍ حُبلى بقريته ، فحبسها عنده - إلا ما كان / من أم إبراهيمَ امرأةٍ آزرَ ، فإنه لم يُعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت امرأةً حدثَّةً^(٣) فيما يُذكرُ ، لم يُعرف^(٤) الحبلُ في بطنها ، ولما أراد الله أن يتلغ بولدها - يُريدُ^(٥) أن يقتل كلَّ غلامٍ وُلد في ذلك الشهرِ من تلك السنة ، حذرًا على مُلكه ، فجعل لا تلدُ امرأةٌ غلامًا في ذلك الشهرِ من تلك السنة إلا أمر به فذبح ، فلمَّا وجدت أم إبراهيمَ الطلقَ ، خرجت ليلًا إلى مغارةٍ كانت قريبًا منها ، فولدت فيها إبراهيمَ ، وأصلحت من شأنه ما يُصنعُ بالمولودِ^(٦) ، ثم سدَّت عليه المغارةَ ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تُطالعُه في المغارةَ ، فتَنظُرُ ما فعل ، فتجده حيًّا يُمصُّ إبهامه ، يزعمون - والله أعلم - أن الله جعل رزقَ إبراهيمَ فيها ،^(٧) وما^(٨) يجيئه^(٩) من مصِّه ، وكان آزرُ فيما يزعمون ، سأل أم إبراهيمَ عن حملها : ما فعل ؟ فقالت : ولدتُ غلامًا فمات . فصدَّقها ،

(١) بعده في م : « بن كنعان » ، والذي في تاريخ المصنف : « لنمرود الخاطي » .

(٢) بعده في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « أصنامكم » .

(٣) في م : « حدة » . وامرأة حدثة : صغيرة السن شابة . التاج (خ د ث) .

(٤) في ص : « تعرف » .

(٥) في م : « أراد » .

(٦) في م : « مع المولود » .

(٧ - ٧) في تاريخ المصنف : « ما » .

(٨) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يحييه » .

فسكت عنها ، وكان اليوم ، فيما يذكرون ، على إبراهيم في الشباب كالشهر ،
والشهر كالسنة ، فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا ^(١) خمسة عشر شهرا ^(٢) ، حتى قال
لأمه : أخرجيني أنظر . فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السماوات والأرض ،
وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ، ما لي إله غيره . ثم نظر في
السماء فرأى كوكبا ، قال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ . ثم اتبعه ينظر إليه ببصره ^(٣) حتى
غاب ، ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ إِلَّا فِيلِينَ ﴾ ، ثم أطلع ^(٤) القمر فرآه بازغا ، قال :
﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ . ثم اتبعه بصره حتى غاب ، ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس ، أعظم
الشمس ، ورأى شيئا هو أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك ، فقال :
﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ فلما أفلت قال : ﴿ يَتَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ^(٥)
إِنِّي وَجَّهْتُ [٧٦٩/١ ظ] وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ . ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه ،
وبرئ من دين قومه ، إلا أنه لم يبادهم ^(٦) بذلك ، وأخبره ^(٥) أنه ابنه ، وأخبرته أم
إبراهيم أنه ابنه ، وأخبرته بما كانت صنعت في ^(٦) شأنه ، فسر بذلك آزر وفرح فرحا
شديدا ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدونها ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ،
فيذهب بها إبراهيم فيما يذكرون ، فيقول : مَنْ يَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ؟ فلا

(١ - ١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « خمس عشرة » .

(٢) في ص : « يبصره » .

(٣) في م : « طلع » .

(٤) في م : « يبادهم » . وبإدى فلان بالعداوة : جاهر بها . اللسان (ب د ي) .

(٥) في م : « أخبر » .

(٦) في م : « من » .

يَشْتَرِيهَا مِنْهُ أَحَدٌ ، وَإِذَا بَارَتَ ^(١) عَلَيْهِ ، ذَهَبَ بِهَا إِلَى نَهْرٍ ، فَصَوَّبَ ^(٢) فِيهِ رَعْوَسَهَا ،
وَقَالَ : اشْرَبِي . اسْتِهْزَاءٌ بِقَوْمِهِ ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، حَتَّى فَشَا عَيْبُهُ إِيَّاهَا
وَاسْتِهْزَأُوهُ بِهَا فِي قَوْمِهِ وَأَهْلِ قَرْيَتِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَلَغَ تُمْرُودَ الْمَلِكِ ^(٣) .

وَأَنْكَرَ قَوْمٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الرَّوَايَةِ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَمَّنْ
رَوَى عَنْهُ ، مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لِلْكُوكَبِ أَوَّلَ الْقَمَرِ : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ . وَقَالُوا : غَيْرُ جَائِزٍ
أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ نَبِيٌّ ابْتَعَثَهُ بِالرَّسَالَةِ ، أَتَى عَلَيْهِ وَقْتُ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ بِالْغُ ، إِلَّا وَهُوَ لِلَّهِ
مُؤَخَّذٌ ، وَبِهِ عَارِفٌ ، وَمِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ بَرِيءٌ . قَالُوا : وَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ
أَتَى عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَهُوَ بِهِ كَافِرٌ ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَخْتَصَّهِ بِالرَّسَالَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى فِيهِ
إِلَّا وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ مِثْلُهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مُنَاسَبَةٌ
فِي حَايِيَتِهِ بِاخْتِصَاصِهِ بِالْكَرَامَةِ . قَالُوا : وَإِنَّمَا أَكْرَمَ مَنْ أَكْرَمَ مِنْهُمْ لِفَضْلِهِ فِي نَفْسِهِ ،
فَأَثَابَهُ لِاسْتِحْقَاقِهِ الثَّوَابَ بِمَا أَثَابَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ . وَزَعَمُوا أَنَّ خَبَرَ اللَّهِ عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ
عِنْدَ رُؤْيَيْهِ الْكُوكَبِ ، أَوِ الْقَمَرِ ، أَوِ الشَّمْسِ : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ . لَمْ يَكُنْ لَجْهَلِهِ بِأَنَّ
ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ رَبُّهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
رَبُّهُ ، وَعَلَى الْعَيْبِ لِقَوْمِهِ / فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ ، إِذْ كَانَ الْكُوكَبُ وَالْقَمَرُ وَالشَّمْسُ
أَضْوَاءً وَأَحْسَنَ وَأَبْهَجَ مِنَ الْأَصْنَامِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مَعْبُودَةً ^(٤) ، وَكَانَتْ آفِلَةٌ زَائِلَةٌ
غَيْرَ دَائِمَةٍ ، وَالْأَصْنَامُ الَّتِي دُونَهَا فِي الْحَسَنِ ، وَأَصْفَرُ مِنْهَا فِي الْجِسْمِ ، أَحَقُّ ^(٥) أَلَا

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بَات » .

(٢) فِي النُّسخ : « فَضْرَب » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ المَصْنَفِ ، وَصُوبَ رَعْوَسَهَا : نَكْسَهَا . التَّاج (ص و ب) .

(٣) أَخْرَجَهُ المَصْنَفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٣٤/١ - ٢٣٦ .

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٣٣١/١ وَهُوَ مُسْتَنَدٌ إِلَى أَخْبَارِ إِسْرَائِيلِيَّةٍ لَا يُوثَقُ بِهَا ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا خَالَفتِ
الْحَقَّ . وَتَقَدَّمَ أَوَّلُهُ فِي ص ٣٤٣ .

(٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « مَعْبُودَةٌ » .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وَأَحَقُّ » .

تَكُونُ مَعْبُودَةً وَلَا آلِهَةَ . قالوا : وإنما قال ذلك لهم مُعَارَضَةً ، كما يقولُ أحدُ الْمُتَنَاطِرَيْنِ لِصَاحِبِهِ ، مُعَارِضًا لَهُ فِي قَوْلٍ بَاطِلٍ قَالَ بِهِ بَاطِلٌ مِنَ الْقَوْلِ ، عَلَى وَجْهِ مُطَابَقَتِهِ إِيَّاهُ بِالْفُرْقَانِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْفَاسِدَيْنِ عِنْدَهُ ، اللَّذِينَ يُصَحِّحُ خَصْمُهُ أَحَدَهُمَا وَيَدَّعِي فِسَادَ الْآخَرِ .

وقال آخرون منهم : بل ذلك كان منه في حالِ طُفُولَتِهِ ، وقبلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، وتلك حالٌ لَا يَكُونُ فِيهَا كُفْرٌ وَلَا إِيْمَانٌ .

وقال آخرون منهم : إنما معنى الكلام : أهذا ربِّي ؟ على وجهِ الإنكارِ والتَّوْيِيخِ ؛ أَيْ ^(١) : ليس هذا ربِّي . وقالوا : قد تَفَعَّلَ الْعَرَبُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَحَذَفُ الْأَلْفُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ . وَزَعَمُوا أَنَّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ ^(٢) :

رَفَوْنِي ^(٣) وقالوا يَا خُوَيْلِدُ لَا ^(٤) تُرْعَ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمْ هُمْ ؟
يعنى : أ هم هم ؟ قالوا : وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَوْسٍ ^(٥) :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي ^(٦) وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا ^(٧) شُعَيْثُ ^(٧) ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ^(٧) ابْنُ مِنْقَرٍ ؟
بمعنى : أَشُعَيْثُ ^(٨) بِنْ سَهْمٍ ؟ فَحَذَفَ الْأَلْفَ . وَنَظَائِرُ ذَلِكَ . وَأَمَّا تَذَكِيرُ ﴿ هَذَا ﴾ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ . فَإِنَّمَا هُوَ ^(٩) عَلَى

(١) في ص ، ت ١ : « أَنْ » .

(٢) هو أبو خراش الهذلي ، والبيت في ديوان الهذليين ١٤٤/٢ .

(٣) رفونى : سكتونى . وكان أصلها : رفونى فترك الهمز . ينظر شرح أشعار الهذليين ١٢١٧/٣ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « لم » .

(٥) ديوانه ص ٤٩ . ونسبه سيبويه في الكتاب ١٧٥/٣ إلى الأسود بن يعفر ، ونسبه المبرد في الكامل

٢٤٥/٢ ، ١٧٨/٣ إلى اللعين المنقرى التميمي .

(٦ - ٦) وفي الديوان : « أمن حزن محجن » .

(٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « شعيب » ، وفي الموضع الثانى من الديوان : « لحزن » .

(٨) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « أشعيب » .

(٩) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « هم » .

معنى : هذا الشيء الطالع ربّي .

وفى خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر : ﴿لَيْن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ الدليل على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم ، وأن الصواب من القول في ذلك الإقرار بخبر الله تعالى ذكره الذي أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه ^(١) .

وأما قوله : ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ . فإن معناه : فلما غاب وذهب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن إسحاق :
الأفول الذهاب .

يقال منه : أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً ^(٢) وأفلاً ^(٢) ، إذا غاب . ومنه قول ذي
الرمة ^(٣) :

/مصاييح ^(٤) ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك ^(٥) ٢٥١/٧

ويقال : أين أفلت عنا ؟ بمعنى : أين غبت عنا ؟

القول في تأويل قوله : ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْن لَّمْ

(١) قال الشنقيطي رحمه الله : قوله : ﴿هذا ربّي﴾ . في المواضع الثلاثة محتمل لأنه كان يظن ذلك ..
ومحتمل لأنه جازم بعدم ربوبية غير الله .. والقرآن يبين بطلان الأول وصحة الثاني ، أما بطلان الأول ،
فالله تعالى نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله : ﴿وما كان من المشركين﴾ . ونفى الكون
الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي ، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوما ما .. إلى آخر ما قال . ينظر
أضواء البيان ٢/ ٢٠١ ، وينظر الكشف ٣١/٢ ، والتفسير الكبير ٤٧/١٣ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير
٢٨٥/٣ .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٣) ديوانه ٣/ ١٧٣٤ .

(٤) المصباح من الإبل : الذي يترك في معرسة فلا ينهض حتى يصبح وإن أثير . اللسان (ص ب ح) .

(٥) الدوالك : المائلات للغروب . ينظر اللسان (د ل ك) .

يَهْدِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ .

يقول تعالى ذكره : فلما طلع القمرُ فرآه إبراهيمُ طالعا - وهو بُزوغُه ، يقالُ منه : بزغت الشمسُ تَبْزُغُ بُزُوغًا ، إذا طلعت . وكذلك القمرُ - قال : هذا ربي . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ . يقولُ : فلما غاب ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ - ويوفِّقني لإصابة الحقِّ في توحيدِه ، ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . أى : من القوم الذين أخطئوا الحقَّ في ذلك ، فلم يُصيِّبوا الهدى ، وعبدوا غير الله .

وقد بيَّنا معنى الضلال في غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ .

يعنى تعالى ذكره ^(٢) : فلما رأى إبراهيمُ الشمسَ طالعة ﴿ قَالَ ﴾ : هذا الطالعُ ربِّي ، ﴿ هَذَا أَكْبَرُ ﴾ . يعنى : هذا أكبرُ [٧٧٠/١] من الكوكب والقمر . فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ . يقولُ : فلما غابت ، قال إبراهيمُ لقومه : ﴿ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . أى : من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلها مع الله تعالى .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام ، أنه لما تبَيَّنَ له

(١) ينظر ما تقدم في ٤١٥/٢ وما بعدها .

(٢) بعده فى م : ﴿ فلما رأى الشمس بازغة ﴾ .

الحق وعرفه ، شهد شهادة الحق ، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه ، مع خلاف جميع قومه لقوله ، وإنكارهم إياه عليه ، و^(١) قال لهم : ﴿ يَنْقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ / مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ مع الله الذي خلقتني وخلقكم ، في عبادته من آلهتكم وأصنامكم ، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض ، الدائم الذي يبقى ولا يفنى ، ويحيى ويميت ، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى ، ويزول ولا يدوم ، ولا يضر ولا ينفع .

ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه^(٢) وجهه لعبادته^(٣) ، بإخلاص العباد له ، والاستقامة في ذلك لربه^(٤) على ما يجب^(٥) من التوحيد ، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بخنيف ، ولكنه به مشرك ، إذ كان توجيهه الوجه لا^(٦) على التخنيف غير نافع موجهه ، بل ضار ومهلكه . ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . يقول : ولست منكم . أي : لست ممن يدين دينكم ، ويتبع ملتكم أيها المشركون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول قوم إبراهيم لإبراهيم : تركت عبادة هذه ؟ فقال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . فقالوا : ما جئت بشيء ، ونحن نعبد ونوجهه . فقال : لا ،

(١) في ص : « أو » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « توجهه » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « لعباده » .

(٤) بعدها في ت ١ ، س ، ف : « في ذلك » .

(٥) في ص ، م ، ت ١ ، س ، ف : « يجب » .

(٦) في ص ، ت ١ ، ف : « له » .

﴿ حَنِيفًا ﴾ . قال : مُخْلِصًا لَا أُشْرِكُهُ كَمَا تُشْرِكُونَ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ^(١) وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبرأيه من الأصنام ، وكان جدّهم إياه قولهم : إن آلهتهم التي يعبدونها خيرٌ من إلهه . قال إبراهيم : ﴿ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ﴾ . يقول : أتجادلونني في توحيد الله ، وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة ؟ ﴿ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ . يقول : وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته ، وبصّرني طريق الحق ، حتى أتقنت ^(٢) ألا شيء يستحق أن يعبد سواه ، ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ . يقول : ولا أزهّب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئا ينالني به ^(٣) في نفسي من سوء ومكروه . وذلك أنهم قالوا له : إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء ، من برص أو خبل ^(٤) ؛ لذكرك إياها بسوء . فقال لهم إبراهيم : لا أخاف ما تُشْرِكُونَ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ أَنْ تَنَالَنِي بَضُرٍّ وَلَا مَكْرُوهِ ؛ لأنها لا تنفع ولا تضر ، ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ . يقول : ولكنّ خوفي من الله الذي خلقني ، وخلق السماوات والأرض ، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء ؛ من فناء أو بقاء ، أو زيادة أو نقصان ، أو غير ذلك ، نالني به ؛ لأنه القادر على ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن جرير يقول .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « هداني » . وإثبات الياء وصلا قرأ أبو عمرو . واختلف عن نافع في

إثباتها وحذفها في الوصل ، وحذفها باقي السبعة وصلا ووقفا . السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٥ .

(٢) في النسخ : « ألفت » . والمثبت من تحقيق الشيخ شاكر ، ويصح أيضا أن تكون : ألفت .

(٣) سقط من : م .

(٤) الخبل : فساد الأعضاء حتى لا يدرى كيف يمشي ، وهو أيضا الجنون أو شبهه . تهذيب اللغة ٤٢٤/٧ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ^(١) 》 . قَالَ : دعا قومه مع الله آلهة ^(٢) ، وخوفوه بالهتيم أن يُصيبه منها خبلٌ ، فقال إبراهيمُ : ﴿ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ^(١) 》 . قَالَ : قد عرفتُ ربي ، لا أخافُ ما تُشركون به .

﴿ وَسِعَ / رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا 》 . يقولُ : وعلم ربي كلَّ شيءٍ ، فلا يخفى ٢٥٣/٧ عليه شيءٌ ؛ لأنه خالقُ كلِّ شيءٍ ، ليس كالألهة التي لا تضرُّ ولا تنفعُ ، ولا تفهمُ شيئاً ، وإنما هي خشبةٌ منحوتةٌ ، وصورةٌ ممثلةٌ ، ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ^(٣) 》 . يقولُ : أفلا تَعْتَبِرُونَ أيُّها الجهلةُ ، فتَعْقِلُوا خطأ ما أنتم عليه مُقيمونُ ؛ من عبادتكم صورةً مُصَوَّرةً ، وخشبةً منحوتةً ، لا تَقْدِرُ على ضرٍّ ولا على نفعٍ ، ولا تَفْقَهُ شيئاً ، ولا تَعْقِلُهُ ، وتزككم عبادةً من خلقكم وخلق كلِّ شيءٍ ، وبيده الخيرُ ، وله القدرةُ على كلِّ شيءٍ ، والعالم بكلِّ شيءٍ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ ٨١ 》 》 .

وهذا جوابُ إبراهيمَ لقومه حينَ خوفوه من آلهتهم أن تمسه ، لذكره إياها بسوءٍ ، في نفسه بمكروهٍ ، فقال لهم : وكيف أخافُ وأزهبُ ما أشركتموه في عبادتكم ربكم ، فعبدتموه من دونه ، وهو لا يضرُّ ولا ينفعُ ؟ ولو كانت تنفعُ أو تضرُّ ، لدَفَعَتْ عن أنفسِها كسرى إياها ، وضرَّبي لها بالفأسِ ، وأنتم لا تخافون الله الذي

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « هَدَانِي » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « إلهها » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « تذكرون » .

خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى نَفْعِكُمْ وَضَرِّكُمْ ، فِي إِشْرَاِكِكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ ﴿ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ . يَعْنِي : مَا لَمْ يُعْطِكُمْ عَلَى إِشْرَاِكِكُمْ إِيَّاهُ فِي عِبَادَتِهِ [٧٧٠/١ ظ] حُجَّةٌ ، وَلَمْ يَضَعْ لَكُمْ عَلَيْهِ بُرْهَانًا ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ بِهِ عُذْرًا ، ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ . يَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عَاقِبَةِ عِبَادَتِي رَبِّي مُخْلِصًا لَهُ الْعِبَادَةَ ، حَنِيفًا لَهُ دِينِي ، بَرِيئًا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ، أَمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا بُرْهَانًا وَلَا حُجَّةً ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؟ يَقُولُ : إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ صَدَقَ مَا أَقُولُ ، وَحَقِيقَةُ مَا أُحْتَجُّ بِهِ عَلَيْكُمْ ، فَقُولُوا وَأُخْبِرُونِي : أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ؟

وَبَنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ يَقُولُ فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَاَ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ﴾ . يَقُولُ : كَيْفَ أَخَافُ وَتُنَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ، وَقَدْ جَعَلْتُمْ مَعَهُ شُرَكَاءَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ؟ ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . أَيْ : بِالْأَمْنِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، الَّذِي يَعْبُدُ الَّذِي بِيَدِهِ الضَّرُّ وَالنَّفْعُ ، أَمْ الَّذِي يَعْبُدُ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ؟ يَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ ، وَيُصَرِّفُ لَهُمُ الْعِبَرَ ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يُخَافَ وَيُعْبَدَ مِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : أَفْلَجَ ^(٢) اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَاصَمَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَاَ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٣١/٤ ، ١٣٣٢ (٧٥٣٥ ، ٧٥٣٦ ، ٧٥٤٠) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ .

وَأَخْرَجَ الْمُصَنِّفُ آخِرَهُ فِي تَارِيخِهِ ٢٤٠/١ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ بِهِ ضَمِنَ الْأَثَرُ الْمَتَقَدِّمُ فِي ص ٣٥٩ .

(٢) أَفْلَجَهُ عَلَى خَصْمِهِ : غَلَبَهُ وَفَضَّلَهُ . اللَّسَانُ (ف ل ج) .

سُلْطَنًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ . ثم قال : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ .

٢٥٤/٧ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ سَأَلَهُمْ : ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ^ط﴾ : وَهِيَ حُجَّةُ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ^(٢) إِبْرَاهِيمَ حِينَ سَأَلَهُمْ : ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ^ط﴾ . قَالَ : وَهِيَ حُجَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : أَمِنْ يَعْْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا ، أَمْ يَعْْبُدُ
أَرْبَابًا كَثِيرَةً ؟ يَقُولُ قَوْمُهُ : الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّ وَاحِدٍ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿أَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : أَمِنْ خَافَ غَيْرَ اللَّهِ وَلَمْ يَخَفْهُ ، أَمْ
خَافَ اللَّهَ وَلَمْ يَخَفْ غَيْرَهُ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ﴾ الْآيَةُ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ^ط
وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٢/٤ (٧٥٣٨) من طريق ابن أبي نُجَيْجٍ به . وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٢٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « قال » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٢/٤ (٧٥٣٩) من طريق أصبغ بن الفرّج ، عن ابن زيد به . وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٢٦/٣ إلى أبي الشيخ .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي أَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَائِلٌ ^(١) هَذَا الْقَوْلَ ،
 أَغْنَى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ الآية ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هَذَا فَصْلُ
 الْقَضَاءِ مِنَ اللَّهِ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبَيْنَ مَنْ حَاجَّهَ مِنْ ^(٢) قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ
 الشَّرِكِ بِاللَّهِ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴾ . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَاصِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ : الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ
 الْعِبَادَةَ ، وَلَمْ يَخْلُطُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُ وَتَصَدِيقَهُمْ لَهُ ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ . يَعْنِي : بِشَرِكٍ ، وَلَمْ
 يُشْرِكُوا فِي عِبَادَتِهِ شَيْئًا ، ثُمَّ جَعَلُوا عِبَادَتَهُمْ لِلَّهِ خَالِصًا - أَحَقُّ بِالْأَمْنِ مِنْ عِقَابِهِ
 مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِ رَبِّهِ ^(٣) ، مِنَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ ، فَإِنَّهُمْ
 الْخَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ مَكْرُوهَ عِبَادَتِهِمْ ، أَمَّا فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُمْ وَجِلُونَ مِنْ حُلُولِ
 سَخَطِ اللَّهِ بِهِمْ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُمْ الْمُوقِنُونَ بِأَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ بْنُ الفضلِ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ،
 قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ : أَيُ :
 الَّذِينَ أَخْلَصُوا كِإِخْلَاصِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ ، ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
 بِظُلْمٍ ﴾ : أَيُ : بِشَرِكٍ ، ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ : الْأَمْنُ مِنَ الْعَذَابِ ،
 وَالْهُدَى فِي الْحُجَّةِ بِالْمَعْرِفَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا
 إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٤) .

(١) فِي م : « قَالَ » .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فِي » .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) أَخْرَجَ آخِرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٣٤/٤ (٧٥٤٧) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ .

/ حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قَالَ : فَقَالَ اللَّهُ ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قَالَ : بِشْرِكَ . قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ : فَأَمَّا الذُّنُوبُ فَلَيْسَ يَبْرَأُ مِنْهَا أَحَدٌ .

وَقَالَ آخَرُونَ : هَذَا جَوَابٌ مِنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ لَهُمْ : ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ ؟ فَقَالُوا لَهُ : الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ فَوَحَّدُوهُ ، أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ، إِذْ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ : أَمَّنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا ، أَمَّنْ يَعْبُدُ أَرْبَابًا كَثِيرَةً ؟ يَقُولُ قَوْمُهُ : ﴿ الَّذِينَ [٧٧١/١] ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ : بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَهِيَ حُجَّةُ إِبْرَاهِيمَ ، ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : هَذَا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أُولَى الْفَرِيقَيْنِ بِالْأَمْنِ ، وَفَصْلُ قَضَائِهِ مِنْهُ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْ قَوْلِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، وَيُشْرِكُونَهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، لَكَانُوا قَدْ أَقْرَبُوا بِالتَّوْحِيدِ ، وَاتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَى مَا كَانُوا يُخَالِفُونَهُ فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتُ مِنْ تَأْوِيلِهِ بَدِيًّا^(١) .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي عَنْهَا اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُهُ : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : بِشْرِكَ .

(١) فِي م : « بَدِءَا » . وَالبَدْيُ : الْأَوَّلُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : افْعَلْ هَذَا بَادِي بَدْيٍ ، أَيْ : أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ . اللَّسَانُ (ب د ي) .

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٢٤/٩)

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابنُ إدريسَ ، قَالَ : ثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللهِ ، قَالَ : لما نَزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قَالَ : فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « أَلَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ » . [لقمان : ١٣] .
 قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ : قَالَ ابنُ إدريسَ : حَدَّثَنِيهِ أَوْلَا أَبِي ، عن أبانِ بنِ تَغْلِبَ ، عن الأعمشِ ، ثم سَمِعْتُهُ قِيلَ لَهُ : مِنَ الأعمشِ ؟ قَالَ : نعم ^(١) .

حَدَّثَنِي عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْلِيُّ ، قَالَ : ثنى عمى يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللهِ ، قَالَ : لما نَزَلَتْ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَيْسَ ^(٢) بِذَلِكَ ، أَلَمْ تَسْمَعُوا ^(٣) إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لَابِنِهِ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ » ^(٣) .

حَدَّثَنَا هَنَادٌ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللهِ ، قَالَ : لما نَزَلَتْ هذه الآيةُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ .
 ٢٥٦/٧ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، / وَقَالُوا : أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ؟ قَالَ : فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَا قَالَ لُقْمَانُ لَابِنِهِ : ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ » .

(١) أخرجه مسلم (١٩٨/١٢٤) عن أبي كريب به .

(٢ - ٢) فى م : « بذلك ألا تسمعون » .

(٣) أخرجه البخارى (٣٤٢٩) ، ومسلم (١٩٨/١٢٤) من طريق الأعمش به .

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ^(١) .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . شق ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله ، وأئنا لا يظلم أنفسه ؟ فقال : « إنه ليس كما^(٢) تغنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : ﴿ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ إنما هو الشرك^(٣) » .

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة في قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرك^(٤) .

حدَّثني يحيى بن طلحة اليزبوعى ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : « لم يخلطوه^(٥) بشرك » .

^(٦) حدَّثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : حدَّثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال بشرك^(٦) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن

(١) أخرجه البخارى فى (٦٩٣٧) ومسلم (١٩٧/١٢٤) من طريق وكيع به .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧/١٢٤) من طريق أبى معاوية به .

(٤) أخرجه ابن مردويه - كما فى فتح البارى ١٢/٢٦٥ - من طريق أبى أحمد الزبيرى عن سفيان عن

الأعمش به مرسل . وأخرجه أبو عوانة ١/٧٤ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٣٣ (٧٥٤٣) من طريق أبى

أحمد الزبيرى عن سفيان موصولا مرفوعا .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : أينما لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال النبي ﷺ : « ليس بذاك »^(١) ، ألم تسمِعوا قولَ لقمانَ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟^(٢) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا جريزُ وابنُ إدريس ، عن الشَّيباني ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبي بكر : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرِك^(٣) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن يونس بن أبي إسحاق ،^(٤) عن أبي إسحاق^(٥) ، عن أبي بكر : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرِك^(٥) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سعيد بن عُبيد الطائي ، عن أبي الأشعر العبدى ، عن أبيه ، أن زيد بن صُوحان سأل سلمان ، فقال : يا أبا عبد الله ، آية من كتاب الله قد بلغت منى كلِّ مبلغ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ، فقال سلمان : هو الشرك بالله تعالى . فقال زيد : ما يسرني بها أنى لم أسمعها منك ، وأن لى مثل كلِّ شيء أمسيثُ أمليكه^(٦) .

(١) فى م : « بذلك » .

(٢) أخرجه البخارى (٤٧٧٦ ، ٦٩١٨) من طريق جرير به .

(٣) أخرجه الحاكم ٤٤٠/٢ من طريق عبد الله بن إدريس عن أبي إسحاق الشيباني به . وأخرجه إسحاق بن راهويه - كما فى المطالب العالية (٣٩٧١) من طريق أبي بكر بن أبي موسى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى الفريابي وابن أبي شيبه والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه . (٤ - ٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ف .

(٥) أخرجه الحارث بن أبى أسامة - كما فى المطالب العالية ٥٦٦/٨ (٣٩٧١) - من طريق أبى إسحاق به .

(٦) أخرجه البخارى فى تاريخه ٨/٩ من طريق أبى الأشعر العبدى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى المصنف والفريابى وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَرِ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : بِشْرِكَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ وَابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَا : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، قَالَ : ثنا
سَفِيَّانُ ، قَالَ : ثنا نُسَيْرُ بْنُ دُعْلُقٍ ، عَنْ كُرْدُوسٍ ^(١) ، عَنْ حُذَيْفَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قَالَ : بِشْرِكَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ
الْكُوفِيِّ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ حُذَيْفَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ ﴾ . قَالَ : بِشْرِكَ ^(٢) .

/ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَارِثُ أَبُو النُّعْمَانِ ، قَالَ : ثنا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عَطَاءِ
ابْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَغَيْرِهِ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قَالَ : بِشْرِكَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . يَقُولُ :
بِكُفْرٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . يَقُولُ : لَمْ

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « دُدُوس » ، وَفِي م : « دُرْسَب » ، تَرْجَمَ لَهُ مَصْحُوحُ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى
أَنَّهُ دُرْسَت . وَتَقَدَّمَ فِي ص ٢٥٩ .

(٢) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٧/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَالْفَرِيَّابِيِّ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ
وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٧/٣ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِالشَّرِكِ . وقال : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا [٧٧١/١ ظ] جريز بن حازم ، عن علي بن زيد ، عن ابن^(١) المسيب ، أن عمر بن الخطاب قرأ : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ . فلما قرأها فرع ، فأتى أبي بن كعب ، فقال : يا أبا المنذر ، قرأت آية من كتاب الله ، من يسلم ؟ فقال : ما هي ؟ فقرأها عليه ، فأتينا لا يظلم نفسه ؟ فقال : غفر الله لك ، أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ؟ إنما هو : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جعدان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن عمر دخل منزله فقرأ في المصحف ، فمر بهذه الآية : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ . فأتى^(٣) أئمتنا^(٤) فأخبره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما هو الشرك^(٥) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن^(٦) ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه ، فدخل ذات يوم فقراً ، فأتى على هذه الآية : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ . فانقل^(٧) ، وأخذ

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) أخرجه الحاكم ٣/٣٠٥ من طريق حماد بن زيد عن علي به .

(٣ - ٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فأتاه أبي » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٥ - ٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « ابن مهران » ، وفي م : « مهران » . وينظر تهذيب الكمال ٤٦٣/٣٢ ، والأثر السابق .

(٦) في م : « فاشتغل » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فاستقل » ، كذا رسمت في ص إلا أنها غير منقوطة ، وفي الدر المنثور : « فانقل » . والمثبت من تحقيق الشيخ شاکر ، وانقل : انصرف .

رداءه ، ثم أتى أبي ابن كعب ، فقال : يا أبا المنذر ، فتلا هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ .^(١) وقد ترى أنا نَظْلِمُ ، وَنَفْعَلُ وَنَفْعَلُ . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ليس بذاك ، يقول الله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . إنما ذلك الشرك .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن أبي عثمان عمرو بن سالم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . فقال عمر : قد أفلح من لم يلبس إيمانه بظلم . فقال أبي : يا أمير المؤمنين ، ذاك الشرك .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا^(٢) أسباط بن محمد ، عن مطرف^(٣) ، عن ابن سالم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب . فذكر نحوه .

حدَّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة في قوله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرك^(٤) .

/ حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ٢٥٨/٧ مثله .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين بن^(٤) علي ، عن زائدة ، عن الحسن بن

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٢ - ٢) في ص ، س : « أسباط عن محمد عن مطرف » . وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « أسباط عن محمد بن مطرف » . تهذيب الكمال ٢/٣٥٤ ، ٢٨/٦٢ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٨٦ - تفسير) من طريق أبي إسحاق به .

(٤) في النسخ : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٦/٤٤٩ .

عبيد^(١) الله ، عن إبراهيم : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرك .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ : أى : بشرك^(٢) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة مثله .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بعبادة الأوثان^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرك^(٤) .

حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرك .

حدَّثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، أن ابن مسعود قال : لما نزلت : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . كبر

(١) فى النسخ : « عبد » . وينظر تهذيب الكمال ١٩٩/٦ .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٣/٤ عقب الأثر (٧٥٤٣) معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٥ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٣/٤ ، عقب الأثر (٧٥٤٣) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ، ما منا أحدٌ إلا وهو يَظْلِمُ نفسه . فقال النبي ﷺ : « أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ لَقْمَانَ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ؟ » .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عَنبَسَةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : عبادة الأوثان .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، عن مِشْعَرٍ ، عن أبي حصينٍ ، عن أبي عبدِ الرحمنِ ، قال : بشرٌ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةٌ ، قال : قال ابنُ إسحاق : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشرٌ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يَخْلُطُوا إيمانهم بشيءٍ مِنْ معاني الظلم ؛ وذلك فعلٌ ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله . وقالوا : الآية على العموم ؛ لأن الله لم يَخُصَّ به معنى مِنْ معاني الظلم .

قالوا : فإن قال لنا قائلٌ : أفلا أَمَنَّ في الآخرةِ إلا لمن لم يَعْصِ اللهَ في صغيرةٍ ولا كبيرةٍ ، وإلا لمن لَقِيَ اللهَ ولا ذنبَ له ؟ قلنا : إن اللهَ عَنَى بهذه الآيةِ خاصًّا مِنْ خلقه دونَ الجميعِ منهم ، والذي عَنَى بها وأراد به خَلِيلَهُ إبراهيمَ ﷺ ، فأما غيرُهُ فإنه إذا لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا ، فهو في مشيئته إذا كان قد أتى بعضَ معاصيه التي لا تَبْلُغُ أن تكونَ كفرًا ، فإن شاء لم يُؤْمِنْهُ مِنْ عَذَابِهِ ، وإن شاء تَفَضَّلَ عليه فعفا عنه .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٣/١ عن معمر به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٣/٤ عقب الأثر (٧٥٤٣) معلقا .

قالوا : وذلك [٧٧٢/١] قول جماعة من السلف ، وإن كانوا مختلفين في المعنى بالآية ؛ فقال بعضهم : غنى بها إبراهيم .

وقال بعضهم : غنى بها المهاجرون ^(١) من أصحاب رسول الله ﷺ .

/ ذكر من قال : غنى بهذه الآية إبراهيم خليل الرحمن ﷺ

٢٥٩/٧

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ابن الربيع ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حزملة ، عن علي ، قال : هذه الآية لإبراهيم ﷺ خاصة ، ليس لهذه الأمة منها شيء ^(٢) .

ذكر من قال : غنى بها المهاجرون خاصة

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ابن الربيع ، عن سمالك ، عن عكرمة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ . قال : هي لمن هاجر إلى المدينة .

وأولى القولين بالصحة في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ ، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال : الظلم الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع هو الشرك .

وأما قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ . فإنه يعني : هؤلاء الذين آمنوا ، ولم يخلطوا بإيمانهم بشرك ، ﴿ لَهُمُ الْآمَنُ ﴾ يوم القيامة من عذاب الله ، ﴿ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ . يقول : وهم المصيبون سبيل الرشاد ، والساكنون طريق النجاة .

(١) في م : « المهاجرين » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٣/٤ (٧٥٤٤) من طريق قيس بن الربيع به . والحاكم ٣١٦/٢ من طريق زياد بن علاقة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ . قول إبراهيم لمُخَاصِمِيهِ مِنْ قَوْمِهِ المشركين : ﴿ أَيْ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ . أَمَّنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا مُّخْلِصًا لَهُ الدِّينَ والعبادة ، أَمَّنْ يَعْبُدُ أَرْبَابًا كَثِيرَةً ؟ وإجابتهم إياه بقولهم : بل مَنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ . وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان فى ذلك قطعُ عذرهم ، وانقطاعُ حجَّتِهِمْ ، واستِعلاءُ حجةِ إبراهيم عليهم ، فهى الحجة التى آتاها الله إبراهيم على قومه ^(١) .

كالذى حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيز ، قال : ثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ . قال : هى ^(٢) ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيز ، قال : ثنا يحيى بنُ زكريا ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قال إبراهيم حينَ سأل : ﴿ أَيْ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ . قال : هى حجةُ إبراهيم ^(٣) .

وقوله : ﴿ ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ . يقول : لقَّناها إبراهيم ، و ^(٤) بَصَّرْنَاهَا إِيَّاهُ ^(٥) ، ورفَعْنَاهُ ^(٥) على قومه .

(١) تقدم فى ص ٣٦٩ أن المصنف ، رحمه الله ، رجح أن قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاء منه بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه ، ثم عاد هنا فذكر أنه من قول قوم إبراهيم عليه السلام ، وهو ماردّه هناك ولم يرتضه .

(٢) فى ص : « هو » ، وفى ف : « هؤلاء » .

(٣) ينظر ما تقدم تخريجه فى ص ٣٦٧ .

(٤ - ٤) فى م : « بصرناه إياها » .

(٥) فى ص : « عرفناه » .

﴿ نَزَّاعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ . واخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَةً قِرَاءَةً الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ : (نَزَّاعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ) . بِإِضَافَةِ الدَّرَجَاتِ إِلَى « مِّن » ، بِمَعْنَى : نَزَّاعُ الدَّرَجَاتِ لِمَنْ نَّشَأُ ^(١) .

وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قِرَاءَةَ الْكُوفَةِ : ﴿ نَزَّاعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ . بِتَنْوِينِ الدَّرَجَاتِ ، بِمَعْنَى : نَزَّاعُ مِّنْ نَّشَأٍ دَرَجَاتٍ ^(٢) . وَالدَّرَجَاتُ جَمْعُ دَرَجَةٍ ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مَرَاقِي السُّلَمِ وَدَرَجُهُ ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي ارْتِفَاعِ الْمَنَازِلِ وَالْمَرَاتِبِ .

/ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ : هُمَا قِرَاءَتَانِ قَدْ قُرِئَا بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَثْمَةً مِنَ الْقِرَاءَةِ ، مُتَقَارِبَتَانِ مَعْنَاهُمَا . وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ رُفِعَتْ دَرَجَتُهُ فَقَدْ رُفِعَ فِي الدَّرَجِ ، وَمَنْ رُفِعَ فِي الدَّرَجِ فَقَدْ رُفِعَتْ دَرَجَتُهُ ، فَبِأَيْتِهِمَا قُرِئَ الْقَارِئُ فَمُصِيبُ الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ .

٢٦٠/٧

فَمَعْنَى الْكَلَامِ إِذَنْ : وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتِينَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَرَفَعْنَا بِهَا دَرَجَتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَشَرَّفْنَاهُ بِهَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَآتَيْنَاهُ فِيهَا أَجْرَهُ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ . ﴿ نَزَّاعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ . أَيْ : بِمَا فَعَلَ ^(٣) مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ ^(٤) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ حَكِيمٌ فِي سِيَاسَتِهِ خَلْقَهُ ، وَتَلْقِينِهِ أَنْبِيََاءَهُ الْحُجَجَ عَلَى أُمَمِهِمُ الْمَكْذُوبَةِ لَهُمْ ، الْجَاهِدَةِ تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَدْبِيرِهِ ، عَلِيمٌ بِمَا يَثْوُلُ إِلَيْهِ أُمُورُ رُسُلِهِ وَالْمُرْسَلِينَ إِلَيْهِ ^(٥) ؛ مِنْ

(١) هِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ وَأَبِي عَمْرٍو . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ٢٦١ .

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وَحُمَزَةٍ وَالْكَسَائِيِّ . الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فَعَلْتُ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « حَكِيمٌ عَلِيمٌ » .

(٥) فِي م : « إِلَيْهِمْ » .

ثَبَاتِ الْأُمِّ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُمْ ، وَهَلَاكِهِمْ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ إِيْنَابَتِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ مِنْهُ
بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَصْدِيقِ رَسَلِهِ ، وَالرَّجُوعِ إِلَى طَاعَتِهِ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : فَأَتَسِرِ يَا مُحَمَّدُ فِي نَفْسِكَ وَقَوْمِكَ
الْمُكَذِّبِينَ وَالْمُشْرِكِينَ ، بِأَيِّكَ خَلِيلِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَنْوِبُكَ
مِنْهُمْ صَبْرَهُ ، فَإِنِّي بِالَّذِي يَثْوُلُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ عَالَمٌ بِالتَّدْبِيرِ فِيكَ وَفِيهِمْ
حَكِيمٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا
وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَجَزَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَلَى طَاعَتِهِ إِيْنَانًا وَإِخْلَاصِهِ تَوْحِيدَ
رَبِّهِ ، وَمُفَارَقَتِهِ دِينَ قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ ، بِأَنْ رَفَعْنَا دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ
فِي الدُّنْيَا ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَوْلَادًا اخْتَصَصْنَاهُمْ ^(١) بِالنَّبُوَّةِ ، وَذُرِيَّةً شَرَفْنَاهُمْ مِنْهُ بِالْكَرَامَةِ ،
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ؛ مِنْهُمْ ابْنُهُ إِسْحَاقُ ، وَابْنُ ابْنِهِ يَعْقُوبُ ، ﴿ كُلًّا
هَدَيْنَا ﴾ . يَقُولُ : هَدَيْنَا جَمِيعَهُمْ لِسَبِيلِ الرِّشَادِ ، فَوَقَّعْنَاهُمْ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ مِنْ
الْأَدْيَانِ ، ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ . يَقُولُ : وَهَدَيْنَا لِمِثْلِ الَّذِي هَدَيْنَا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنَ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، فَوَقَّعْنَاهُ لَهُ ، نُوحًا مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ . ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ ﴾ وَالْهَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ مِنْ
ذِكْرِ « نُوحٍ » . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ذَكَرَ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي تَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ
[٧٧٢/١] لُوطًا ، فَقَالَ : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴾ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ لُوطًا لَمْ يَكُنْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . فَإِذَا

كان ذلك كذلك ، وكان معطوفاً على أسماء من سمّينا من ذريته ، كان لا شك أنه لو أُريد بالذرية ذرية إبراهيم ، لما دخل يونس ولوط فيهم ، ولا شك أن لوطاً ليس من ذرية إبراهيم ، ولكنه من ذرية نوح ، فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية من ذكر نوح .

فتأويل الكلام : ونوحاً وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وهدّينا أيضاً من ذرية نوح داود وسليمان .

﴿ دَاوُدَ ﴾ هو داود بن إيشى . و ﴿ سُلَيْمَانَ ﴾ هو ابنه سليمان بن داود ، ٢٦١/٧ ﴿ وَيُوسُفَ ﴾ هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .^(١) ﴿ مُوسَى ﴾ هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب . و ﴿ هَارُونَ ﴾ هو^(٢) أخو موسى .

﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ . يقول تعالى ذكره : جزّينا نوحاً بصبره على ما أمّحن به فينا ، بأن هدّينا فوقّناه لإصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه ، وهدّينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هدّينا له ، وكما جزّينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا ، وصبرهم على المِحن فينا ، كذلك نجزي بالإحسان كلّ محسن .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

(١) في النسخ : « روح » ، والمثبت من تاريخ المصنف ٣٢٢/١ .

(٢) سقط من : م .

يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا لمثل الذي هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذريته زكريا بن إدو^(١) ، ويحيى بن زكريا ، وعيسى ابن مريم ابنة عمران ابن ياشهم^(٢) بن أمون بن حزقيا ﴿وإلياس﴾ واختلفوا في «إلياس» ، فكان ابن إسحاق يقول : هو إلياس بن تسبي^(٣) بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ابن أخي موسى نبي الله ﷺ .

وكان غيره يقول : هو إدريس . ومن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إدريس هو إلياس ، وإسرائيل هو يعقوب^(٥) .

وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون : إدريس جد نوح بن لَمَك^(٦) بن مئوشلخ بن أَخْنُوخ . وأخنوخ هو إدريس بن يَزْد بن مهلائيل^(٦) . وكذلك روى عن وهب بن منبّه^(٧) .

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب ، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح ، وجعله من ذريته ، ونوح هو ابن إدريس عند أهل العلم ،

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : «ادر» ، وفي م : «أزن» ، وفي تاريخ المصنف ١ / ٥٩٠ : «أدى» ، وفي سفر زكريا ، الأصحاح الأول ص ١٣٤٠ : «عدو» ولعل المثبت هو الصواب .

(٢) في م : «أشيم» .

(٣) في م : «يسي» ، وفي ف : «شى» ، وفي تاريخ المصنف ١ / ٤٦١ : «ياسين» . قال ابن كثير : قال علماء النسب : هو إلياس بن تسبي . ويقال : ابن ياسين . البداية والنهاية ٢ / ٢٧٢ . وينظر طبقات ابن سعد ١ / ٥٥ ، ومختصر تاريخ دمشق ٥ / ٢٣ .

(٤) في النسخ : «ابن» .

(٥) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره - كما في التعليل ٩ / ٩ - وابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٣٣٦ (٧٥٥٦) ، وابن حبان في الثقات ٩ / ٢٠٠ ، وابن عساكر في تاريخه ٩ / ٢٠٧ من طريق إسرائيل به .

(٦) ينظر أنساب الأشراف ١ / ٧ .

(٧) أخرجه الحاكم ٢ / ٥٤٩ .

فَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ جَدُّ أَيْهِ مَنْسُوبًا إِلَى أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ .

وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ الصَّالِحِينَ ﴾ . يقول : مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ . يعنى زكريا ويحيى وعيسى وإلياس صلى الله عليهم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٦) .

يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا من ذرية نوح إسماعيل ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ، ﴿ وَالْيَسَعَ ﴾ هو اليَسَعُ بنُ أَخْطُوبَ بنِ العَجُوزِ .

واختلفت القراءة فى قراءة اسمه ؛ فقرأته عامة قراءة الحجاز والعراق : ﴿ وَالْيَسَعَ ﴾ بلام واحدة مُخَفَّفَةً ^(١) .

وقد زعم قوم أنه « يَفْعَل » ، من قول القائل : وَسِعَ يَسَعُ . ولا تكاد العرب تُدْخِلُ الألف واللام على اسم يكون / على هذه الصورة - أَغْنَى : على « يَفْعَل » ، لا يقولون : رأيتُ الزيدَ ، ولا أتانى يحيى ^(٢) ، ولا مرزئ بالشكر - إلا فى ضرورة شعر ، وذلك أيضا إذا تُحْرِي به المدح ، كما قال بعضهم ^(٣) :

وجدنا الوليدَ بنَ الزيدِ مُبارَكًا شديداً بأحناءٍ ^(٤) الخلافة كاهله
فأدْخَلَ فى « الزيد » الألف واللام ؛ وذلك لإدخاله إياهما فى « الوليد » ، فأثبته « الزيد » بمثل لفظه .

وقرأ ذلك جماعة من قراءة الكوفيين : (واليَّسَع) بلامين وبالتشديد ^(٥) .

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وعاصم وأبى جعفر ويعقوب . النشر ١٩٥/٢ .

(٢) فى م : « التجيب » .

(٣) هو ابن ميادة الرماح بن أبرد ، والبيت فى معانى القرآن للفراء ٣٤٢/١ ، وأمالى ابن السجرى ٢٥٢/٢ .

(٤) فى م : « بأعباء » . قال البغدادى : والأحناء جمع جنو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى الشرج والقُتْب ، كنى به عن أمور الخلافة الشاقة . خزانة الأدب ٢٢٧/٢ .

(٥) هى قراءة حمزة والكسائى وخلف . النشر ١٩٥/٢ .

وقالوا : إذا قُرئ كذلك كان أشبه بأسماء العجم . وأنكروا التخفيف وقالوا : لا نعرف في كلام العرب اسماً على « يَفْعَل » فيه ألف ولا م .

والصواب من القراءة في ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة ؛ لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه ، دون التشديد ، مع أنه اسم أعجمي ، فيُنطق به على ما هو به . وإنما نُقيم^(١) دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على « يَفْعَل » . وأما الاسم الذى يكون أعجمياً ، فإنما يُنطق به على ما سَمَّوا به ، فإن غُيِّر منه شيء إذا تكلمت العرب به ، فإنما يُغَيَّر بتقويم حرف منه ، من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان ، و « اللَّيْسَع » إذا شُدَّ لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد . وأخرى ، أنه لم يُحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال : اسمه لَيْسَع . فيكون مُشَدَّداً عند دخول الألف [٧٧٣/١ و] واللام اللتين تدخلان للتعريف^(٢) .

﴿ يُونُسَ ﴾ هو يُونُسُ بْنُ مَتَّى ، ﴿ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا ﴾ من ذرية نوح ونوحا ، لهم بينا الحق ، ووفقناهم له ، وفضلنا جميعهم ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ يعنى : على عالم أزمانهم .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٨٧) .

يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً من آباء هؤلاء الذين سمّاهم تعالى ذكره ، ومن ذرياتهم وإخوانهم آخرين سواهم لم يُسمّهم ، للحق والدين الخالص الذى لا

(١) فى ص : « يقيم » ، وفى م : « لا يستقيم » .

(٢) القراءتان كلتاهما صواب ؛ لأنهما متواترتان .

شرك فيه ، فوققناهم له ، ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ﴾ . يقول : واختَرناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه ، كالذى اختَرنا من سمينا . يقال منه : اجتَبى فلان لنفسه كذا ، إذا اختاره واضطفاه ، يَجْتَبِيهِ اجْتِبَاءً .

وكان مجاهدٌ يقولُ في ذلك ما حدَّثني به محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ في قولِ اللهِ تعالى ذكره : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ﴾ . قال : أخلصناهم ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثله .

﴿ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . يقول : وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريقٍ غيرِ مُعَوَّجٍ ، وذلك دينُ اللهِ الذى لا عِوَجَ فيه ، وهو الإسلامُ الذى ارتضاه اللهُ ربُّنا لأنبيائه ، وأمر به عباده .

٢٦٣/٧ /القولُ فى تأويلِ قولِهِ : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ ﴾ : هو الهدى الذى هدّيتُ به من سمّيتُ من الأنبياء والرسل ، فوققّتهم به لإصابة الدين الحقّ الذى نالوا بإصابتهم إياه رضا ربّهم ، وشرف الدنيا ، وكرامة الآخرة ، هو ﴿ هُدَى اللَّهِ ﴾ . يقول : هو توفيقُ اللهِ ولطفه الذى يُوفِّقُ به مَنْ يَشَاءُ ، ويلطّفُ به لمن أحبّ من خلقه ، حتى يُنِيبَ إلى طاعةِ اللهِ ، وإخلاصِ العملِ له ، وإقرارِهِ بالتوحيدِ ، ورفضِ الأوثانِ والأصنامِ ،

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٥ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٣٦/٤ (٧٥٥٨) .

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . يقول : ^(١) ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سمّيناهم ، برّبهم تعالى ذكره ، فعبدوا معه غيره ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُمْ ﴾ . يقول : لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون ؛ لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً .

القول في تأويل قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : هؤلاء الذين سمّيناهم من أنبيائه ورسليه ؛ نوحاً وذريته الذين هداهم لدين الإسلام ، واجتباهم ^(٢) لرسالته إلى خلقه ، هم ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ . يعنى بذلك : صحف إبراهيم وموسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ يعنى الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام .

وروى عن مجاهد في ذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا أبان ، قال : ثنا مالك بن شداد ^(٣) ، عن مجاهد : ﴿ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ . قال : الحكم هو اللب ^(٤) .

وعنى بذلك مجاهد إن شاء الله ما قلت ؛ لأن اللب هو العقل ، فكأنه أراد أن الله آتاهم العقل بالكتاب ، وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به ^(٥) .

وقد بيّنا معنى « النبوة » و « الحكم » فيما مضى بشواهدهما ، فأغنى ذلك عن إعادته ^(٦) .

(١ - ١) سقط من : ت ٢ ، س ، ف .

(٢) فى م : « اختارهم » .

(٣) لم نجد له ترجمة ، وأبان هو ابن يزيد العطار يروى عن مالك بن دينار ، فلعله تحرف عنه .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٨/٣ إلى أبى الشيخ .

(٥) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « والنبوة » .

(٦) تقدم تفسير النبوة فى ٣٠/٢ ، ٣١ ، ٢٨٩/٥ ، وتفسير الحكم فى ٥٧٧/٢ ، ٥٢٤/٥ .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : فَإِنْ يَكْفُرْ يا محمدُ بآياتِ كتابي الذي أنزلته إليك ، فيجحد هؤلاء المشركون العادلون برّبهم ، كالذي حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . يقول : إن يكفروا بالقرآن ^(١) .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بـ ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : غنى بهم كفار قريش ، وغنى بقوله : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . الأنصار . ٢٦٤/٧

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . قال : أهل مكة ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أهل المدينة ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . قال : الأنصار ^(٣) .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جوير ، عن الضحاك : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . قال : إن يكفروا بها أهل مكة ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أهل المدينة الأنصار ، ﴿ لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٨/٤ (٧٥٧٠) من طريق أبي صالح به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٨/٤ عقب الأثر (٧٥٧١) معلقاً .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٩/٤ عقب الأثر (٧٥٧٤) معلقاً .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٨/٤ ، ١٣٣٩ عقب الأثر (٧٥٧١ ، ٧٥٧٤) معلقاً .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . يقول : إن يكفر بها قريش ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ الأنصار^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ أهل مكة ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ أهل المدينة .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿ . [٧٧٣/١ ظ] قال : كان أهل المدينة قد تبوءوا الدار والإيمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله ﷺ ، فلما أنزل الله عليهم الآيات جحد بها أهل مكة ، فقال الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿ . قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . يعني : أهل مكة ، يقول : إن يكفروا بالقرآن ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . يعني : أهل المدينة والأنصار^(٢) . وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يكفر بها أهل مكة فقد وَّكَّلْنَا بها الملائكة .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن أبي رجاء : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٨/٤ ، ١٣٣٩ عقب الأثرين (٧٥٧١ ، ٧٥٧٤) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٨/٤ ، ١٣٣٩ (٧٥٧١ ، ٧٥٧٤) من طريق أبي صالح به .

بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿١﴾ . قال : هم الملائكة^(١) .

حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ وابنُ أبي عديٍّ وعبدُ الوهابِ ، عن عوفٍ ، عن أبي رجاءٍ مثله .

وقال آخرون : غنى بقوله : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . يعنى : قريشٌ . وبقوله :

﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ الأنبياء الذين سَمَّاهم فى الآياتِ التى مضت قبل هذه الآية . ٢٦٥/٧

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ قوله :

﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . يعنى : أهلُ مكة ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ وهم الأنبياءُ الثمانية عشر الذين قال الله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾^(٢) .

حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةٍ :

﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ . قال : يعنى : قومُ محمدٍ . ثم قال : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . يعنى : النبيين الذين قصَّ قبل هذه الآية قصصهم . ثم قال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾^(٣) .

وأولى هذه الأقوال فى تأويلِ ذلك بالصواب قولُ مَنْ قال : غنى بقوله : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ .

كفارُ قريشٍ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . يعنى به الأنبياءُ الثمانية عشر الذين سَمَّاهم الله تعالى ذكره فى الآياتِ قبل هذه الآية ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٣٩/٤ (٧٥٧٧) من طريق عوف به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٤٠/٤ (٧٥٨١) من طريق شيخان ، عن قتادة بنحوه .

(٣) تفسيره عبد الرزاق ٢١٣/١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤ ، ١٣٣٩ (٧٥٧٢) ،

وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى ، وفي التي بعدها عنهم ذكر ،^(١) فما بينها^(٢) بأن يكون خبراً عنهم أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم .

فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك : فإن يكفر^(٣) قومك من قريش يا محمد بآياتنا ، وكذبوا وجحدوا حقيقتها ، فقد استخفطناها واشترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك ، الذين لا يجحدون حقيقتها ، ولا يكذبون بها ، ولكنهم يصدّقون بها ويؤمنون بصحتها .

وقد قال بعضهم : معنى قوله : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ . رزقناها قوماً .

القول في تأويل قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةٌ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : هؤلاء القوم الذين وَّكَّلْنَا بآياتنا وليسوا بها بكافرين ، هم الذين هداهم الله لدينه الحق ، وحفظ ما وُكِّلُوا بحفظه من آيات كتابه ، والقيام بحدوده ، واتباع حلاله وحرامه ، والعمل بما فيه من أمر الله ، والانتها عما فيه من نهيه ، فوققهم جل ثناؤه لذلك ، ﴿ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةٌ ﴾ . يقول تعالى ذكره : فبالعمل الذي عملوا ، والمنهاج الذي سلكوا ، وبالهدى الذي هدّيناهم ، والتوفيق الذي وفّقناهم ، ﴿ أَقْتَدَةٌ ﴾ يا محمد ، أى : فاعمل وخذ به واسلكه ، فإنه عمل لله فيه رضا ، ومنهاج من سلكه اهتدى .

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ أنهم الأنبياء المسمّون في الآيات المتقدمة ، وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك .

(١ - ١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فيما بينهم » ، وفى م : « ففيمّا بينها » . والصواب ما أثبتناه .

(٢) بعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بها » .

وأما على تأويل مَنْ تأوَّل ذلك أن القوم الذين وُكِّلوا بها هم أهل المدينة ، أو أنهم هم الملائكة ، فإنهم جعلوا قوله : ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ . اعتراضاً بين الكلامين ، ثم ردُّوا قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾ على قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ .

٢٦٦/٧

ذكر مَنْ قال ذلك

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾ يا محمد .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ يا محمد ، ﴿ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾ ولا تَقْتَدِ بهؤلاء^(١) .

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنى أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾ .

حدَّثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، [٧٧٤/١] قال : ثم قال في الأنبياء الذين سَمَّاهُمْ في هذه الآية : ﴿ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً ﴾^(٢) .

ومعنى الاقتداء في كلام العرب ، بالرجل ، اتباع أثره ، والأخذ بهديه ، يقال : فلانٌ يَقْدُو فلاناً . إذا نحا نحوه ، واتبع أثره ، قِدَّةٌ وقْدُوَةٌ وقِدْيَةٌ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٠/٤ (٧٥٨٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٦/٤ (٧٥٥٧) من طريق أبي صالح به .

(٣ - ٣) سقط من : م ، س ، ف . وينظر اللسان (ق د و) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٠) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي أن تبسل نفس بما كسبت من مشركي قومك يا محمد : لا أسألكم على تذكيري إياكم ، والهدى الذي أدعوكم إليه ، والقرآن الذي جئتكم به ، عوضاً أغتاضه منكم عليه ، وأجراً أخذه منكم ، وما ذلك مني إلا تذكير لكم ، ولكل من كان مثلكم ، ممن هو مقيم على باطل - بأس الله أن يحل بكم ، وسخطه أن ينزل بكم ، على شرككم به وكفركم ، وإنذار لجميعكم ، بين يدي عذاب شديد ؛ لتذكروا وتنزعروا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ : وما أجلوا الله حق إجلاله ، ولا عظّموه حق تعظيمه ، ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ . يقول : حين قالوا : لم ينزل الله على آدمي كتاباً ولا وحياً .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ . وفي تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : كان قائل ذلك رجلاً من اليهود .

ثم اختلفوا في اسم ذلك الرجل ؛ فقال بعضهم : / كان اسمه مالك بن الصييف . وقال بعضهم : كان اسمه فنحاص .

واختلفوا أيضاً في السبب الذي من أجله قال ذلك .

ذكر من قال : كان قائل ذلك مالك بن الصييف

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد

ابن جبير ، قال : جاء رجلٌ من اليهودِ يقالُ له : مالكُ بنُ الصيفِ . يُخاصِمُ
النبيَّ ﷺ ، فقال له النبيُّ ﷺ : « أَتَشُدُّكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، أَمَّا تَجِدُ
فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ يُنْغِضُ الْحَبَرَ السَّمِينَ ؟ » . وكان حبرًا سَمِينًا ، فغَضِبَ ، فقال :
وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ . فقال له أصحابُه الذين معه : وَيْحَكَ ، وَلَا
مُوسَى ؟ فقال : وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ
مُوسَى ﴾ الآية ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن
عكرمةَ قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .
قال : نَزَلَتْ فِي مَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ ، كَانَ مِنْ قُرَيْظَةَ ، مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ . ﴿ قُلْ ﴾ يَا
مُحَمَّدُ : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ الآية ^(٢) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : نَزَلَتْ فِي فِتْحَاصِ الْيَهُودِيِّ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السديِّ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . قال :
قال فِتْحَاصُ الْيَهُودِيِّ : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ شَيْءٍ ^(٣) .

وقال آخرون : بل غنى بذلك جماعةٌ من اليهودِ سألوا النبيَّ ﷺ آياتٍ مثلَ آياتِ موسى .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٢/٤ (٧٥٩٧) من طريق يعقوب به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٢/٤ (٧٥٩٤) من طريق أحمد بن مفضل ، عن أسباط به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى أبي الشيخ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا هَنَّاذٌ ، قَالَ : ثنا يُونُسُ ، قَالَ : ثنا أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ ، قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنْ يَهُودَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُحْتَبٍ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، أَلَا تَأْتِينَا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى الْوَاحِيَا يَحْمِلُهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء : ١٥٣] فَجَثَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ فَقَالَ : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا عَلَى مُوسَى ، وَلَا عَلَى عِيسَى ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : مَا عَلِمُوا كَيْفَ اللَّهُ إِذْ قَالُوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا ﴾ . فَحَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُبُوتَهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : « وَلَا عَلَى أَحَدٍ » ^(١) !

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ / إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فِي خَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، قَوْمٌ آتَاهُمُ اللَّهُ عِلْمًا فَلَمْ يَقْتَدُوا ^(٢) بِهِ ، وَلَمْ يَأْخُذُوا بِهِ ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ ، فَذَمَّهُمُ اللَّهُ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ . ذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ : إِنْ مِنْ أَكْثَرِ مَا أَنَا مُخَاصِمٌ بِهِ غَدًا ، أَنْ يُقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ، قَدْ عَلِمْتَ ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ ^(٣)

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى المصنف .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يهتدوا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٣/٤ (٧٦٠٥) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور

٢٩/٣ إلى عبد بن حميد .

وقول أبي الدرداء أخرجه معمر في جامعه (٢٠٤٦٧) ، وابن أبي شيبة ١٤٢/١٤ من طريق قتادة به ،

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٩) ، وابن أبي شيبة ١٣/٣١١ ، وأحمد في الزهد ص ١٣٦ ، والدارمي ٨٢/١ ،

وأبو نعيم في الحلية ٢١٣/١ ، وابن عساكر في تاريخه ١٤٨/٤٧ من طرق عن أبي الدرداء بنحوه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ . يعنى : من بنى إسرائيل ، قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتابًا ؟ قال : « نعم » . قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتابًا . فأنزل الله : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى [٧٧٤/١] لِلنَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ ﴾ . قال : « الله أنزله » ^(١) .

وقال آخرون : هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن مُشْرِكِي قريش أنهم قالوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابنُ جريج : قال عبدُ اللهِ بنُ كثير : إنه سمع مُجاهدًا يقول : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ : قالها مُشْرِكُو قريش . قال : وقوله : (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرِاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) ^(٢) . قال : هم يهودُ الذين يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا . قال : وقوله : ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ ﴾ . قال : هذه للمسلمين ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . قال : هم الكفار ، لم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٢/٤ (٧٥٩٣، ٧٥٩٥، ٧٥٩٦) من طريق أبي صالح به .

(٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيب في الأفعال الثلاثة ، وقراءة الباقيين بقاء الخطاب فيهن جميعًا . وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٤٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤١/٤ ، ١٣٤٣ (٧٥٩٢، ٧٦٠٦) مقتصرًا على أوله وآخره من طريق حجاج به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى أبي الشيخ .

يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ آمَنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَقَدْ قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . يَقُولُ : مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ^(٢) .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول مَنْ قَالَ : غُنِيَ بِذَلِكَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . مُشْرِكُو قُرَيْشٍ . وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً ، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم ، أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يَجْرِي لَهُمْ ذِكْرُ يَكُونُ هَذَا بِهِ مُتَّصِلاً ، مع ما في الخبر عَمَّنْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ إِنْكَارِهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ شَيْئاً مِنَ الْكِتَابِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا تَدِينُ بِهِ الْيَهُودُ ، بَلِ الْمَعْرُوفُ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ الْإِقْرَارُ بِضُحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِمَا رُويَ مِنَ الْخَبَرِ ، بَأَن قَائِلَ ذَلِكَ كَانَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ ، خَبَرٌ صَحِيحٌ مُتَّصِلُ السَّنَدِ ، وَلَا كَانَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ إِجْمَاعٌ ، وَكَانَ الْخَبَرُ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ وَمُبْتَدَأُهَا إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ خَبَرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَكَانَ / قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ مَوْصُولًا بِذَلِكَ غَيْرَ مَفْصُولٍ مِنْهُ ، لَمْ يَجْزُ لَنَا أَنْ نَدَّعِيَ أَنَّ ذَلِكَ مَصْرُوفٌ عَمَّا هُوَ بِهِ مَوْصُولٌ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلِ .

ولكنني أظن أن الذين تأولوا ذلك خبراً عن اليهود ، وجدوا قوله : (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ يُتْلُونَهَا وَيُخْفُونَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤١/٤ (٧٥٨٦) من طريق أبي صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤١/٤ (٧٥٨٧) من طريق أبي حذيفة به .

كثيراً وعلمتكم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة ، فقرءوه على وجه الخطاب لهم : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ ﴾ فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم . وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل ؛ لما وصفت قبل من أن قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدية الأوثان ، وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم .

والأصوب من القراءة في قوله : (يَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) . أن يكون بالياء لا بالتاء ، على معنى أن اليهود يَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ، ويكون الخطاب بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ لمشركي قريش ، وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف : (يَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لمشركي قومك القائلين لك : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا ﴾ . يعنى : جلاء وضياء من ظلمة الضلالة ، ﴿ وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ . يقول : بيانا للناس ، يُبَيِّنُ لَهُمُ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، فيما أشكل عليهم من أمر دينهم ، (يَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يُبْدُونَهَا) .

فمن قرأ ذلك : ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ جعله خطاباً لليهود ، على ما بيئت من تأويل من

تَأْوِيلُ ذَلِكَ كَذَلِكَ . وَمَنْ قَرَأَهُ بِآيَةٍ : (يَجْعَلُونَهُ) فتأويله في قراءته : يَجْعَلُهُ أَهْلُهُ قَرَّاطِيسَ .

وجرى الكلام في (يُتَدُونَهَا) بذكر القراطيس ، والمراد منه المكتوب في القراطيس . يُرَادُ : يُتَدُونَ كَثِيرًا مِمَّا يَكْتُبُونَ فِي الْقَرَّاطِيسِ فَيُظْهِرُونَهُ لِلنَّاسِ ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا مِمَّا يُثَبِّتُونَهُ فِي الْقَرَّاطِيسِ فَيُسِرُّونَهُ وَيَكْتُمُونَهُ النَّاسَ .

ومما كانوا يَكْتُمُونَهُ إِيَّاهُمْ مَا فِيهَا مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَبِيِّتِهِ .

كالذي حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (قَرَّاطِيسَ يُتَدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) . اليهود^(١) .

حَدَّثَنَا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : قل يا محمد : (مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهَدَى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَّاطِيسَ يُتَدُونَهَا) . / يعنى يهود ؛ لِمَا أَظْهَرُوا مِنَ التَّوْرَةِ ، (وَيُخْفُونَ)^(٢) كَثِيرًا) مِمَّا أَخْفَوْا مِنْ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ . قال ابن جريج : وقال عبد الله ابن كثير : إنه سمع مجاهدًا يقول : (يَجْعَلُونَهُ قَرَّاطِيسَ يُتَدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) . قال : هم يهود الذين يُتَدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا .

[٧٧٥/١] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وَعَلَّمَكُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْكِتَابِ^(٣) الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴿ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ ﴾ مِنْ أَخْبَارٍ مِّنْ قَبْلِكُمْ ، وَمِنْ أَنْبَاءٍ مِّنْ بَعْدِكُمْ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ فِي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٣/٤ (٧٦٠٢) من طريق أبي حذيفة به .

(٢) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف : « يظهرون » .

(٣) في النسخ : « الكتاب » .

مَعَادِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ﴿ وَلَا أَبَاؤُكُمْ ﴾ . يَقُولُ : وَلَمْ يَعْلَمْهُ آبَاؤُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مِنَ الْعَرَبِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ .

كَالَّذِي حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَعَلِمْتُمْ ﴾ مَعَشَرَ الْعَرَبِ ﴿ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبَاؤُكُمْ ﴾^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : إِنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبَاؤُكُمْ ﴾ . قَالَ : هَذِهِ لِلْمُسْلِمِينَ^(٢) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ . فَإِنَّهُ أَمَرَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُجِيبَ اسْتِفْهَامَهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَمَّا أَمَرَهُ بِاسْتِفْهَامِهِمْ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) . بِقِيلِهِ : ﴿ اللَّهُ ﴾ . كَأَمْرِهِ إِيَّاهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِقَوْلِهِ : (قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَعِنَ الَّذِينَ أَنْجَيْنَا^(٣) مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الأنعام : ٦٣] فَأَمَرَهُ بِاسْتِفْهَامِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ ذَلِكَ ، كَمَا أَمَرَهُ بِاسْتِفْهَامِهِمْ إِذْ قَالُوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ عَمَّنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ، نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْإِجَابَةِ عَنْهُ هُنَاكَ بِقِيلِهِ : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٤] . كَمَا أَمَرَهُ بِالْإِجَابَةِ هُنَا عَنْ ذَلِكَ بِقِيلِهِ : اللَّهُ أَنْزَلَهُ عَلَى مُوسَى .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٣٩٦ .

(٣) في م : « أنجانا » . وهما قراءتان . كما تقدم في ص ٢٩٤ .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ . قال : الله أنزله ^(١) .

ولو قيل : معناه : قل : هو الله . على وجه الأمر من الله له بالخبر عن ذلك ، لا على وجه الجواب - إذ لم يكن قوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ مسألة من المشركين لحمد ﷺ ، فيكون قوله : ﴿ قُلْ اللَّهُ ﴾ جواباً لهم عن مسألتهم ، وإنما هو أمر من الله لحمد بمسألة القوم : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ ، فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذي قاله ابن عباس من تأويله - كان جائزاً ؛ من أجل أنه استفهام ، ولا يكون للاستفهام جواب ، وهو الذي اخترنا من القول في ذلك ؛ لما بينا .

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ . فإنه يقول لنبى محمد ﷺ : ثم ذر هؤلاء المشركين العادلين برّبهم الأوثان والأصنام - بعد احتجاجك عليهم في قيلهم : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى / بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ . بقولك : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ . وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله الله الذي أنزل عليك كتابه - ﴿ فِي خَوْضِهِمْ ﴾ . يعنى : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته ، ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ . يقول : يستهزئون ويسخرون .

وهذا من الله وعيدٌ لهؤلاء المشركين وتهديد ^(٢) لهم ، يقول الله جل ثناؤه : ثم دَعَهُمْ لَاعِبِينَ يا محمد ، فإنى من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتى بالمرصاد ، وأذيقهم بأسى ، وأجلُّ بهم إن تمادوا فى غيِّهم سخطى .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٤/٤ (٧٦٠٨) من طريق أبى صالح به .

(٢) فى م : « تهديد » .

وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴿٩٢﴾ .

يقول تعالى ذكره : وهذا القرآن يا محمد ﴿ كِتَابٌ ﴾ . وهو اسمٌ من أسماء القرآن ، قد بَيَّنَّتهُ وَبَيَّنَّتْ معناه فيما مضى قبلُ ، بما أغْنَى عن إعادته ^(١) . ومعناه : مكتوبٌ ، فَوْضِعَ « الكتابُ » مكانَ « المكتوبِ » .

﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ . يقول : أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ ، ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ وهو مُفَاعَلٌ مِنَ البركة ، ﴿ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . يقول : صَدَّقَ هذا الكتابُ ما قبله من كتبِ الله التي أنزلها على أنبيائه قبلك ، لم يُخَالِفْهَا ^(٢) دِلَالَةً وَمَعْنَى ^(٣) ، نورًا وهدى للناس . يقول : هو الذي أنزل إليك يا محمدُ هذا الكتابَ مُبَارَكًا مُصَدِّقًا كتابَ موسى وعيسى وغير ذلك من كتبِ الله . ولكنه جَلَّ ثَنَاؤُهُ ابْتِدَاءً الْخَبَرِ عَنْهُ ، إذ كان قد تَقَدَّمَ الْخَبَرُ عَنْ ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ^(٣) بِهِ مُتَّصِلٌ ^(٣) ، فقال : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ إِلَيْكَ ، ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ ، ومعناه : وكذلك أنزلتُ إليك كتابي هذا مُبَارَكًا ، كالذي أنزلتُ مِنَ التوراةِ إِلَى موسى هدى ونورًا .

وأما قوله : ﴿ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ . فإنه يقول : أنزلنا إليك يا محمدُ هذا الكتابَ مُصَدِّقًا ما قبله من الكتبِ ، وَلِنُنذِرَ بِهِ عَذَابَ اللَّهِ وبَأْسَهُ مَنْ فِي أُمَّ الْقُرَى ، وهي مكة ، ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ شرقًا وغربًا ، مِنَ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، وَالْجَا حِدِينَ بِرَسُولِهِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ أَصْنَافِ الْكُفَارِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) ينظر ما تقدم في ٩٥ / ١ .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « ولا سا ومعنى » ، وفي م : « ولا نبأ وهو معنى » .

والثبت مستفاد من تحقيق الشيخ شاکر .

(٣ - ٣) في ص ، ف : « من أصل » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ : يَعْنِي بـ ﴿ أُمَّ الْقُرَى ﴾ مَكَّةَ ، ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ مِنَ الْقُرَى ، إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، [٧٧٥/١ ظ] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ : وَ أُمَّ الْقُرَى : مَكَّةُ ، وَمَنْ حَوْلَهَا : الْأَرْضُ كُلُّهَا .

/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، قَالَ : ثنا مَعْمَرٌ ، عَنْ ٢٧٢/٧ قَتَادَةَ : ﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ . قَالَ : هِيَ مَكَّةُ ^(٢) .

وَبِهِ عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الْأَرْضَ دُحِيتٌ مِنْ مَكَّةَ ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ : كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ أُمَّ الْقُرَى مَكَّةُ ، وَكُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّ مِنْهَا دُحِيتُ الْأَرْضِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ : أَمَا أُمَّ الْقُرَى فَهِيَ مَكَّةُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ أُمَّ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٤٥/٤ (٧٦١٤، ٧٦١٨) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (٥٩٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٩/٣ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢١٣/١ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٢٩/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ .

القرى لأنها أول بيت وُضِعَ بها^(١) .

وقد بيّنا فيما مضى العلة التي من أجلها سُمّيت مكة أم القرى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٩٢) .

يقول تعالى ذكره : وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بَقِيَامِ السَّاعَةِ وَالْمَعَادِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَيُصَدِّقُ بِالثَوَابِ وَالْعِقَابِ ، فَإِنَّهُ يُؤْمِنُ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَيُصَدِّقُ بِهِ ، وَيَقْرَأُ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِإِقَامَتِهَا ؛ لِأَنَّهُ مُنْذِرٌ مَنْ بَلَغَهُ وَعِيدُ اللَّهِ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ ، وَعَلَى مَعَاصِيهِ ، وَإِنَّمَا يَجْحَدُ بِهِ وَبِمَا فِيهِ وَيُكَذِّبُ ، أَهْلُ التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ ، وَالْجُحُودِ لَقِيَامِ السَّاعَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو مِنَ اللَّهِ إِنْ عَمِلَ بِمَا فِيهِ ثَوَابًا ، وَلَا يَخَافُ إِنْ لَمْ يَجْتَنِبْ مَا يَأْمُرُهُ بِاجْتِنَابِهِ عِقَابًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ .

يعنى جلّ ذكره بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ : وَمَنْ أَخْطَأُ قَوْلًا ، وَأَجْهَلُ فِعْلًا ﴿ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ يعنى : مِمَّنِ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، فَادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ بَعَثَهُ نَبِيًّا ، وَأَرْسَلَهُ نَذِيرًا ، وَهُوَ فِي دَعْوَاهُ مُبْطِلٌ ، وَفِي قِيلِهِ كَاذِبٌ .

وهذا تَسْفِيفٌ مِنَ اللَّهِ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ ، وَتَجْهِيلٌ مِنْهُمْ لَهُمْ فِي مَعَارِضَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَالْحَنْفِيِّ مُسَيْلِمَةَ ، لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، بِدَعْوَى أَحَدِهِمَا النُّبُوَّةَ ، وَدَعْوَى الْآخَرِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَنَفَى مِنْهُ عَنِ نَبِيِّهِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٥/٤ (٧٦١٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) ننظر ما تقدم في ١٠٦/١ .

محمد ﷺ اختلاق الكذب عليه ، ودعوى الباطل .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

/حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ٢٧٣/٧
عكرمة قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ . قال : نزلت في مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به ، ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي
سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان كتب^(١) للنبي ﷺ ، وكان فيما يملئ : عزيز
حكيم . فيكتب : غفور رحيم . فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول :
« نعم سواء » . فرجع عن الإسلام ، ولحق بقريش ، وقال لهم : لقد كان ينزل عليه :
عزيز حكيم ، فأحوّله ، ثم أقول لِمَا^(٢) أكتب ، فيقول : « نعم سواء » . ثم رجع إلى
الإسلام قبل فتح مكة ، إذ نزل النبي ﷺ بمكة^(٣) .

وقال بعضهم : بل نزل ذلك في عبد الله بن سعد خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾

(١) فى م : « يكتب » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٣ ، ف .

(٣) مر : هى مر الظهران . والظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها : مر ، تضاف إلى هذا الوادى فيقال :

مر الظهران . معجم البلدان ٣ / ٥٨١ .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣ / ٣٠ إلى المصنف وأبى الشيخ .

إلى قوله : ﴿ تُجَزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ . قال : نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ ، فكان إذا أملى عليه : سميعاً عليماً . كتب هو : عليماً حكيماً . وإذا قال : عليماً حكيماً . كتب : سميعاً عليماً . فشك وكفر ، وقال : إن كان محمدٌ يوحي إليه ، فقد أوحى إليّ ، وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ، قال محمدٌ : « سميعاً عليماً » . فقلت أنا : عليماً حكيماً . فلحق بالمشركين ، ووشى بعمارٍ وجُبَيْرٍ عند ابن الحضرمي ، أو لبني عبد الدار ، فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا ، وجُدِعَ أذنُ عمارٍ يومئذٍ ، فانطلق عمارٌ إلى النبي ﷺ ، فأخبره بما لقي ، والذي أعطاهم من الكفر ، فأبى النبي ﷺ أن يتولاه ، فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمارٍ وأصحابه : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . فالذي أكره عمارٌ وأصحابه ، والذي شرح بالكفر صدرًا فهو ابن أبي سرح ^(١) .

وقال آخرون : بل القائل : ﴿ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ مُسَيِّمَةُ الْكَذَابِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ : ذِكْرُ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُسَيِّمَةِ ، ذِكْرُ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَكَبَّرَا عَلَيَّ وَأَهْمَانِي ^(٢) ، فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ انْفُخْهُمَا ، فَنفَخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلُتُهُمَا فِي مَنَامِي الْكَذَّابَيْنِ [٧٧٦/١] الَّذِينَ أَنَا بَيْنَهُمَا ؛ كَذَّابَ الْيَمَامَةِ مُسَيِّمَةَ ، وَكَذَّابَ صَنْعَاءَ الْعَنْسَى » . وكان يقال له : الأسود .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٦/٤ (٧٦٢٦) ، من طريق أحمد به مختصراً .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، س ، ف : « أهمني » .

/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، ٢٧٤/٧
 قَالَ : ﴿ أَوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي مُسَيْلِمَةَ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
 قَتَادَةَ ، وَزَادَ فِيهِ : وَأَخْبَرَنِي الزَّهْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ
 سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ انْفُخْهُمَا ، فَانْفُخْتُهُمَا فَطَارَا ،
 فَأَوَّلْتُ ذَلِكَ كَذَابَ الْيَمَامَةِ وَكَذَابَ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيِّ » ^(١) .

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصُّوَابِ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ . وَلَا تَمَانَعُ بَيْنَ عُلَمَاءِ
 الْأُمَةِ أَنَّ ابْنَ أَبِي سَرْجٍ كَانَ مِمَّنْ قَالَ : إِنِّي قَدْ قُلْتُ مِثْلَ مَا قَالَ مُحَمَّدٌ . وَأَنَّهُ ارْتَدَّ عَنْ
 إِسْلَامِهِ ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ ، فَكَانَ لَا شَكَّ بِذَلِكَ مِنْ قِيلِهِ مُفْتَرِيًا كَذِبًا . وَكَذَلِكَ لَا
 خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ وَالْعَنْسِيَّ الْكَذَّابَيْنِ ادَّعَيَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَنَّهُ بَعَثَهُمَا
 نَبِيِّنِ ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ . وَهُوَ كَاذِبٌ فِي قِيلِهِ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلِقًا عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا ، وَقَائِلًا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَفِي غَيْرِهِ : أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ . وَهُوَ فِي قِيلِهِ كَاذِبٌ ، لَمْ
 يُوحَ اللَّهُ إِلَيْهِ شَيْئًا . فَأَمَّا التَّنْزِيلُ فَإِنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ بِسَبَبِ بَعْضِهِمْ ، وَجَائِزٌ أَنْ
 يَكُونَ نَزَلَ بِسَبَبِ جَمِيعِهِمْ ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ غُنِيَ بِهِ جَمِيعُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ ، إِذْ
 كَانَ قَائِلُو ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، فَعَيَّرَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، وَتَوَعَّدَهُمُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٣/١ ، ٢١٤ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٦/٤ (٧٦٢٥) عن
 الحسن بن يحيى به ولم يذكر المرفوع ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٠/٣ إلى عبد بن حميد وأبي
 الشيخ .

والحديث أصله في البخاري (٤٣٧٥ ، ٧٠٣٧) ، ومسلم (٢٢/٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة .

تركهم نكير ذلك ، ومع تركهم نكيره هم بنبيّه محمد ﷺ مكذبون ، ولنبؤته جاحدون ، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون ، فقال لهم جل ثناؤه : ومن أظلم ممن ادّعى على النبوة كاذباً ، وقال : أوحى إليه . ولم يوح إليه شيء ، ومع ذلك يقول : ما أنزل الله على بشر من شيء . فينقض قوله بقوله ، ويكذب بالذي تحقّقه ، وينفى ما يثبتّه ، وذلك إذا تدبّر العاقل الأريب ، علم أن فاعله من عقله عديم .

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ما حدّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ . قال : زعم أنه لو شاء قال مثله . يعنى الشعر^(١) .

فكان ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوّلّه ، يوجّه معنى قول قائل : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ . إلى : سأُنْزِلُ مثل ما قال الله من الشعر . وكذلك تأوّل السدي ، وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ : ولو ترى يا محمد حين يغمُر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين برّبهم الآلهة والأنداد ، والقائلين : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، والمُفْتَرِينَ على الله كذباً ، الزاعمين أن الله أوحى إليه ، ولم يوح إليه شيء ، والقائلين : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ . فتعابثهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٧/٤ (٧٦٢٧) عن محمد بن سعد به .

وقد غَشِيَتْهُمْ / سَكَرَاتُ الْمَوْتِ ، ونَزَلَ بِهِمْ أَمْرُ اللَّهِ ، وَحَانَ فَنَاءُ آجَالِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ بِأَسْطُو أَيْدِيهِمْ ، يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴿ [محمد : ٢٧ ، ٢٨] . يَقُولُونَ لَهُمْ : أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ .

وَالْغَمَرَاتُ جَمْعُ غَمْرَةٍ ، وَغَمْرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ كَثُرَتْ وَمَعْظَمَتْهُ ، وَأَصْلُهُ الشَّيْءُ الَّذِي يَغْمُرُ الْأَشْيَاءَ فَيُغَطِّيْهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(١) :

وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا بَرَكَاءُ ^(٢) الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارِ

وَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حِجَابُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ . قَالَ : سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عُبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ : يَعْنِي : سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ^(٤) .

وَأَمَّا « بَسَطُ الْمَلَائِكَةِ أَيْدِيَهَا » ^(٥) ، فَإِنَّهُ مَدُّهَا .

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي سَبَبِ بَسْطِهَا أَيْدِيَهَا عِنْدَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ .

(١) هُوَ بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ الْأَسَدِيُّ ، وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ص ٧٩ .

(٢) الْبَرَكَاءُ ، بِفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا : الثَّبَاتُ فِي الْحَرْبِ وَالْجِدِّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبُرُوكِ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ب ر ك) .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ ٣/٣٢ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤/١٣٤٧ (٧٦٣١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُعَاذٍ بِهِ .

(٥) فِي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَيْدِيَهُمْ » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : هذا عند الموت ، والبسطة الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم ^(١) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عَمِي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ . يقول : الملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، والظالمون في غمرات الموت ، وملك الموت يتوفاهم .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ : يضربونهم .

وقال آخرون : بل بسطها أيديها بالعذاب .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبو خالدٍ الأحمر ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : [٧٧٦/١] بالعذاب ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ الزبير ، عن ابنِ عُيَيْنَةَ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٤٧، ١٣٤٨ (٧٦٣٠، ٧٦٣٥) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٢ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٤٨ (٧٦٣٦) من طريق أبي خالد الأحمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٢ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح : ﴿ وَالْمَلَكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ : ٢٧٦/٧ : بالعذاب^(١) .

وكان بعض نحوي الكوفيين^(٢) يَتَأَوَّلُ ذلك بمعنى : باسطو أيديهم بإخراج أنفسهم .

فإن قال قائل : ما وجه قوله : ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ . ونفوس بني آدم إنما يُخْرِجُهَا مِنْ أبدانِ أهلها رب العالمين ؟ فكيف تُخَوِّط هؤلاء الكفار وأُمُروا في حال الموت بإخراج أنفسهم ؟ فإن كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يَقْبِضُونَ أَنْفُسَ أجسامهم !

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبنا ، وإنما ذلك أمر من الله على ألسنِ رسله الذين يَقْبِضُونَ أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم ، بأداء ما أَسْكَنَها ربُّها من الأرواح إليه ، وتسليمها إلى رسله الذين يَتَوَفَّوْنَهَا .

القول في تأويل قوله : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٩٣) .

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رسل الله التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها ، يُخْبِرُ عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها : أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ ولعنته ، فإنكم اليوم تُثابون على كفركم بالله ، وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أَوْحَى إليكم ، ولم يُوحِ إليكم شيئاً ،^(٣) وإنكاركم^(٣) أن يكون الله أنزل على بشر

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٨/٤ عقب الأثر (٧٦٣٦) معلقاً .

(٢) هو الفراء في معاني القرآن ١/٣٤٥ .

(٣ - ٣) سقط من : ت ٢ ، وفي ص ، م ، ت ١ ، س ، ف : « وإنذاركم » .

شيئًا ، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته - ﴿عَذَابَ
الْهُونِ﴾ وهو عذاب جهنم الذي يهينهم فيذلهم ، حتى يعرفوا صغار أنفسهم
وذلتها .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ،
عن السدي : أمّا ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ فالذي يهينهم ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ . قال : عذاب الهون في الآخرة بما كنتم تعملون .

والعرب إذا أرادت بالهون معنى الهوان ضمت الهاء ^(٢) ، وإذا أرادت به الرفق
والدعة وخفة المثونة فتحت الهاء ، فقالوا : هو قليل هون المثونة . ومنه قول الله :
﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان : ٦٣] . يعنى : بالرفق والسكينة
والوقار . ومنه قول ^(٣) المثنى بن جندل ^(٤) الطهوي :

وَنَقَضَ أَيَّامَ نَقَضْنَ أَسْرَهُ

هَوْنًا وَأَلْقَى كُلَّ شَيْخٍ فَخْرَهُ

ومنه قول الآخر ^(٥) :

هَوْنَكُمَا لَا يَرُدُّ الدَّهْرُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكَا أَسْفًا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٨/٤ (٧٦٣٧) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) في ص ، ت ١ ، ف : « الهون » .

(٣ - ٣) كذا في النسخ في هذا الموضع ، وكذا سيأتي في ٢٩/١٤ ، وفي تفسير الآية ٢٣ من سورة الزخرف ،
وصوابه : جندل بن المثنى . ينظر سمط اللآلئ ٦٤٤/٢ ، والأعلام ١٣٧/٢ .

(٤) هو ذو جدن الحميري ، والبيت في سيرة ابن هشام ٣٨/١ ، وتاريخ المصنف ١٢٥/٢ ، والأغاني ٣٠٥/١٧

بنحو ما هنا .

يريدُ : أروداً^(١) . وقد حُكي فتح الهاءِ في ذلك بمعنى الهوانِ ، واستشهدوا على ذلك بيتِ عامرِ بنِ جُوَيْنٍ^(٢) :

أنهينُ النفوسَ وهونُ النفوسِ عندَ الكريهةِ أعلَى لها ٢٧٧/٧
والمعروفُ من كلامهم ضمُّ الهاءِ منه إذا كان بمعنى الهوانِ والذلُّ ، كما قال ذو الإصْبَعِ العَدَوَانِيَّ^(٣) :

أذهبْ إليك فما أُمِّي براعية^(٤) تزعى المخاضَ ولا أغضِي على الهونِ^(٥)
يعنى : على الهوانِ . وإذا كان بمعنى الرفقِ ففتحُها .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ .

وهذا خبرٌ من الله جلَّ ثناؤه عما هو قائلٌ يومَ القيامةِ لهؤلاءِ العادِلينَ به الآلهةُ والأندادُ ، يُخبرُ عبادهُ أنه يقولُ لهم عندَ وُرودهم عليه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى ﴾ .

ويعنى بقوله : ﴿ فُرَادَى ﴾ : وحداناً لا مالَ معهم ولا^(٦) إناثَ ولا رقيقَ^(٦) ، ولا شَيْءَ مما كان اللهُ خَوَّلَهُم في الدنيا ، ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ غُرَاءَ غُلْفًا غُرْلاً حُفَاءَ

(١) فى م : « رودا » . وأرودا : ارفقا وتمهلا . اللسان (ر و د) .

(٢) البيت للخنساء ، كما فى أنيس الجلساء فى ملخص شرح ديوان الخنساء ص ١١٥ .

(٣) البيت فى اللسان (ه و ن) ، وينظر المفضليات ص ١٦٠ ، وأمالى المرتضى ٢٥٢/١ .

(٤) يعنى : لست ابن أمة . ينظر المفضليات الموضع السابق .

(٥) المخاض : اسم للنوق الحوامل . المصدر السابق .

(٦ - ٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إناث ولا رقيق » ، وفى ف : « إناث ولا رفق » . وينظر تفسير

كما ولدتهم أمهاتهم ، وكما خلقهم جل ثناؤه في بطون أمهاتهم ، لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهون به في الدنيا .

و « فرادى » جمع ، يقال لواحدٍها : فرْدٌ . كما قال نابغة بنى ذبيان^(١) :

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَوْشَى أَكَارِعِهِ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسِيفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ^(٢)

وفرْدٌ وفَرْدٌ ، كما يقال : وَحْدٌ وَوَحْدٌ وَوَحِيدٌ . في واحدٍ الأُوْحَادِ ، وقد يُجْمَعُ

الْفَرْدُ الْفُرَادَ ، كما يُجْمَعُ الْوَحْدُ الْوُحَادَ ، ومنه قول الشاعر^(٣) :

تَرَى النَّعْرَاتِ الزُّرُقَ فَوْقَ لَبَانِهِ فُرَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ

وكان يونسُ الجَرَمِيُّ^(٤) فيما ذكر عنه يقول : فُرَادٌ جمعُ فَرْدٍ . كما قيل :

٢٧٨/٧ تُوِّمَ وَتُوِّمَ . للجميع ، ومنه الْفُرَادَى / وَالرُّدَافَى وَالْقُرَانَى^(٥) ، ويقال : رجلٌ فَرْدٌ .

وامرأةٌ فَرْدٌ . إذا لم يكن لها أخٌ ، وقد فَرَدَ الرجلُ فهو يَفْرُدُ فُرُودًا ، يُرَادُ به

تَفَرَّدَ ، فهو فَارْدٌ .

(١) ديوانه ص ٧ .

(٢) قال الأصمعي : وجرة : فلاة بين مران وذات عرق وهي مجمع الوحش ، وهي قليلة الشرب للماء هناك . وموشى أكارعه : بيض وفي قوائمه نقط سود . وطاوى المصير : يريد ضامرا ، والمصير : المعنى وجمعه المصيران . وقوله : كسيف الصيقل الفرد . يريد : أنه يلوح كأنه سيف صقيل ، ويقال : فزد وفزد . قال : ولم أسمع فردا إلا في هذا البيت . ديوان النابغة .

(٣) هو تميم بن أبي بن مقبل . وتقدم في ٣٧١/٦ ، ٣٧٢ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحرمي » . وينظر ما تقدم في ٢٤٥/٨ .

(٥) في ص : « العوانى » بدون نقط ، وفي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الغوانى » ، وفي س : « العوافى » وفي ف : « العوايى » .

والقرانى يعنى المقترنين ، يقال : جاءوا قرانى . أى : مقترنين . والقرانى تشية الفرادى يقال : جاءوا قرانى وجاءوا فرادى . ينظر اللسان (ق ر ن) .

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: قال: أخبرني عمرو، أن ابن أبي هلال حدّثه، أنه سمع القرظي^(١) يقول: قرأت عائشة زوج النبي ﷺ قول الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ [٧٧٧/١] **أَوَّلَ مَرَّةٍ** . فقالت: واسوءتاه، إن الرجال والنساء يُحشرون جميعًا ينظر بعضهم إلى سوء بعض! فقال رسول الله ﷺ: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه، لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شغل بعضهم عن بعض»^(٢).

وأما قوله: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ . فإنه يقول: خلقتُم أيها القوم ما ملّكناكم^(٣) في الدنيا، مما كنتم تتباهون به فيها، خلقتكم في الدنيا، فلم تحملوه معكم. وهذا تغيير من الله جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التي كانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم.

وكل من ملّكته غيرك وأعطيتّه، فقد خوّلتّه، يقال منه: خال الرجل يخال أشدّ الخيال. بكسر الحاء، وهو خائل، ومنه قول أبي النّجم^(٤):

أَعْطَى فَلَمْ يَتَّخِلْ وَلَمْ يُبَخِّلْ

كُومَ الذُّرَا^(٥) مِنْ خَوَلِ الْمُخَوَّلِ

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان يُنشِدُ بيتَ زهير^(٦):

(١) في ص، م: «القرظي»، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج الآتية.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٩/٤ (٧٦٣٩) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو به، وأخرجه الحاكم ٥٦٥/٤ من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث به.

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «مكناكم».

(٤) ديوانه (مجموع) ص ١٧٥.

(٥) كوم جمع كوما: وهي الناقة العظيمة السنام طويلته. والذرا جمع ذروة: وهي أعلى كل شيء، وأراد السنام. ينظر اللسان (ك و م، ذ ر و).

(٦) ينظر شرح ديوان زهير ص ١١٢. وينظر ما سيأتى في تفسير الآية (٨) من سورة «الزمر».

هنالك إن يُسْتَحْوَلُوا الْمَالَ يُخْوَلُوا وإن يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإن يَيْسَرُوا يُغْلُوا^(١)
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدّي : ﴿ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ ﴾ : مِنَ الْمَالِ وَالْخَدَمِ . ﴿ وَرَأَى ظُهُورَكُمْ ﴾ فِي
الدُّنْيَا^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَاءُ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ الْأَنْدَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَا نَرَى مَعَكُمْ
شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، لَقِيلَهُ إِنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى
يَشْفَعَانِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَقِيلَ : إِنْ ذَلِكَ كَانَ قَوْلَ كَافَةِ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ .

(١) ورواية الديوان :

هنالك إن يُسْتَحْوَلُوا الْمَالَ يُخْبَلُوا ...

وييسروا : من الميسر ، يغلوا : يأخذون سمان الجزر لا ينحرون إلا غالية . ينظر شرح ديوان زهير ص ١١٢
وحاشيته .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٢، ٧٦٤٣) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٣ إلى أبي الشيخ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أُسْبَاطُ ، عَنْ ٢٧٩/٧
السَّدِيِّ : أَمَا قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾ .
فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْآلِهَةَ لِأَنَّهُمْ شُفَعَاءُ ، يَشْفَعُونَ لَهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ شُرَكَاءُ لِلَّهِ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ :
أَخْبَرَنِي الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ : سَوْفَ تَشْفَعُ لِي
اللَّاتُ وَالْعُزَّى . فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ شُرَكَاءُ ﴾ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِهِ الْأُنْدَادَ :
﴿ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . يَعْنِي تَوَاضَّلَهُمُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، ذَهَبَ ذَلِكَ
الْيَوْمَ ، فَلَا تَوَاضَّلَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَوَادًّا وَلَا تَنَاضُرًا ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَتَوَاضَّلُونَ
وَيَتَنَاضَرُونَ ، فَاضْمَحَلَّ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْآخِرَةِ ، فَلَا أَحَدَ مِنْهُمْ يَنْصُرُ صَاحِبَهُ ، وَلَا
يُؤَاضِلُهُ .

وَبَنَحَوْ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٥) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُفْضِلِ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٤) مِنْ طَرِيقِ حَجَّاجٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ

٣٢/٣ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ : الْبَيْتُ تَوَاضُلُهُمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . قَالَ : تَوَاضُلُهُمْ فِي الدُّنْيَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . قَالَ : وَضَلُّكُمْ .

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . قَالَ : مَا كَانَ بَيْنَكُمْ مِنَ الْوَضَلِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ يَعْنِي : الْأَرْحَامُ وَالْمَنَازِلُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ ^(٥) .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ : (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) : التَّوَاضُلُ

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٧) من طريق أبي حذيفة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/٢١٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٦) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

فى الدنيا .

واختَلَفَتِ القُرْأَةُ فى قولِه : ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ؛ فقَرَأَتْهُ عامَّةُ قُرْأَةِ أَهْلِ المَدِينَةِ نَصْبًا ^(١) ،
بمعنى : لقد تَقَطَّعَ ما بَيْنَكُمْ .

وقرَأَ ذلكَ عامَّةُ قُرْأَةِ مَكَّةَ والعِرَاقَيْنِ ^(٢) : (لقد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) رَفْعًا ^(٣) ، بمعنى :
لقد تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ .

والصَوَابُ مِنَ القَوْلِ عِنْدِي فى ذلكَ أن يُقَالَ : إنهما قراءتان مَشْهُورتان باتفاقِ
المعنى ، فبأَيْتِهما قرَأَ/ القارئُ فمُصِيبُ الصَوَابِ ، وذلكَ أن العربَ قد تَنَصَّبُ « بَيْنَ »
فى موضعِ الاسمِ ، ذُكِرَ سَمَاعًا منها : أَتَانِي ^(٤) نَحْوَكَ ودُونَكَ وسَوَاءَكَ . نَصْبًا فى
موضعِ الرَفْعِ ، وقد ذُكِرَ عنها سَمَاعًا الرَفْعُ فى « بَيْنَ » إذا كان [٧٧٧/١ ظ] الفَعْلُ لها ،
وَجُعِلَتْ اسْمًا ، وَيُنْشَدُ بَيْتُ مُهْلَهْلِ ^(٥) :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَئِرٍ بعيدٍ بَيْنُ جَالِيْهَا ^(٦) جُرُورٍ ^(٧)

برَفْعِ « بَيْنَ » إذ كانت اسْمًا ، غَيْرَ أن الأَغْلَبَ عَلَيْهِمُ فى كَلَامِهِمُ النَصْبُ فيها
فى حَالِ كَوْنِهَا صِفَةً ، وفى حَالِ كَوْنِهَا اسْمًا .

(١) هى قُرْأَةُ نافع وأبو جعفر المَدِينَانِ والكَسَائِي وَحَفْص . النشر ١٩٥/٢ .

(٢) فى ف، م : « العِرَاقَيْنِ » .

(٣) هى قُرْأَةُ ابنِ كَثِيرٍ وأبَى عمرو وابنِ عامرٍ وحمزة وأبى بكرٍ ويعقوبُ وخلفُ العَاشِرِ . ينظرُ النشر ١٩٥/٢ .

(٤) فى م : « إِيَّائِي » . وينظرُ معانى القرآن للفرَّاء ٣٤٥/١ .

(٥) هو مهلهل بن ربيعة ، والبيت فى أُمَالِي القَالِي ١٣٢/٢ ، والمحتسب لابن جنى ١٩٠/٢ .

(٦) الأَشْطَانُ : الحِجَالُ ، واحداها شَطْنٌ ، والبئرُ ههنا : الهَوَاءُ الذى من الجِالِ إلى الجِالِ . وجال البئرُ وجولها :
ناحيتها وما يحبس الماء منها . الأُمَالِي ١٣٢/٢ ، ١٣٣ .

(٧) الجُرُورُ من الآبَارِ : البعيدة القعر . وقال الأصمعى : بئرُ جرور ، وهى التى يستقى منها على بعير ، وإنما قيل
لها ذلكَ لأن دلوها تجر على شفيرها لبعدها قعرها . اللسان (ج ر ر) .

وأما قوله : ﴿ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ . فإنه يقول : وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم ، وأنه لكم شفيع عند ربكم ، فلا يشفع لكم اليوم .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ .

وهذا تنبيه من الله جل ثناؤه ، هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان ، على موضع حجته عليهم ، وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون ، من إشراك الأصنام في عبادتهم إياه ، يقول تعالى ذكره : إن الذي له العبادَةُ أيُّها الناس دون كلِّ ما تعبدون من الآلهة والأوثان ، هو الله الذي فلق الحب ، يعني : شق الحب من كلِّ ما ينبت من النبات ، فأخرج منه الزرع ، والنوى من كلِّ ما يُغرس مما له نواة ، فأخرج منه الشجر .

و « الحب » جمعُ الحَبَّة ، و « النوى » جمعُ النواة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ : أما ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ فقالُ الحب عن السنبلة ، وفالق النواة عن النخلة^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : يفلق الحب والنوى عن النبات^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢١٤/١ ، - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥١) - عن معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : الله فالق ذلك ، فلقيه فأنبئت منه ما أنبت ؛ فلَقَ النَّوَاةَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا نَبَاتَ نَخْلَةٍ ، وفَلَقَ الحبةَ فَأَخْرَجَ نباتَ الذي خلق .

٢٨١/٧

/وقال آخرون : معنى فالق : خالق .

ذكر مَنْ قال ذلك

حدَّثنا هناد بن السري ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : خالق الحب والنوى ^(١) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك مثله .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : خلَقَ ^(٢) الحب والنوى ^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه فلَقَ الشَّقَّ الذي في الحبة والنواة .

ذكر مَنْ قال ذلك

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : الشَّقَّان اللذان فيهما ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٢) من طريق مروان به .

(٢) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « خالق » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٠) عن محمد بن سعد به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٣) ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٣/٣٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا مَعْلَى بْنُ أَسَدٍ ، قال : ثنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك في قول الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : الشَّقُّ الذي يكون في النَّوَةِ وفي الحِنْطَةِ^(١) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . قال : الشَّقَّان اللذان فيهما .

حدَّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنى عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ . يقول : خالق الحب والنوى . يعنى : كل حبة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى ما قدّمنا القول به ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراج الحى من الميت ، والميت من الحى ، فكان معلوماً بذلك أنه إنما عنى بإخباره عن نفسه أنه فالق الحب عن النبات ، والنوى عن الغروس والأشجار ، كما هو مخرج الحى من الميت ، والميت من الحى .

وأما القول الذى حكى عن الضحاك فى معنى فالق أنه خالق ، فقول إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بقلقه إياه ، لا أعرف له وجهاً ؛ لأنه لا يُعرف فى كلام العرب : فلق الله الشئ . بمعنى : خلق .

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٩١ - تفسير) من طريق خالد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر .

القول في تأويل قوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۚ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : يُخْرِجُ السَّنْبِلَ الْحَيَّ مِنَ الْحَبِّ الْمَيِّتِ ، ومخرج الحب الميت من السنبل الحي ، والشجر الحي من النوى الميت ، والنوى الميت من الشجر الحي .
والشجر ما دام قائماً على أصوله لم يَجِفْ ، والنبات على ساقه لم يَبْس ، فإن العرب تسميه حياً ، فإذا يبس وجف أو قُطِع من أصله ، سمّوه ميتاً .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

٢٨٢/٧

/ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، ويخرج الحبة [٧٧٨/١] الميتة من السنبلة الحية ، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ، ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية ^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة ^(٢) .

وقال آخرون بما حدثني به المشني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَابِ

(١) ينظر التبيان ٢٠٩/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٢/٤ ، ١٣٥٣ (٧٦٥٩ ، ٧٦٦٤) من طريق وكيع به ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣ إلى عبد بن حميد . وأبى الشيخ .

وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴿٩٥﴾ . قال : يُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْحَيِّ ، ثم يُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ بَشَرًا حَيًّا ^(١) .

وإنما اخترنا التأويل الذي اخترنا في ذلك ؛ لأنه عَقِيبُ قَوْلِهِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ . على أن قوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ . وإن كان خبراً من الله عن إخراجِهِ مِنَ الْحَبِّ السَّنْبِلِ ، وَمِنَ السَّنْبِلِ الْحَبِّ ، فإنه داخلٌ في عمومِهِ ما رَوَى عن ابنِ عباسٍ في تأويلِ ذلك : وكلُّ مَيِّتٍ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ جَسَمٍ حَيٍّ ، وكلُّ حَيٍّ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ جَسَمٍ مَيِّتٍ .

وأما قوله : ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ . فإنه يقول : فاعلُ ذلك كله الله جلَّ جلالُهُ ، ﴿فَأَنِّي تُوفِّكُون﴾ . يقول : فَأَيُّ وجوهِ الصِدِّ عن الحقِّ أَثَمُ الجاهِلون تصدُّون عن الصوابِ وتُضَرِّفون ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ فتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِفَلَقِ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ، فَأَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ يَابِسِ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ زُرُوعًا وَحُرُوثًا وَثَمَارًا تَتَغَذَّونَ بَعْضُهُ ، وَتَفَكَّهُونَ بَعْضُهُ - شَرِيكَ فِي عِبَادَتِهِ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ؟

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ^(٢) اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ .

يعنى بقوله : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ : شاقُّ عمودِ الصبحِ عن ظلمةِ الليلِ وسواده .

والإصباحُ مصدرٌ من قولِ القائلِ : أَصْبَحْنَا إِصْبَاحًا .

وبنحوِ ما قلنا في ذلك قال عامةُ أهلِ التأويلِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٢/٤ (٧٦٥٨) من طريق آخر عن ابن عباس وعلق باقيه عقب الأثر (٧٦٦٢) .

(٢) في ص ، ف : « جاعل » . وهى قراءة كما سيأتى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا الْحَارِثِيُّ ، عَنْ جُويَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . قَالَ : إِضَاءَةُ الصَّبْحِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . قَالَ : إِضَاءَةُ الْفَجْرِ ^(١) .

/ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شُبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ ٢٨٣/٧ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . قَالَ : فَالِقُ الصَّبْحِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ : يَعْنِي بِالْإِصْبَاحِ ضَوْءَ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ ، وَضَوْءَ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، قَالَ : ثنا عَنَبَسَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . قَالَ : فَالِقُ الصُّبْحِ .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣ إلى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٤ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٣/٤ (٧٦٧٠) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٣ إلى ابن المنذر .

حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حَمِيدٍ مَرَّةً بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فَقَالَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَالِقُ
الْأَصْبَاحِ ﴾ . قَالَ : إِضَاءَةُ الصَّبْحِ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَالِقُ
الْأَصْبَاحِ ﴾ . قَالَ : فَلَقَ الْإِصْبَاحَ عَنِ اللَّيْلِ .

حُدِّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ : ثَنَا عُبَيْدُ بْنُ
سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . يَقُولُ : خَالِقُ
النُّورِ ؛ نُورِ النَّهَارِ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ خَالِقُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) . يَقُولُ : خَالِقُ^(٢)
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٣) .

وَذَكَرَ عَنِ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي قَوْلِهِ : (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) . بَفَتْحِ
الْأَلِفِ^(٤) ، كَأَنَّهُ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بِمَعْنَى جَمْعِ « صَبَحٍ » ، كَأَنَّهُ أَرَادَ صَبَحَ كُلِّ يَوْمٍ ، فَجَعَلَهُ
أَصْبَاحًا ، وَلَمْ يَتَلَعَّنَا عَنْ أَحَدٍ سِوَاهُ أَنَّهُ قَرَأَ كَذَلِكَ^(٥) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُعَاذٍ بِهِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرَجَاتِ
الْمَنْثُورِ ٣٣/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٢) فِي النُّسخِ : « خَلَقَ » . وَالمُثَبَّتُ كَمَا فِي مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ وَالبَحْرِ المَحِيطِ ١٨٥/٤ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٥٣/٤ ، ١٣٥٤ (٧٦٦٩ ، ٧٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

(٤) يَنْظُرُ مَخْتَصَرُ الشُّوَاذِ لِابْنِ خَالَوَيْهِ ص ٤٥ .

(٥) وَكَذَلِكَ قَرَأَ عِيسَى بْنُ عَمْرِو وَأَبُو رَجَاءٍ الْعَطَارْدِيُّ . يَنْظُرُ البَحْرُ المَحِيطُ ١٨٥/٤ .

والقراءة التي لا نَسْتَجِيزُ تَعْدِيَّهَا^(١) بكسر الألف ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ ؛ لإجماع الحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَأَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ وَرَفْضِ خِلَافِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ ؛ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قِرَاءَةِ أَهْلِ^(٢) الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةِ ، وَبَعْضُ الْبَصَرِيِّينَ : (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ) بِالْأَلْفِ عَلَى لَفْظِ الْأَسْمِ ، وَرَفَعَهُ عَطْفًا عَلَى (فَالِقِ) ، وَخَفَضَ (اللَّيْلَ)^(٣) بِإِضَافَةٍ (جَاعِلِ) إِلَيْهِ ، وَنَصَبَ (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) عَطْفًا عَلَى مَوْضِعِ (اللَّيْلِ) ؛ لِأَنَّ (اللَّيْلَ) وَإِنْ كَانَ مَخْفُوضًا فِي اللَّفْظِ ، فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ ؛ لِأَنَّهُ مَفْعُولُ (جَاعِلِ) ، وَحَسُنَ عَطْفُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى (اللَّيْلِ) لَا عَلَى لَفْظِهِ ؛ لَدُخُولِ قَوْلِهِ : ﴿سَكَنًا﴾ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ (اللَّيْلِ) ، قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) :

قُعُودًا لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابٌ^(٥) حَاجَةٌ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٌ بِكُرًا

فَنَصَبَ « الْحَاجَّةَ » الثَّانِيَةَ عَطْفًا بِهَا عَلَى مَعْنَى « الْحَاجَّةِ » الْأُولَى لَا عَلَى لَفْظِهَا ؛

لَأَنَّ مَعْنَاهَا النَّصْبُ ، وَإِنْ كَانَتْ / فِي اللَّفْظِ خَفْضًا ، وَقَدْ يَجِيءُ مِثْلُ هَذَا أَيْضًا ٢٨٤/٧ مَعْطُوفًا بِالثَّانِي عَلَى مَعْنَى الَّذِي قَبْلَهُ لَا عَلَى لَفْظِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ^(٦) :

(١) فِي م : « غَيْرَهَا » ، وَفِي ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « بَعْدَهَا » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) هِيَ قِرَاءَةُ نَافِعِ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنِ عَامِرٍ وَأَبِي جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبَ . النُّشْرُ ١٩٦/٢ .

(٤) تَقْدِمُ الْبَيْتَ فِي ٨٨/٢ مَنْسُوبًا إِلَى الْفَرَزْدَقِ ، وَنَسَبَ أَيْضًا إِلَى ذِي الرِّمَّةِ ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ١٨٧١/٣ .

(٥) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « طَالِبٌ » .

(٦) شَعْرُ نَصِيبِ بْنِ رَبَاحٍ ص ١٠٤ ، يَنْظُرُ مَصَادِرَهُ ص ١٨٨ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ أَيْضًا إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ

كَمَا فِي الْكِتَابِ لِسَيِّوِيهِ ١٧١/١ . وَالْبَيْتُ فِيهِ خَرَمٌ ، وَيَنْظُرُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ٣٤٦/١ .

بينا نحن ننظره أتانا مُعَلِّقَ شَكْوَةٍ وَزِنَادٍ رَاعٍ^(١)
 وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ ﴾ على
 « فَعَلَ » ، بمعنى الفعل الماضي ، ونصب ﴿ اللَّيْلَ ﴾^(٢) .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إنهما قراءتان مُستَفِيزتان
 [٧٧٨/١ ظ] في قراءة الأمصار ، مُتَّفِقَتَا المعنى ، غير مُخْتَلَفَتَيْهِ ، فبأَيْتَهُمَا قرأ القارئ
 فهو مُصِيبٌ في الإعراب والمعنى .

وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سَكَنًا ؛ لأنه يَسْكُنُ فيه كل متحرك بالنهار ،
 وَيَهْدَأُ فيه ، فَيَسْتَقِرُّ في مسكنه ومأواه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ .

قال أبو جعفر رحمه الله : اختلف أهل التأويل في ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى
 ذلك : وجعل الشمس والقمر يَجْرِيَانِ في أفلاكهما بحساب .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن
 علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ : يعني عدد
 الأيام والشهور والسنين^(٣) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن

(١) الشكوة : وعاء من آدم للماء واللبن ، والزناد : العود الذي يقدح به النار . تاج العروس (ز ن د ، ش ك و) .

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر . النشر ١٩٦/٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٧) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر
 المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر .

أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . قال : يَجْرِيَانِ إِلَى أَجَلٍ مُّجَعَلٍ لَّهُمَا ^(١) .

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . يقول : بحساب ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . قال : الشمس والقمر في حساب ، فإذا خَلَّتْ أيامهما ، فذاك آخر الدهر ، وأول الفزع الأكبر ، ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . قال : يدوران في حساب ^(٤) .

/ حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ٢٨٥/٧ مُجاهد : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . قال : هو مثلُ قوله : ﴿ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ [يس : ٤٠] . ومثلُ قوله : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ ^(١) [الرحمن : ٥] .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر ضياءً .

(١) ينظر التبيان ٢١١/٤ .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٥٣) من طريق أسباط به .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٥٢) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٤/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٨) عن الحسن بن يحيى

به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . أَي : ضِيَاءٌ ^(١) .

وَأُولَى الْقَوْلَيْنِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ تَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَهُ : وَجَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ وَعَدَدٍ لِبُلُوغِ أَمْرِهِمَا ، وَنَهَايَةِ آجَالِهِمَا ، وَيَدُورَانِ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ الَّتِي جُعِلَا لَهَا .

وَإِنَّمَا قُلْنَا : ذَلِكَ أُولَى التَّأْوِيلَيْنِ بِالْآيَةِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ذِكْرَ قَبْلِهِ أَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ ، وَعَظَمَ سُلْطَانَهُ ، بِفَلْقِهِ الْإِصْبَاحَ لَهُمْ ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَالْغِرَاسِ مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، وَعَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِهِ خَلْقَ النُّجُومِ لِهَدَايَتِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، فَكَانَ وَصْفُهُ إِجْرَاءَهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِمَنَافِعِهِمْ أَشْبَهَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ ذِكْرِ إِضَاءَتِهِمَا ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَ ذَلِكَ قَبْلُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . فَلَا مَعْنَى لَتَكَرِيرِهِ مَرَّةً أُخْرَى فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ لَغَيْرِ مَعْنَى .

وَالْحُسْبَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ جَمْعُ حِسَابٍ ، كَمَا الشُّهُبَانُ جَمْعُ شَهَابٍ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْحُسْبَانَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : حَسَبْتُ الْحِسَابَ ، أَحْسَبُهُ حِسَابًا وَحُسْبَانًا . وَحُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ : عَلَى اللَّهِ حُسْبَانُ فَلَانٍ وَحِسْبَتُهُ . أَي : حِسَابُهُ . وَأَحْسَبْتُ أَنْ قَتَادَةَ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِمَعْنَى الضِّيَاءِ ، ذَهَبَ إِلَى شَيْءٍ يُزَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [الكهف : ٤٠] . قَالَ : نَارًا . فَوَجَّهَ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ إِلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي شَيْءٍ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٥٥/٤ (٧٦٧٩) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ بِشِيرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ . وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣/٣٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَأَبِي الشَّيْخِ .

وأما الحِشْبَانُ بكسر الحاءِ فإنه جمعُ الحِشْبَانَةِ^(١) ، وهى الوِسَادَةُ الصَّغِيرَةُ ،
وليسَتْ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ أَيْضًا فى شَيْءٍ ، يُقَالُ : حَسَبْتُهُ . أَجْلَسْتُهُ عَلَيْهَا .

وَنُصِبَ قَوْلُهُ : ﴿ حُسْبَانًا ﴾ . بقوله : ﴿ وَجَعَلَ ﴾ .

وكان بعضُ البصريين^(٢) يقولُ : معناه ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ . أى :
بحسابٍ . فحذفَ الباءَ كما حذفها من قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ
سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١١٧] . أى : أعلمُ بمن يضلُّ عن سبيله .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : وهذا الفعلُ الذى وصفه أنه فعله ، وهو فلَّقه الإصباحَ
وجعلهُ الليلَ سكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً ، تقديرُ الذى عزَّ سلطانه ، فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ
أرادَه بسوءٍ وعقابٍ أو انتقامٍ ، من الامتناعِ منه ، العليمُ بمصالحِ خلقه وتديريهم ، لا
تقديرُ الأصنامِ والأوثانِ التى لا تَسْمَعُ ولا تُبْصِرُ ، ولا تَفْقَهُ شَيْئاً ولا تَعْقِلُهُ ، ولا تُضِرُّ
ولا تَنْفَعُ ، وإن أُريدَتِ بسوءٍ لم تَقْدِرْ على الامتناعِ منه ممَّن أرادها به . يقولُ جلَّ
ثناؤه : وأخلصوا أيها الجَهْلَةُ عبادتكم لفاعلِ هذه الأشياءِ ، ولا تُشْرِكُوا فى عبادته
شيئاً غيره .

/القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : واللَّهُ الذى جعلَ لكم أيُّها الناسُ النجومَ أدلةً فى البرِّ والبحرِ
إذا ضلَلْتُمُ الطريقَ ، أو تَحَيَّرْتُم فلم تَهْتَدُوا فيها ليلاً ، تَسْتَدِلُّونَ بها على المَحَجَّةِ ،
فَتَهْتَدُونَ بها إلى الطريقِ والمَحَجَّةِ ، فتسلكونه [٧٧٩/١] وتَنجُونَ بها من ظلماتِ

(١) الذى فى كتب اللغة أنه بضم الحاء لا بكسر الحاء .

(٢) هو الأخفش ، كما فى اللسان (ح س ب) .

ذلك ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَّمْتَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٦] . أى : من ضلال الطريق في البر والبحر . وعنى بالظلمات ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال ، وظلمة الأرض أو الماء .

وقوله : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . يقول : قد ميّزنا الأدلة ، وفرّقنا الحُجَجَ فيكم وبينها أيها الناس ؛ ليتدبرها أولو العلم بالله منكم ، ويفهمها أولو الحِجَا منكم ، فينبوا من جهلهم الذى هم عليه مُقيّمون ، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذى هم عليه ثابتون ، ولا يتمادوا "عناداً لله" ، مع علمهم بأن ما هم عليه مُقيّمون خطأً في غيهم^(٢) .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾ . قال : يضلُّ الرجل وهو في الظلمة ، والجور عن الطريق^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨) .

يقول تعالى ذكره : وإلهكم أيها العادلون بالله غيره ﴿ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴾ . يعنى : الذى ابتدأ خالقكم من غير شيء ، فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ . يعنى : من آدم عليه السلام .

(١ - ١) فى م : « فى عناد الله » ، وفى ف : « عباد الله » .

(٢) فى ت ١ ، ف : « غيرهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٥/٤ (٧٦٨١) عن محمد بن سعد به .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ . قال : آدم عليه السلام ^(١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ : من آدم عليه السلام ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون ؛

فقال بعضهم : معنى ذلك : / وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ، فمنكم مستقر في ٢٨٧/٧ الرحم ، ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنشر القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود : ٦] . قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ في الأرحام ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ حيث تموت ^(٣) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، أنه قال : المستودع حيث تموت ، والمستقر ما في الرحم .

حدثت عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : المستقر الرحم ، والمستودع المكان الذي تموت

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ (٧٦٨٢) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ عقب الأثر (٧٦٨٢) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٦/٤ (٧٦٨٥) ، والطبراني في الكبير (٩٠١٦) ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد به ، وأخرجه الحاكم ٣٤١/٢ من طريق إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن ابن مسعود ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٦ ، ٣٢١ إلى ابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والفريابي .

(١) فيه .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا محمد بن فضيل وعلي بن هاشم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ . قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ في الأرحام ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ في الأرض حيث تموت فيها .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مقسم ، قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ في الصُّلب حيث تأوى إليه ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ حيث تموت ^(٢) .

وقال آخرون : المستودع ما كان في أصلاب الآباء ، والمستقر ما كان في بطون النساء وبطون الأرض أو على ظهورها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال ، فإذا قرؤوا في أرحام النساء ، أو على ظهر الأرض ، أو في بطنها ، فقد استقرؤوا ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن علية ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبيرة : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال ، فإذا قرؤوا

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ عقب الأثر (٧٦٨٣) ، ٢٠٠٢/٦ معلقا بشطره الأول ، وأخرج باقية في ١٣٥٧/٤ (٧٦٩٤) ، ٢٠٠٣/٦ من طريق عبيد الله به .

(٢) سيأتي في ٣٢٥/١٢ من طريق آخر ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس بلفظ : ﴿ مستقرها ﴾ حيث تأوى ، و﴿ مستودعها ﴾ حيث تموت .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٧/٤ عقب الأثر (٧٦٩٣) معلقا بشطره الأول ، وأخرج باقية في ١٣٥٦/٤ (٧٦٩١) ، ٢٠٠٢/٦ ، ٢٠٠٣ من طريق ابن علية به .

فى أرجام النساءِ ، أو على ظهر الأرضِ ، فقد استقرُّوا .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبه ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ . قال : المُستودعُ فى الصُّلبِ ، والمُستقرُّ ما كان على وجهِ الأرضِ أو فى الأرضِ ^(١) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ﴿ فَسُتَقَرُّ ﴾ فى الأرضِ على ظهورِها ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ عندَ اللهِ .

ذكرُ مَنْ قال ذلك

/ حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانٍ ، عن المغيرة ، عن ٢٨٨/٧ أبى " الجبر بن " تميم بنِ حذلم ، عن سعيد بنِ جبيرة ، عن ابنِ عباسٍ : المُستقرُّ الأرضُ ، والمُستودعُ عندَ الرحمنِ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ الله ، عن إسرائيلَ ، عن ابنِ أبى نُجَيْحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المُستقرُّ الأرضُ ، والمُستودعُ عندَ ربِّك ^(٣) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقٍ ، قال : أخبرنا ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : قال عبدُ الله : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ فى الدنيا

(١) أخرجه الحاكم ١٦٠/٢ من طريق المغيرة بن النعمان به ، بمعنى الشطر الأول .

(٢ - ٢) فى ص : « الحر » . وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الخير » . والمثبت من المؤلف والمختلف للدارقطنى ٣٧٨/١ ، والإكمال ١٦/٢ ، وينظر الجرح والتعديل ٣٥٥/٩ ، وتصحيفات المحدثين ٧٤٨/٢ .

(٣) أخرج شطره الأول ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٦/٤ (٧٦٨٨) من طريق إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد .

﴿مُسْتَوْدَعَهَا﴾ في الآخرة . يعنى : ﴿فَسَتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن شُعْبَةَ ، عن أَبِي بَشِيرٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قال : الْمُسْتَوْدَعُ فِي الصُّلْبِ ، وَالْمُسْتَقَرُّ فِي الْآخِرَةِ ، وَعَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ^(٢) .

وقال آخرون : معنى ذلك : فَمُسْتَقَرُّ فِي الرَّحِمِ ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الصُّلْبِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا هنادٌ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله : ﴿فَسَتَقَرُّ﴾ [٧٧٩/١] وَمُسْتَوْدَعٌ . قال : مُسْتَقَرُّ فِي الرَّحِمِ ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي صُلْبٍ لَمْ يُخْلَقْ سِخْلَقُ^(٣) .

حدثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن يحيى الجابر^(٤) ، عن عكرمة : ﴿فَسَتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ . قال : الْمُسْتَقَرُّ الَّذِي قَدْ اسْتَقَرَّ فِي الرَّحِمِ ، وَالْمُسْتَوْدَعُ الَّذِي قَدْ اسْتَوْدِعَ فِي الصُّلْبِ^(٥) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٥/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ ، ١٣٥٧ ، (٧٦٨٤) ، (٧٦٩٥) ، ٢٠٠٢/٦ ، ٢٠٠٣ عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٣٦/٣ إلى أبي الشيخ . وقال ابن أبي حاتم : رواه الثقات عن إسماعيل بن أبي خالد عن النخعي عن ابن مسعود قال : مستقرها في الرحم . وهكذا أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٩٥ - تفسير) - ومن طريقه الطبراني (٩٠١٧) - عن ابن عينة به بلفظ : مستودعها في الدنيا ومستقرها في الرحم . وتقدم في ص ٤٣٣ ، وسيأتي في ٣٢٥/١٢ .

(٢) سيأتي تخريجه في الصفحة القادمة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ ، ١٣٥٧ ، (٧٦٨٣) ، (٧٦٩٢) ، ٢٠٠٢/٦ ، ٢٠٠٣ من طريق عكرمة به بنحوه .

(٤) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « الجابري » .

(٥) ينظر : التبيان ٢١٤/٤ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن مغيرةَ ، عن أبي الجبر بنِ تميمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : سَلْ . فقلتُ : مستَقَرٌّ ومستودعٌ ؟ قال : المستَقَرُّ في الرحمِ ، والمستودعُ ما استودِعَ في الصلبِ .

حدَّثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن قابُوسَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ فَسَتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستَقَرُّ الرحمُ ، والمستودعُ ما كان عندَ ربِّ العالمينَ ، مما هو خالقه ولم يُخلَقْ .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا أبو بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ . قال : المستَقَرُّ ما كان في الرحمِ مما هو حيٌّ ، ومما قد مات ، والمستودعُ ما في الصلبِ ^(٢) .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا أبو بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، قال : قال لى ابنُ عباسٍ ، وذلك قبلَ أن يَخْرُجَ وجهي ^(٣) : أَتَزَوَّجَتْ يا بنَ جبيرةٍ ؟ قال : قلتُ : لا ، وما أريدُ ذاكَ يومى هذا . قال : فقال : أما إنه مع ذلك سيَخْرُجُ ما كان في صلبِكَ مِنَ المستودعينِ ^(٤) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبَةُ ، عن أبي بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، / قال : قال لى ابنُ عباسٍ : تَزَوَّجَتْ ؟ قلتُ : لا . قال : فضربَ ظهرى ، وقال : ما كان مِنَ مُسْتَوْدَعٍ في ظهركَ سيَخْرُجُ .

(١ - ١) فى النسخ : « الخير » . وينظر ص ٤٣٥ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٩٢ - تفسير) ، والحاكم ٣١٦/٢ من طريق هشيم به .

(٣) قال الشيخ شاكر : يعنى : قبل أن تثبت لحيته ، وهذا تعبير عزيز لا تجد تفسيره فى كتب اللغة والمجاز .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٢٥٨١) عن هشيم به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٩٥) ،

(٨٩٣ - تفسير) من طريق أبى بشر به بنحوه .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ في الأرحام ، والمستودع في الصلب ، لم يُخلَق وهو خالقه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ في الرحم ، والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب^(١) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جريز ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المستقرُّ ما استقرَّ في الرحم ، والمستودع ما استودع في الصلب .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جريز ، عن مغيرة ، عن أبي الجبر بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

حدَّثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة بن حميد ، عن عمار الدُهني^(٢) ، عن رجل ، عن كريب ، قال : دعاني ابن عباس ، فقال : اكْتُبْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، إِلَى فُلَانٍ حَبْرٍ ثِيْمَاءَ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ . قال : فقلتُ : تَبْدُوهُ تقولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ ؟ فقال : إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ . ثم قال : اكْتُبْ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَحدَّثني عن مستقرٍّ ومستودع . قال : ثم بعثني بالكتاب إلى اليهودي ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ : مَرْحَبًا بِكِتَابِ خَلِيلِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَذَهَبَ بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَفَتَحَ أَسْفَاطًا^(٣) لَهُ كَبِيرَةً ، فَجَعَلَ يَطْرَحُ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، قَالَ : قُلْتُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : هَذِهِ أَشْيَاءُ كَتَبَهَا الْيَهُودُ . حَتَّى أَخْرَجَ سِفْرَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٧/٤ (٧٦٩٣) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) في ص : « الزهني » وفي ت ١ ، ف : « الذهني » . وينظر تهذيب الكمال ٢١/٢٠٨ .

(٣) الأسفاط جمع سبط ، بفتحين . الذي يُعْبَى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . تاج العروس

(س ف ط) .

موسى عليه السلام ، قال : فنظر إليه مرتين ، فقال : المستقرُّ الرحم . قال : ثم قرأ : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ [الحج : ٥] . وقرأ : ﴿ وَلَكُم فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ ﴾ [البقرة : ٣٦] . قال : مستقرُّه فوق الأرض ، ومستقرُّه في الرحم ، ومستقرُّه تحت الأرض ، حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار^(١) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ ما استقرَّ في أرحام النساء ، والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : المستقرُّ الرحم ، والمستودع في أصلاب الرجال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، وعن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : المستقرُّ الرحم ، والمستودع في الأصلاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَسْتَقَرُّ ﴾ : ما استقرَّ في أرحام النساء ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ : ما كان في أصلاب الرجال^(٣) .

/حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن ٢٩٠/٧ مجاهد بنحوه .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٩٨ - تفسير) عن عبيدة به - واسم الرجل عنده : حماد المديني - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٦١/٣ (٤١٥٧) من طريق عمار ، مختصرا - واسم الرجل عنده : حميد .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ ، ١٣٥٧ عقب الأثر (٧٦٨٣ ، ٧٦٩٣) ، ٢٠٠٢/٦ معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وابنُ وَكِيعٍ ، قالَا : ثنا جريزٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقرُّ ما استقرَّ في الرحمِ ، والمستودعُ ما استودِعَ في الصلبِ .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانٍ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقرُّ الرحمُ ، والمستودعُ الصلبُ .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، قال : أتينا إبراهيمَ عندَ المساءِ ، فأخبرونا أنه قد مات ، فقلنا : هل سأله أحدٌ عن شيءٍ ؟ قالوا : عبدُ الرحمنِ ابنُ الأسودِ ، عن [٧٨٠/١] المستقرُّ والمستودعُ . فقال : المستقرُّ في الرحمِ ، والمستودعُ في الصلبِ .

حدَّثنا حميدُ بنُ مسعدةٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا ابنُ عَوْنٍ ، قال : أتينا إبراهيمَ وقد مات ، قال : فحدَّثني بعضهم أن عبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ سأله قبلَ أن يموتَ عن المستقرِّ والمستودعِ ، فقال : المستقرُّ في الرحمِ ، والمستودعُ في الصلبِ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةٍ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، قال : أتينا منزلَ إبراهيمَ ، فسألنا عنه ، فقالوا : قد تُوفِّي ، وسأله عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ . فذكر نحوه .

حدَّثني به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةٍ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، أنه بلغه أن عبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ سأل إبراهيمَ عن ذلك . فذكر نحوه .

حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الفَرَيَّابِيُّ ، قال : ثنا ضَمْرَةُ بنُ ربيعةٍ ، عن العلاءِ بنِ هارونَ ، قال : انتهيتُ إلى منزلِ إبراهيمَ حينَ قبُضَ ، فقلتُ لهم : هل سأله أحدٌ عن شيءٍ ؟ قالوا : سأله عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ عن مستقرِّ ومستودعٍ ، فقال : أمَّا المستقرُّ فما استقرَّ في أرحامِ النساءِ ، والمستودعُ ما في أصلابِ الرجالِ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وأبو السائب ، قالَا : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ
فى : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ الرحمُ ، والمستودعُ الصلبُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : ثنى سفيانُ ، عن رجلٍ حدَّثه عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال :
قال لى ابنُ عباسٍ : ألا تنكِحُ ؟ ثم قال : أما إنى أقولُ لك هذا ، وإنى لأعلمُ أن اللهَ
مُخْرِجٌ مِنْ صَليكَ ما كان فيه ^(١) « من مُسْتَوْدَعٍ » .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السدِّى ، قال : المستقرُّ فى الرحمِ ، والمستودعُ فى الصلبِ ^(٢) .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعَاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ ، عن ابنِ
عباسٍ : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقرُّ فى الرحمِ ، ومستودعُ فى
الصلبِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ :
﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقرُّ فى الرحمِ ، ومستودعُ فى الصلبِ ^(٣) .

/ حَدَّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعَاذٍ يقولُ : ثنا عُبيدُ بنُ
سليمانَ ، عن الضحاكِ : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ : أمَّا مستقرُّ ، فما استقرَّ فى الرحمِ ،
وأما مستودعُ ، فما استودِعَ فى الصلبِ ^(٤) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ : « مستودعا » وفى ت ٢ ، س ، ف : « مستودع » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤ / ١٣٥٥ ، ١٣٥٧ عقب الأثرين (٧٦٨٣ ، ٧٦٩٣) ، ٢٠٠٢ / ٦ ، ٢٠٠٣ من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١ / ٢١٤ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤ / ١٣٥٥ ، ١٣٥٧ عقب الأثرين (٧٦٨٣ ، ٧٦٩٣) ، ٢٠٠٢ / ٦ ، ٢٠٠٣ معلقا .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقرٌّ في الأرحامِ ، ومستودعٌ في الأصلابِ ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِثْهَالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، وأبى حمزةَ ، عن إبراهيمَ ، قالَا : مستقرٌّ ومستودعٌ ؛ المستقرُّ في الرحمِ ، والمستودعُ في الصلبِ .

وقال آخرون : المستقرُّ في القبرِ ، والمستودعُ في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : مستقرٌّ في القبرِ ، ومستودعٌ في الدنيا ، وأوشك أن يلحقَ بصاحبه ^(٢) .

وأولى التأويلاتِ في ذلك بالصوابِ أن يقال : إن اللهَ جلَّ ثناؤه عمٌّ بقوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . كلُّ خلقه الذي أنشأ من نفسٍ واحدةٍ مستقرًّا ومستودعًا ، ولم يخصَّ من ذلك معنًى دون معنًى ، ولا شكَّ أن من بنى آدمَ مستقرًّا في الرحمِ ، ومستودعًا في الصلبِ ، ومنهم من هو مستقرٌّ على ظهرِ الأرضِ أو بطنِها ، ومستودعٌ في أصلابِ الرجالِ ، ومنهم مستقرٌّ في القبرِ ، ومستودعٌ على ظهرِ الأرضِ ، فكلُّ مستقرٍّ أو مستودعٍ بمعنًى من هذه المعاني ، فداخلٌ في عمومِ قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . ومرادٌ به ، إلا أن يأتي خبرٌ يجبُ التسليمُ له بأنه معنًى به معنًى دون معنًى ، وخاصٌّ دونَ عامٍّ .

(١) ينظر التبيان ٤/ ٢١٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ (٧٦٨٩ ، ٧٦٩٦) من طريق منصور عن الحسن بمعناه . وذكره البغوي في تفسيره ٣/ ١٧٢ عن الحسن بلفظه .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ؛ فقرأت ذلك عامة قراءة أهل المدينة والكوفة : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ^(١) بمعنى : فمنهم من استقره الله في مقره ^(٢) فهو مستقر ، ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه فهو مستودع فيه .
وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة : (فمستقر) بكسر القاف ^(٣) ، بمعنى : فمنهم من استقر في مقره ، فهو مستقر فيه ^(٤) .

وأولى القراءتين بالصواب عندى - وإن كان لِكِلَيْهِمَا عندى وجهٌ صحيحٌ - ﴿ فَسْتَقَرُّ ﴾ بمعنى : استقره الله في مستقره ؛ ليأْتِلَفَ المعنى فيه وفى « المستودع » ، فى أن كل واحدٍ منهما لم يُسمَّ فاعله ، وفى إضافة الخبر بذلك إلى الله فى أنه المستقر هذا والمستودع هذا . وذلك أن الجميع مُجمِعون على قراءة قوله : ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ .
بفتح الدال على وجه ما لم يُسمَّ فاعله ، فإجراء الأول - أعنى قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ ﴾ - عليه ، أشبه من عُذُوله عنه .

وأما قوله : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ . يقول تعالى : قد بينا [٧٨٠/١] الحجج ، وميَّزنا الأدلة والأعلام ، وأحكمتها لقوم يفقهون مواقع الحجج ، ومواضع العبر ، ويفهمون الآيات والذكر ، فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائى من نفس واحدة ما عاينوا من البشر ، وخلقى ما خلقت منها ، من عجائب الألوان والصور - علموا أن ذلك ^(٥) من فعل من ليس ^(٥) له مثل ولا شريك ، فيُشْرِكوه فى عبادتهم إياه .

(١) وهى قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبى جعفر وخلف ورويس . النشر ١٩٦/٢ .

(٢) فى ت ١ ، س ، ف : « مقبره » .

(٣) وهى قراءة : ابن كثير وأبى عمرو وروح . النشر ١٩٦/٢ .

(٤) فى م : « به » .

(٥ - ٥) فى ص ، ف : « ليس من فعل من » .

٢٩٢/٧

/ كما حَدَّثَنَا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادة : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ . يقول : قد بيَّنا الآياتِ لقومٍ يَفْقَهُونَ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : واللَّهُ الَّذِي له العبادَةُ خالصةٌ ، لا شريك ^(٢) فيها لشيءٍ سواه ، هو الإلهُ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فَأَخْرَجْنَا بالماءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ غِذَاءٍ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ وَأَقْوَاتِهِمْ ، مَا يَتَغَذَّوْنَ به وَيَأْكُلُونَهُ ، فَيَنْبُتُونَ عليه وَيَنْمُونَ . وإنما معنى قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : فَأَخْرَجْنَا به ما يَنْبُتُ به كُلُّ شَيْءٍ وَيَنْمُو عليه وَيَصْلُحُ .

ولو قيل معناه : فَأَخْرَجْنَا به نَبَاتَ جميعِ أنواعِ النباتِ . فيكونُ ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ هو أصنافِ النباتِ . كان مذهبنا ، وإن كان الوجهُ الصحيحُ هو القولُ الأولُ .

وقوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ . يقول : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ . يعنى : مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ، ﴿ خَضِرًا ﴾ رَطْبًا مِنَ الزَّرْعِ .

والخَضِرُ هو الأخضرُ ، كقولِ العربِ : أَرْنِيهَا نَمْرَةً أَرَكُهَا مَطَرَةً ^(٣) . يقالُ : خَضِرَتِ الْأَرْضُ خَضِرًا وَخَضَارَةً . والخَضِرُ رَطْبُ الْبُقُولِ ، ويقالُ : نخلةٌ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٨/٤ (٧٦٩٩) من طريق يزيد به .

(٢) في م : « شركة » .

(٣) مثل ، نسبة صاحب اللسان في (ن م ر) إلى أبي ذؤيب ولم ينسبه في (خ ض ر) ، ولا الميداني في مجمع الأمثال ٣٧/٢ . والنمرة : السحاب على لون النمر . يُضْرَبُ مثلاً أنك إذا رأيت دليل الشيء علمت ما يتبعه .

خَضِيرَةٌ^(١) . إذا كانت تَرْمِي بِشَرِّهَا أَخْضَرَ قَبْلَ أَنْ يَنْضَجَ . وقد اخْتُضِرَ الرجلُ
واغْتُضِرَ : إذا مات شابًا مُصَحَّحًا . ويقالُ : هلك خَضِرًا مَضِرًا . أى : هنيئًا مَرِيئًا .
قوله : ﴿ تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ . يقولُ : نُخْرِجُ مِنَ الْخَضِرِ حَبًّا .
يعنى : ما فى السُّنْبُلِ ؛ سُنْبُلِ الحِنْطَةِ والشَّعِيرِ والأُرْزِ ، وما أَشْبَهَ ذلكَ مِنَ السَّنَابِلِ التى
حَبُّهَا يَزْكَبُ بعضُهُ بعضًا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
السدىِّ قوله : ﴿ مِنْهُ خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ : فهذا السُّنْبُلُ^(٢) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانُهُ^(٣) دَانِيَةٌ . ولذلك رُفِعَتْ
القِنْوَانُ .

والقِنْوَانُ جمعُ قِنْوٍ ، كما الصَّنَوَانُ جمعُ صِنْوٍ ، وهو العِذْقُ^(٤) . يقالُ للواحدِ :

هُوَ قِنْوٌ وَقِنْوٌ وَقِنًا ، يُثْنَى قِنْوَانٍ ، وَيُجْمَعُ قِنْوَانٌ / وَقِنْوَانٌ . قالوا : فى جمعِ قليله : ثلاثة ٢٩٣/٧
أَقْنَاءٍ . والقِنْوَانُ من لغةِ الحجازِ . والقِنْوَانُ من لغةِ قيسٍ . وقال امرؤ القيسِ^(٥) :

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « خضرة » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٨/٤ (٧٧٠٣) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطى فى
الدر المنثور ٣/٣٦ إلى أبى الشيخ .

(٣) فى النسخ : « قنوان » . والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/٣٤٧ .

(٤) العِذْق : هو بمنزلة العنقود من الكرم . المخصص ١١/١٠٧ .

(٥) ديوانه ص ٥٧ ، وروايته :

فَأَثَّ^(١) أَعَالِيَهُ وَآدَتْ أُصُولُهُ^(٢) وَمَالَ بِقِنُوانٍ مِنَ الْبُشْرِ أَحْمَرًا
وَقُنْيَانٍ ، جَمِيعًا .

وَقَالَ آخَرُ^(٣) :

لَهَا ذَنْبٌ كَالْقِنُورِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِ وَأَسْمَحَ^(٤) لِلتَّخْطَارِ^(٥) بَعْدَ التَّشْدِيرِ
وَتَمِيمٌ تَقُولُ : قُنْيَانٌ . بِالْيَاءِ .

ويعنى بقوله : ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ . قَرِيْبَةٌ مُتَهَدِّلَةٌ .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنى معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ قِنُوانٌ دَانِيَةٌ ﴾ : يعنى بِالْقِنُوانِ الدَانِيَةِ : قِصارُ
النَّخْلِ ، لاصِقَةٌ عُذُوقُهَا^(٦) بِالْأَرْضِ^(٧) .

= سَوامِقُ جَبَّارٍ أَثِيثٌ فروعُه وَعَالِيْنَ قِنُوانًا مِنَ الْبُشْرِ أَحْمَرًا

وَأورده في اللسان (أى د) كما ذكره المصنف ، وفيه : بقنيان ، كالرواية الأخرى .

(١) أَثَّ النبات يَثُّ أَثًّا : كَثُرَ وَالتَّفُّ ، وَهُوَ أَثِيثٌ ، وَيُوصَفُ بِهِ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ ، وَالنَّبَاتُ الْمَلْتَفُ . اللسان (أ ث ث) .

(٢) آدَتْ أُصُولُهُ : قَوِيَتْ . اللسان (أى د) .

(٣) النَوادر لأبى زَيْد ص ١٨٢ ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ ، وَقَالَ : التَّشْدِيرُ إِذَا لَقِحتِ النَّاقَةُ عَقْدَتِ ذَنْبَهَا وَنَصَبَتْهُ عَلَى عَجْزِهَا
مِنَ التَّخِيلِ ، فَذَلِكَ التَّشْدِيرُ ، وَالْمَذَلُّ أَلَّا تَحْرُكَ ذَنْبَهَا .

(٤) فِي النسخ : « أَسْحَم » . وَالْمُثَبَّتُ مِنَ النَوادر ، وَأَسْمَحَتْ الدَابَّةُ بَعْدَ اسْتِصْعَابٍ : لَانَتْ وَانْقَادَتْ . اللسان

(س م ح) .

(٥) خَطَرُ الْفَحْلِ بِذَنْبِهِ : رَفَعَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَضَرَبَ بِهِ حَازِيَهُ ، وَهُمَا مَا ظَهَرَ مِنْ فِخْذِيهِ حَيْثُ يَقَعُ شَعْرُ

الذَنْبِ ، وَقِيلَ : ضَرَبَ يَمِينًا وَشِمَالًا . اللسان (خ ط ر) .

(٦) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « عَرُوقُهَا » .

(٧) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بِالنَّخْلِ » .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ مِنْ طَلَعَهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قَالَ عُذُوقٌ مُتَهَدِّلَةٌ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . يَقُولُ : مُتَهَدِّلَةٌ ^(١) .

حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قَالَ : قَرِيبَةٌ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ : ﴿ قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قَالَ : قَرِيبَةٌ ^(٣) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ ٢٩٤/٧ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَمَنْ أَلْخَلَ مِنْ طَلَعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قَالَ : الدَانِيَةُ لَتَهْدُلِ الْعُذُوقِ ^(٤) مِنَ الطَّلَعِ ^(٥) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عُبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ أَلْخَلَ مِنْ طَلَعِهَا قِنَوَانٌ ﴾

= والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧٠٥) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٦ إلى ابن المنذر .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٥ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧١٢) - عن معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) تفسير سفيان ص ١٠٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧٠٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٦ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٥ .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « العروق » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧١١) عن محمد بن سعد به .

دَانِيَةً ﴿١﴾ : يعنى النخل القصار الملتزقة بالأرض ، والقنوان طَلْعُهُ ^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وأخرجنا أيضا جناتٍ منْ أعنابٍ . يعنى : بساتين منْ أعنابٍ .

واختلفت القراءة فى قراءة ذلك ؛ فقرأه عامة القراءة : [٧٨١/١] ﴿ وَجَنَّتٍ ﴾ . نصبًا ، غير أن التاء كُسِرَتْ لأنها تاء جمع المؤنث ، وهى تُخَفَضُ فى موضع النصب .

وقد حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، عن الكسائي ، قال : أخبرنا حمزة ، عن الأعمش أنه قرأ : (وجناتٍ منْ أعنابٍ) بالرفع ^(٢) .

فرفع (جناتٍ) على إتياعها القنوان فى الإعراب وإن لم تكن من جنسها ، كما قال الشاعر ^(٣) :

ورأيت زوجك فى الوغى مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمحًا
والقراءة التى لا أستجيز أن يُقرأ ذلك إلا بها ، النصب : ﴿ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ . لإجماع الحجة من القراءة على تصويبها والقراءة بها ، ورفضهم ما

(١) أخرج شطره الأول أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٨/٤ (٧٧٠٤) من طريق أبى معاذ به . وأخرج آخره فى ٤/

١٣٥٩ (٧٧٠٨) من طريق على بن الحكم ، عن الضحاك .

(٢) وقرأ بها أيضا محمد بن أبى ليلى والأعمش وأبو بكر فى رواية عنه عن عاصم ، وهى شاذة . البحر المحيط

١٩٠/٤ .

(٣) تقدم تخريجه فى ١/١٤٠ .

عداها ، وبُعْدٍ معنى ذلك من الصواب إذا قُرِئَ رَفْعًا^(١) .

وقوله : ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ﴾ . عطفٌ بالزيتون على الجنات ، بمعنى : وأخرجنا الزيتون والرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وغير مُتَشَابِهٍ .

وكان قتادة يقولُ في معنى : ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ ما حدثنا بشر بن مُعَاذٍ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ . قال^(٢) : مُشْتَبِهًا وَرَقُّهُ ، مُخْتَلِفًا ثَمَرُهُ^(٣) .

وجائز أن يكون مرادًا به : مُشْتَبِهًا في الخلق ، مُخْتَلِفًا في الطعم .

ومعنى الكلام : وشجر الزيتون والرُّمَّان . فاكْتَفَى مِنْ ذِكْرِ الشَّجَرِ بِذِكْرِ ثَمَرِهِ ، كما قيل : ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] . فاكْتَفَى بِذِكْرِ الْقَرْيَةِ مِنْ ذِكْرِ أَهْلِهَا ؛ لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ .

اختلفت القراءةُ في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامةُ قُرْأَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وبعضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ﴾ . بفتحِ الثاءِ والميمِ^(٤) .

وقرأه بعضُ قُرْأَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وعامةُ قُرْأَةِ الْكُوفِيِّينَ : (إلى ثَمَرِهِ) بضمِّ الثاءِ والميمِ^(٥) .

(١) قال أبو حيان في البحر المحیط ٤/ ١٩٠ : ولا يجوز إنكار هذه القراءة ولها التوجيه الجيد في العربية . ثم ذكر توجيههم لقراءة الرفع . وينظر تفسير القرطبي ٧/ ٤٩ ، وينظر أيضا كلام المصنف على الآية ٢٢ من سورة الواقعة في موضعه من التفسير .

(٢) في ص : « يقول » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٥٩ (٧٧١٣) من طريق خالد بن قيس ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر ، السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٤ .

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي . المصدر السابق .

فَكَانَ مَنْ فَتَحَ الثَّاءَ وَالْمِيمَ مِنْ ذَلِكَ وَجَّهَ مَعْنَى الْكَلَامِ : انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِ^(١) هَذِهِ
الْأَشْجَارِ الَّتِي سَمَّيْنَا مِنَ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ إِذَا أَثْمَرَ ، وَأَنَّ الثَّمَرَ^(٢)
جَمْعُ ثَمَرَةٍ ، كَمَا الْقَصَبُ جَمْعُ قَصَبَةٍ ، وَالخَشَبُ جَمْعُ خَشَبَةٍ .

وَكَانَ مَنْ ضَمَّ الثَّاءَ وَالْمِيمَ وَجَّهَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ جَمْعُ ثَمَارٍ ، كَمَا^(٣) الْحُمُرُ جَمْعُ
حِمَارٍ^(٤) ، وَالْجُرُبُ جَمْعُ جِرَابٍ .

٢٩٥/٧ / وَقَدْ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَادٍ ،
عَنْ ابْنِ إِدْرِيسَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : (إِلَى ثَمَرِهِ) .
يَقُولُ : هُوَ أَصْنَافُ الْمَالِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ
عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : الثَّمَرُ هُوَ الْمَالُ ، وَالثَّمَرُ ثَمَرُ النَّخْلِ .

وَأُولَى الْقَرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ^(٥) قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : (انْظُرُوا إِلَى
ثَمَرِهِ) . بَضَمِ الثَّاءِ وَالْمِيمِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَصَفَ أَصْنَافًا مِنَ الْمَالِ ، كَمَا قَالَ
يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ ، وَكَذَلِكَ حَبُّ الزَّرْعِ الْمُتْرَاكِبُ ، وَقِنَوَانُ النَّخْلِ الدَّانِيَّةُ ، وَالْجَنَاتُ
مِنَ الْأَعْنَابِ ، وَالزَّيْتُونُ وَالرُّمَّانُ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَنْوَاعًا مِنَ الثَّمَرِ ، فَجُمِعَتِ الثَّمَرَةُ ثَمَرًا ،
ثُمَّ جُمِعَ الثَّمَرُ ثَمَارًا ، ثُمَّ جُمِعَ ذَلِكَ فَقِيلَ : (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ) . فَكَانَ ذَلِكَ جَمْعَ
الثَّمَارِ ، وَالثَّمَارُ جَمْعُ الثَّمَرَةِ ، وَإِثْمَارُهُ عَقْدُ الثَّمَرِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَيَنْعَمَ ﴾ . فَإِنَّهُ نُضِجُهُ وَبَلُوغُهُ حِينَ يَبْلُغُ .

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ^(٥) يَقُولُ فِي :

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « ثَمَرَةٌ » .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « الثَّمَرَةُ » .

(٣ - ٣) فِي ف : « الْحُمُرُ جَمْعُ حِمَارٍ » .

(٤) الْقَرَاءَتَانِ كِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(٥) هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ١ / ٢٠٢ .

﴿ يَنْعَهُ ﴾ . إذا فُتِحَتْ يَأْؤُهُ : هو جمعُ يانع ، كما التَّجَرُّ جمعُ تاجرٍ ، والصَّحْبُ جمعُ صاحبٍ .

وكان بعضُ أهلِ الكوفةِ يُنَكِّرُ ذلك ، ويرى أنه مصدرٌ من قولهم : يَنعُ الثمرُ فهو يَنْعُ يَنْعًا . ويَحْكِي في مصدره عن العربِ لغاتٍ ثلاثًا ؛ يَنْعُ ، وَيَنْعُ ، وَيَنْعُ^(١) ، وكذلك في النَّضِجِ : النَّضِجُ والنَّضِجُ .

وأما في قراءة مَنْ قرأ ذلك : (ويانعه)^(٢) . فإنه يعنى به : وناضجه وبالغه .

وقد يجوزُ في مصدره : يُنوعًا ، ومسموعٌ من العربِ : أَيْنَعَتِ الثمرةُ تُنَعُّ إيناعًا . ومن لغةِ الذين قالوا : يَنْعُ . قولُ الشاعرِ^(٣) :

فِي قِبَابٍ عِنْدَ دَسْكَرَةٍ^(٤) حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا
وَبَنَحُوا الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيَنْعَهُ ﴾ . يعنى : إذا نَضِجَ^(٥) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن

(١) في م : « ينوع » .

(٢) وهى قراءة ابن السَّمِيقِ وابنِ أبى عُبَلَةَ . تفسير القرطبي ٥٠/٧ ، والبحر المحيط ٤/ ١٩١ . واختلف في قراءة ابن محيصة فقليل كما هنا ، وقيل : بضم الياء وسكون النون . ينظر مختصر ابن خالويه ص ٤٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٢٩ ، والقراءة شاذة .

(٣) اختلف في نسبة البيت فقليل : ليزيد بن معاوية ، وقيل : لأبي دهب . وقيل : للأحوص ، وقيل غير ذلك . ينظر الكامل ٣٨٤/١ ، واللسان (د س ك ر ، ي ن ع) ، والخزانة ٣١٢/٧ ، وديوان الأحوص ص ٢٢٢ وحاشيته .

(٤) الدسكرة : بناء كالقصر ، حوله بيوت للأعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهى . اللسان (د س ك ر) .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٦ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ ، وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٦٠ عقب الأثر (٧٧١٥) معلقا .

أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ . قال : يَنْعِهِ نُضِجُهُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ أى : نُضِجُهُ .

٢٩٦/٧ / حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ . قال : نُضِجُهُ ^(١) .

حدَّثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ . يقول : ونُضِجُهُ ^(٢) .

حدَّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاوية ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ . قال : يعنى : نُضِجُهُ ^(٣) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ . قال : نُضِجُهُ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

يقول [٧٨١/١ ظ] تعالى ذكره : إن فى إنزال الله تعالى من السماء الماء الذى أخرج به نبات كل شىء ، والخضر الذى أخرج منه الحب المتراكب ، وسائر ما عُدَّ فى هذه الآية من صنوف خلقه ، ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ . يقول : فى ذلكم أيها الناس ، إذا أنتم

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٥/١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ عقب الأثر (٧٧١٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ عقب الأثر (٧٧١٥) معلقا .

نَظَرْتُمْ إِلَى ثَمَرِهِ عِنْدَ عَقْدِ ثَمَرِهِ^(١) ، وَعِنْدَ يَنْعِهِ وَانْتِهَائِهِ ، فَرَأَيْتُمْ اخْتِلَافَ أَحْوَالِهِ ، وَتَصَرُّفَهُ فِي زِيَادَتِهِ وَنَمُوِّهِ ، عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهُ مَدْبُرًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ ، دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، وَكَانَ فِيهِ حُجَجٌ وَبُرْهَانٌ وَبَيَانٌ ، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .
يَقُولُ : لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بَوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ .

وخصَّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يُؤْمِنُونَ ؛ لأنهم هم المنتفعون بحُجَجِ اللَّهِ وَالْمُعْتَبِرُونَ بِهَا ، دُونَ مَنْ قَدْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، فَلَا يَعْرِفُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ ، وَلَا يَتَّبِعُنِ هُدًى مِنْ ضَلَالَةٍ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وجعل هؤلاء العادلون برَّبِّهِمُ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ . كما قال جل ثناؤه : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا﴾ [الصافات : ١٥٨] .

وفى ﴿الْجِنَّ﴾ وجهان مِنَ النصبِ ؛ أحدهما : أن يكون تفسيرًا للشركاء^(٢) . والآخر : أن يكون معنى الكلام : وجعلوا لِلَّهِ الْجِنَّ شُرَكَاءَ وَهُوَ خَالِقُهُمْ .

واختلفوا في قراءة قوله : ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ ؛ فقرأته قراءة الأمازيغ : ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ . على معنى أن الله خلقهم مُنفَرِدًا بخلقِهِ إِيَّاهُمْ .

وذكر عن يحيى بن يَعْمَرَ ما حدثني به أحمد بن يونس ، قال : ثنا القاسم بن سَلَامٍ ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، عن هَارُونَ ، عن واصل بن مولى أبي عُمَيْسَةَ ، عن يحيى بن عَقِيلٍ ، عن يحيى بن يَعْمَرَ أنه قال : (شُرَكَاءُ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ) . بجزم اللام^(٣) .

(١) فى ص، ت، ١، س : « شجره » .

(٢) التفسير هنا هو البذل .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٣ إلى أبى الشيخ . وذكر هذه القراءة عنه ابن خالويه فى مختصر الشواذ ص ٤٥ ، وهى كذلك فى مصحف عبد الله . البحر المحيط ١٩٤/٤ .

بمعنى أنهم قالوا : إن الجن شركاء لله في خلقه إيانا .

٢٩٧/٧ /وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك : ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ ؛ لإجماع الحجة من القراءة عليها .

وأما قوله : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فإنه يعنى بقوله : ﴿ خَرَقُوا ﴾ : اختلَقوا ، يقال : اختلَق فلان على فلان كذبا واخترقه ، إذا افتعله وافتراه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ : واللَّهُ خَلَقَهُمْ ، ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ يعنى : أنهم تَخَرَّصُوا^(١) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : جعلوا له بنين وبنات^(٢) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : كَذَبُوا^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٦٠ (٧٧١٦ ، ٧٧١٨) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٦ إلى ابن المنذر .

(٢) بعده فى م ، س : « بغير علم » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٦٠ (٧٧١٩) عن محمد بن سعد به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٦٠ (٧٧٢١) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سبئل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ : كذبوا ، ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ : عما يكذبون ، أما العربُ فجعلوا له البنات ، ولهم ما يشتَهون من الغلمان ، وأما اليهودُ فجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون^(١) .

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : خرصوا له بنين وبنات^(٢) .

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . يقول : قطعوا له بنين وبنات ، قالت العرب : الملائكة بناتُ الله . وقالت اليهود والنصارى : المسيح وعزير ابنا الله^(٣) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : ﴿ خَرَقُوا ﴾ : كذبوا . لم يكن لله بنون ولا بنات ، قالت النصارى : المسيح ابنُ الله . وقال المشركون : الملائكة بناتُ الله . فكلُّ خرقوا الكذب ، ﴿ وَخَرَقُوا ﴾ : اخترقوا^(٤) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٦١ ، ١٣٦٢ (٧٧٢٣ ، ٧٧٢٩) من طريق خالد بن قيس عن قتادة بلفظ آخر . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٣٧ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، (٧٧٢٠ ، ٧٧٢٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٦١ (٧٧٢٥) من طريق أصبغ بن الفرغ ، عن ابن زيد .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ . قال : قولُ الزنادقة . ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ . قال ابنُ جرير : قال مجاهد : ﴿ خَرَقُوا ﴾ : كذبوا .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ ﴾ . قال : وصفوا له ^(١) .

حدثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارث ، عن أبي عمرو ^(٢) : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ ﴾ . قال : تفسيرُها : وكذبوا .

٢٩٨/٧ /فتأويلُ الكلامِ إذن : وجعلوا لله الجنَّ شركاءَ في عبادتهم إياه ، وهو المنفردُ بخلقهم بغيرِ شريك ولا مُعين ولا ظهير ، ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ ﴾ . يقول : وتخرَّصوا لله كذبًا ، فافتعلوا له بينَ وبناتٍ ، بغيرِ علمٍ منهم بحقيقة ما يقولون ، ولكن جهلاً بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكونَ له بنون وبناتٌ ولا صاحبةٌ ، ولا أن يشركه في خلقه شريك .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : تنزهَ اللهُ وعلا ، فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلةُ من خلقه ، في ادِّعائهم له شركاءَ من الجنِّ ، واختراقهم له بينَ وبناتٍ ، وذلك لا ينبغي أن يكونَ من [٧٨٢/١] صفته ؛ لأن ذلك من صفةِ خلقه الذين يكونُ منهم الجِماعُ الذي يحدثُ عنه الأولادُ ، والذين تضطَّروهم لضعفهم الشهواتُ إلى اتخاذِ الصاحبةِ لقضاءِ اللذاتِ ، وليس اللهُ تعالى ذكره بالعاجزِ ، فيضطرُّه شيءٌ إلى شيءٍ ، ولا بالضعيفِ المحتاجِ فتدعوهُ حاجتهُ إلى النساءِ إلى اتخاذِ صاحبةٍ لقضاءٍ لذةٍ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦١/٤ (٧٧٢٢) من طريق أبي أسامة به .

(٢) في م : « عمر » .

وقوله : ﴿ تَعَلَّى ﴾ : تفاعل ، من العلو والارتفاع .

وروى عن قتادة في تأويل قوله : ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ . أنه : يكذبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ : عما يكذبون ^(١) .

وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه به ^(٢) ، من ادعائهم له بنين وبنات ، لا أنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب .

القول في تأويل قوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾ .

يقول تعالى ذكره : الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجن شركاء ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . يعنى : مُبْتَدِعُهَا ومُخْدِئُهَا ومُوجِدُهَا بعد أن لم تكن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال : هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله ، فخلقهما ولم تكونا شيئاً قبله .

﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴾ والولد إنما يكون ^(٣) الذكر من الأنثى ، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد ، وذلك أنه هو الذي

(١) جزء من الأثر المتقدم تخريجه في ص ٤٥٥ .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده في م : « من » .

خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ . يَقُولُ : فَإِذَا كَانَ لَأَشْيَاءٍ إِلَّا اللَّهُ خَلَقَهُ ، فَأَنَّى يَكُونُ لِلَّهِ وَلَدٌ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً فَيكُونُ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ ؟

القول في تأويل قوله : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١) .

يقول تعالى ذكره : واللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَا تَدْعُونَ أَتْيَهَا الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ الْأَوْثَانُ مِنْ دُونِهِ ، خَلَقَهُ وَغَبِيْدُهُ ، مَلَكًا كَانَ الَّذِي تَدْعُونَهُ رَبًّا وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَهُ وَلَدٌ ، أَوْ جِنِّيًّا أَوْ إِنْسِيًّا ، / ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . يقول : واللَّهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا خَلَقَ وَلَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، عَالِمٌ بِعَمَلِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ، وَأَعْمَالٍ مَنْ دَعَوْتُمُوهُ رَبًّا أَوْ لِلَّهِ وَلَدًا ، وَهُوَ مُخَصِّصُهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ ، حَتَّى يُجَازِيَ كُلًّا بِعَمَلِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) .

يقول تعالى ذكره ^(١) : الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَالْجَاعِلُونَ لَهُ الْجِنَّ شُرَكَاءَ ، وَالْهَيْتَكُمْ الَّتِي لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ، وَلَا تَفْعَلُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وهذا تكذيبٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ ^(٢) زَعَمُوا أَنَّ الْجِنَّ شُرَكَاءُ اللَّهِ ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُمْ : أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ، إِنَّهُ لَا شَيْءَ لَهُ إِلَّا الْوَهْيَةُ وَالْعِبَادَةُ إِلَّا الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِبَادَتُكُمْ وَعِبَادَةُ جَمِيعٍ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا لَهُ ، خَالِصَةٌ بَغَيْرِ ^(٣) شَرِيكَ تُشْرِكُونَهُ فِيهَا ، فَإِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ

(١) بعده في ص ، ت ، ا ، س : « هو » .

(٢) في م : « للذين » .

(٣) بعده في ف : « شك ولا » .

شئٍ وبارئُهُ وصانِعُهُ ، وَحَقٌّ عَلَى المَصْنُوعِ أَنْ يُفَرِّدَ صَانِعَهُ بِالْعِبَادَةِ ، ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ .
 يَقُولُ : فَذَلُّوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخِدْمَةِ ، وَاخْضَعُوا لَهُ بِذَلِكَ ، ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 وَكِيلٌ ﴾ . يَقُولُ : وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ رَقِيبٌ وَحَفِيزٌ ، يَقُومُ بِأَرْزَاقِ
 جَمِيعِهِ وَأَقْوَاتِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ بِقُدْرَتِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
 اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣) .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
 الْأَبْصَارَ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُحِيطُ بِهَا .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
 أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ . يَقُولُ :
 لَا يُحِيطُ بَصَرُ أَحَدٍ بِالْمَلِكِ (١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ
 الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ : وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ (٢) .

حَدَّثَنِي سَعْدٌ (٣) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ :
 ثَنَا أَبُو عَرَفَةَ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ (٢٢) إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿
 [الْقِيَامَةُ : ٢٢ ، ٢٣] . قَالَ : هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ ، لَا تُحِيطُ أَبْصَارُهُمْ بِهِ مِنْ عَظَمَتِهِ ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٧ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٧ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) في النسخ : « يونس » . وتقدم على الصواب في ١/ ٣٦٠ ، وسيأتي على الصواب أيضا في تفسير الآيتين
 من سورة القيامة ، فسيذكر المصنف الأثر مرة أخرى بنفس الإسناد .

وبصره يُحِيطُ بهم ، فذلك قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ الآية .

واعتلَّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : إن الله قال : ﴿ حَتَّى إِذَا ^(١) أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ ﴾ [يونس : ٩٠] . قالوا : فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً . قالوا : فمعنى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ . بمعنى ^(٢) : لا تراه ، بعيد ^(٣) ؛ لأن الشيء قد يُدْرِكُ الشيء ولا يراه ، كما قال جل ثناؤه مُخْبِرًا عن قيل أصحاب موسى ﷺ لموسى حين قُرب منهم أصحاب فرعون : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [الشعراء : ٦١] . لأن الله قد كان وعد نبيه موسى ﷺ أنهم لا يُدْرِكُون ؛ لقوله : ﴿ وَلَقَدْ [١/٧٨٢] أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [طه : ٧٧] .

قالوا : فإذا كان الشيء قد يرى الشيء ولا يُدْرِكُهُ ، ويُدْرِكُهُ ولا يراه ، فكان معلومًا بذلك أن قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ . من معنى : لا تراه الأبصار - بمَعْرِزٍ ، وأن معنى ذلك : لا تُحِيطُ به الأبصار ؛ لأن الإحاطة به غير جائزة .

قالوا : فالمؤمنون وأهل الجنة يَرَوْنَ ربهم بأبصارهم ، ولا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ ، بمعنى : أنها لا تُحِيطُ به ، إذ كان غير جائز أن يُوصَفَ الله بأن شيئاً يُحِيطُ به .

قالوا : ونظير جواز وصفه بأنه يرى ولا يُدْرِكُ ، جواز وصفه بأنه يُعْلَمُ ولا يُحَاطُ به ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . قالوا : فنفي جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يُحِيطُونَ بشيءٍ من علمه إلا بما

(١ - ١) في النسخ : « فلما » . والمثبت نص التلاوة .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف « معنى » .

(٣) في م : « بعيدا » .

شاء . قالوا : ومعنى العلم في هذا الموضع : المعلوم . قالوا : فلم يَكُنْ في نفيه عن خلقه أن يُحيطوا بشيءٍ من علمه إلا بما شاء ، نفى عن أن يَعْلَمُوهُ . قالوا : فإذا لم يَكُنْ في نفي الإحاطة بالشئ علمًا نفى للعلم به ، كان كذلك ، لم يَكُنْ في نفي إدراك الله عن البصر نفى رؤيته له . قالوا : وكما جاز أن يَعْلَمَ الخلق أشياء ولا يُحيطون بها علمًا ، كذلك جائز أن يَرَوْا ربهم بأبصارهم ولا يُدركوه بأبصارهم ، إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك ، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية ، وأن معنى الإدراك إنما هو معنى الإحاطة ، كما قال ابن عباس في الخبر الذي ذكرناه قبل .

قالوا : فإن قال لنا قائل : وما أنكرتم أن يكون معنى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ : لا تراه الأبصار ؟ قلنا له : أنكرنا ذلك لأن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أن وجوها - في القيامة - إليه ناظرة ، وأن رسول الله ﷺ أخبر أمته أنهم سيرَوْن ربهم يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر ، وكما تروْن الشمس ليس دونها سحاب^(١) .

قالوا : فإذا كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر ، وحققت أخبار رسول الله ﷺ بما ذكرنا عنه من قبله ﷺ ، أن تأويل قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴿ أَنَّهُ نَظَرُ أَبْصَارِ الْعِيُونِ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ ﴾^(٢) وكان كتاب الله يُصدق بعضه بعضًا ، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخًا للآخر ، إذ كان غير جائز في الأخبار ؛ لما قد بينّا في كتابنا : « كتاب لطيف البيان عن أصول الأحكام » وغيره - عليم أن معنى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ . غير معنى قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ .

(١) في ص، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، س، ف : « سحابة » .

والحديث أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ، والبخاري (٤٥٨١) ،

ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) سيأتي تخريجه في تفسير الآيتين من سورة القيامة .

فَأَصْرُهُ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ . فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَلَا يُدْرِكُ كَوْنَهُ بِهَا ، تَصْدِيقًا لِلَّهِ فِي كَلَامِ الْخَبَرِينَ ، وَتَسْلِيمًا لِّمَا جَاءَ بِهِ تَنْزِيلُهُ ، عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فِي الشُّورَتَيْنِ .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تراه الأبصارُ وهو يرى الأبصارَ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٣٠١/٧ / حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ : لا يراه شيءٌ ، وهو يرى الخلائقَ ^(١) .

حَدَّثَنَا هَنَادٌ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن عامرٍ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ ، قالت : مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] . ولكن قد رأى جبريلُ في صورته مرتين ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن عامرٍ ، عن مسروقٍ ، قال : قلتُ لعائشةَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ؟ فقالت : سُبْحَانَ اللَّهِ ! لَقَدْ قَفَّ ^(٣) شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ . ثم قرأت : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْأَعْلَى وَابْنُ عُثَيْمٍ ، عن داودَ ، عن الشعبيِّ ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) تقدم تخريجه في ٥٧٢/٨ .

(٣) قف الشعرُ : إذا قام من الفزع . ينظر النهاية ٩١/٤ .

مسروق ، عن عائشة بنحوه ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريز ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال : قالت عائشة : مَنْ قال : إن أحدا رأى ربه . فقد أعظم الفرية على الله ، قال الله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ^(١) .

فقال قائلو هذه المقالة : معنى الإدراك في هذا الموضع : الرؤية . وأنكروا أن يكون الله يُرى بالأبصار في الدنيا والآخرة . وتأولوا قوله : ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرٌ ﴾ ^(٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ . بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه .

وتأول بعضهم في الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات . وأنكر بعضهم مجيئها ، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله ﷺ ، وردوا القول فيه إلى عقولهم ، فزعموا أن عقولهم تُحِيلُ جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار ، وأتوا في ذلك بضروب من التَّمْويهات ، وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات . وكان من أجل ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل ، أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئا إلا ما بآينها دون ما لاصقها ، فإنها لا ترى ما لاصقها . قالوا : فما كان للأبصار مُبَايِنًا مما عاينته ، فإن بينه وبينها فضاء وفُرْجة . قالوا : فإن كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة على نحو ما ترى الأشخاص اليوم ، فقد وجب أن يكون الصانع محدودا . قالوا : وَمَنْ وَصَفَهُ بِذَلِكَ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَاتِ الْأَجْسَامِ الَّتِي يَجُوزُ عَلَيْهَا الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ .

قالوا : وأخرى ، أن من شأن الأبصار أن تُدْرِكَ الألوان ، كما من شأن الأسماع

(١) جزء من الأثر المتقدم تخريجه في ٥٧٢/٨ .

أَنْ تُدْرِكَ الْأَصْوَاتَ ، وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَنَسِّمِ ^(١) أَنْ يُدْرِكَ الْأَعْرَافَ ^(٢) . قَالُوا : فَمِنْ الْوَجْهِ
الَّذِي فَسَدَ أَنْ يَكُونَ جَائِزًا أَنْ يُقْضَى لِلْسَّمْعِ بِغَيْرِ إِدْرَاكِ الْأَصْوَاتِ ، وَلِلْمُتَنَسِّمِ ^(٣) إِلَّا
بِإِدْرَاكِ الْأَعْرَافِ ، فَسَدَ أَنْ يَكُونَ جَائِزًا ^(٤) الْقَضَاءُ لِلْبَصَرِ ^(٤) إِلَّا بِإِدْرَاكِ الْأَلْوَانِ . قَالُوا :
وَلَمَّا كَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ ذَوِ لَوْنٍ ، صَحَّ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ
أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ مَرْتَبِيٌّ .

٣٠٢/٧ /وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : لَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ
فَإِنَّهَا تُدْرِكُهُ . وَقَالَ أَهْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : الْإِدْرَاكُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الرَّؤْيَةُ .

وَاعْتَلَّ أَهْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ لِقَوْلِهِمْ هَذَا بِأَنْ قَالُوا : الْإِدْرَاكُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ فِي
بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِغَيْرِ مَعْنَى الرَّؤْيَةِ ، فَإِنَّ الرَّؤْيَةَ مِنْ أَحَدِ مَعَانِيهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ
يَلْحَقَ بَصَرُهُ شَيْئًا فَيَرَاهُ ، وَهُوَ لَمَّا أَبْصَرَهُ وَعَايَنَهُ غَيْرُ مُدْرِكٍ ، وَإِنْ لَمْ يُحِطْ بِأَجْزَائِهِ كُلِّهَا
رُؤْيَةً . قَالُوا : فَرُؤْيَةُ مَا عَايَنَهُ الرَّائِي إِدْرَاكٌ لَهُ دُونَ مَا لَمْ يَرَهُ . قَالُوا : وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنْ
وُجُوهًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ ، قَالُوا : فَمَحَالٌّ أَنْ تَكُونَ إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ وَهِيَ لَهُ غَيْرُ مُدْرِكَةٍ
رُؤْيَةً . قَالُوا : وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ فِي أَخْبَارِ اللَّهِ تَضَادٌّ
وَتَعَارُضٌ ، وَجَبَ وَصَحَّ أَنْ قَوْلَهُ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ . عَلَى الْخُصُوصِ لَا
عَلَى الْعُمُومِ ، وَأَنْ مَعْنَاهُ : لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ . إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ اسْتَشْنَى مَا اسْتَشْنَى مِنْهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاطِرَةٌ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ ﴿ .

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : الْآيَةُ عَلَى الْخُصُوصِ ، إِلَّا أَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ

(١) فِي م : « الْمُتَنَسِّم » . وَتَنَسَّمَ النَّسِيمُ : تَشَمَّمَهُ . اللَّسَانُ (ن س م) .

(٢) الْأَعْرَافُ ، جَمْعُ عَرْفٍ : الرِّيحُ ، طَبِيعَةُ كَانَتْ أَوْ خَبِثَةُ . اللَّسَانُ (ع ر ف) .

(٣) فِي م : « لِلْمُتَنَسِّم » .

(٤ - ٤) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « انْقِضَاءُ الْبَصَرِ » .

معنى الآية : لا تُذَرِكُهُ أَبْصَارُ الظَّالِمِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتُذَرِكُهُ أَبْصَارُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ . قالوا : وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا : لا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ بِالنِّهَايَةِ وَالْإِحَاطَةِ ، وَأَمَّا بِالرُّؤْيَةِ فَبَلَى . قالوا : وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا : لا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ فِي الدُّنْيَا ، وَتُذَرِكُهُ فِي الْآخِرَةِ . وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا : لا تُذَرِكُهُ أَبْصَارُ مَنْ يَرَاهُ ، بِالْمَعْنَى الَّذِي يُذَرِكُ بِهِ الْقَدِيمُ أَبْصَارَ خَلْقِهِ . فَيَكُونُ الَّذِي نَفَى عَنْ خَلْقِهِ مِنْ إِدْرَاكِ أَبْصَارِهِمْ إِيَّاهُ ، هُوَ الَّذِي أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ ، إِذْ كَانَتْ أَبْصَارُهُمْ ضَعِيفَةً ، لَا تَتَّقُذُ إِلَّا فِيمَا قَوَّاهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى الْفَوْذِ فِيهِ ، وَكَانَتْ كُلُّهَا مُتَجَلِّيةً لَبَصَرِهِ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ . قالوا : وَلَا شَكَّ فِي خُصُوصِ قَوْلِهِ : ﴿ لَا تُذَرِكُهُ إِلَّا أَبْصَارُ ﴾ . وَأَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سَيَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَبْصَارِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّا لَا نَذَرِي أَىِّ مَعْنَى الْخُصُوصِ الْأَرْبَعَةِ أُرِيدَ بِالْآيَةِ . وَاعْتَلَّوْا بِتَصْحِيحِ الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ بِنَحْوِ عِلَلِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَبْلُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْآيَةُ عَلَى الْعُمُومِ ، وَلَنْ يُذَرِكَ اللَّهُ بَصَرُ أَحَدٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُخَدِّثُ لأَوْلِيَاءِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَاسَةً سَادِسَةً سَوَى حَوَاسِّهِمُ الْخَمْسِ ، فَيَرُونَهُ بِهَا .

وَاعْتَلَّوْا الْقَوْلَ لَهُمْ هَذَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَفَى عَنْ الْأَبْصَارِ أَنْ تُذَرِكَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذُلَّ فِيهَا أَوْ بِآيَةٍ غَيْرِهَا عَلَى خُصُوصِهَا . قالوا : وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنْ وَجُوهًا إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَازِرَةٌ . قالوا : فَأَخْبَارُ اللَّهِ لَا تَتَنَافَى ^(١) وَلَا تَتَعَارَضُ ، وَكَلَا الْخَبَرَيْنِ صَحِيحٌ مَعْنَاهُ ، عَلَى مَا جَاءَ بِهِ التَّنْزِيلُ .

وَاعْتَلَّوْا أَيْضًا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ بِأَنَّ قَالُوا : إِنْ كَانَ جَائِزًا أَنْ نَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ بِأَبْصَارِنَا هَذِهِ وَإِنْ زِيدَ فِي قَوَّاهَا ، وَجَبَ أَنْ نَرَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ ضَعُفَتْ ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَاسَةٍ تُخَلِّقَتْ لِإِدْرَاكِ مَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى ، فَهِيَ وَإِنْ ضَعُفَتْ كُلُّ الضَّعْفِ فَقَدْ تُذَرِكُ مَعَ

(١) فِي م : « تَبَايَن » .

ضعفها ما خُلِقَتْ لإدراكه ، وإن ضعف إدراكها إياه ، ما لم تُغْدَمْ . قالوا : فلو كان في البصر أن يُدْرِكَ صانعه في حالٍ من الأحوال ، أو وقتٍ من الأوقات ويَراه ، وجب أن يكون يُدْرِكُه في الدنيا ويَراه فيها ، وإن ضعف إدراكه إياه . قالوا : فلما كان ذلك ٣٠٣/٧ غير موجودٍ من /أبصارنا في الدنيا ، كان غير جائز أن تكون في الآخرة إلا بهيئتها في الدنيا ، في أنها لا تُدْرِكُ إلا ما كان من شأنها إدراكه في الدنيا . قالوا : فلما كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوهاً في الآخرة تراه ، علِم أنها تراه بغير حاسة البصر ، إذ كان غير جائز أن يكون خبره إلا حقاً .

والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ
أنه قال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ، وكما ترون الشمس ليس دونها سحابٌ » ^(١) . فالمؤمنون يرونه ، والكافرون عنه يومئذٍ محجوبون ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

فأما ما اعتلَّ به منكرُو رؤية الله يوم القيامة بالأبصار ، لما كانت لا ترى إلا ما باينها وكان بينها وبينه فضاء وفرجة ، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالأبصار كذلك ؛ لأن في ذلك إثبات حد له ونهاية ، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه ، فإنه ^(٢) يقال لهم : هل علمتم موصوفاً بالتدبير ، سوى صانعكم ، إلا مماساً لكم أو مبايناً ؟

فإن زعموا أنهم يَعْلَمُونَ ذلك ، كُلُّوا تبيينه ، ولا سبيل إلى ذلك .

وإن قالوا : لا نَعْلَمُ ذلك .

(١) تقدم تخريجه في ص ٤٦١ .

(٢) في النسخ : « وإنه » . والسياق يقتضي ما أثبتنا .

قيل لهم : أو ليس قد عَلِمْتُمُوهُ لَا مِمَّا شَأْنًا [٧٨٣/١ظ] لَكُمْ وَلَا مُبَايِنًا ، وهو موصوفٌ بالتدبيرِ والفعلِ ، ولم يَجِبْ عِنْدَكُمْ - إذ كنتم لم تَعْلَمُوا موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ غيرَه ، إِلَّا مِمَّا شَأْنًا لَكُمْ أَوْ مُبَايِنًا - أن يكونَ مستحيلًا العلمُ به ، وهو موصوفٌ بالتدبيرِ والفعلِ ، لَا مِمَّا شَأْنًا وَلَا مُبَايِنًا ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك .

قيل لهم : فما تُشْكِرُونَ أن تكونَ الأبصارُ كذلك ، لا ترى إِلَّا ما بَيْنَهَا وكانت بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَرْجَةً ، قد تَرَاهُ وهو غيرُ مُبَايِنٍ لَهَا وَلَا فَرْجَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَلَا فُضَاءً ، كما لَا تَعْلَمُ الْقُلُوبُ موصوفًا بالتدبيرِ إِلَّا مِمَّا شَأْنًا لَهَا أَوْ مُبَايِنًا ، وقد عَلِمْتُهُ عِنْدَكُمْ لَا كذلك ؟ وهل بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ أن يَكُونَ موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ معلومًا ، إِلَّا ^(١) مِمَّا شَأْنًا لِلْعَالِمِ ^(٢) به أَوْ مُبَايِنًا ، وأجاز أن يَكُونَ موصوفٌ ^(٣) برؤية الأبصارِ لَا مِمَّا شَأْنًا لَهَا وَلَا مُبَايِنًا - فرق ؟

ثم يُسْأَلُونَ الفرقَ بَيْنَ ذَلِكَ ، فلن يقولوا في شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمُوا فِي الْآخِرِ مِثْلَهُ .

وكذلك يُسْأَلُونَ فيما اغْتَلُّوا به في ذلك من ^(٤) أن مِنْ شَأْنِ الْأَبْصَارِ إدراكَ الْأَلْوَانِ ، كما أن مِنْ شَأْنِ الْأَسْمَاعِ إدراكَ الْأَصْوَاتِ ، وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَنَسِّمِ دَرَكَ الْأَعْرَافِ ، فَمِنْ الْوَجْهِ الَّذِي فَسَدَ أن يُقْضَى السَّمْعُ لغيرِ دَرَكَ الْأَصْوَاتِ ، فَسَدَ أن تُقْضَى الْأَبْصَارُ لغيرِ دَرَكَ الْأَلْوَانِ .

(١) في م : « لا » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « للعلم » .

(٣) في م : « موصوفًا » .

(٤) سقط من : م .

فيقال لهم : أَلستم لم تَعَلِّمُوا فيما شاهدْتُمْ وعَايَنْتُمْ موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ إلا ذا لونٍ ، وقد عَلِّمْتُمُوهُ موصوفًا بالتدبيرِ لا ذا لونٍ ؟

فإن قالوا : نعم . لا يَجِدُونَ مِنَ الإقرارِ بذلك بُدًّا ، إلا أن يَكْذِبُوا فيزْعُمُوا أنهم قد رَأَوْا وعَايَنُوا موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ غيرَ ذِي لونٍ ، فيكَلِّفُوا بيانَ ذلك ، ولا سبيلَ إليه .

فيقال لهم : فإذا كان ذلك كذلك ، فما أنْكَرْتُمْ أن تكونَ الأبصارُ فيما شاهدْتُمْ وعَايَنْتُمْ لم تجِدوها تُدْرِكُ إلا الألوانَ ، كما لم تجِدُوا أنفسكم تَعْلَمُ موصوفًا بالتدبيرِ إلا ذا لونٍ ، وقد وَجَدْتُمُوهَا عَلِمَتْهُ موصوفًا بالتدبيرِ غيرَ ذِي لونٍ . ثم يُسألون الفرقَ بينَ ذلك ، فلن يقولوا في أحدهما شيئًا إلا ألْزَمُوا في الآخرِ مثله .

ولأهل هذه المقالةِ مسائلٌ فيها تَلْبِيسٌ ، كَرِهْنَا ذكرَها وإطالةَ الكتابِ بها وبالجوابِ عنها ، إذ لم يَكُنْ قَصْدُنَا في كتابِنَا هذا قصدَ الكشفِ عن تمويهاتهم ، بل قصدُنَا فيه البيانَ عن تأويلِ آيِ الفرقانِ ، ولكننا ذكرْنَا القدرَ الذي ذكرْنَا ؛ ليعْلَمَ الناظرُ في كتابِنَا هذا أنهم لا يَرْجِعُونَ مِنْ قولِهِمْ / إلا إلى ما لبَسَ عليهم الشيطانُ ، مما يَسْهَلُ على أهلِ الحقِّ البيانَ عن فسادِهِ ، وأنهم لا يَرْجِعُونَ في قولِهِمْ إلى آيةٍ مِنَ التنزيلِ مُحْكَمَةٍ ، ولا روايةٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ صحيحةٍ ولا سَقِيمَةٍ ، فهم في الظُّلُمَاتِ يَخْبِطُونَ ، وفي العَمْيَاءِ يَتَرَدَّدُونَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَيْرَةِ والضَّلَالَةِ .

وأما قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ . فإنه يقولُ : واللَّهُ تعالى ذكرُهُ المتيسِّرُ^(١) له مِنْ إدراكِ الأبصارِ ، والمتأتَّى له مِنَ الإحاطَةِ بها رؤيةٌ ما يَعْسُرُ على الأبصارِ ؛ مِنْ إدراكِها إياه ، وإحاطَتِها به ، وَيَتَعَذَّرُ عليها ، ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ . يقولُ : العليمُ بخلقِهِ وأبصارِهِمْ ، والسببُ الذي له تَعَذَّرَ عليها إدراكُهُ ، فلَطَفَ بقدرتِهِ ، فهيئاً

أبصارَ خلقه هيئة لا تُدرِكُه ، وخبر بعلمه كيف تديرُها وشئونها ، وما هو أصلُ خلقه .

كالذي حدثنا هناذ ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ ^(١) اللطيف الخبير ^(٢) ﴾ . قال : اللطيف ^(٣) باستخراجها ، الخبير ^(٤) بمكانها .

القول في تأويل قوله : ﴿ ^(٥) قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ^(٦) ﴾ .

وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه ^(٥) الآيات من قوله : ﴿ ^(٥) إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى ^(٦) ﴾ إلى قوله : ﴿ ^(٦) وَهُوَ اللطيف الخبير ^(٧) ﴾ . على حججه عليهم ، وعلى سائر ^(٦) خلقه معهم ، العادلين به الأوثان والأنداد ، والمكذِّبين بالله ورسوله محمد ﷺ ، وما جاءهم من عند الله ، قل لهم يا محمد : ﴿ ^(٥) قَدْ جَاءَكُمْ ﴾ أيها العادلون بالله ، والمكذِّبون رسوله ، ﴿ ^(٦) بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . أي : ما تبصرون به الهدى من الضلال ، والإيمان من الكفر . وهي جمع بصيرة ، ومنه قول الشاعر ^(٧) :

(١ - ١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف ، وتفسير ابن أبي حاتم : « لطيف خبير » . وهو نص آية سورة الحج ٦٠ ، وآية سورة لقمان ١٦ .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، س ، وتفسير ابن أبي حاتم : « لطيف » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، س ، وتفسير ابن أبي حاتم : « خبير » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٣ ، ٧٧٤٤) من طريق وكيع به .

(٥) في النسخ : « لهذه » . والمثبت صواب السياق .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « تبين » .

(٧) هو الأسعر الجعفي ، والبيت في الأصمعيات ص ١٤١ ، والوحشيات ص ٤٤ ، وتهذيب اللغة ١٩٥/٢ ،

حَمَلُوا^(١) بِصَائِرِهِمْ^(٢) عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَغْدُو بِهَا عَتْدٌ^(٣) وَأَيُّ^(٤)

يعنى بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . قال : البصائر الهدى ، بصائر في قلوبهم لدينهم ،

٣٠٥/٧ وليست ببصائر الرءوس . وقرأ : ﴿ فَإِنَّهَا / لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي

فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] . قال : إنما الدين^(٥) بصره وسمعه في هذا القلب^(٦) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ

بَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . أى : بينة^(٧) .

وقوله : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ . يقول : فَمَنْ تَبَيَّنَ حُجَجَ اللَّهِ وَعَرَفَهَا ،

وأقرَّبَهَا ، وآمَنَ بِمَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ ، فَإِنَّمَا أَصَابَ

حَظَّ نَفْسِهِ ، وَلِنَفْسِهِ عَمِلَ ، وَإِيَّاهَا بَغَى الْخَيْرَ ، ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ . يقول : وَمَنْ

لَمْ يَسْتَدِلَّ بِهَا ، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِمَا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَنْزِيلِهِ ، وَلَكِنَّهُ

عَمِيَ عَنْ دَلَالَتِهَا الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا ، يَقُولُ : فَنَفْسُهُ ضُرَّ ، وَإِيَّاهَا أَسَاءَ لَا إِلَى غَيْرِهَا .

وأما قوله : [٧٨٤/١] ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ . يقول : وما أنا عليكم

(١) فى مصادر التخریج : « راحوا » .

(٢) البصائر هنا : الدم ، وقيل : الديات ، وقيل : الثرس . تهذيب اللغة ١٧٦/١٢ .

(٣) عتد ، بفتح التاء وكسرهما : الفرس المعد للركوب ، أو هو الشديد التام الخلق المعد للجري . تهذيب اللغة ١٩٥/٢ .

(٤) الوأى : الفرس السريع المقتدر الخلق . تهذيب اللغة ٦٥٢/١٥ .

(٥) فى م : « الذى » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٥) من طريق أصبغ بن الفرّج ، عن ابن زيد .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٦) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور

٣٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

برقيب أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ ، وإنما أنا رسولٌ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ الْحَفِيزُ عَلَيْكُمْ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ^(١) وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ ١٠٥ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : كما صرَّفْتُ لكم أيُّها الناسُ الآياتِ والحججَ في هذه السورة وبيَّنتُها ، فعَرَفْتُكموها في توحيدى وتصديقِ رسولى وكتابى ، ووقَّفتُكم ^(٢) عليها ، فكذلك أُبَيِّنُ لكم آياتى وحججى فى كلِّ ما جهَلْتُموه فلم تَعْرِفوه من أمرى ونهْيى .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ ﴾ : لهؤلاء العادلين برِّبِّهم ، كما صرَّفْتُها فى هذه السورة ، ولئلا يقولوا : درست .

واخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ . بمعنى ^(٣) : قرأتَ أنتَ يا محمدُ . بغيرِ ألفٍ ^(٤) .

وقرأ ذلك جماعةٌ من المتقدمين ؛ منهم ابنُ عباسٍ على اختلافٍ عنه فيه ، وغيره وجماعةٌ من التابعين ، وهو قراءةٌ بعضِ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : (وليقولوا دارست) . بألفٍ ^(٥) ، بمعنى : قارأتَ وتعلَّمتَ من أهلِ الكتابِ .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « دارست » . وهى قراءة سبذكرها المصنف .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « وصيتكم » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يعنى » .

(٤) هى قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٤ .

(٥) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . المصدر السابق .

ورُوي عن قتادة أنه كان يقرؤه : (دَرَسَتْ)^(١) . بمعنى : قُرِئَتْ وتُلِيَتْ .

وعن الحسن أنه كان يقرؤه : (دَرَسَتْ) . بمعنى : اُنْمَحَتْ^(٢) .

وأولى القراءات في ذلك عندى بالصواب قراءة مَنْ قرأه : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ﴾^(٣) . بتأويل : قرأت وتعلّمت ؛ لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي ﷺ ، وقد أخبر الله عن قِيلِهِمْ ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] . فهذا خبرٌ من الله يُنبئُ عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلّم محمدٌ ما يأتِيكم به من غيره . فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءة : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ﴾ يا محمد ، بمعنى : تعلّمت من أهل الكتاب . أشبه بالحق ، وأولى بالصواب من قراءة مَنْ قرأه : (دارست) . بمعنى : قارأتهم وخاصمتهم . وغير ذلك من القراءات .

٣٠٦/٧ / واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القراءة في قراءته .

ذكر مَنْ قرأ ذلك : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ﴾ .

من المتقدمين ، وتأوله بمعنى : تعلّمت وقرأت

حدّثني المشنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى معاوية بنُ صالح ، قال : ثنى علي بنُ أبي طلحة ، عن ابنِ عباس : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ﴾ . قالوا : قرأت وتعلّمت . تقولُ ذلك قريشٌ^(٤) .

(١) قراءة شاذة ، وهي أيضا قراءة زيد بن علي ، وابن عباس على اختلاف عنه فيه ، ورويت عن الحسن . المحتسب ٢٢٥/١ ، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٥ ، والبحر المحيط ١٩٧/٤ .

(٢) تفسير القرطبي ٥٨/٧ ، وهي قراءة ابن عامر من السبعة ، ويعقوب من العشرة . النشر ١٩٦/٢ . ولكن ذكر في إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٩ أن قراءة الحسن بضم الراء : درست .

(٣) القراءات : (دَرَسَتْ) و (دَارَسَتْ) و (دَرَسَتْ) كلهن صواب .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٤٨) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي يحيى ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ . قال ^(١) : قرأتَ وتعلَّمتَ .

حَدَّثَنَا هنادٌ ، قَالَ : ثنا وَكَيْعٌ ، وحَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أبي ، عن إسرائيلَ وافقه ، عن أبي إسحاقَ ، عن التميميِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ . قال : قرأتَ وتعلَّمتَ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أحمدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ . يقولُ : قرأتَ الكتبَ .

حَدَّثْتُ عن الحسينِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أبا مُعَاذٍ يَقُولُ : ثنا عبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ دَرَسْتَ ﴾ . يقولُ : تعلَّمتَ وقرأتَ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَطِيَّةَ ، قَالَ : ثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن التَّمِيمِيِّ ، قَالَ : قلتُ لابنِ عَبَّاسٍ : أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ : ﴿ دَرَسْتَ ﴾ ؟ قَالَ : قرأتَ وتعلَّمتَ . حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عن عَنَبَسَةَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن التَّمِيمِيِّ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ مثله .

ذَكَرُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ : (دَارَسْتَ) . وتأوَّله بمعنى : جَادَلْتَ . مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ

حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَارِثِ ، عن حميدٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : (دَارَسْتَ) . يقولُ : قَارَأْتَ .

(١) في س : « قالوا » .

(٢) تفسير سفيان ص ١٠٩ - وأخرجه من طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٤٩) - عن أبي إسحاق به ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٠٣ - تفسير) عن سفيان عن رجل عن أبي إسحاق به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٣ إلى الفريابي وعبد ابن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُليَّةَ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان يَقْرُؤُهَا : (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) . أَحْسَبُهُ قَالَ : قَارَأَتْ أَهْلَ الْكِتَابِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سفيانُ ، عن أبي إِسْحَاقَ ، عن التَّمِيمِيِّ ، عن ابنِ عباسٍ : (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) . قَالَ : قَارَأَتْ وَتَعَلَّمَتْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إِسْحَاقَ ، قَالَ : سَمِعْتُ التَّمِيمِيَّ يَقُولُ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ : (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) . قَالَ : قَارَأَتْ وَتَعَلَّمَتْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عُليَّةَ ، عن أبي المَعْلَى ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ ، قَالَ : كان ابنُ عباسٍ يَقْرُؤُهَا : (دَارَسْتَ) ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا آدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، قَالَ : ثنا أَبُو المَعْلَى ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جبيرةٍ يَقُولُ : كان ابنُ عباسٍ يَقْرَأُ : (دَارَسْتَ) . بِالْأَلْفِ ، بِجَزْمِ السَّيْنِ وَنَصْبِ التَّاءِ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو بن دينارٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عمرو بن كَيْسَانَ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كان يَقْرَأُ :

٣٠٧/٧

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٨٩ - تفسير) من طريق أيوب به ، بلفظ : قارأت . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والضياء في المختارة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٤٩) من طريق عبد الرحمن به ، وفيه : درست . وهو في تفسير سفيان ص ١٠٩ باللفظ المتقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٠٢ - تفسير) من طريق شعبة به بلفظ : قرأت وتعلمت .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٢٨/٨ عن ابن علي به .

(دَارَسْتُ) : تَلَوْتُ ، خَاصَمْتُ ، جَادَلْتُ ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَا : ثنا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ كَيْسَانَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي : (دَارَسْتُ) ، قَالَ : تَلَوْتُ ، خَاصَمْتُ ، جَادَلْتُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ [٧٨٤/١ ظ] فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتُ) . قَالَ : قَارَأْتُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا آدَمُ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّهُ قَرَأَ : (دَارَسْتُ) . بِالْأَلْفِ أَيْضًا مُتَّصِبَةً التَّاءِ ، وَقَالَ : قَارَأْتُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّهُ قَرَأَ : (دَارَسْتُ) . أَيْ : نَاسَخْتُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : (دَارَسْتُ) . قَالَ : فَاقْهَتْ ؛ قَرَأَتْ عَلَى يَهُودَ ، وَقَرَّعُوا عَلَيْكَ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شُبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتُ) . قَالَ : قَارَأْتُ ؛ قَرَأَتْ عَلَى يَهُودَ ، وَقَرَّعُوا عَلَيْكَ .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٦/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٥١) عن الحسن بن يحيى به ، وأخرجه سعيد بن منصور (٩٠٠ - تفسير) ، والطبراني (١١٢٨٣) من طريق ابن عيينة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٠٥ - تفسير) عن هشيم عن أبي بشر به بلفظ : قرأت وتعلمت .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٥٢) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٨/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي الشيخ وابن المنذر .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك في قوله : (دارست) : يعني أهل الكتاب ^(١) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُيَيْنَةَ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (دارست) . قال : قرأت على يهود ، وقرءوا عليك ^(٢) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : (وليقولوا دارست) . قال : قالوا : دارست أهل الكتاب ، وقرأت الكتب وتعلّمتها .

ذكر من قرأ ذلك : (دُرِست) . بمعنى : تليت ^(٣) وقرئت .

على وجه ما لم يُسم فاعله

حدَّثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا الحسين المَعْلَم وسعيد ، عن قتادة : (وكذلك نُصَرِّفُ الآيات وليقولوا دُرِست) . أي : قرئت وتعلّمت .

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة : (دُرِست) : قرئت ، وفي حرف ابن مسعود : (دَرَسَ) ^(٤) .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٠٧ - تفسير) عن هشيم به ، وأحال على حديث أبي بشر عن سعيد ولفظه : قرأت وتعلّمت .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٠٤ - تفسير) عن ابن عيينة عن رجل عن مجاهد .

(٣) في النسخ : « نبئت » . والمثبت كما تقدم في ص ٤٧٢ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٦/١ ، بلفظ : قرئت وتعلّمت . دون آخره . وينظر قراءة ابن مسعود في المصاحف

ذَكَرُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ : (دَرَسْتُ) . بمعنى : اُنْمَحَتْ وَتَقَادَمَتْ ،

أى : هذا الذى تَتْلُوهُ عَلَيْنَا قَدْ مَرَّ بِنَا قَدِيمًا ، وَتَطَاوَلَتْ مَدَّتُهُ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ يَقْرَأُ : (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتُ) . أى : اُنْمَحَتْ .

٣٠٨/٧ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا آدَمُ ، قَالَ : ثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ ، قَالَ : فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (دَرَسْتُ) . بِغَيْرِ أَلْفٍ ، بِنَصْبِ السَّيْنِ وَوَقْفٍ^(١) التَّاءِ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الزَّيْرِ يَقُولُ : إِنْ صَبَّيْنَا هَلْهَذَا يَفْرَعُونَ : (دَرَسْتُ) . وَإِنَّمَا هِيَ : (دَرَسْتُ)^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتُ) . يَقُولُ : تَقَادَمَتْ ، اُنْمَحَتْ^(٤) .

وَقَرَأَ ذَلِكَ آخَرُونَ : (دَرَسَ) . مِنْ : دَرَسَ الشَّيْءَ : تَلَاهَ .

(١) أى : سكون التاء .

(٢) وهى قراءة ابن عامر ويعقوب ، والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٦ من تمام الأثر المتقدم ص ٤٧٥ ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠١ - تفسير) عن ابن عيينة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) فى م : « وانمحت » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/٢١٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٦٥ (٧٧٥٣) عن الحسن ابن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ الثَّغَلِيُّ^(١) ، قَالَ : ثنا أَبُو عُبَيْدٍ^(٢) ، قَالَ : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود : (وليقولوا درَسَ) . قال : يعني النبي ﷺ قرأ^(٣) .

وإنما جاز أن يقال مرة : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ ، ومرة : (درَسَ) ، فيخاطب مرة ، ويُخبر مرة ؛ من أجل القول .

وقد بيَّنا أولى هذه القراءات في ذلك بالصواب عندنا ، والدلالة على صحة ما اخترنا منها^(٤) .

وأما تأويل قوله : ﴿ وَلَنُبَيِّنَنَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . يقول تعالى ذكره : كما صرَّفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين برَّبِّهم الآلهة والأنداد ، كذلك نُصَرِّفُ لهم الآيات في غيرها ؛ كيلا يقولوا لرسولنا الذي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ : إنما تَعَلَّمْتَ ما تَأْتِينَا به تَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . فَيَنْزَجِرُوا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ ، وتقُولِهِمْ عليه الْإِفْكَ وَالزُّورَ ، وَلَنُبَيِّنَنَّ تَصْرِيفَنَا الْآيَاتِ الْحَقِّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ، فَيَتَّبِعُوهُ وَيَقْبَلُوهُ ، وليسوا كَمَنْ إِذَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَمُوا عَنْهُ فَلَمْ يَعْقِلُوهُ ، وازْدَادُوا مِنَ الْفَهْمِ لَهُ^(٥) بُعْدًا .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَلْبَعَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٦) .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « الثغلي » ، وفي ف : « الثغلي » . وتقدم على الصواب في ٤ / ٦٢٠ .

(٢) في م : « عبيدة » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٣٨ إلى المصنف وأبي عبيد ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ / ٣٠٧ وقال : وهذا غريب ، فقد روى عن أبي بن كعب خلاف هذا . ثم ذكر ما أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه أن النبي ﷺ أقرأه : دَرَسَتْ .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٤٧٢ .

(٥) في النسخ : « به » . والمثبت صواب السياق .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : اتَّبِعْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ فِي وَحْيِهِ
الذى أوحاه إليك ، فاعْمَلْ بِهِ ، وَانْزِجْزُ عَمَّا زَجَرَكَ عَنْهُ فِيهِ ، وَدَعْ مَا يَدْعُوكَ إِلَيْهِ
مُشْرِكُوكَ قَوْمِكَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ، فَإِنَّهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ . يقول : لا
معبودَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي هُوَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، وَفَالِقُ
الْإِصْبَاحِ ، وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ﴾ . يقول : وَدَعْ عَنْكَ جِدَالَهِمْ وَخُصُومَتَهُمْ . ثم نسخ ذلك جل ثناؤه
بقوله فى « براءة » : ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية [التوبة : ٥] .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ،
عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أما قوله : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ .
ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين ، فإنه نسخ ذلك قوله : ﴿اقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ .

القول فى تأويل قوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٧) .

٣٠٩/٧ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : أَعْرِضْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ ، وَدَعْ
عَنْكَ جِدَالَهِمْ وَخُصُومَتَهُمْ وَمُسَابَّتَهُمْ ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ . يقول :
لو^(١) أراد ربك^(١) هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم ، لَلَطَفَ لَهُمْ بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ ، فلم
يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَلَآمَنُوا بِكَ ، فَاتَّبَعُوكَ وَصَدَّقُوا مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ ،
﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ . يقول جل ثناؤه : وَإِنَّمَا بَعَثْنَاكَ إِلَيْهِمْ [٧٨٥/١] ^[٧٨٥/١]
رَسُولًا مَبْلَغًا ، وَلَمْ نَبْعَثْكَ حَافِظًا عَلَيْهِمْ مَا هُمْ عَامِلُوهُ ، وَتُحْصَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ
ذَلِكَ إِلَيْنَا دُونَكَ ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ . يقول : وَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِقَيِّمٍ تَقُومُ

بأرزاقهم وأقواتهم ، ولا بحفظهم فيما لم يُجعل إليك حفظه من أمرهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المشنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ : يقول سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به : ولا تسبوا الذين يدعوا المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسب المشركون الله جهلاً منهم برّبهم ، واعتداءً بغير علم .

كما حدثني المشنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : قالوا : يا محمد ، لتتھين عن سب آلهتنا ، أو لنهجون ربك . فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ، فيسبوا الله عدواً بغير علم ^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ : كان المسلمون

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٦/٤ ، ١٤١٢/٥ ، ١٤١٣ ، (٧٧٥٨ ، ٨٠٤٧ ، ٨٠٥١) ، والبيهقي

في الأسماء والصفات (٣٧٧) من طريق أبي صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٦/٤ (٧٧٦٠) من طريق أبي صالح ، وعزاه السيوطي في الدر

المثور ٣٨/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

يَسْتَبُونَ أَوثَانَ الْكَفَارِ ، فَيَزِدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَهَاهُمْ لِلَّهِ أَنْ يَسْتَسِيبُوا^(١) لِرَبِّهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ جَهْلَةٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِاللَّهِ^(٢) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .
 قَالَ : لما حضر أبا طالب الموت ، قالت قريش : انطلقوا بنا ، فلندخل على هذا الرجل ، فلنأمره أن ينهي عنا ابن أخيه ، فإننا نستحي أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان يمتعه ، فلما مات قتلوه . فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأمية وأبي ابنا خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمرؤ بن العاص ، والأسود بن البخري ، / وبعثوا رجلاً منهم يُقال له : المطلب . قالوا : استأذن على أبي طالب . فأتى أبا طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم . فدخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمداً قد آذانا وأذى آلهتنا ، فنجب أن تدعوه فتتهاه عن ذكر آلهتنا ، ولندعه وإلهه . فدعاه ، فجاء نبي الله ﷺ ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك . قال رسول الله ﷺ : « ما تريدون ؟ » . قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ، ندعك وإلهك . قال له أبو طالب : قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم . فقال النبي ﷺ : « أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، هل أنتم مُعْطِي كَلِمَةٍ إن تكلمتم بها ملكتم العرب ، ودانت لكم بها العجم الخراج^(٣) ؟ » . قال أبو جهل : نعم وأبيك لنُعْطِيَنَّكَهَا وعشر أمثالها ، فما هي ؟ قال : « قولوا : لا إله إلا الله » . فأبوا واشمأزوا . قال أبو طالب : يا ابن أخي ، قل غيرها ،

(١) أى : أن يعرضوه ويجروه - سبحانه - للسب . ينظر النهاية ٢ / ٣٣٠ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٧/٤ (٧٧٦٣) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة .

(٣) فى م : « بالخراج » ، وفى تفسير ابن أبي حاتم ، وتفسير ابن كثير : « وأدت لك الخراج » . والمثبت موافق

لتفسير ابن كثير - النسخة الخطية ، كما فى طبعة دار الشعب ٣٠٨/٣ والدر المنثور ٣٨ / ٣ . فقد عزا الأثر إلى

المصنف وابن أبي حاتم .

فَإِنْ قَوْمَكَ قَدْ فَرَعُوا مِنْهَا . قَالَ : « يَا عَمَّ ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ غَيْرَهَا حَتَّى يَأْتُونِي ^(١) بِالشَّمْسِ فَيَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ ، وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ مَا قُلْتُ غَيْرَهَا » ،
إِرَادَةً أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ ، فَغَضِبُوا ^(٢) وَقَالُوا : لَتَكْفُرَنَّ عَنْ شَتَمِكَ آلِهَتُنَا ، أَوْ لَنَشْتُمَنَّكَ وَلَنَشْتُمَنَّ
مَنْ يَأْمُرُكَ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ،
قَالَ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ ، فَيَسُبُّ الْكُفَّارُ اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ^(٤) .
حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ :
﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قَالَ : إِذَا سَبَّيْتَ إِلَهَهُ ، سَبَّ إِلَهَكَ ، فَلَا تَسُبُّوا
آلِهَتَهُمْ .

وَأَجْمَعَتِ الْحُجَّةُ ^(٥) مِنْ قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ عَلَى قِرَاءَةِ ذَلِكَ : ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا
بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَسْكِينِ الدَّالِ ، وَتَخْفِيفِ الْوَاوِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ عَدَوًّا ﴾ .
عَلَى أَنَّهُ مُصَدِّرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : عَدَا فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ ، إِذَا ظَلَمَهُ وَاعْتَدَى عَلَيْهِ ، يَعْدُو
عَدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا . وَالْاِعْتِدَاءُ إِنَّمَا هُوَ افْتِعَالٌ مِنْ ذَلِكَ .

رَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ : (عُدُوًّا) . مُشَدَّدَةً الْوَاوِ ^(٦) .
حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ ، قَالَ : ثنا الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ ، قَالَ : ثنا حُجَّاجٌ ،

(١) فِي م : « يَأْتُوا » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٦٧/٤ (٧٧٦٢) مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ مَفْضَلٍ بِهِ .

(٤) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢١٥/١ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٦٦/٤ (٧٧٦١) - عَنْ مَعْمَرٍ بِهِ

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٣٨/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٥) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « الْأَمَّة » .

(٦) هِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ . النُّشْرُ ١٩٦/٢ .

عن هارون ، عن عثمان بن سعيد : (فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا) . مضمومة العين مُثَقَّلَةٌ ^(١) .
 وقد ذُكِرَ عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك : (فَيَسُبُّوا ^(٢) اللَّهَ عَدُوًّا) ^(٣) .
 يُوجِّهُ ^(٤) تأويله إلى أنهم جماعة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٧] . وكما قال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾
 [المتحنة : ١] . وَيَجْعَلُ نَصَبَ الْعَدُوِّ حِينَئِذٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ ذِكْرِ الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِ :
 ﴿ فَيَسُبُّوا ﴾ .

فيكون تأويل الكلام : وَلَا تَسُبُّوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ [٧٨٥/١ ظ] يَدْعُوا الْمُشْرِكُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبَّ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ أَعْدَاءَ اللَّهِ ^(٥) بِغَيْرِ عِلْمٍ . وإذا كان التأويل هكذا ،
 كان الْعَدُوُّ مِنْ صِفَةِ الْمُشْرِكِينَ وَنَعْتِهِمْ ، كأنه قيل : فَيَسُبَّ الْمُشْرِكُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ . وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ لَمَّا خَرَجَ مَخْرَجَ النِّكَرَةِ وَهُوَ نَعْتُ لِلْمَعْرِفَةِ ، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ .

/ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ قِرَاءَةٌ مَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَتَخْفِيفِ
 الْوَاوِ ^(٦) ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَى قِرَاءَةِ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَغَيْرُ جَائِزٍ خِلَافُهَا فِيمَا
 جَاءَتْ بِهِ ^(٧) مُجْمِعَةً عَلَيْهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ
 فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : كَمَا زَيْنًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ عِبَادَةَ

(١) وذكرها عنه في الإتحاف ص ١٢٩ ، وقرأ بها أيضا يعقوب ، وهو من العشرة . النشر ١٩٦/٢ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فليسبوا » .

(٣) وهذه القراءة رواية عن ابن كثير المكي . الكشف ٤٣/٢ .

(٤) في ص : « ويوجه » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وتوجيه » ، وفي س : « وتأول » ، وفي ف : « وتوجه » .

(٥) بعده في ص ، ت ٢ ، س : « أعداء الله » . وكتب في س : « كذا » .

(٦) القراءتان كاتباهما صواب .

(٧) سقط من : م ، ف .

الأوثان وطاعة الشيطان ، بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن ، كذلك زيننا لكل جماعة اجتمعت على عملٍ من الأعمال من طاعة الله و^(١) معصية له ، عملهم الذي هم عليه مُجْتَمِعُونَ ، ثم مَرَجَعُهُمْ بعد ذلك وَمَصِيرُهُمْ إلى ربهم ، ﴿ فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . يقول : فيوقفهم ويُخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا ، ثم يُجازيهم بها ، إن كان خيراً فخيرٌ ، وإن كان شراً فشرٌ ، أو يَغْفُو بفضله ، ما لم يكن شركاً أو كفراً .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٩) .

يقول تعالى ذكره : وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهْدَ حَلْفِهِمْ - وذلك أو كد ما قدرُوا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدّها - ﴿ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴾ . يقول : قالوا : نُقْسِمُ بِاللَّهِ لئن جاءتنا آية تُصَدِّقُ ما تقول يا محمد ، مثل الذي جاء من قبلنا من الأمم ، ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . يقول : قالوا : لَنُصَدِّقَنَّ بِمَجِيئِهَا بك ، وأنتك لله رسولٌ مُرْسَلٌ ، وأن ما جئتنا به حقٌّ من عند الله .

وقيل : ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . فأخرج الخبر عن الآية ، والمعنى لمحجى الآية .

يقول لنبىه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . وهو القادر على إتيانكم بها دون كل أحدٍ من خلقه ، ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ . يقول : وما يُذْهِبُكم ، ﴿ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟

وذكر أن الذين سألوه الآية من قومهم هم الذين آيس الله نبيّه من إيمانهم من مشركى قومهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا ﴾ . إلى قوله : ﴿ يَجْهَلُونَ ﴾ : سألت قريش محمدًا ﷺ أن يأتيهم بآية ، واشتخلفهم ليؤمنن بها^(١) .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ،^(٢) عن مجاهد^(٣) : ﴿ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا ﴾ . ثم ذكر مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : / كلم رسول الله ﷺ قريشاً^(٤) ، فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة^(٥) ، فأتينا^(٦) من الآيات حتى نصدقك . فقال رسول الله ﷺ : « أئى شئ تحببون أن آتيكم به ؟ » . قالوا : تجعل لنا الصفا ذهباً . فقال لهم : « فإن فعلت تصدقوني ؟ » . قالوا : نعم والله ، لئن فعلت^(٧) لتتبعنك أجمعين^(٨) . فقام رسول الله ﷺ يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٨/٤ (٧٧٦٧) . وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٣٩/٣ إلى ابن أبي شبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٣) في م : « قريش » .

(٤) بعده في م : « بشيء » .

(٥ - ٥) في م : « لتتبعك أجمعون » .

فقال له ^(١) : ما شئت ؛ إن شئت أصبح ذهبًا ، ولئن أرسل آية فلم يُصدّقوا عند ذلك لنُعذّبَنَّهُمْ ، وإن شئت فأتزكّهم ^(٢) حتى يتوب تائبهم . فقال : « بل يتوب تائبهم » .
فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ يَجْهَلُونَ ﴾ ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في المخاطبين بقوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : خُوطب بقوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ ﴾ . المشركون المُقسِمون بالله ؛ لئن جاءتهم آية ليؤمننَّ . وانتهى الخبر عند قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ ﴾ . ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأً .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ ﴾ . قال : ما يُذْركم . قال : ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون ^(٤) .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَمَا يُشْعِرْكُمْ ﴾ : وما يُذْركم ، (إنها إذا جاءت) . قال : أوجب عليهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون .

(١) بعده في م : « لك » .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « فأنرحهم » غير منقوطة ، وفي س : « فأنرحهم » . وأثبتها الشيخ شاعر : فأنرحهم . وقال : وهو عندي من قولهم : ندحت الشيء ندحا : إذا أوسعته وأفسحته ... أي : أفسح لهم وأجعل لهم مندوحة في هذا الأمر حتى يتوب تائبهم .

(٣) ذكره ابن كثير في التفسير ٣/٣٠٩ عن المصنف ، ثم قال : وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٩ إلى المصنف .

(٤) من تمام الأثر المتقدم تخريجه في الصفحة السابقة . وأخرج هذا الجزء ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٦٨ (٧٧٦٨ ، ٧٧٦٩) من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح به .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ ^(١) يَقُولُ :
﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ فَيَقُولُ : (إِنِّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ : وَمَا يُذَرِّبُكُمْ أَنْكُمْ تُؤْمِنُونَ
إِذَا جَاءَتْ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ [٧٨٦/١] يُخْبِرُ عَنْهُمْ فَقَالَ : ﴿ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .
وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قِرَاءَةٌ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِكسْرِ أَلِفٍ : (إِنِّهَا) ، عَلَى أَنْ قَوْلَهُ : (إِنِّهَا
إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) . خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُنْقَطِعٌ عَنِ الْأَوَّلِ .

وَمَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْمَكِينِ وَالْبَصْرِيِّينَ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ ^(٤) : بَلْ ذَلِكَ خُطَابٌ مِنَ اللَّهِ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ . قَالُوا :
وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ ، الْمُؤْمِنُونَ بِهِ . قَالُوا : وَإِنَّمَا كَانَ
سَبَبَ مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ حَلَفُوا أَنَّ الْآيَةَ إِذَا جَاءَتْ آمَنُوا وَاتَّبَعُوا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : سَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَبَّكَ ذَلِكَ .
فَسَأَلَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَلِكَ ، ﴿ قُلْ ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ بَكَ يَا
مُحَمَّدُ : ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَأَنَّ ^(٥) الْآيَاتِ إِذَا
جَاءَتْ هَؤُلَاءِ / الْمَشْرِكِينَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ . فَفَتَحُوا الْأَلْفَ مِنْ « أَنْ » .

وَمَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَامَةً قِرَاءَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ ^(٦) ، وَقَالُوا : أُدْخِلَتْ

(١) فِي م : « زَيْد » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٦٨/٤ (٧٧٧٠) مِنْ طَرِيقِ حَجَّاجٍ بِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٣٩/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو ، وَعَنْ أَبِي بَكْرِ الْوُجْهَانِ . الْكَشْفُ عَنْ وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ١/٤٤٤ .

(٤) يَنْظُرُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ١/٣٥٠ .

(٥) فِي ص ، ت ، ١ ، س ، ف : « بَأَنَّهُ أَنْ » .

(٦) هِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَعَاصِمٍ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ وَحَمْزَةَ وَالْكَسَائِيِّ . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ٢٦٥ .

﴿لَا﴾ في قوله : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . صلة^(١) ، كما أُدْخِلَتْ في قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف : ١٢] . وفي قوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٥] . وإنما المعنى : وحرامٌ عليهم أن يرجعوا ، وما منعك أن تسجد .

وقد تأول قومٌ قرءوا ذلك بفتح الألفِ مِن : ﴿أَنَّهُآ﴾ . بمعنى : لعلها . وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب^(٢) .

وقد ذُكر عن العربِ سماعًا منها : اذهب إلى السوقِ أنك تشتري لي شيئًا . بمعنى : لعلك تشتري .

وقد قيل : إن قولَ عدى بن زيد العبادي^(٣) :

أَعَاذِلَ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ
بمعنى : لعل منيَّتِي . وقد «أُنْشِدُوا فِي»^(٤) بَيْتِ دُرَيْدِ بْنِ الصُّمَّةِ^(٥) :

ذَرِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لِأَنِّي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدًا
بمعنى : لعلني . والذي أنشدني أصحابنا عن الفراء :

* لعلني أرى ما تَرَيْنَ *

وقد أنشد أيضًا بَيْتُ تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ^(٦) :

(١) ينظر تعريف الصلة في ١ / ١٩١ .

(٢) ذكرها الفراء في الموضع السابق ، وانظرها أيضًا في البحر المحيط ٤ / ٢٠٢ ، وهي شاذة .

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢ / ٥٠٩ ، الشعر والشعراء ١ / ٢٢٦ ، معاهد التنصيص ١ / ٣١٦ .

(٤ - ٤) في م : « أنشدوني » .

(٥) الأصمعيات ص ١١٣ وروايته هكذا :

ذريني أطوف في البلاد لعلني ألقى بإثر ثلة من محارب

وينظر ما تقدم في ٢ / ٥٦٩ .

(٦) الكتاب ٢ / ٢٠٠ ، والنوادر لأبي زيد ص ٧٢ .

لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَزَا فِي مَرِيرَةٍ^(١) مُعَذِّبٌ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا
لَهَنَّاكَ يَا تَيْسًا ، بمعنى : لأنك . التي في معنى : لعلك . وَأُنْشِدُ بَيْتُ أَبِي النَّجْمِ
العِجْلِيُّ :

قُلْتُ لَشَيْبَانَ اذْنُ مِنْ لِقَائِهِ

أَنَا نَغْدِي الْقَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ^(٢)

بمعنى : لعلنا نغدي القوم .

٣١٤/٧ / وأولى التأويلات في ذلك بتأويل الآية قول مَنْ قَالَ : ذلك خطابٌ مِنَ اللَّهِ
للمؤمنين به مِنْ أصحابِ رسوله ، أغنى قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ . وَأَنْ قَوْلَهُ : ﴿ أَنَّهَا ﴾ . بمعنى : لعلها .

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب ؛ لاستفاضة القراءة في قراءة الأمصار
بالباء مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ولو كان قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ . خطاباً للمشركين ، لكانت القراءة في
قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . بالتاء ، وذلك وإن كان قد قرأه بعضُ المكيين كذلك ،
فقراءةً خارجةً عما عليه قراءة الأمصار ، وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على
ذهابها وشذوذها^(٣) .

وإنما معنى الكلام : وما يُذَرِّبُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، لعلَّ الآياتِ إِذَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ
المشركين لَا يُؤْمِنُونَ ، فَيَعَاجِلُوا بِالنَّقْمَةِ وَالْعَذَابِ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَلَا يُؤَخَّرُوا بِهِ .

(١) المريرة : الحبل الشديد، الفتل . اللسان (م ر ر) .

(٢) الكتاب ١١٦/٣ ، والمعاني الكبير ٣٦٣/١ ، وفيهما : كما نغدي .

(٣) القراءة بالتاء ليست شاذة ، بل هي متواترة ، وقد قرأ بها ابن عامر وحمزة وهما من السبعة ؛ وقد خرج أبو
حيان هذه القراءة في البحر المحيط ٢٠٢/٤ تخريجاً جيداً من حيث المعنى فراجعه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ، ما آمنوا ، كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة ؛ لأن الله حال بينهم وبين ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الآية . قال : لما جحد المشركون ما أنزل الله ، لم تثبت قلوبهم على شيء ، ورُدت عن كل أمر^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ﴾ . قال : نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة . وقرأ : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ﴾ . قال : نحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون ، كما حللنا بينهم وبين الإيمان أول مرة^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ونُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ لو رُدُّوا من الآخرة إلى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧١) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧٣) من طريق أصبغ بن الفرّج ، عن ابن زيد به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧٢) من طريق ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد .

الدنيا ، فلا يُؤمنون كما فعلنا بهم ذلك فلم يُؤمنوا في الدنيا . قالوا : وذلك نظير قوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه . قال : / ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] ، ٣١٥/٧ ، ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ (٥٦) أَوْ تَقُولَ [٧٨٦/١ ظ] لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦ - ٥٨] . يقول : من المهتدين . فأخبر الله سبحانه ، أنهم لوردوا^(١) لم يقدرُوا على الهدى ، وقال : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . قال : لوردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى ، كما حللنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا^(٢) .

وأولى التأويلات في ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم : لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها . أنه يُقلبُ أفعدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء ، وأن ذلك بيده ، يُقيمه إذا شاء ، ويُزيغه إذا أراد ، وأن قوله : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . دليل على محذوف من الكلام ، وأن قوله : ﴿ كَمَا ﴾ . تشبيه ما بعده بشيء قبله .

(١ - ١) سقط من : م ، وفي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « على الهدى وقال ولوردوا » . وفي ف : « على

الهدى وقالوا ولوردوا » والمثبت من نص الأثر ، كما سيذكره المصنف في سورة الزمر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٢/٥ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأخرج آخره ابن أبي حاتم

في تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧٥) من طريق أبي صالح به .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون معنى الكلام : ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ
فَتُزَيِّغُهَا عَنِ الْإِيمَانِ ، وَأَبْصَارَهُمْ عَنِ رُؤْيَا الْحَقِّ ومعرفة موضع الحُجَّةِ ، وإن جاءتهم
الآيةُ التي سألوها فلا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ورسوله وما جاء به من عند الله ، كما لم يُؤْمِنُوا
بِتَقْلِيلِنَا إِيَّاهَا قَبْلَ مَجِيئِهَا مَرَّةً قَبْلَ ذَلِكَ .

وإذا كان ذلك تأويله ، كانت الهاءُ من قوله : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ . كناية
ذكر التَّغْلِيبِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : ونَذَرُ هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهْدَ أَيْمَانِهِمْ ؛
لئن جاءتهم آيةٌ لِيُؤْمِنُنَّ بِهَا عندَ مجيئِها . في تَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللَّهِ ، واعتدائِهِمْ في
حدوده ، يَتَرَدَّدُونَ ، لا يَهْتَدُونَ لِحَقٍّ ، ولا يُنْصِرُونَ صَوَابًا ، قد غلبَ عليهم
الْخِذْلَانُ ، واشتَحَذَ عليهم الشَّيْطَانُ .

/ القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
يَجْهَلُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره لنبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ ، آيِسْ مِنْ فَلَاحِ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ
بِرَبِّهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ ، الْقَائِلِينَ لَكَ : لئن جئتنا بآيةٍ لنؤمننَّ لك . فإننا لو نزلنا إليهم
الملائكة حتى يَرَوْهَا عِيَانًا ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى بِإِحْيَائِنَا إِيَّاهُمْ حُجَّةً لَكَ ، ودلالةً على
نُبُوَّتِكَ ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّكَ مُحِقٌّ فِيمَا تَقُولُ ، وَأَنْ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ،
وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَجَعَلْنَاهُمْ لَكَ قُبُلًا - مَا آمَنُوا ، ولا صَدَّقوك ، ولا اتَّبَعوك ،
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ ، ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ . يقولُ : وَلَكِنْ
أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ يَجْهَلُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، يَحْسَبُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ إِلَيْهِمْ ، وَالْكَفَرَ

بأيديهم ، متى شاءوا آمنوا ، ومتى شاءوا كفروا ، وليس ذلك كذلك ، ذلك بيدي ، لا يؤمن منهم إلا من هديته^(١) فوقته ، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشده فأضلته .
وقيل : إن ذلك نزل في المستهزئين برسول الله ﷺ وما جاء به من عند الله من مشركي قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبي ﷺ الآية^(٢) : ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ [الأنعام : ١٠٩] . ونزل فيهم : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ﴾^(٣) .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ ما كانوا ليؤمنوا ﴾ . يُراد به أهل الشقاء ، وقيل : ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ ، فاستثنى ذلك من قوله : ﴿ ليؤمنوا ﴾ ، يُراد به أهل الإيمان والسعادة .

/ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا ﴾ : وهم أهل الشقاء ، ثم قال : ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ . وهم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في

(١) بعده في م : « له » .

(٢) بعده في م : « فقال » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٩ إلى أبي الشيخ .

الإيمان^(١) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس ؛ لأن الله جل ثناؤه عم بقوله : ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام : ١٠٩] .

وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج : إنهم غنوا بهذه الآية ، ولكن لا دلالة في ظاهر التنزيل على ذلك ، ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك ، والخبر من الله خارج مخرج العموم ، فالقول بأن ذلك غنى به أهل الشقاء منهم أولى ؛ لما وصفنا .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ ؛ فقرأته قراءة أهل المدينة : (قُبُلًا) بكسر القاف وفتح الباء^(٢) ، بمعنى : مُعَايِنَةً ، من قول القائل : لَقِيْتُهُ قُبُلًا . أى : مُعَايِنَةً ومُجَاهَرَةً .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين والبصريين : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ بضم القاف والباء^(٣) .

وإذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه : أحدها ، أن يكون القُبُل جمع قَبِيل ، كما الرُّغْفُ التي هي جمع رَغِيف ، والقَضْبُ التي هي جمع قَضِيب ، ويكون القُبُل [٧٨٧/١] الضُّمَنَاءُ والكُفَلَاءُ ، وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وحشرنا عليهم كل شيء كُفَلَاءً يكفلون لهم بأن الذي نَعِدُّهم على إيمانهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧١/٤ (٧٧٨٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) هي قراءة نافع وأبي جعفر وابن عامر . النشر ١٩٦/٢ .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . المصدر السابق .

بِاللَّهِ إِنْ آمَنُوا ، أَوْ تُوعِدُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ إِنْ هَلَكُوا عَلَى كُفْرِهِمْ ، مَا آمَنُوا إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ .

والوجه الآخر : أَنْ يَكُونَ الْقُبْلُ بمعنى المُقَابِلَةِ والمُوَاجَهَةِ ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : أَتَيْتُكَ قُبْلًا لَا دُبْرًا . إِذَا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ .

والوجه الثالث : أَنْ يَكُونَ معناه : وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبِيلَةً قَبِيلَةً ، صِنْفًا صِنْفًا ، وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً . فَيَكُونَ الْقُبْلُ حِينَئِذٍ جَمْعُ قَبِيلٍ ، الَّذِي هُوَ جَمْعُ قَبِيلَةٍ ، فَيَكُونَ الْقُبْلُ جَمْعُ الْجَمْعِ .

وبكل ذلك قد قالت جماعةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ : مُعَايِنَةٌ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا) يَقُولُ : مُعَايِنَةٌ ^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا) : حَتَّى يُعَايِنُوا ذَلِكَ مُعَايِنَةً ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ : قَبِيلَةً قَبِيلَةً ، صِنْفًا صِنْفًا

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ : مَنْ قَرَأَ : ﴿ قُبْلًا ﴾ : مَعْنَاهُ : قَبِيلًا قَبِيلًا ^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٠/٤ (٧٧٨٣) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٢٣٩/٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢٠٥/٤ .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابنِ جريج ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ قُبُلًا ﴾ : أفواجًا ، قُبُلًا قُبُلًا ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، عن أَبِي خَيْثَمَةَ ، قَالَ : ثنا أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ ، قَالَ : ثنى طَلْحَةُ أَنَّ مَجَاهِدًا قَرَأَ فِي « الْأَنْعَامِ » : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . قَالَ : قِبَائِلَ ؛ قُبُلًا وَقُبُلًا وَقُبُلًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : مُقَابِلَةٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنى أَبِي ، قَالَ : ثنى عَمِي ، قَالَ : ثنى أَبِي ، عن أَبِيهِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكُوكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . يَقُولُ : لو اسْتَقْبَلَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ لَمْ يُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . قَالَ : حُشِرُوا إِلَيْهِمْ جَمِيعًا ، فَقَابَلُوهُمْ وَوَاجَهُوهُمْ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ : قَرَأَ عِيسَى : ﴿ قُبُلًا ﴾ . وَمَعْنَاهُ : عِيَانًا .

وَأُولَى الْقَرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . بَضَمِ الْقَافِ وَالْبَاءِ ؛ لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ اِحْتِمَالِ ذَلِكَ الْأَوْجَعِ الَّتِي بَيَّنَّا مِنَ الْمَعْنَى ، وَأَنْ مَعْنَى الْقِبَلِ دَاخِلٌ فِيهِ ، وَغَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْقِبَلِ مَعْنَى الْقُبُلِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ فَإِنْ مَعْنَاهُ : وَجَمَعْنَا عَلَيْهِمْ ، وَشَقْنَا إِلَيْهِمْ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٩ إلى أبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٧٠ (٧٧٨٢) عن محمد بن سعد به .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٧/٦٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٤/٢٠٥ ، وابن كثير في تفسيره ٣/٣١١ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۖ ۞ ﴾ .

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مسليته بذلك عما لقي من كفره قومه في ذات الله ، وحاثاً له على الصبر على ما ناله فيه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ۖ ۞ ﴾ . يقول : وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء ؛ شياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ؛ ليصدّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربك ، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات . يقول : فهذا الذي امتحنتك به ، لم تخصص به من بينهم وحدك ، بل قد عممتهم بذلك معك ؛ لأبتليهم وأختبرهم ، مع قدرتي على منع من آذاهم من آذاهم^(١) ، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولى العزم منهم من غيرهم . يقول : فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل .

وأما « شياطين الإنس والجن » فإنهم مردّتهم . وقد بينا الفعل الذي منه بُني هذا الاسم بما أغنى عن إعادته^(٢) .

ونصب « العدو » و « الشياطين » بقوله : ﴿ جَعَلْنَا ۖ ۞ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۖ ۞ ﴾ . فإنه يعني أنه يُلقى الملقى منهم القول الذي زينّه وحسنه بالباطل إلى صاحبه ؛ ليغترّ به من سمعه فيخيل عن سبيل الله .

/ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ۖ ۞ ﴾ ؛ فقال ٤/٨

(١) في م : « إيذائهم » .

(٢) ينظر ما تقدم في ١/١٠٩ ، ١١٠ .

بعضهم : معناه : شياطينُ الإنسِ التي مع الإنسِ ، وشياطينُ الجنِّ التي مع الجنِّ ، وليس للإنسِ شياطينُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ : أما شياطينُ الإنسِ فالشياطينُ التي تُضِلُّ الإنسَ ، وشياطينُ الجنِّ الذين يُضِلُّونَ الجنَّ ، يَلْتَقِيَانِ فيقولُ كلُّ واحدٍ منهما : إني أضللتُ صاحبي بكذا وكذا ، وأضللتُ أنتَ صاحبك بكذا وكذا . فيَعْلَمُ بعضهم بعضًا ^(١) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، عن شريكٍ ، عن سعيدِ بنِ مشروقٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ . قال : ليس في الإنسِ شياطينُ ، ولكنَّ شياطينَ الجنِّ يُوحونَ إلى شياطينِ الإنسِ ، وشياطينَ الإنسِ يُوحونَ إلى شياطينِ الجنِّ ^(٢) .

حدَّثني الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن السديِّ ، ^(٣) عن عكرمةَ ^(٣) في قوله : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا ﴾ . قال : للإنسانِ شيطانٌ ، وللجنِّ شيطانٌ ، فيَلْقَى شيطانُ الإنسِ شيطانَ الجنِّ ، فيُوحِي بعضهم إلى بعضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٢/٤ عقب الأثر (٧٧٩١) من طريق أسباط به .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ١٧٩/٣ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣١٣/٣ عن المصنف .

قال أبو جعفر : جعل عكرمة والسدي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما ،
عدو الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ أولاد
إبليس دون أولاد آدم ، ودون الجن ، وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى إلى بعض
زُخرف القول غرورًا ولد إبليس ، وأن مع ابن آدم من ولد إبليس من يوحى إلى من مع
الجن من ولده زُخرف القول غرورًا .

وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ؛ لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم ،
فكل ولده لكل ولده عدو ، وقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم
من الشياطين أعداء ، فلو كان معنيًا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي ، الذين
هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين
أعداء ، وجه^(١) ، وقد جعل من^(٢) ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم ، ولكن
ذلك كالذي قلنا ، من أنه معني به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدوًا يوحى
بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن معبد^(٣) بن
هلال ، قال : ثنى رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أن
رسول الله ﷺ قال : « يا أباذر ، هل تعودت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ »
قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : « نعم »^(٣) .

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س ، ف .

(٢) في النسخ : « حميد » ، والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٢٨ / ٢٤٠ .

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في الإتحاف بذيل المطالب (٥١٢٨) - والحرث في مسنده

(٤٨ - بغية) ، وأبو يعلى في مسنده - كما في الإتحاف (٥١٣١) - من طريق حماد به مطولا . وينظر مسند

الطيالسي (٤٨٠) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح^(١) ، عن أبي عبد الملك^(٢) محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذرٍّ ، أنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في مجلسٍ ، قد أطلال فيه الجلوسَ ، قال : فقال : « يا أبا ذرٍّ ، هل صليتَ ؟ » قال : قلتُ : لا ، يا رسولَ الله . قال : « قُمْ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ » . قال : ثم جئتُ فجلستُ إليه ، فقال : « يا أبا ذرٍّ ، هل تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ؟ » قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، وهل للإنسِ شياطينٌ ؟ قال : « نعم ، شرٌّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ »^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادة ، قال : بَلَغَنِي أَنَّ أبا ذرٍّ قَامَ يَوْمًا يُصَلِّي ، فقال له النبي ﷺ : « تَعَوَّذْ يَا أبا ذرٍّ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » . فقال : يا رسولَ الله ، أَوْ إِنْ مِنْ الْإِنْسِ شَيَاطِينٌ ؟ قال : « نعم » . وقال آخرون في ذلك بنحوِ الذي قلنا مِنْ أَنَّ ذَلِكَ إِنْخَبَازٌ مِنَ اللَّهِ أَنَّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا معمرٌ ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ . قال : مِنَ الْجِنِّ شَيَاطِينٌ ، وَمِنْ الْإِنْسِ شَيَاطِينٌ يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . قال قتادة : بَلَغَنِي أَنَّ أبا ذرٍّ كَانَ يَوْمًا يُصَلِّي ، فقال النبي ﷺ : « تَعَوَّذْ يَا أبا ذرٍّ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » . فقال :

(١) بعده في النسخ : « عن علي بن أبي طلحة » وهو خطأ . وينظر تفسير ابن كثير .

(٢) في النسخ : « عبد الله » ، والمثبت من تاريخ دمشق ٤٤٤ / ٧ ، والتاريخ الكبير ٢٩ / ١ ، ٣٠ .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ / ٣١٢ نقلاً عن المصنف ، وقال : فيه انقطاع . ثم ذكر طرقاً أخرى ، وقال : فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوته وصحته .

يا نبي الله ، أو إن من الإنس شياطين ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم » ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ الآية . ذكر لنا أن أبا ذر قام ذات يوم يُصَلِّي ، فقال له نبي الله : « تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ » . فقال : يا نبي الله ، أو للإنس شياطين كشياطين الجن ؟ قال : « نعم ، أو كذبت عليه ؟ ! » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ . فقال : كفار الجن شياطين ، يُوحون إلى شياطين الإنس ؛ كفار الإنس ، زُحُف القول غُرُورًا ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ زُحُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، فإنه المزِينُ بالباطل كما وصفتُ قبل ، يُقالُ منه : زُحُفَ كلامه وشهادته ، إذا حَسَنَ ذلك بالباطل ووشَّاه .

كما حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة قوله : ﴿ زُحُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . قال : تزيينُ الباطل بالأسنة ^(٣) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما الزحُفُ ، فزُحُفوه : زيّنوه ^(٤) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢١٦ ، وأخرج شطره الأول ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧١ (٧٧٨٨) من طريق عبد الرزاق به ، وأخرج شطره الأخير عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٨٤ (٢٥٧٩) عن معمر به . وقال ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣١٢ : وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي نصر السجزي في الإبانة وأبي الشيخ ، وينظر تفسير البغوي ٣/ ١٧٩ .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧٢ عقب الأثر (٧٧٩٢) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧٢ (٧٧٩٣) من طريق أحمد بن مفضل به ، وسيأتي بقيته في

/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ زُحْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . قَالَ : تَزْيِينُ الْبَاطِلِ بِالْأَلْسِنَةِ ^(١) .
 حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ زُحْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . يَقُولُ : حَسَّنَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْقَوْلَ ، لِيَتَّبِعُوهُمْ فِي فِتْنَتِهِمْ ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ زُحْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . قَالَ : الزَّحْرَفُ الْمَزْيِينُ ، حَيْثُ زَيَّنَ لَهُمْ هَذَا الْغُرُورَ ، كَمَا زَيَّنَ إِبْلِيسُ لِآدَمَ مَا جَاءَهُ بِهِ ، وَقَاسَمَهُ إِنَّهُ لِمِنَ النَّاصِحِينَ ، وَقَرَأَ : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ﴾ [فصلت : ٢٥] . قَالَ : ذَلِكَ الزَّحْرَفُ ^(٣) .

وَأَمَّا الْغُرُورُ : فَإِنَّهُ مَا غَرَّ الْإِنْسَانَ فَخَدَعَهُ ، فَصَدَّهُ عَنِ الصَّوَابِ إِلَى الْخَطَأِ ، وَمِنَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : غَرَزْتُ فَلَانًا بِكَذَا وَكَذَا ، فَأَنَا أَغْرُهُ غُرُورًا وَغَرًّا .

كَالَّذِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ غُرُورًا ﴾ . قَالَ : يَغُرُّونَ بِهِ النَّاسَ وَالْجَنَّ ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٧ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٣ إلى المصنف والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي نصر السجزي في الإبانة وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٢/٤ (٧٧٩٢) بهذا الإسناد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٣/٤ (٧٧٩٤) من طريق آخر عن ابن زيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٣ إلى أبي الشيخ .

(٤) هذا الأثر تنمة للأثر المتقدم في الصفحة السابقة .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداء من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكروهم^(١) ، ويؤمنوا غوائلهم وأذاهم - فعلت ذلك ، ولكني لم أشأ ذلك ؛ لأبتلي بعضهم ببعض ، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق ، ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ . يقول : فدعهم ، يعني الشياطين ، الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ، ويخاصمونك بما يوجب إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن ، ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ . يعني : وما يخلقون من إفك وزور . يقول له ﷺ : اصبر عليهم ؛ فإنني من وراء عقابهم على افترائهم على الله ، واختلاقهم عليه الكذب والزور .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوهُ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ - ﴿ وَلَنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ ﴾ . يقول جل ثناؤه : يوحى بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزيين من القول بالباطل ، ليغروا به المؤمنين من أتباع الأنبياء ، فيفتنهم عن دينهم ، ﴿ وَلَنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ . يقول : ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة .

وهو من صغوت تصغى وتصغو - والتنزيل جاء بـ « تصغى » - صغوا وصغوا ،

وبعض العرب / يقول : صغيت بالياء . حكى عن بعض بني أسد : صغيت إلى ٧/٨ حديثه ، فأنا أصغى صغيا بالياء ، وذلك إذا ملت ، يقال : صغوى معك . إذا كان هواك معه وميلك ، مثل قولهم : ضلعي معك . ويقال : أصغيت الإناء ، إذا أملته ؛

لِيَجْتَمَعَ مَا فِيهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(١) :

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ وَفِيهِ إِلَى التَّشْبِيهِ إِضْغَاءٌ
وَيُقَالُ لِلْقَمَرِ إِذَا مَالَ لِلْغُيُوبِ : صَغَا وَأَضْغَى .
وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةٌ ﴾ . يَقُولُ : تَزِيغٌ^(٢) إِلَيْهِ
أَفْعَدَةٌ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ :
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ .
قَالَ : لَتَمِيلَ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِّيِّ : ﴿ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ . يَقُولُ : تَمِيلَ
إِلَيْهِ قُلُوبُ الْكَفَّارِ وَيُجِبُّونَهُ ، وَيَرْضَوْنَ بِهِ^(٥) .

(١) تفسير القرطبي ٦٩ / ٧ ، واللسان (ص غ ي) ، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٥ ، وفي تفسير القرطبي واللسان :
مكرمة بدلا من : محكمة .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « ترجع » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠ / ٣ إلى المصنف وابن المنذر وأبي الشيخ ، وسيأتي بقية الأثر في الصفحة القادمة .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٣ / ٤ (٧٧٩٦) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس ، وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٤٠ / ٣ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٣ / ٤ عقب الأثر (٧٧٩٦) من طريق عمرو بن حماد ، عن
أسباط به ، وفي ١٣٧٣ / ٤ (٧٧٩٩ ، ٧٨٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطي في
الدر المنثور ٤٠ / ٣ إلى أبي الشيخ .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلْيَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ . قال : ﴿ وَلْيَصْغَىٰ ﴾ : وَلِيَهْوُوا ذلك وَلِيَرْضَوْهُ . قال : يقول الرجل للمرأة : صَغَيْتُ إليها : هَوَيْتُهَا^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وَلِيَكْتَسِبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ .

حكى عن العرب سماعاً منها : خرج يَقْتَرِفُ لأهله^(٢) . بمعنى : يَكْسِبُ لهم . ومنه قيل : قَارَفَ فلانٌ هذا الأمر ، إذا واقعه وعمله .

وكان بعضهم يقول : هو التُّهْمَةُ والادِّعَاءُ ، يقال للرجل : أنت قَرَفْتَنِي . أى : اتَّهَمْتَنِي . ويقال : بئسما اقْتَرَفْتَ لِنَفْسِكَ . وقال رؤبة^(٣) :

أَعْيَا اقْتَرَاكَ الْكَذِبِ الْمَقْرُوفِ

تَقْوَى الثَّقِيِّ وَعِفَّةَ الْعَفِيفِ

/ وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : ﴿ وَلْيَقْتَرِفُوا ﴾ . قال أهل التأويل . ٨/٨

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَلْيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴾ : وَلِيَكْتَسِبُوا مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ^(٤) .

حدَّثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٧٣/٤ (٧٧٩٧) من طريق أصبغ عن ابن زيد به .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « أهله » .

(٣) مجاز القرآن ١ / ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ٧ / ٧٠ .

(٤) هذا الأثر تنمة الأثر فى الصفحة السابقة .

السدى : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ . قال : لِيَعْمَلُوا مَا هُمْ عَامِلُونَ ^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ . قال : لِيَعْمَلُوا مَا هُمْ عَامِلُونَ ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء العادِلين بالله الأوثان والأصنام ، القائلين لك : كُفَّ عن آلهتنا ونكفَّ عن إلهك : إن الله قد حكم على بذكر آلهتكم بما يكون صدًا عن عبادتها ، ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَىٰ حَكْمًا ﴾ ، أى : قل : فليس لى أن أتعدى حكمه وأتجاوزَه ؛ لأنه لا حكم أعدل منه ، ولا قائل أصدق منه ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ . يعنى : القرآن ﴿ مُفَصَّلًا ﴾ ، مُبَيَّنًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم .

وقد بينا معنى « التفصيل » فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : إن أنكر هؤلاء العادِلون بالله الأوثان من قومك توحيد الله ، وأشركوا معه الأنداد ، وجحدوا ما أنزلته إليك ، وأنكروا أن يكون حقًا ، وكذبوا به ، ف ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ وهو التوراة والإنجيل ، من بنى إسرائيل ، ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ . يعنى : القرآن وما فيه ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ .

(١) هذا الأثر تنمة الأثر المتقدم فى صفحة ٥٠٤ .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٣/٤ ، ١٣٧٤ عقب الأثر (٧٨٠١ ، ٧٨٠٢) معلقًا .

يقول : فضلاً بين أهل الحق والباطل ، يَدُلُّ على صدقِ الصادقِ على^(١) الله ، وكذبِ الكاذبِ المُفْتَرى عليه . ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ ﴾ . يقول : فلا تكونَنَّ يا محمدُ من الشاكِّين في حقيقة الأنبياء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب وغير ذلك مما تَضَمَّنَه ؛ لأن الذين آتَيْنَاهُم الكتاب يَعْلَمُونَ أنه مُنَزَّلٌ من ربِّك بالحق .

وقد بيَّنا فيما مضى ما وجهُ قوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ ﴾ . بما أغنى عن إعادته ، مع الرواية المروية فيه^(٢) .

وقد حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ ﴾ . يقول : لا تكونَنَّ في شكٍّ مما قَصَّصْنَا عليك^(٣) .

٩/٨ / القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وكُمَلَّتْ ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ ، يعنى : القرآن . سَمَّاهُ كلمةً ، كما تقولُ العربُ للقَصيدةِ من الشعرِ يقولُها الشاعرُ : هذه كلمةُ فلانٍ .

﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ . يقول : كُمَلَّتْ كلمةُ ربِّك من الصدقِ والعدلِ . و «الصدق» و «العدل» نُصِبا على التفسيرِ للكلمةِ ، كما يقالُ : عندي عشرون درهماً .

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « علم » ، وفي م : « في علم » ، والمثبت هو الصواب .

(٢) ينظر ما تقدم في ٦٧٣/٢ ، ٦٧٤ .

(٣) ينظر ما تقدم في ٦٧٣/٢ ، ٤٦٤/٥ .

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ . يقول : لا مُغَيِّرَ لما أُخْبِرَ في كتبه أنه كائنٌ من وقوعه في حينه وأجله الذي أُخْبِرَ الله أنه واقع فيه ، وذلك نظيرُ قوله جل ثناؤه : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح : ١٥] . فكانت إرادتهم تبديلَ كلامِ الله مسألتهم نبيَّ الله أن يتركهم يَحْضُرُونَ الحربَ معه ، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين : ﴿ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ . بعد الخبر الذي كان الله أُخْبِرَهم تعالى ذكره في كتابه بقوله : ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ الآية [التوبة : ٨٣] ، فحاولوا تبديلَ كلامِ الله وخبره بأنهم لن يَخْرُجُوا مع نبيِّ الله في غزاة ، ولن يُقَاتِلُوا معه عدوًّا ، بقولهم لهم : ﴿ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ . فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا﴾ بمسألتهم إياهم ذلك كلامِ الله وخبره ، ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ . فكذلك معنى قوله : ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ . إنما هو : لا مُغَيِّرَ لما أُخْبِرَ عنه من خبر أنه كائنٌ ، فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أُخْبِرَ جل ثناؤه ؛ لأنه لا يزيدُ المُفْتَرُونَ في كتبِ الله ، ولا ينقصون منها ، وذلك أن اليهود والنصارى لاشكَّ أنهم أهلُ كتبِ الله التي أنزلها على أنبيائه ، وقد أُخْبِرَ جل ثناؤه أنهم يُحَرِّفُونَ غيرَ الذي أُخْبِرَ أنه لا مُبَدِّلَ له .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ . يقول : صدقًا وعدلًا فيما حكم^(١) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٤/٤ (٧٨٠٧، ٧٨٠٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٠/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

وأما قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فإن معناه : واللَّهُ السَّمِيعُ لما يقول هؤلاء العادلون بالله ، المُقْسِمُونَ بالله جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : لئن جاءتهم آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بها ، وغير ذلك من كلام خلقه ، العليم بما تَتَّوَلَّى إليه أَيْمَانُهُمْ من برٍّ وصدقٍ ، وكذبٍ وحنثٍ ، وغير ذلك من أمور عبادِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ .

١٠/٨ / يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : لا تُطِيع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمدُ فيما دَعَوَكَ إليه من أكلٍ ما ذَبَحُوا لِآلِهَتِهِمْ وَأَهْلُوا بِهِ لِغَيْرِ رَبِّهِمْ ، وأشكالهم من أهل الزَّيْع والضَّلال ، فإنك إن تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَمَحَجَّةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ ، فيُضِلُّوكَ عَنْ ذَلِكَ .

وإنما قال اللَّهُ لنبيه : ﴿ وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ من بنى آدم ؛ لأنهم كانوا حينئذٍ كفارًا ضلَّالًا ، فقال له جلُّ ثناؤه : لا تُطِيعهم فيما دَعَوَكَ إليه ، فإنك إن تُطِيعهم ضللتَ ضلالهم ، وكنتَ مثلهم ؛ لأنهم لا يَدْعُونَكَ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ أَخْطَئُوهُ . ثم أَخْبَرَ جُلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ حَالِ الَّذِينَ نَهَى نَبِيَّهُ عَنْ طَاعَتِهِمْ فِيمَا دَعَاؤُهُ إِلَيْهِ فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ . فَأَخْبَرَ جُلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ مِنْ أَمْرِهُمْ عَلَى ظَنٍّ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَحِسْبَانٍ عَلَى صَحَّةِ عَزْمٍ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فِي الْحَقِيقَةِ : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ . يقول : ما هم إِلَّا مُتَخَرِّصُونَ يَظُنُّونَ وَيُوقِعُونَ خَزْرًا لَا يَقِينَ عَلَيْهِمْ .

يقالُ منه : خَرَصَ يَخْرُصُ خَرْصًا وَخُرُوصًا ، أَيْ : كَذَبَ ، وَتَخَرَّصَ بَظْنٍ ، وَتَخَرَّصَ بِكَذِبٍ ، وَخَرَصْتُ النَّخْلَ أَخْرَصُهُ ، وَخَرِصْتُ إِبْلُكَ : أَصَابَهَا الْبَرْدُ وَالْجَوْعُ .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا محمد ، إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان ؛ لئلا يضلوك عن سبيله ، هو أعلم منك ومن جميع خلقه ، أي خلقه يضل عن سبيله بزُخرف القول الذي يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض ، فيصدف عن طاعته واتباع ما أمر به ، ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . يقول : وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد ، لا يخفى عليه منهم أحد . يقول : واتبع يا محمد ما أمرتك به ، وائتبه عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته ، فإني أعلم بالهادي والمضل من خلقى منك .

واختلف أهل العربية في موضع « من » في قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ ﴾ ؛ فقال بعض نحوي البصرة^(١) : موضعه خفض بنية الباء . قال : ومعنى الكلام : إن ربك هو أعلم بمن يضل .

وقال بعض نحوي الكوفة^(٢) : موضعه رفع ؛ لأنه بمعنى « أي » ، والرافع له « يضل » .

والصواب من القول في ذلك : أنه رفع بـ « يضل » ، وهو في معنى « أي » ، وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض ، فيكون هذا له نظيرا . وقد زعم بعضهم أن قوله : ﴿ أَعْلَمُ ﴾ في هذا الموضع بمعنى : يعلم ، واستشهد لقيه بيت حاتم الطائي^(٣) :

فحالف طيئ من دوننا حلفا والله أعلم ما كُنا لهم خذلا

(١) هو الأخفش كما تقدم في ص ٤٣١ .

(٢) هو الفراء في معاني القرآن ٣٥٢/١ .

(٣) تفسير القرطبي ٧٢/٧ .

وبقولِ خَنَسَاءَ^(١) :

١١/٨

/ القومُ أعلمُ أن جَفَنَتَهُ تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أو تَسْرِى^(٢)

وهذا الذى قاله قائلُ هذا التأويلِ ، وإن كان جائزًا فى كلامِ العربِ ، فليس قولُ الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ منه ، وذلك أنه عطَفَ عليه بقوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . فأبان بدخولِ الباءِ فى « المهتدين » ، أن أعلم ليس بمعنى « يَعْلَمُ » ؛ لأن ذلك إذا كان بمعنى « يَفْعَلُ » ، لم يُوصَلْ بالباءِ ، كما لا يُقال : هو يَعْلَمُ بزيد . بمعنى : يَعْلَمُ زيدًا .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره لنبىِّه محمدٍ ﷺ ، وعباده المؤمنين به وبآياته : فكلُّوا أيُّها المؤمنون مما ذُكِّتُمْ مِنْ ذَبَائِحِكُمْ ، وَذَبَحْتُمُوهُ الذَّبْحَ الذى يَنْتُ لَكُمْ أنه تَحِلٌّ به الذَّبِيحَةُ لَكُمْ ، وذلك ما ذَبَحَهُ المؤمنون بى مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ ، دِينَ الْحَقِّ ، أو ذَبَحَهُ مَنْ دان بتوحيدي مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، دُونَ ما ذَبَحَهُ أَهْلُ الْأَوْثَانِ وَمَنْ لا كِتَابَ لَهُ مِنَ الْمَجُوسِ ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ : إِنْ كُنْتُمْ بِحُجَجِ اللَّهِ الَّتِي أُتِّكُم وَأَعْلَامِهِ ، بِإِحْلَالِ مَا أُحْلَلْتُ لَكُمْ ، وَتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَأْكَلِ - مُصَدِّقِينَ ، وَدَعُّوا عَنْكُمْ زُخْرَفَ مَا تُوجِيهِ الشَّيَاطِينُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنْ زُخْرَفِ الْقَوْلِ لَكُمْ ، وَتَلْبِيسِ دِينِكُمْ عَلَيْكُمْ غُرُورًا .

وكان عطاءٌ يقولُ فى ذلك ما حَدَّثَنَا به محمدُ بْنُ بَشَّارٍ ومحمدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ جُرَيْجٍ ، قال : قُلْتُ لعطاءٍ : قوله : ﴿ فَكُلُوا

(١) أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء ص ٥٢ .

(٢) تغدو : أى تأتئهم غدوة ، وتسرى : أى تأتئهم ليلاً ، والمعنى أن كرمه يشمل قومه ليلاً ونهارًا .

مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿١﴾ . قال : يَأْمُرُ بِذِكْرِ اسْمِهِ عَلَى الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ وَالذَّبْحِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى ذِكْرِهِ يَأْمُرُ بِهِ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾ .

اختلف أهل العلم بكلام العرب في تأويلِ قوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا ﴾ ؛ فقال بعضُ نحوِّ البصريين : معنى ذلك : وأى شَيْءٍ لَكُمْ فِي أَلَّا تَأْكُلُوا ؟ قال : وذلك نظيرُ قوله : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] . يقول : أى شَيْءٍ لَنَا فِي تَرْكِ الْقِتَالِ ؟ قال : ولو كانت « أَنْ » ^(٢) زائدة لا رَفْعٌ ^(٣) الفعل ، ولو كانت في معنى : وما لنا وكذا . لكانت : وما لنا وَأَنْ لَا نُقَاتِلَ .

وقال غيره : إنما دَخَلَتْ « لَا » لِلْمَنْعِ ؛ لِأَن تَأْوِيلَ « مَا لَكَ » ، و « مَا مَنَعَكَ » وَاحِدٌ : مَا مَنَعَكَ لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ ، وَمَا لَكَ لَا تَفْعَلْ . وَاحِدٌ ، فَلِذَلِكَ دَخَلَتْ « لَا » . قال : وهذا الموضعُ تَكُونُ / فِيهِ « لَا » ، وَتَكُونُ فِيهِ « أَنْ » مِثْلَ قَوْلِهِ : ﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] و « أَنْ لَا تَضِلُّوا » : يَمْنَعُكُمْ مِنَ الضَّلَالِ بِالْبَيَانِ ^(٤) .

وأولى القولين في ذلك بالصوابِ عندى قولُ مَنْ قال : معنى قوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ ﴾ في هذا الموضع : وأى شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وذلك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ تَقَدَّمَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَحْلِيلِ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِبَاحَةِ أَكْلِ مَا

(١) ينظر تفسير القرطبي ٧/٧٢ ، وفتح القدير ٢/١٥٦ .

(٢) في م : « لَا » .

(٣) في النسخ : « لَا يَقَعُ » وهو تحريف والصواب ما أثبت .

(٤) ينظر ما تقدم في ٤/٤٤٥ .

ذُبِحَ بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة ، وتحريم ما أُهْلَ به لغيره من الحيوان ، وزجرهم عن الإضغاء لما يوجب الشياطين بعضهم إلى بعض من زُخْرِفِ القول في الميتة والمنخنقة والمترددة وسائر ما حرّم الله من المطاعم ، ثم قال : وما يمتنعكم من أكل ما ذُبِحَ بدينى الذى ارتضىته وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون ، ويثبت لكم بقولى ^(١) : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ [المائدة : ٣] . فلا لبس عليكم فى حرام ذلك من حلاله ، فتَمَتَّنُوا مِنْ أَكْلِ حلاله ، حَذَرًا مِنْ مُوَاقَعَةِ حَرَامِهِ .

فإذ كان ذلك معناه ، فلا وجه لقول مُتَأَوَّلِي ذلك : وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا ؟ لأن ذلك إنما يقال كذلك لمن كان كفّ عن أكله رجاء ثواب بالكفّ عن أكله ، وذلك يكون ممن آمن بالكفّ ، فكفّ اتباعاً لأمر الله ، وتسليماً لحكمه ، ولا نعلم أحداً من سلف هذه الأمة كفّ عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك ، واعتقاداً منه أن الله حرّمه عليه ، فبيّن بذلك إذ كان الأمر كما وصفنا أن أولى التأويلين فى ذلك بالصواب ما قلنا .

وقد بيّنا فيما مضى قبل أن معنى قوله : فصل ، وفصلنا ، وفصل : بيّن ، ويّس ، بما يُغْنَى عن إعادته فى هذا الموضع ^(٢) .

كما حدّثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ . يقول : قد بيّن لكم ما حرّم عليكم ^(٣) . حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد مثله .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بقول » ، وفى م : « بقوله » .

(٢) ينظر ما تقدم ص ٢٧٦ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ، ٥٠٦ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٧ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٦ (٧٨١٧) - عن معمر به .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ ^(١) « فقرأه بعضهم » بفتح أول الحرفين من ﴿ فَصَّلَ ﴾ ^(٢) و ﴿ حَرَّمَ ﴾ ^(٣) أى : فَصَّلَ مَا حَرَّمَهُ ^(٤) مِنْ مَطَاعِمِكُمْ فَبَيَّنَهُ لَكُمْ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قِرَاءَةَ الْكُوفِيِّينَ : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ ﴾ بفتح فاء « فَصَّلَ » ، وتشديد صاذه ، (ما حُرِّمَ) بضم حائه وتشديد رائه ^(٥) ، بمعنى : وقد فَصَّلَ اللَّهُ لَكُمْ المحرَّم عليكم مِنْ مَطَاعِمِكُمْ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَبَعْضُ الْبَصَرِيِّينَ : (وقد فَصَّلَ لَكُمْ) بضم فائه وتشديد صاذه ، (ما حُرِّمَ عليكم) بضم حائه وتشديد رائه ، على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله في الحرفين كليهما ^(٦) .

وَرَوَى عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ : (وقد فَصَّلَ) بتخفيف الصاد وفتح الفاء ^(٧) ، بمعنى : وقد أتاكم حكمُ اللَّهِ فيما حَرَّمَ عليكم .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ : إِنْ كُلُّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ، سِوَى الْقِرَاءَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا عَنْ عَطِيَّةٍ ، قِرَاءَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ ، مُسْتَفِيزَةُ الْقِرَاءَةِ بِهَا فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ ، وَهِيَ مُتَّفَقَاتُ الْمَعَانِي ، غَيْرُ مُخْتَلِفَاتٍ ، فَبَأَى ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ فِيهِ الصَّوَابُ .

/ وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ . فإنه يعنى تعالى ذكره أن ما اضْطُرِرْنَا

١٣/٨

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٢) هى قراءة نافع ، وحفص عن عاصم . حجة القراءات ص ٢٦٩ .

(٣) هى رواية أبى بكر عن عاصم ، وقراءة حمزة والكسائى . المصدر السابق .

(٤) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر . المصدر السابق .

(٥) ينظر سنن سعيد بن منصور (٩١٠ - تفسير) ، وتفسير القرطبي ٧ / ٧٣ ، والبحر المحيط ٤ / ٢١٠ .

إليه من المطاعم المحرمة التي بين تحريمها لنا في غير حال الضرورة ، لنا حلال ما كنا إليه مضطرين حتى تزول الضرورة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ : من الميتة ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وإن كثيراً من الناس يجادلونكم في أكل ما حرّم الله عليكم أيها المؤمنون بالله ، من الميتة ، ليضلّون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون ، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون ، إلا ركوباً منهم لأهوائهم ، واتباعاً منهم لدواعي نفوسهم ، اعتداءً وخلافاً لأمر الله ونهيه ، وطاعةً للشياطين . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ . يقول : إن ربك يا محمد الذي أحلّ لك ما أحلّ ، وحرّم عليك ما حرّم ، هو أعلم بمن اعتدى حدوده ، فتجاوزها إلى خلافها ، وهو لهم بالمرصاد . واختلّفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ لَيُضِلُّونَ ﴾ ؛ فقرأته عامة أهل الكوفة : ﴿ لَيُضِلُّونَ ﴾ بمعنى : أنهم يضلّون غيرهم .

وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين : (لَيُضِلُّونَ) بمعنى : أنهم هم الذين يضلّون عن الحق فيجوزون عنه ^(٢) .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ ﴾ ^(٣) بمعنى : أنهم يضلّون غيرهم . وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/٣ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء ، والباقون بالفتح . ينظر النشر ١٩٧/٢ .

(٣) القراءتان كلتاهما صواب .

عن إضلالهم مَنْ تَبِعَهُمْ ، ونهاه عن طاعتهم واتباعهم إلى ما يَدْعُوْنَهُ إِلَيْهِ ، فقال : ﴿ وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] . ثم أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ عَنْهُمْ بِمَثَلِ الَّذِي أَخْبَرَهُ عَنْهُمْ ، ونهاهم مِنْ قَبُولِ قَوْلِهِمْ عَنْ مَثَلِ الَّذِي نَهَا عَنْهُ ، فقال لهم : وَإِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ لِيُضِلُّوكُمْ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . نظيرَ الَّذِي قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : وَدَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ عِلَانِيَةَ الْإِثْمِ ، وذلك ظاهره ، وسره ، وذلك باطنه .

كذلك حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قال : ثنا يَزِيدُ ، قال : ثنا سَعِيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ أى : قليله وكثيره ، وسره وعِلَانِيَتِهِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قال : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادة : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ . قال : سره وعِلَانِيَتُهُ ^(١) .

/ حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن أَبِي جَعْفَرٍ ، عن الرِّبِّيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ . يقولُ : سره وعِلَانِيَتِهِ . وقوله : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ ، الأعراف : ٣٣] . قال : سره وعِلَانِيَتُهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الرِّبِّيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ . قال : نهى الله عن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٧ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧٧ (٧٨٢٤ ، ٧٨٢٨) - عن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧٧ عقب الأثرين (٧٨٢٤ ، ٧٨٢٨) من طريق أبي جعفر به .

ظاهر الإثم وباطنه أن يُعْمَلَ به سرًّا أو علانيةً ، وذلك ظاهره وباطنه^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ : معصية الله في السر والعلانية^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ . قال : هو ما يتوى مما هو عامل^(٣) .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بالظاهر من الإثم والباطن منه في هذا الموضع ؛ فقال بعضهم : الظاهر منه ما حرم جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٢٢] . وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ الآية [النساء : ٢٣] . والباطن منه الزنى .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ . قال : الظاهر منه : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ والأمهات والبنات والأخوات ، والباطن الزنى^(٤) .

وقال آخرون : الظاهر أولات الرايات من الزواني ، والباطن ذوات الأخدان .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٦/٤ (٧٨٢١) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به مختصراً .

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣١٦ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٢ ، إلى ابن المنذر وأبي الشيخ . وينظر تفسير البغوي ٣/١٨٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٦/٤ ، ١٣٧٧ (٧٨٢٣ ، ٧٨٢٧) من طريق حماد بن سلمة به وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤١ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ : أما ظاهره فالزواني في الحوانيت ، وأما باطنه فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرًّا ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنى عبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] : كان أهلُ الجاهلية يشتسرون بالزنى ، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرًّا ، فحرم الله السر منه والعلانية ، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ . يعنى العلانية ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ . يعنى السر ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِي مَكِينٍ وَأَبِيهِ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ . قَالَ : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الجمعُ بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزنى ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : الظاهرُ التَّعَرَّى والتَّجَرُّدُ مِنَ الثِّيَابِ وَمَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ فِي الطَّوَافِ ، وَالْبَاطِنُ الزنى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

/ حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا

١٥/٨

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٧/٤ (٧٨٢٥، ٧٨٢٩) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) ينظر التبيان ٢٥٥/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٦/٥ (٨٠٦٨) من طريق خصيف به مقتصرًا على أوله ، وذكره وعلق آخره في ١٤١٧/٥ عقب الأثر (٨٠٧٢) .

تَقَرَّبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴿١﴾ قال : ظاهره العُرْيَةُ التي كانوا يَعْمَلُونَ بها حينَ يَطُوفُونَ بالبيتِ ، وباطنه الزنى ^(١) .

والصوابُ مِنَ القولِ في ذلك عندنا أن يُقالَ : إن الله تعالى ذكره تقدَّم إلى خلقه بتركِ ظاهرِ الإثمِ وباطنه ، وذلك سرُّه وعلائيته ، والإثمُ كُلُّ ما عُصِيَ الله به من مَحَارِمِهِ ، وقد يَدْخُلُ في ذلك سرُّ الزنى وعلائيته ، ومُعَاهَرَةُ أَهْلِ الرَايَاتِ وَأُولَاتِ الْأَخْدَانِ مِنْهُنَّ ، وَنِكَاحُ حَلَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ عُزْيَانًا ، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ ظَهَرَتْ أَوْ بَطَنَتْ . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان جميعُ ذلك إثْمًا ، وكان الله عَمَّ بقوله : ﴿ وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ جميعُ ما ظَهَرَ مِنَ الْإِثْمِ وَجميعُ ما بَطَنَ ، لم يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ لِلْعَذْرِ قَاطِعَةٍ .

غيرَ أنه لو جاز أن يُوجَّهَ ذلك إلى الْخُصُوصِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ ، كان توجيهُه إلى أنه غُني بظاهرِ الإثمِ وباطنه في هذا الموضعِ ما حَرَّمَ اللهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَأْكَلِ ، مِنَ الْمَيْتَةِ وَالْدَمِ ، وما بينَ الله تحريمه في قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلى آخرِ الآية [المائدة : ٣] - أولى ، إذ كان ابتداءُ الآياتِ قبلها بذكرِ تحريمِ ذلك جَرَى ، وهذه في سياقها ، ولكنه غيرُ مُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَكُونَ غُني بها ذلك ، وأُدْخِلَ فيها الأمرُ بِاجْتِنَابِ كُلِّ مَا جَانَسَهُ مِنْ مَعْاصِيِ اللهِ ، فخرجَ الأمرُ عامًا بالنهي عن كُلِّ ما ظَهَرَ أَوْ بَطَنَ مِنَ الْإِثْمِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ ﴿ ١٢٠ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : إن الذين يَعْمَلُونَ بما نهاهم الله عنه ، وَيَرْكَبُونَ مَعْاصِيَ اللهِ

وَيَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، ﴿سَيَجْزَوْنَ﴾ . يقول : سَيُثَبِّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ مِنْ مَعَاصِيهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : [١/٧٩٠ ظ] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ : لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم ، أو يذبحه مَوْحِدٌ يَدِينُ لِلَّهِ بشرائع شرعها له فى كتاب مُنَزَّلٍ ، فإنه حرام عليكم ، ولا ما أُهْلَ به لغير الله مما ذبحه المشركون لأوثانهم ، فإن أكل ذلك فسقٌ ، يعنى : معصيةٌ كفرٌ .

فكنى بقوله : ﴿وَإِنَّهُ﴾ عن الأكل ، وإنما ذكر الفعل ، كما قال : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران : ١٧٣] . يُرَادُ به : فزاد قولهم ذلك إيمانًا . فكنى عن القول ، وإنما جرى ذكره بفعلٍ .

﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله : ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ ؛ فقال بعضهم : غنى بذلك شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس ﴿إِلَىٰ / أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من مَرَدَةِ مشركى قريش ، يُوحون إليهم زُخْرَفَ القول بجدال^(١) نبي الله وأصحابه فى أكل الميتة .

١٦/٨

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى ، قال : ثنا موسى بن عبد العزيز القنبارى ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : لما نزلت هذه الآية ، تحريم الميتة ، قال : أُوْحِتْ فارسٌ إلى أوليائها من قريش أن خاصموا محمداً - وكانت

أولياءهم في الجاهلية - وقولوا له : إِنَّ ما ذَبَحْتَ فهو حلالٌ ، وما ذَبَحَ اللَّهُ - قال ابنُ عباسٍ : بِشَّمْشَارٍ^(١) مِنْ ذَهَبٍ - فهو حرامٌ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ هذه الآية : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ . قال : الشياطينُ فارسٌ ، وأولياؤهم قريشٌ^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال عمرو بنُ دينارٍ ، عن عكرمة : إن مُشْرِكِي قريشٍ كاتبوا فارسَ على الرومِ ، وكاتبَهم فارسٌ ، وكتبَت فارسٌ إلى مشركي قريشٍ : إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمرَ الله ، فما ذبحَ الله بسكينٍ من ذهبٍ ، فلا يأكله محمدٌ وأصحابه - للميتة - وأما ما ذبحوا هم يأكلون . وكتبَ بذلك المشركون إلى أصحابِ محمدٍ عليه الصلاة والسلامُ ، فوقع في أنفسِ ناسٍ من المسلمين من ذلك شيءٌ ، فنزلت : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ الآية . ونزلت : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾^(٣) [الأنعام : ١١٢] .

وقال آخرون : إنما غنى بالشياطين الذين يغترون بنى آدمَ ، أنهم أوحوا إلى أوليائهم من قريشٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، عن عَنبَسَةَ ، عن سِمَاكِ ، عن عكرمة ، قال : كان مما أوحى الشياطينُ إلى أوليائهم من الإنس : كيف تعبدون شيئاً لا

(١) الشمشار : السيف بالفارسية . المعجم الذهبى ص ٣٧٨ ، وفيه : شَمْشِير .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٩/٤ (٧٨٤٢) عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم به مختصراً . وأخرجه الطبراني في الكبير (١١٦١٤) من طريق موسى بن عبد العزيز ، عن الحكم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٣ إلى المصنف وأبى الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٢١/٣ عن عكرمة به .

تَأْكُلُونَ مِمَّا قُتِلَ ، وَتَأْكُلُونَ أَنْتُمْ مَا قَتَلْتُمْ ؟ فَرَوَى الْحَدِيثُ حَتَّى بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ ،
فَنَزَلَتْ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال :
قال ابن عباس : قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ . قال : إبليس
الذى يُوحى إلى مشركى قريش ^(١) .

قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : شياطين الجن
يُوحُونَ إلى شياطين الإنس ؛ يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم .

قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : سَمِعْتُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يُوحُونَ إِلَى
أَهْلِ الشَّرِكِ ، يَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : مَا الَّذِي يَمُوتُ وَمَا الَّذِي تَذْبَحُونَ إِلَّا سَوَاءٌ .
يَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يُخَاصِمُوا بِذَلِكَ مُحَمَّدًا ﷺ . ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .
قال : قول المشركين : أَمَا مَا ذَبَحَ اللَّهُ - للميتة - فلا تأْكُلُونَ ، وأَمَا مَا ذَبَحْتُمْ بأيديكم
فحلّال !

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَارٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : ثنا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : ثنا شَرِيكُ ،
عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : إن المشركين قالوا للمسلمين : ما
قتل ربكم فلا تأْكُلُونَ ، وما قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ ! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ ﴿ وَلَا
تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنى أَبِي ، قَالَ : ثنى عَمِي ، قَالَ : ثنى أَبِي ، عن
أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما حَرَّمَ اللَّهُ الميتة أمر الشيطان أوليائه فقال لهم : ما قتل
اللَّهُ لكم خير مما تَذْبَحُونَ أَنْتُمْ بِسَكَائِنِكُمْ . فقال اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

١٧/٨

حدَّثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن هارون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جادل المشركون المسلمين فقالوا : ما بال ما قتل الله لا تأكلونه ، وما قتلتم أنتم أكلتموه ، وأنتم تتبعون أمر الله ؟ فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ إلى آخر الآية ^(١) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ إِلَىٰ أُولِيَآئِهِمْ ﴾ . يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ! فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(٢) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا [٧٩١/١ و] يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، أن ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ﷺ ، فقالوا : أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ فقال : « الله قتلها » . قالوا : فتزعم أن ما قتل أنت وأصحابك حلال ، وما قتل الله حرام ؟ فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(٣) .

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرمي ، أن ناساً من المشركين قالوا : أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه !

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن

(١) أخرجه النسائي (٤٤٤٩) ، وفي الكبرى (١١١٧١) - ومن طريقه النحاس في ناسخه ص ٤٤١ - والحاكم ٢٣٣/٤ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٣ إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) أخرجه الحاكم ١١٣/٤ ، ٢٣١ من طريق عبيد الله بن موسى به ، وأخرجه أبو داود (٢٨١٨) - ومن طريقه البيهقي ٢٤١/٩ - من طريق إسرائيل به .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٣ إلى أبي داود في ناسخه .

على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْهُ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٨] . قال : قالوا : يا محمد ، أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه ، وأما ما قتل ربكم فشحرمونه ! فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه ، إنكم إذن لمشركون ^(١) .

حدثنا المشنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : قال المشركون : ما قتلتم فتأكلونه ، وما قتل ربكم لا تأكلونه ! فنزلت : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(٢) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . قول المشركين : أما ما ذبح الله - للميتة - فلا تأكلون منه ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال ^(٣) !

حدثنى المشنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلَكُمْ ﴾ . قال : جادلهم المشركون فى الذبيحة فقالوا : أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه ! يعنون الميتة ، فكانت هذه مجادلته إياهم ^(٤) .

١٨/٨

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٨٠/٤ (٧٨٤٨) من طريق عبد الله بن صالح به مختصراً ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ ، وسيأتى بتمامه فى ص ٥٣١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٧ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٧/١ عن معمر به .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الآية . يعنى : عدو الله إبليس أَوْحَى إِلَى أَوْلِيَائِهِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : خَاصِمُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فِي الْمَيْتَةِ ، فَقُولُوا : أَمَا مَا ذَبَحْتُمْ وَقَتَلْتُمْ فَتَأْكُلُونَ ، وَأَمَا مَا قَتَلَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُونَ ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ تَتَّبِعُونَ أَمْرَ اللَّهِ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُهُ كَانَ شِرْكٌ قَطُّ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ ؛ أَنْ يَدْعُوَ ^(١) مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، أَوْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، أَوْ يُسَمِّيَ الذَّبَائِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ : إِنْ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ : كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ تَتَّبِعُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ ، وَمَا ذَبَحَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُونَهُ ، وَمَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهُ ؟ فَقَالَ اللَّهُ : لَئِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ فَأَكَلْتُمُ الْمَيْتَةَ ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا وَكِيعٌ ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ سَمَاكِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ ﴾ . قَالَ : كَانُوا يَقُولُونَ : ^(٤) مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَا ذَبَحْتُمْ فَكُلُوا ! ^(٥) فَنَزَلَتْ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ^(٥) .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، والدر المنثور : « يدعى » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٢١/٣ عن السدى .

(٤ - ٤) كذا وردت العبارة فى النسخ ، ومصدرا التخرىج : « ما ذكر عليه اسم الله فلا تأكلوا ، وما لم يذكر اسم الله عليه فكلوه » . وهو الصواب .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣١٧٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٠/٤ (٧٨٤٥) من طريق وكيع به وتقدم

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطائٍ ، عن سعيدِ بنِ جبير ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيُجَدِّدُكُمْ ﴾ .
قال : يقولُ : يُوجِي الشياطينُ إلى أوليائِهِم : تَأْكُلُون ما قَتَلْتُمْ ، ولا تَأْكُلُون مما قَتَلَ
اللَّهُ ! فقال : إن الذي قَتَلْتُمْ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عليه ، وإن الذي مات لم يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ
عليه ^(١) .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرج ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عبيدُ
ابنُ سليمان ، قال : سَمِعْتُ الضحَّاكَ يقولُ ^(٢) في قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ
لَيُؤْخِنُونَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُكُمْ ﴾ : هذا في شأنِ الذَّبِيحَةِ . قال : قال المشركون
للمسلمين : تَزْعُمُونَ أن اللهَ حَرَّمَ عليكم الميتةَ ، وأَحَلَّ لكم ما تَذْبَحُونَ أنتم
بأيديكم ، وحَرَّمَ عليكم ما ذَبَحَ هو لكم ! وكيف هذا وأنتم تَعْبُدُونَهُ ! فَأَنْزَلَ
اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله :
﴿ لِمُشْرِكُونَ ﴾ .

وقال آخرون : كان الذين جادلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ في ذلك قومًا من اليهود .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى وسفيانُ بنُ وكيع ، قالا : ثنا عمرانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن
عطائِ بنِ السائب ، عن سعيدِ بنِ جبير ، عن ابنِ عباسٍ - قال ابنُ عبدِ الأعلى :
خاصَّمت اليهودُ النَّبِيَّ ﷺ . وقال / ابنُ وكيع : جاءت اليهودُ إلى النَّبِيِّ ﷺ -
فقالوا : نَأْكُلُ ما قَتَلْنَا ، ولا نَأْكُلُ ما قَتَلَ اللَّهُ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ

١٩/٨

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٧٩ ، ١٣٨٠ (٧٨٤٣ ، ٧٨٤٦) من طريق جرير به . وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٢ إلى أبي الشيخ .

(٢) ليست في : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س .

يُذَكِّرُ [٧٩١/١ ظ] اِسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴿١﴾ .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أن الشياطين يُوحون إلى أوليائهم ليُجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة بما ذكروا من جدالهم إياهم ، وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يُوحون إلى أوليائهم منهم ، وجائز أن يكونوا شياطين الجن أَوْحُوا إلى أوليائهم من الإنس ، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك ، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] . بل ذلك الأغلب من تأويله عندى ؛ لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس ، كما جعل لأنبيائه من قبله ، يُوحى بعضهم إلى بعض المزيّن من الأقوال الباطلة ، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يُوحون إلى أوليائهم من الإنس ليُجادلوه وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فيما حرّم الله من الميتة عليهم .

واختلف أهل التأويل في الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيّه عن أكله مما لم يُذكر اسم الله عليه ؛ فقال بعضهم : هو ذبائح كانت العرب تذبّحها لآلهتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ؟ قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح . قلت لعطاء : فما قوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا ﴾

(١) أخرجه أبو داود (٢٨١٩) ، والطبرانى (١٢٢٩٥) ، والبيهقى ٢٤٠/٩ من طريق عمران بن عيينة به ، وأخرجه الترمذى (٣٠٦٩) من طريق عطاء بن السائب به .

مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿١﴾ ؟ قال : يَنْهَى عَنْ ذَبَائِحَ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الْأَوْثَانِ ، كَانَتْ تَذْبَحُهَا الْعَرَبُ وَقَرِيشٌ ^(١) .

^(٢) وقال آخرون : هِيَ الْمَيْتَةُ ^(٢) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَا : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ . قال : الْمَيْتَةُ ^(٣) .

وقال آخرون : بَلْ عَنَى بِذَلِكَ كُلَّ ذَبِيحَةٍ لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ جُهَيْرٍ ^(٤) بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : سُئِلَ الْحَسَنُ ، سَأَلَهُ رَجُلٌ قَالَ لَهُ : أُتِيتُ بِطَيْرٍ كَرًّا ^(٥) ، فَمِنْهُ مَا ذُبِحَ فَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ مَا نُسِيَ أَنْ يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاخْتَلَطَ الطَّيْرُ . فَقَالَ الْحَسَنُ : كُلَّهُ كُلَّهُ . قال : وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ ابْنَ سِيرِينَ ، فَقَالَ : قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ^(٦) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحَجَّاجُ ، قَالَ : ثنا حَمَّادٌ ، عَنْ أَيُّوبَ وَهْشَامٍ ، عَنْ

(١) تقدم شطره الأول في ص ٥١١ ، ٥١٢ ، وأخرج ابن أبي حاتم شطره الثاني في تفسيره ١٣٧٨/٤ (٧٨٣٦) من طريق ابن جريج به بنحوه .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س ، ف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٨/٤ (٧٨٣٣) من طريق جرير به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٣ إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٤) في م : « حميد » وتنظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢/٢٥٥ ، والجرح والتعديل ٢/٥٤٧ .

(٥) في م : « كذا » والكرا : لغة في الكروان ، ويجمع على كروان وكراوين : ينظر اللسان (ك ر و) .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣١٩ عن المصنف .

محمد بن سيرين ، عن / عبد الله بن يزيد الخطمي ، قال : كَلُوا مِنْ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ^(١) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد ، قال : كنتُ أَجْلِسُ إِلَيْهِ فِي حَلَقَةٍ ^(٢) ، فكان يَجْلِسُ فِيهَا نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ هُوَ رَأْسُهُمْ ، فإذا جاء سائلٌ فإنما يَسْأَلُهُ وَيَسْأَلُونَ . قال : فجاءه رجلٌ فسأله فقال : رجلٌ ذَبَحَ فَنَسِيَ أَنْ يُسَمِّيَ ؟ فتلا هذه الآية : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ حتى فرغ منها .

والصوابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ : إِنْ اللَّهُ عَنَى بِذَلِكَ مَا ذَبَحَ لِلْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ ، وَمَا مَاتَ أَوْ ذَبَحَهُ مَنْ لَا تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ .

وَأَمَّا مَنْ قَالَ : غَنَى بِذَلِكَ مَا ذَبَحَهُ الْمُسْلِمُ فَنَسِيَ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ . فَقَوْلٌ بَعِيدٌ مِنَ الصَّوَابِ ؛ لِشُدُوزِهِ وَخُرُوجِهِ عَمَّا عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مُجْمِعَةٌ مِنْ تَحْلِيلِهِ ، وَكَفَى بِذَلِكَ شَاهِدًا عَلَى فُسَادِهِ . وَقَدْ بَيَّنَّا فُسَادَهُ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ فِي كِتَابِنَا الْمُسَمَّى « لَطِيفُ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الدِّينِ » ، فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لَفِسْقٌ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَإِنْ أَكَلَ مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَيْتَةِ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ لَفِسْقٌ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى « الْفِسْقِ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : الْمَعْصِيَةُ . فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا : وَإِنْ أَكَلَ مَا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَعْصِيَةً لِلَّهِ وَإِثْمٌ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٣ إلى عبد بن حميد .

(٢) المتكلم هنا ابن سيرين .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَفِسْقٌ ﴾ . قال : الفسقُ المعصية^(١) .

وقال آخرون : معنى ذلك الكفر .

وأما قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ . فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنيين^(٢) بقوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ ﴾ والصواب من القول فيه^(٣) .

وأما إيحائهم إلى أوليائهم ، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه ؛ إما بقول ، وإما برسالة ، وإما بكتاب .

وقد بيّنا معنى « الوحي » فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع^(٤) .

وقد حدّثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا عكرمة ، عن أبي زُمَيْل ، قال : كنتُ قاعدًا عند ابن عباس ، فجاءه رجلٌ من أصحابه فقال : يا أبا عباس ، زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة . يعني المختار بن أبي عبيد . فقال ابن عباس : صدق . فنفرتُ ، فقلتُ : يقول ابن عباس : صدق ؟ [٧٩٢/١ و] فقال ابن عباس : هما وخيان ؛ وحي الله ، وحي الشيطان ، فوحي الله إلى محمد ، وحي الشياطين إلى أوليائهم . ثم قرأ : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٩/٤ (٧٨٣٨) عن محمد بن سعد به .

(٢) في م : « المعنى » .

(٣) ينظر ما تقدم ص ٥٢٠ - ٥٢٧ .

(٤) ينظر ما تقدم في ٥ / ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٩/٤ (٧٨٤١) من طريق أبي حذيفة به .

وأما « الأولياء » : فهم النُّصَرَاءُ والظُّهَرَاءُ في هذا الموضع .

ويعنى بقوله : ﴿ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ : ليُخَاصِمُوكم . بالمعنى الذى قد ذَكَرْتُ قبلُ .

/ وأما قوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . فإنه يعنى : وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ فى ٢١/٨ أَكَلِ المِيتَةِ وما حَرَّمَ عليكم ربُّكم .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ ابنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ . يقولُ : وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ فى أَكَلِ ما نَهَيْتُكم عنه ^(١) .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفضِّل ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ فأكلتم المِيتة ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . يعنى : إنكم إِذن مثلهم ، إذ كان هؤلاء يَأْكُلون المِيتة استِخْلالاً ، فإذا أنتم أَكَلْتُموها كذلك فقد صِرْتُمْ مثلهم مُشْرِكِينَ .

واخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فى هذه الآية : هل تُنسخ من حَكَمِها شَيْءٌ أم لا ؟ فقال بعضهم : لم يُنسخ منها شَيْءٌ ، وهى مُحْكَمَةٌ فيما عُيِّنَتْ به . وعلى هذا قولُ عامةِ أَهْلِ العِلْمِ .

وَرَوَى عن الحسنِ البصرى وعكرمةَ ما حدَّثنا به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضح ، عن الحسين بنِ واقدٍ ، عن يزيدٍ ، عن عكرمةَ والحسنِ البصرى قالَا : قال :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٠/٤ (٧٨٤٨) من طريق عبد الله بن صالح به ، وهو جزء من الأثر المتقدم فى ص ٥٢٤ .

(٢) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٥٢٥ .

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَاتٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ ، فنسخ ، واشتتنى من ذلك فقال : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ ^(١) [المائدة : ٥] .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه الآية مُحْكَمَةٌ فيما أُنْزِلَتْ لم يُنسخ منها شيء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال ، وذبائحهم ذَكِيَّةٌ ، وذلك مما حَرَّمَ اللَّهُ على المؤمنين أكله بقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ بِمَعْرِزِلٍ ؛ لأن الله إنما حَرَّمَ علينا بهذه الآية الميتة وما أُهْلُ به للطَّوَاعِيتِ ، وذبائح أهل الكتاب ذَكِيَّةٌ ، سَمَّوْا عليها أو لم يُسَمُّوْا ؛ لأنهم أهل توحيد ، وأصحاب كتبٍ لله يَدِينُونَ بِأَحْكَامِهَا ، يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ بِأَدْيَانِهِمْ ، كما يَذْبَحُ الْمُسْلِمُ بِدِينِهِ ، سَمَّى اللَّهُ على ذبيحته أو لم يُسَمِّهِ ، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته ، على الدَّيْنُونَةِ بالتعطيل ، أو بعبادة شيءٍ سِوَى اللَّهِ ، فيَحْرُمُ حَيْثُ ذُكِرَ ذبيحته ، سَمَّى اللَّهُ عليها أو لم يُسَمِّ .

القول في تأويل قوله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ .

وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم في أكل الميتة ، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به ، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان ، أو ^(٢) كافرًا ، فهذه جل ثناؤه لرُشْدِهِ ، ووفقه للإيمان ، فقال لهم : أطاعة ﴿ مَنْ كَانَ مَيِّتًا ﴾ . يقول : مَنْ كَانَ كافرًا / فجعله جل ثناؤه لا نصيرافه عن طاعته ، وجهله بتوحيده وشرائع دينه ، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يُؤدِّيهِ إلى نجاته - بمنزلة الميت الذي لا يَنْفَعُ نفسه بنافعة ، ولا يَدْفَعُ عنها

٢٢/٨

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣١٩ عن المصنف .

(٢) سقط من : م .

مِنْ مَكْرُوهِ نَازِلَةٍ ﴿ فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ . يَقُولُ : فَهَدَيْنَاهُ لِلْإِسْلَامِ ، فَأَنْعَشْنَاهُ ، فَصَارَ يَعْرِفُ مَضَارَّ نَفْسِهِ وَمَنَافِعَهَا ، وَيَعْمَلُ فِي خَلَاصِهَا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ فِي مَعَادِهِ . فَجَعَلَ إِبْصَارَهُ الْحَقَّ تَعَالَى ذِكْرَهُ - بَعْدَ عَمَاهُ عَنْهُ ، وَمَعْرِفَتَهُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَشَرَائِعِ دِينِهِ بَعْدَ جَهْلِهِ بِذَلِكَ - حَيَاةً وَضِيَاءً يَسْتَضِيءُ بِهِ ، فَيَمْشِي عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ وَمَنْهَجِ الطَّرِيقِ فِي النَّاسِ ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَتَوَجَّهْ ، وَأَيُّ طَرِيقٍ يَأْخُذُ ؛ لِشَدَةِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَإِضْلَالِهِ الطَّرِيقَ ، فَكَذَلِكَ هَذَا الْكَافِرُ الضَّالُّ فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ ، لَا يُبْصِرُ رُشْدًا ، وَلَا يَعْرِفُ حَقًّا ، يَعْنِي فِي ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ . يَقُولُ : أَفْطَاعُهُ هَذَا الَّذِي هَدَيْنَاهُ لِلْحَقِّ وَبَصَّرْنَاهُ الرِّشَادَ ، كَطَاعَةِ مَنْ مَثَلُهُ مَثَلُ مَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ مُتَرَدِّدٌ ، لَا يَعْرِفُ الْمَخْرَجَ مِنْهَا ، فِي دَعَاءِ هَذَا إِلَى تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْلِيلِ مَا أَحَلَّ ، وَتَحْلِيلِ هَذَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ ؟

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ بِأَعْيَانِهِمَا مَعْرُوفَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنٌ وَالْآخَرُ كَافِرٌ .

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهِمَا ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَمَّا الَّذِي كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَاهُ اللَّهُ ، فَعَمَّرَ بَنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَمَّا الَّذِي مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ، فَأَبُو جَهْلٍ بَنُ هِشَامٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي هُوْذَةَ ، عَنْ شُعَيْبِ السَّرَّاجِ ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . قَالَ : عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ . قَالَ : أَبُو جَهْلٍ بَنُ هِشَامٍ ^(١) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٤ / ١٣٨١ ، ١٣٨٣ (٧٨٥٢ ، ٧٨٦٣) مِنْ طَرِيقِ شُعَيْبِ بْنِ الْعَلَاءِ السَّرَّاجِ بِهِ .

وقال آخرون : بل الميث الذي أحياه الله عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، فأبو جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، [٧٩٢/١] عن بشر بن تميم ، عن رجل ، عن عكرمة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . قال : نزلت في عمار بن ياسر ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن بشر بن تميم ^(٢) ، عن عكرمة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ : عمار بن ياسر ، ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ : أبو جهل بن هشام ^(٣) .
وبنحو الذي قلنا في الآية قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ . قال : ضالاً فهديناه ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . قال : هدى . ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ . قال : في الضلالة أبداً ^(٤) .

٢٣/٨ / حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨١/٤ (٧٨٥٤) من طريق سفيان بن عيينة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) في م : « عن » .

(٣) ينظر التاريخ الكبير ٩٦/٢ .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم ١٣٨٢/٤ (٧٨٦٢) بالجزء الأخير من الأثر ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

مجاهد : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ : هَدَيْنَاهُ . ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ : فِي الضَّلَالَةِ أَبَدًا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ . قال : ضالًّا فهديناه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ . يعني : مَنْ كَانَ كَافِرًا فَهَدَيْنَاهُ ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . يعني بالنور القرآن ، مَنْ صَدَّقَ بِهِ وَعَمِلَ بِهِ ، ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ . يعني بالظلمات الكفر والضلالة^(١) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . يقول : الهدى . ﴿ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . يقول : فهو الكافر يَهْدِيهِ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ . يقول : كَانَ مُشْرِكًا فَهَدَيْنَاهُ . ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ : هَذَا الْمُؤْمِنُ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَبَيِّنَةٌ ، يَعْمَلُ بِهَا وَيَأْخُذُ ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي ؛ كِتَابُ اللَّهِ ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ : وَهَذَا مِثْلُ الْكَافِرِ فِي الضَّلَالَةِ ، مُتَحَيِّرٌ فِيهَا مُتَسَكِّعٌ ، لَا يَجِدُ مَخْرَجًا وَلَا مَنَفَذًا^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٨١ ، ١٣٨٢ (٧٨٥١ ، ٧٨٥٥ ، ٧٨٥٦ ، ٧٨٦١) من طريق

عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٨٢ (٧٨٥٧) عن محمد بن سعد به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ (٧٨٥٩ ، ٧٨٦٥) من طريق يزيد به ، وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . يقول : مَنْ كان كافراً فجعلناه مسلماً ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ، وهو الإسلام . يقول : هذا كَمَنْ هو في الظلمات . يعني الشرك ^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ . قال : الإسلام الذي هداه الله إليه ، ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ : ليس من أهل الإسلام . وقرأ : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] . قال : والنور يستضيء به ما في بيته ويُبصره ، وكذلك الذي آتاه الله هذا النور يستضيء به في دينه ، ويعمل به في نوره ^(٢) ، كما يستضيء صاحب هذا السراج . قال : ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ : لا يدرى ما يأتي ولا ما يقع عليه ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : كما خذلت هذا الكافر الذي يُجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله في أكل ما حرَّمت عليكم من المطاعم عن الحق ، فزيَّنت له سوء عمله فرآه حسناً ؛ ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب ، كذلك زيَّنت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصي الله ؛ ليستوجبوا بذلك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٢/٤ (٧٨٥٨) من طريق أحمد بن مفضل به يعضه ، وأخرجه عقب الأثرين (٧٨٥١ ، ٧٨٥٥) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٢) في م : « فوره » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٣/٤ (٧٨٦٤) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد ، مقتصرًا على آخره .

/ وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه فى أعمالهم ، فلا صنّع له فى أفعالهم ، وأنه قد سوى بين جميعهم فى الأسباب التى بها يصلون إلى الطاعة والمعصية ؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان قد زيّن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زيّن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به ، وزيّن لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذى زيّن منه لأنبيائه وأوليائه . وفى إخباره جلّ ثناؤه أنه زيّن لكلّ عاملٍ منهم عمله ، ما يُنبئُ عن تزيين^(١) الكفر والفسوق والعصيان ، وخصّ أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان ، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .
 [٧٩٣/١ و] يقول جلّ ثناؤه : وكما زيّنا للكافرين ما كانوا يعملون ، كذلك جعلنا بكلّ قرية عظماءها مجرميها ، يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له ، ﴿ لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ بغرور من القول ، أو بباطل من الفعل ، بدين الله وأنبيائه ، ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ ﴾ . أى : ما يحيق مكرهم ذلك إلا بأنفسهم ؛ لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله ، وهم لا ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ . يقول : لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه ، فهم فى غيهم وعتوهم على الله يتمادون .
 وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي

(١) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س ، ف .

نجيح ، عن مجاهد : ﴿ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ . قال : عَظَمَ أَوْهَا ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ . قال : عَظَمَ أَوْهَا ^(٢) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : نزلت في المستهزئين . قال ابن جريج : عن ^(٣) عمر بن عطاء ، عن عكرمة : ﴿ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ : بدين الله وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين ^(٤) .

والأكابر جمع أكبر ، كما الأفاضل جمع أفضل . ولو قيل : هو جمع كبير ، فجمع أكابر ؛ لأنه قد يقال : أكبر . كما قيل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ [الكهف : ١٠٣] . واحدهم الخاسر . لكان صواباً . وحكى عن العرب سماعاً : الأكبرة والأصاغرة ، والأكابر والأصاغر ، بغير الهاء ، على نية النعت ، كما يقال : هو أفضل منك . وكذلك تَفْعَلُ / العرب بما جاء من النعوت على « أَفْعَلُ » ، إذا أخرجوها إلى الأسماء ؛ مثل جمعهم الأحمر والأسود : الأحامر والأحامرة ، والأساود والأساودة . ومنه قول الشاعر ^(٥) :

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٣/٤ (٧٨٦٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٢٣/٣ .

(٣-٣) في ص ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « عمرو » ، وفي م : « عمرو عن » . وتقدم في ٢١٦/٦ ، ٢١٧ ، وسيأتي في ١٠/١٦٧ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٣ إلى المصنف وأبي الشيخ .

(٥) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، والبيت في اللسان (ح م ر) .

إِنَّ الْأَحْمِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي وَكُنْتُ بِهِنَ قِدْمًا مُوَلَعًا
الْخَمْرَ وَاللَّحْمَ السَّمِيمَ إِذَا مُهُ^(١) وَالزَّعْفَرَانُ فَلَنْ أُرُوحَ^(٢) مُبَقَّعًا^(٣)
وَأَمَّا الْمَكْرُ ، فَإِنَّهُ الْخَدِيعَةُ وَالْاِخْتِيَالُ لِلْمَمْكُورِ بِهِ بِالْغَدْرِ ؛ لِيُورِطَهُ الْمَاكِرُ بِهِ
مَكْرُوهًا مِنَ الْأَمْرِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ
رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ^(٤) ۖ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَإِذَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ
بِزُخْرِفِ الْقَوْلِ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ آيَةٌ ﴾ . يَعْنِي : حُجَّةٌ
مِنَ اللَّهِ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحَقِيقَتِهِ ، قَالُوا لَنَبِيِّ اللَّهِ
وَأَصْحَابِهِ : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ ﴾ . يَقُولُ : يَقُولُونَ : لَنْ نُصَدِّقَ بِمَا دَعَانَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ
الْإِيمَانِ بِهِ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَحْرِيمِ مَا ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ عَلَيْنَا ﴿ حَتَّى نُؤْتَى ﴾ . يَعْنُونَ :
حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيَ مُوسَى مِنْ فُلْقِ الْبَحْرِ ، وَعِيسَى مِنْ
إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ) . يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ^(٥) لَنْ يُعْطَاهَا^(٥) مِنْ
الْبَشَرِ إِلَّا رَسُولٌ مُرْسَلٌ ، وَلَيْسَ الْعَادِلُونَ بِرَبُّهُمْ الْأَوْثَانُ وَالْأَصْنَامُ مِنْهُمْ فَيُعْطَوْهَا .
يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فَأَنَا أَعْلَمُ بِمَوَاضِعِ رِسَالَاتِي ، وَمَنْ هُوَ لَهَا أَهْلٌ ، فَلَيْسَ لَكُمْ أَثَرُهَا

(١) فِي م : « أُدِيمُهُ » .

(٢) فِي م : « أَزَال » .

(٣) الْبَقَعُ وَالْبُقْعَةُ : تَخَالَفُ اللَّوْنِ . وَقِيلَ : الْأَبْقَعُ مَا خَالَطَ بَيَاضَهُ لَوْنٌ آخَرُ . اللَّسَانُ (ب ق ع) .

(٤) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، س ، ف : « رِسَالَاتِهِ » بِالْجَمْعِ ، وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي سَيَذْكُرُهَا الْمُصَنِّفُ فِي تَفْسِيرِهِ
لِلآيَةِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَأَبِي بَكْرٍ وَابْنِ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ ، وَالْمَثْبُوتُ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَحَفْصٍ . يَنْظُرُ التَّيْسِيرُ

ص ٨٨ ، وَحُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ ص ٢٧٠ .

(٥ - ٥) فِي م : « لَمْ يُعْطَاهَا » .

المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم ؛ لأن تخيير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه ، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته .

القول في تأويل قوله : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٤) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ معلّمه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه : سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله ، وعبادتهم غيره ﴿ صَغَارٌ ﴾ . يعنى : ذلة وهوان .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، ٢٦/٨ عن السدي : ﴿ سَيُصِيبُ / الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . قال : الصغار الذلة^(١) .

وهو مصدر من قول القائل : صغر يصغر صغارا وصغرا ، وهو أشدّ الذل . وأما قوله : ﴿ صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ . فإن معناه : سيصيبهم صغار من عند الله ، كقول القائل : سيأتيني^(٢) رزقي عند الله^(٢) . بمعنى : من عند الله . يُراد بذلك : سيأتيني الذى لى عند الله . وغير جائز لمن قال : سيصيبهم صغار عند الله . أن يقول : جئت عند عبد الله . بمعنى : جئت من عند عبد الله ؛ لأن معنى : سيصيبهم صغار عند الله : سيصيبهم الذى عند الله من الذل بتكذيبهم رسوله . فليس ذلك بنظير : جئت من عند عبد الله .

وقوله : ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ . يقول : يُصِيبُ هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله ، [٧٩٣/١ ظ] المُستَحِلِّين ما حرّم الله عليهم من الميتة ، مع

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٤/٤ (٧٨٧٠) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢ - ٢) فى ص : « رزق الله » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، س ، ف : « من عند الله » .

الصَّغَارِ ، عذابٌ شديدٌ بما كانوا يَكِيدُونَ للإسلامِ وأهلِهِ ، بالجِدَالِ بالباطلِ والزَّخْرِفِ مِنَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، لأهلِ دينِ اللَّهِ وطاعَتِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرَهُ : فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ للإيمانِ به وبرسولِهِ ، وما جاء به مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَيُوفِّقْهُ لَهُ ، ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . يقولُ : فَسَحَّ صَدْرَهُ لذلك ، وهَوَّنَهُ عَلَيْهِ ، وسَهَّلَهُ لَهُ بِلَطْفِهِ ومَعُونَتِهِ ، حَتَّى يَسْتَنِيرَ الإسلامُ فِي قَلْبِهِ ، فَيُضِيءَ لَهُ ، وَيَتَّسِعَ لَهُ صَدْرُهُ بِالْقَبُولِ .

كَالَّذِي جَاءَ الْأَثَرُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَثَرِيُّ ، قَالَ : ثنا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ ^(١) ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : لما نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . قالوا : كَيْفَ يُشْرَحُ الصَّدْرُ ؟ قَالَ : إِذَا نَزَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ لَهُ الصَّدْرُ وَانْفَسَحَ . قالوا : فَهَلْ لَذَلِكَ آيَةٌ يُعْرَفُ بِهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْمَوْتِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ ؟ قَالَ : « أَكْثَرُهُمُ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا » . قَالَ : وَسُئِلَ

(١) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُرَّةٍ » وَالصَّوَابُ : أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ . وَهُوَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرَادِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ الْأَعْمَى وَأَبُو جَعْفَرٍ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسُورٍ بْنُ عَوْنٍ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ الْمَدَائِنِيُّ ، كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ وَيَكْذِبُ . يَنْظُرُ الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ ١٦٩ / ٥ ، وَتَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٣٢ / ٢٢ .

(٢) فِي م : « الْفَوْتُ » .

وَالْأَثَرُ ذِكْرُهُ ابْنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٢٧ / ٣ عَنْ الْمُصَنِّفِ .

النبى ﷺ عن هذه الآية : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ .
 قالوا : كيف يُشْرَحْ صدره يا رسول الله ؟ قال : « نُورٌ يُقَذَّفُ فِيهِ ، فَيُنْشَرَحُ لَهُ
 وَيَنْفَسِحُ » . قالوا : فهل لذلك مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرِفُ بِهَا ؟ قال : « الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ،
 وَالتَّجَافَى عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْمَوْتِ » ^(١) .

حَدَّثَنَا هَنَادٌ ، قَالَ : ثنا قَبِيصَةُ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ رَجُلٍ يُكْنَى
 ٢٧/٨ أبا جَعْفَرٍ كَانَ يَسْكُنُ / الْمَدَائِنَ ، قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
 يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . قَالَ : « نُورٌ يُقَذَّفُ فِي الْقَلْبِ ، فَيُنْشَرَحُ
 وَيَنْفَسِحُ » . قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَهُ مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرِفُ بِهَا ؟ ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ
 مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي هَلَالٌ ^(٣) بَنُ الْعَلَاءِ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ وَاقِدِ الْحَرَائِثِيِّ ، قَالَ : ثنا
 مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنْفَسَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ
 أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ
 الْآيَةُ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . قَالَ : « إِذَا دَخَلَ النُّورُ
 الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ » . قالوا : فهل لذلك مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرِفُ بِهَا ؟ قَالَ : « الْإِنَابَةُ إِلَى

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٧/١ ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٢١/١٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٤/٤
 (٧٨٧٣) من طريق عمرو بن قيس بنحوه . وتحرف عبد الله بن مسعود في المصنف إلى عبد الله بن مسعود ،
 وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١٥) ، وابن أبي شيبة ٢٢١/١٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٤/٤
 (٧٨٧٢) من طريق عمرو بن مرة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن
 المنذر وابن مردويه .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٢٧/٣ عن المصنف ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥) من
 طريق سفيان الثوري به موقوفاً على أبي جعفر .

(٣) في م ، ف : « محمد » ، وفي ص : « يعلى » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، س : « على » . والمثبت مما تقدم في
 ٤٩٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ، وينظر تهذيب الكمال ٣٠/٣٤٦ .

دار الخلود ، والتَّخَيُّ عن دارِ الغرورِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ الموتِ ^(١) .

حدَّثني سعيدُ بنُ الربيعِ الرازيُّ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ ، عن خالدِ بنِ أبي كريمةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ المسورِ ، قال : قرأ رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا دخلَ النورُ القلبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، وهل لذلك من علامة تُعرَفُ ؟ قال : « نعم ، الإجابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والتَّجافى عن دارِ الغرورِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزولِ الموتِ ^(٢) » .

حدَّثني ابنُ سنانٍ القَزَّازُ ، قال : ثنا محبوبُ بنُ الحسنِ الهاشميُّ ، عن يونسَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُثْبَةَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ ، قال : « ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ » . قالوا : يا رسولَ اللهِ ، وكيف يُشْرَحُ صدره ؟ قال : « يَدْخُلُ فِيهِ النورُ فَيَنْفَسِحُ » . قالوا : وهل لذلك من علامة يا رسولَ اللهِ ؟ قال : « التَّجافى عن دارِ الغرورِ ، والإجابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ أَنْ يَنْزِلَ الموتُ ^(٣) » .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٢٧ عن المصنف ، وذكر الدارقطني في العلل ٥/١٨٨ - ١٩٠ عدة طرق لهذا الحديث عن عبد الله بن مسعود منها هذا الطريق عن أبي عبد الرحيم ، ثم قال : وكلها وهم ، والصواب : عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلًا عن النبي ﷺ ، كذلك قاله الثوري ، وعبد الله بن المسور .. متروك .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩١٨ - تفسير) - ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٦) - عن ابن عيينة به ، وقال البيهقي : هذا منقطع . وأخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان ١/١٥٢ - ومن طريقه أبو نعيم في أخبار أصبهان ١/٣٠٥ ، ٢/٣٨ - من طريق ابن عيينة عن خالد بن أبي كريمة ، عن عبد الله بن المسور ، عن أبيه .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٢٨ عن المصنف . وأخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ٩٩ (١٣١) - ومن طريقه الحاكم ٤/٣١١ ، والبيهقي في الشعب (١٠٥٥٢) - من طريق عدى بن الفضل عن عبد الرحمن ابن عبد الله المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود . وليس في إسناد ابن أبي الدنيا : القاسم بن عبد الرحمن . وفي إسناد البيهقي القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أيوب عن عبد الله بن مسعود . وينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩٦٥) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ : أما ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ : فيوسّع صدره للإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ : بلا إله إلا الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ : بلا إله إلا الله ، يجعل لها في صدره متسعاً .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى ، يشغله بكفره وصدّه عن سبيله ، ويجعل / صدره بخذلاً له وغلبة الكفر عليه ، حرجاً . ٢٨/٨

والحرج أشد الضيق ، وهو الذي لا يُنفذه من شدة ضيقه ، [٧٩٤/١] وهو هلهنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة ، ولا يدخله نور الإيمان ؛ لرين الشرك عليه ، وأصله من الحرج ، والحرج جمع حرجة ، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عبد الله بن عمار - رجل من أهل اليمن - عن أبي الصلت الثقفى ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله عليه قرأ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا

حَرْجًا ﴿ بَنَصِبِ الرَّاءِ . قَالَ : وَقَرَأَ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
(ضَيْقًا حَرْجًا) . قَالَ صَفْوَانُ : فَقَالَ عُمَرُ : ابْغُونِي رَجُلًا مِنْ كِنَانَةٍ ، وَاجْعَلُوهُ رَاعِيًا ،
وَلْيَكُنْ مُدْلِجِيًّا . قَالَ : فَاتَّوَه بِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا فَتَى ، مَا الْحَرْجَةُ ؟ قَالَ : الْحَرْجَةُ
فِيْنَا الشَّجَرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ ، وَلَا وَحْشِيَّةٌ ، وَلَا شَيْءٌ .
قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : كَذَلِكَ قَلْبُ الْمَنَافِقِ ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرْجًا ﴾ . يَقُولُ :
مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّهُ يُضَيِّقْ عَلَيْهِ صَدْرَهُ حَتَّى يَجْعَلَ الْإِسْلَامَ عَلَيْهِ ضَيْقًا ، وَالْإِسْلَامُ
وَاسِعٌ ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .
يَقُولُ : مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ ضَيْقٍ ^(٢) .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : شَاكًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا حَمِيدٌ ، عَنْ
مَجَاهِدٍ : ﴿ ضَيْقًا حَرْجًا ﴾ : قَالَ : شَاكًا ^(٣) .
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثَنَا أَشْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ : ﴿ ضَيْقًا حَرْجًا ﴾ : أَمَّا ﴿ حَرْجًا ﴾ فَشَاكًا ^(٣) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٣ إلى المصنف وعبد ابن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ . وينظر تفسير
ابن كثير ٣٢٨/٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٥/٤ (٧٨٧٦) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٤) من طريق
محمد بن سعد به .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣٢٨/٣ .

وقال آخرون : معناه : مُلْتَبِسًا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَبِّقًا حَرَجًا ﴾ . قَالَ : ﴿ ضَبِّقًا ﴾ : مُلْتَبِسًا ^(١) .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ^(٢) ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ الْحُسَيْنِ ^(٣) ، عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : ﴿ ضَبِّقًا حَرَجًا ﴾ يَقُولُ : مُلْتَبِسًا .

وقال آخرون : معناه أنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٢٩/٨ / حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : ﴿ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَبِّقًا حَرَجًا ﴾ . قَالَ : لَا يَجِدُ مَسْلَكًا إِلَّا ضَعْدًا ^(٤) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ : ﴿ ضَبِّقًا حَرَجًا ﴾ . قَالَ : لَيْسَ لِلْخَيْرِ فِيهِ مَنَفَعٌ ^(٥) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَوْلَهُ :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٢) بعده في النسخ : « حدثني عمي » . وسيأتي على الصواب في ٢١٠/١٠ ، ٢٢٨/١٤ ، ١٠٤/١٥ ، ٢/١٩ ، ٧/٢٠ ، ٣/٢٦ ، وينظر ٩٩/١٨ ، ٤٧٨ .

(٣) في النسخ : « الحسن » . وتنظر المواضع السابقة ، وص ٥٧٩ ، وتهذيب الكمال ٣٧٢/٦ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٢٩ .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢١٨/١ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٥/٤ (٧٨٧٩) - عن معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٣ إلى ابن المنذر .

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ﴾ : بلا إله إلا الله ، لا يجد لها في صدره مساعًا^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المبارك ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قراءةً في قوله : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ﴾ : بلا إله إلا الله ، حتى لا يستطيع أن تدخله^(١) .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم : ﴿ ضَيْقًا حَرَجًا ﴾ بفتح الحاءِ والراءِ من : ﴿ حَرَجًا ﴾ . وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين^(٢) ، بمعنى جمع حَرْجَةٍ ، على ما وصفتُ .

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة : (ضَيْقًا حَرَجًا) بفتح الحاءِ وكسر الراءِ^(٣) .

ثم اختلف الذين قرءوا ذلك فى معناه ؛ فقال بعضهم : هو بمعنى الحَرْجِ ، وقالوا : الحَرْجُ بفتح الحاءِ والراءِ ، والحَرْجُ بفتح الحاءِ وكسر الراءِ ، بمعنى واحد ، وهما لغتان مشهورتان ، مثل الدَّنْفِ والدَّنِفِ ، والوَحْدِ والوَحِدِ ، والفَرْدِ والفَرِدِ .

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم ، من قولهم : فلان آثم حَرْجٌ . وذكر عن العرب سماعًا منها : حَرْجٌ عليك ظلمى . بمعنى : ضيق وإثم .

والقولُ عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مُستَفِيضتان بمعنى واحد ، وبأَيْتَهُمَا قرأ القارئُ فهو مصيبٌ ؛ لاتفاقِ معنييهما ، وذلك كما ذكرنا من الرواياتِ عن العربِ فى الوَحْدِ والفَرْدِ ، بفتحِ الحاءِ مِنَ الوَحْدِ ، والراءِ مِنَ الفَرْدِ ، وكسريهما ، بمعنى واحد .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى أبى الشيخ ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٢٩/٣ عن ابن المبارك به .

(٢) وهى قراءة ابن كثير وحفص وأبى عمرو وابن عامر وحزمة والكسائى ويعقوب وخلف . ينظر النشر ١٩٧/٢ .

(٣) وهى قراءة نافع وأبى جعفر وأبى بكر شعبة . ينظر المصدر السابق .

(٣) ينظر معانى القرآن للفراء ١/٣٥٣ .

وأما « الضيِّقُ » ، فإن عامة القراءة على فتح ضاديه وتشديد يائه ، خلا بعض المكين ، فإنه قرأه : (ضَيْقًا) بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه^(١) .

وقد يَتَّجِه لِتَشْكِينِهِ ذَلِكَ وَجْهَان : أَحَدُهُمَا ، أَنْ يَكُونَ سَكْنَهُ وَهُوَ يَنْوِي معنى التحريك والتشديد ، كما قيل : هَيِّنْ لَيْتَ ، بمعنى : هَيِّنْ لَيْتَ .

وَالْآخَرُ ، أَنْ يَكُونَ سَكْنَهُ بَنِيَّةِ الْمَصْدَرِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : ضَاقَ هَذَا الْأَمْرُ يَضِيقُ ضَيْقًا . كما قال رُوْبَةُ :

قد عَلِمْنَا عِنْدَ كُلِّ مَازٍقٍ

ضَيْقٍ بَوَجْهِ الْأَمْرِ أَوْ^(٢) مُضَيْقٍ

ومنه قولُ اللَّهِ : ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٢٧] . وقال رُوْبَةُ أيضًا^(٣) :

/ وَشَفَّهَا اللَّوْحُ بِمَأْزُولٍ ضَيْقٍ^(٤)

٣٠/٨

[٧٩٤/١ ظ] بمعنى : ضَيْقٍ .

وَحَكِي عَنِ الْكِسَائِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الضَّيْقُ بِالْكَسْرِ ، فِي الْمَعَاشِ وَالْمَوْضِعِ ، وَفِي الْأَمْرِ الضَّيْقُ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أُثْبِتَ الْبَيَانُ لِمَنْ وَفَّقَ لِفَهْمِهَا عَنْ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي بِهِ يُوصَلُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ غَيْرُ السَّبَبِ الَّذِي بِهِ يُوصَلُ إِلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَأَنَّ كَلَامًا

(١) وهي قراءة ابن كثير . ينظر الكشف ١/ ٤٥٠ ، ٤٥١ .

(٢) في م : « أَى » .

(٣) ديوانه ص ١٠٥ .

(٤) شفاها : أنحلها وهزلها . واللَّوْحُ : العطش . والمأزول من الأزل ، وهو الشدة والضيقة . اللسان (ل و ح ، ش ف ف ، أ ز ل) وجعل (ضيَّق) بالتحريك مراعاة للوزن .

السببين من عند الله ، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام ، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقاً عن الإسلام حرجاً ، كأنما يصعد في السماء ، ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان خلاف تضيقه له ، وأنه لو كان يوصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه ، لم يكن بين تضيقه عنه وبين شرحه له فرق ، ولكان من ضيق صدره عن الإيمان قد شرح صدره له ، ومن شرح صدره له ، فقد ضيق عنه ، إذ كان موصولاً بكل واحد منهما - أعنى من التضييق والشرح - إلى ما يوصل به إلى الآخر . ولو كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبي جهل للإيمان به ، وضيق صدر رسول الله ﷺ عنه ، وهذا القول من أعظم الكفر بالله ، وفي فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسوله وأطاعه المطيعون ، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله ، وعصاه العاصون ، وأن كلا السببين من عند الله وبيده ؛ لأنه أخبر جل ثناؤه أنه هو الذي يشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته ، ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله .

القول في تأويل قوله : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ .

وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء ، وعجزه عنه ؛ لأن ذلك ليس في وشعه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ . يقول : مثله كمثل الذي لا يستطيع

أَنْ يَصْعَدَ فِي السَّمَاءِ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن معمرٍ ، عن عطاءِ الخُراسانيِّ مثله .

وبه قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قراءةً : ﴿ يَجْعَلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ﴾ : بلا إله إلا الله حتى لا يَسْتَطِيعَ أَنْ تَدْخُلَهُ ، ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ : مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ^(٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ مثله .
٣١/٨ / حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ : مِنْ ضَيْقِ صَدْرِهِ^(٣) .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ : ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ ﴾^(٤) . بمعنى : يَتَصَعَّدُ . فَأُدْغِمُوا التَّاءَ فِي الصَّادِ ، فَلِذَلِكَ شَدَّدُوا الصَّادَ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ : (يَصَّاعِدُ)^(٥) . بمعنى : يَتَصَاعَدُ ، فَأُدْغِمَ التَّاءَ فِي الصَّادِ وَجَعَلَهَا صَادًا مُشَدَّدَةً .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قِرَاءَةِ الْمَكِّيِّينَ : (كَأَنَّمَا يَصْعَدُ)^(٦) . مِنْ : صَعِدَ يَصْعَدُ .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٨/١ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٦/٤ (٧٨٨٢) - عن معمر به ، وهو تنمة الأثر المتقدم ص ٥٤٦ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٥٤٧ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٦/٤ (٧٨٨٣) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٤) قرأ بها جميع القراء سوى ابن كثير وأبي بكر شعبة . النشر ١٩٧/٢ .

(٤) رواها أبو بكر شعبة عن عاصم . المصدر السابق .

(٦) قرأ بها ابن كثير المكي ، المصدر السابق .

وكلُّ هذه القراءاتِ مُتَقَارِبَاتُ المعانى ، وبأيُّها قرأ القارئُ فهو مصيبٌ ، غيرَ أنى أختارُ القراءةَ فى ذلك بقراءةٍ مَنْ قرأه : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ﴾ بتشديد الصادِ بغيرِ ألفٍ ، بمعنى : يَتَّصَعَّدُ ؛ لكثرةِ القراءةِ بها ، ولقيلِ عمرَ بنِ الخطابِ رضى الله عنه : ما تَصَّعَّدَنى شىءٌ ما تَصَّعَّدَتْنى خُطْبَةُ النكاحِ ^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥) .

يقولُ تعالى ذكره : كما يَجْعَلُ اللَّهُ صدرَ مَنْ أراد إضلالَه ضيقًا حَرَجًا كأنما يَصَّعَّدُ فى السماءِ مِنْ ضيقِهِ عن الإيمانِ ، فيَجْزِيهِ بذلك ، كذلك يُسَلِّطُ اللَّهُ الشيطانَ عليه وعلى أمثاله مِّنْ أبى الإيمانَ باللهِ ورسوله ، فيُغْوِيهِ وَيُضِلُّهُ عن سبيلِ الحقِّ .
وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ فى معنى « الرِّجْسِ » ؛ فقال بعضهم : هو كلُّ ما لا خيرَ فيه .

ذكرُ مَنْ قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ الرِّجْسَ ﴾ : ما لا خيرَ فيه ^(٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةً ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : ما لا خيرَ فيه .
وقال آخرون : ﴿ الرِّجْسَ ﴾ : العذابُ .

(١) ينظر غريب الحديث لأبى عبيد ٣/٣٨٧ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٦ (٧٨٨٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٥ إلى عبد بن حميد وابن أبى شيبه وابن المنذر وأبى الشيخ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : الرِّجْسُ عذابُ الله ^(١) .
وقال آخرون : ﴿ الرِّجْسَ ﴾ : الشيطان .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ الرِّجْسَ ﴾ . قال : الشيطان ^(٢) .
وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول : الرِّجْسُ والنَّجْسُ لغتان . ويحكى عن العرب أنها تقول : ما كان رجسًا ، ولقد رجس رجاسةً ، ونجس نجاسةً .

وكان بعض نحوي البصريين يقول ^(٣) : الرِّجْسُ والرَّجْزُ سواءٌ ، وهما العذاب .

/ والصواب من القول في ذلك عندى ما قاله ابن عباس ومن قال : [٧٩٥/١] إن الرِّجْسَ والنَّجْسَ واحدٌ ؛ للخبر الذى روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول إذا دخل الخلاء : « اللهم إني أعوذ بك من الرِّجْسِ النَّجْسِ ، الخبيث المحبث ^(٤) ، الشيطان الرجيم » .

٣٢/٨

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٢٩ وتفسير القرطبي ٧/٨٣ .

(٢) ينظر تفسير البغوى ٣/١٨٧ وتفسير ابن كثير ٣/٣٢٩ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٠٦ .

(٤) الخبيث : ذو الخبث فى نفسه ، والخبيث : الذى أعوانه خبيثاء ... وقيل : هو الذى يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه . النهاية ٢/٦ .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ الْحَسَنِ وَقْتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ^(١) .

وقد بينَ هذا الخبرُ أن الرَّجْسَ هو النَّجَسُ الْقَذِرُ ، الذي لا خيرَ فيه ، وأنه من صفةِ الشَّيْطَانِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ^(٢) .

يقولُ تعالى ذكره : وهذا الذي بينَّا لك يا محمدُ في هذه السورة وغيرِها من سُورِ الْقُرْآنِ ، هو ﴿ صِرَاطٌ رَبِّكَ ﴾ . يقولُ : طريقُ ربِّكَ ، ودينُهُ الذي ارتضاه لنفسِهِ دينًا ، وجعله مُسْتَقِيمًا لا اغْوِجَاجَ فيه ، فاثبتَ عليه ، وحرَّم ما حرَّمته عليك ، وأحلَّ ما أحلَّته لك ، فقد بينَّا الآياتِ والحججَ على حقيقة ذلك وصحته ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ . يقولُ : لمن يتذكَّر ما احتجَّ اللَّهُ به عليه من الآياتِ والعِبَرِ ، فيعتبرُ بها . وخصَّ بها الذين يتذكَّرون ؛ لأنهم هم أهلُ التَّمْيِيزِ والفهمِ ، وأولو الحِجَا والفضلِ ، فقل ^(٢) : ﴿ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(١) أخرجه أبو نعيم - كما في نتائج الأفكار ١/١٩٩ - من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، وليس فيه قتادة . قال الحافظ : وزاد في أوله : « بسم الله » ومداره على إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف . وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨٨٢٥) ، وفي الدعاء ٩٦٤/٢ (٣٦٥) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٧) من طريق إسماعيل بن مسلم به ، إلا أنه عند الطبراني في الدعاء عن الحسن وحده ، وفي الأوسط زاد في أوله : « بسم الله » .

(٢) في ص ، س : « وقيل » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ : يَعْنِي بِهِ الْإِسْلَامَ ^(١) .
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَّهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَّهُمْ ﴾ : لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ آيَاتِ اللَّهِ ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا ، وَيُوقِنُونَ بِذِلَالَتِهَا عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَمِنْ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَيُصَدِّقُونَ بِمَا وَصَلُوا بِهَا إِلَى عِلْمِهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا ﴿ دَارُ السَّلَامِ ﴾ ، فَهِيَ دَارُ اللَّهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ فِي الْآخِرَةِ ، جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى مَا أَبْلَوْا فِي الدُّنْيَا فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَهِيَ جَنَّتُهُ . وَالسَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا قَالَ السَّدِيُّ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ﴿ لَّهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ : اللَّهُ هُوَ السَّلَامُ ، وَالدَّارُ الْجَنَّةُ ^(٢) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ﴾ . فَإِنَّهُ يَقُولُ : وَاللَّهُ نَاصِرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ آيَاتِ اللَّهِ ، ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . يَعْنِي : جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ رِضْوَانَهُ .

/ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ ﴾ ^(٣) جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ

٣٣/٨

(١) ينظر ما تقدم تخريجه في ١/ ١٧٤ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٣ إلى أبي الشيخ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٧/٤ عقب الأثر (٧٨٨٧) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف ، وفيما سيأتي : « نحشَرُهُم » بالنون ، وغير منقوطة في ص ، والمثبت قراءة حفص عن عاصم ، وقرأ الباقون بالنون . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٩ .

مِّنَ الْإِنسِ ﴿١﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ : ويَوْمَ يُحْشَرُ^(١) هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، وغيرهم من المشركين ، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يؤخون إليهم زُخرف القول غرورًا ليُجادلوا به المؤمنين ، فيَجْمَعُهُمْ جميعًا فى موقف القيامة ، يقول للجن : ﴿ يَمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ أَتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ ﴾ . وحذف « يقول للجن » ، من الكلام ؛ اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه . وعنَى بقوله : ﴿ قَدْ أَتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ ﴾ : اِشْتَكْرْتُمْ من إضلالهم وإغوائهم .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى معاوية بنُ صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباسٍ قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ أَتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ ﴾ . يعنى : أضَلَلْتُمْ منهم كثيرًا^(٢) .

حدَّثنا محمد بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمد بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادة : ﴿ يَمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ أَتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ ﴾ . قال : قد أضَلَلْتُمْ كثيرًا من الإنس^(٣) .

حدَّثنى محمد بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجاهدٍ فى قولِ الله : ﴿ قَدْ أَتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ ﴾ . قال : كَثُرَ مَن أَغْوَيْتُمْ^(٤) .

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « نحشر » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٧/٤ (٧٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٨/١ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٧/٤ (٧٨٩٢) عن معمر به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٧/٤ (٧٨٩١) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبُّل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن : ﴿ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ . يقول : أضللتكم كثيراً من الإنس .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : فيجيب أولياء الجن من الإنس ، فيقولون : ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا .

فأما استمتاع الإنس بالجن ، فكان كما حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ . قال : كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول : أعود بكبير هذا الوادي . فذلك استمتاعهم ، فاعتذروا يوم القيامة ^(١) .

وأما استمتاع الجن بالإنس ، فإنه كان فيما ذكر ، ما ينال الجن من الإنس ، من تعظيمهم إياهم في استعازتهم بهم ، فيقولون : قد شدنا الجن والإنس ^(٢) .

[٧٩٥/١ ظ] القول في تأويل قوله : ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا ﴾ .

٣٤/٨ / يقول تعالى ذكره : قالوا : وبلغنا الوقت الذي وقَّت لموتنا . وإنما يعني جل ثناؤه بذلك أنهم قالوا : استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا إلى حال موتنا .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٣١ عن ابن جريج به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٥ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) في ص : « الحن » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الجن » . وقد وردت هذه الفقرة في جميع النسخ ما عدا « ص » من تمام كلام ابن جريج ، وصنيع ابن كثير في تفسيره يشعر بذلك ، ولكن قد فصلت في « ص » عن الأثر قبلها ، ويؤيده صنيع السيوطي .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما قوله : ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا ﴾ . فالموت ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَالَ النَّارُ مَثَوْنُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرون يوم القيامة ، من العادلين به في الدنيا الأوثان ، ولقرنائهم من الجن . فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان ؛ لتقدم الكلام قبله بمعناه والمراد منه ، فقال : قال الله لأوليائه الجن من الإنس ، الذين قد تقدم خبره عنهم : ﴿ النَّارُ مَثَوْنُكُمْ ﴾ . يعني : نار جهنم ، ﴿ مَثَوْنُكُمْ ﴾ : الذي تثوون فيه ، أي : تُقيمون فيه .

والمثوى هو المفعول ، من قولهم : ثوى فلان بمكان كذا . إذا أقام فيه .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ . يقول : لاثنين فيها ، ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ . يعني : إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم ، فتلك المدة التي استثنىها الله من خلودهم في النار ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في تدبيره في خلقه ، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال ، وغير ذلك من أفعاله ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بعواقب تدبيره إياهم ، وما إليه صائرة ^(٢) أمرهم من خير وشر .

وروى عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته .

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٨/٤ عقب الأثر (٧٨٩٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) في م : « صائر » والمراد بالصائرة العاقبة والمآل ، من الصائرة ، وهو ما يصير إليه النبات من اليبس . ينظر اللسان (ص ي ر) .

علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ قَالَ أُنَارُ مَثْوَكُم خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ؛ لا ^(١) يُنزلهم جنة ولا نارا ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٢٩) .

اختلف أهل التأويل في تأويل : ﴿ نُؤَيِّ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناه : نجعل بعضهم لبعض وليا على الكفر بالله .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا يونس ، قال : ثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ : وإنما يؤلى الله بين الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولي المؤمن ، أين كان ، وحيث كان ، والكافر ولي الكافر ، أينما كان ، وحيثما كان ، ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتخلى ^(٣) .

وقال آخرون : معناه : تُشبع بعضهم بعضا في النار . من الموالاة ، وهو المتابعة بين الشيء والشيء ، من قول القائل : واليت بين كذا وكذا . إذا تابعت بينهما .

/ ذكر من قال ذلك

٣٥/٨

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة :

(١) في م : « ألا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٨/٤ (٧٨٩٧) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ ، وتقدم أوله في ص ٥٥٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٨/٤ (٧٨٩٩) من طريق يزيد به .

﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ : فِي النَّارِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : نُسَلِّطُ ^(٢) بَعْضَ الظَّالِمَةِ عَلَى بَعْضٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ . قَالَ : ظَالِمِي الْجَنِّ وَظَالِمِي الْإِنْسِ . وَقَرَأَ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الرَّحْف : ٣٦] . قَالَ : نُسَلِّطُ ظَلَمَةَ الْجَنِّ عَلَى ظَلَمَةِ الْإِنْسِ ^(٣) .

وَأُولَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : وَكَذَلِكَ نَجْعَلُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ لِبَعْضٍ أَوْلِيَاءَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ . وَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاهُ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، ثُمَّ عَقَّبَ خَبْرَهُ ذَلِكَ بِخَبْرِهِ عَنْ أَنَّ وَلَايَةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِتَوَلِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ ، فَقَالَ : وَكَمَا جَعَلْنَا بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ ، يَسْتَمْتَعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، كَذَلِكَ نَجْعَلُ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَيَعْمَلُونَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ .

وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ عَمَّا هُوَ قَائِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ مِنْ

(١) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢١٨/١ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٨٨/٤ (٧٨٩٨) - عَنْ مَعْمَرٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٥/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

(٢) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « تَسْلِيطٌ » .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٣٢/٣ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٥/٣ إِلَى أَبِي الشَّيْخِ .

من مشركى الإنس والجن ، يُخْبِرُ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُم تَعَالَى ذِكْرُهُ يَوْمَئِذٍ : ﴿ يَمْعَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي ﴾ . يقول : يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ ؛ مِنْ تَنْبِيهِى إِيَّاكُمْ عَلَى مَوَاضِعِ حُجَجِي ، وَتَعْرِيفِي لَكُمْ أُدْلِيَّتِي عَلَى تَوْحِيدِي ، وَتَصْدِيقِ أَنْبِيَائِي ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِي ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى حُدُودِي . ﴿ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ . يقول : يُحَذِّرُونَكُمْ لِقَاءَ عَذَابِي فِي يَوْمِكُمْ هَٰذَا ، وَعِقَابِي [٧٩٦/١ ظ] عَلَى مَعْصِيَتِكُمْ إِيَّايَ ، فَتَنْتَهُوْا عَنْ مَعَاصِييَ .

وهذا مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَقْرِيعٌ وَتَوْيِيخٌ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَرَةِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي ، وَمَعْنَاهُ : قَدْ أَتَاكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يُنَبِّهُونَكُمْ عَلَى خَطَا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ ، بِالْحُجَجِ الْبَالِغَةِ ، وَيُنْذِرُونَكُمْ وَعِيدَ اللَّهِ عَلَى مُقَامِكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمِينَ ، فَلَمْ تَقْبَلُوا ذَلِكَ ، وَلَمْ تَتَذَكَّرُوا وَلَمْ تَعْتَبِرُوا .

٣٦/٨ / وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْجَنِّ ، هَلْ أُرْسِلَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ ^(١) أَمْ لَا ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ ، كَمَا أُرْسِلَ إِلَى الْإِنْسِ مِنْهُمْ رَسُولٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : ثنا عُبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَأَلَ الضَّحَّاكَ عَنْ الْجَنِّ ، هَلْ كَانَ فِيهِمْ نَبِيٌّ ^(٢) قَبْلَ أَنْ يُنْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ؟ فَقَالَ : أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ يَمْعَشَرَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي ﴾ . يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولًا مِنَ الْإِنْسِ وَرَسُولًا مِنَ الْجَنِّ ؟ فَقَالُوا : بَلَى ^(٣) .

(١) بعده فى ف : « رسل » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « مؤمن » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٣ إلى المصنف .

وقال آخرون : لم يُرْسَلْ منهم إليهم رسول ، ولم يكن له من الجن قط رسول مُرْسَلٌ ، وإنما الرسل من الإنس خاصة ، فأما من الجن فالنذُر . قالوا : وإنما قال الله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ . والرسل من أحد الفريقين ، كما قال : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ . ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ١٩ ، ٢٢] . وإنما يَخْرُجُ اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ مِنْهُمَا ، وإنما معنى ذلك : يَخْرُجُ مِنْ بَعْضِهِمَا أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا . قال : وذلك كقول القائل لجماعة أذُورٍ : إن في هذه الدُّورِ لَشَرًّا . وإن كان الشُّرْفُ في واحدةٍ منهن ، فيُخْرِجُ الْخَبَرَ عَنْ جَمِيعِهِنَّ والمرادُ به الْخَبَرُ عَنْ بَعْضِهِنَّ ، وكما يقال : أَكَلْتُ خَبْزًا وَلَبَنًا . إذا اخْتَلَطَا ، ولو قيل : أَكَلْتُ لَبَنًا . كان الْكَلَامُ خَطَأً ؛ لأن اللَّبْنَ يُشْرَبُ وَلَا يُؤْكَلُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ . قال : جمعهم كما جمع قوله : ﴿ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيفًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر : ١٢] . ولا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْهَارِ حِلْيَةٌ . قال ابن جريج ، قال ابن عباس : هم الجن الذين لقوا قومهم ، وهم رسل إلى قومهم .

فعلى قول ابن عباس هذا إن من الجن رسلاً للإنس إلى قومهم .

فتأويل الآية على هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس : ألم يأتكم أيها الجن والإنس رسل منكم ؟ فأما رسل الإنس ، فرسل من الله إليهم ، وأما رسل الجن ، فرسل رسل الله من بنى آدم ، وهم الذين إذا سمعوا القرآن ولَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ .

وأما الذين قالوا بقول الضحاك ، فإنهم قالوا : إن الله تعالى ذكره أخبر أن من

الجن رسلاً أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ ، كما أخبر أن من الإنس رسلاً أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ . قالوا : ولو جاز (تفسير الطبري ٣٦/٩)

أَنْ يَكُونَ خَبْرُهُ عَنْ رَسْلِ الْجِنِّ ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ رَسَلُ الْإِنْسِ ، جَازَ أَنْ يَكُونَ خَبْرُهُ عَنْ رَسْلِ الْإِنْسِ ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ رَسَلُ الْجِنِّ . قَالُوا : وَفِي فُسَادِ هَذَا الْمَعْنَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَبْرَيْنِ جَمِيعًا بِمَعْنَى الْخَبَرِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَسَلُ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الْخُطَابِ دُونَ غَيْرِهِ .

٣٧/٨ / الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ .

وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن قولٍ مُشْرَكِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عِنْدَ تَقْرِيعِهِ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ . أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ بِأَنَّ رَسْلَكَ قَدْ أَتَانَا بِآيَاتِكَ ، وَأَنْذَرْتَنَا لِقَاءَ يَوْمِنَا هَذَا ، فَكَذَّبْنَاهَا وَجَحَدْنَا رِسَالَاتَهَا ، وَلَمْ نَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَلَمْ نُؤْمِنْ بِهَا .

قَالَ اللَّهُ خَبْرًا مُبْتَدَأً : وَغَرَّتْ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِاللَّهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ وَأَوْلِيَاءَهُمْ مِنَ الْجِنِّ - ﴿ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ . يَعْنِي : زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَطَلْبُ الرِّيَاسَةِ فِيهَا ، وَالْمُنَافَسَةُ عَلَيْهَا ، أَنْ يُسْلِمُوا لِأَمْرِ اللَّهِ ، فَيُطِيعُوا فِيهَا رِسْلَهُ ، فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ . فَانْتَفَى بِذِكْرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ ذِكْرِ الْمَعَانِي الَّتِي غَرَّبَتْهُمْ وَخَدَعَتْهُمْ فِيهَا ، إِذْ كَانَ فِي ذِكْرِهَا مُكْتَفَى عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهَا ؛ لِذِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَى مَا تُرِكَ ذِكْرُهُ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ . يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿ كَافِرِينَ ﴾ بِهِ وَبِرِسْلِهِ ؛ لِتَيَمُّ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، بِإِقْرَارِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ عِقَابَهُ ، وَأَلِيمَ عَذَابِهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ . أى : إنما أَرْسَلْنَا الرِّسْلَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى مَنْ وَصَفْتُ أَمْرَهُ ، وَأَعْلَمْتُكَ خَبْرَهُ ، مِنْ مُشْرِكِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِي ، وَيُنْذِرُونَهُمْ لِقَاءَ يَوْمٍ ^(١) مَعَادِهِمْ إِلَيَّ ، مِنْ أَجْلِ أَن رَّبُّكَ لَمْ يَكُنْ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ .

وقد يَتَّجِهُ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ . وَجِهَانِ : أَحَدُهُمَا : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [١/٧٩٦ ظ] أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ . أى : بِشَرِكٍ مَنْ أَشْرَكَ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ أَهْلِهَا ، كَمَا قَالَ لُقْمَانُ : ﴿ إِبْنُ الشِّرْكَ لَظْلُمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] . ﴿ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ . يقول : لَمْ يَكُنْ يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ حَتَّى يَنْتَعِثَ إِلَيْهِمْ رِسَالًا تُنَبِّهُهُمْ عَلَى حُجَجِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَتُنْذِرُهُمْ عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالَّذِي يَأْخُذُهُمْ غَفْلَةً فَيَقُولُوا : مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ .

وَالْآخَرُ : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ ﴾ . يقول : لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكْهُمْ دُونَ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ بِالرِّسَالِ وَالْآيَاتِ وَالْعَبَرِ ، فَيُظْلِمَهُمْ بِذَلِكَ ، وَاللَّهُ غَيْرُ ظَلَامٍ لِعَبِيدِهِ .

وَأُولَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي الْقَوْلُ الْأَوَّلُ ؛ أَن يَكُونَ مَعْنَاهُ : أَن لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكْهُمْ بِشَرِكِهِمْ دُونَ إِرْسَالِ الرِّسَالِ إِلَيْهِمْ وَالْإِعْذَارِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ . وَذَلِكَ أَن قَوْلَهُ : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ ﴾ . عَقِيبُ قَوْلِهِ : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي ﴾ . فَكَانَ فِي ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى أَن نَصَّ قَوْلَهُ : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ ﴾ . إِنَّمَا هُوَ : إِنَّمَا ^(٢) فَعَلْنَا

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ ، س ، ف ، وفي ت ٢ : « يومكم » .

(٢) بعده في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « معناه » .

ذلك من أجل أَنَّا لَا نُهْلِكُ الْقُرَىٰ بِغَيْرِ تَذَكُّيرٍ وَ^(١) تَنْبِيهِ .

٣٨/٨

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا ، بِمَعْنَى : / فَعَلْنَا ذَٰلِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفْعًا بِمَعْنَى الْإِثْدَاءِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ^(٢) .

وَأَمَّا ﴿ أَنْ ﴾ فَإِنَّهَا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ ، بِمَعْنَى : فَعَلْنَا ذَٰلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى . فَإِذَا حُذِفَ مَا كَانَ يَخْفِضُهَا ، تَعَلَّقَ بِهَا الْفِعْلُ فَنُصِبَ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾^(٣) .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلِكُلِّ عَامِلٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ ، مَنَازِلُ وَمَرَاتِبُ مِنْ عَمَلِهِ ، يُبَلِّغُهُ اللَّهُ إِيَّاهَا وَيُثَبِّتُهَا بِهَا ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ . يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَكُلُّ ذَٰلِكَ مِنْ عَمَلِهِمْ يَا مُحَمَّدُ بَعْلَمٍ مِنْ رَبِّكَ ، يُخَصِّصُهَا وَيُثَبِّتُهَا لَهُمْ عِنْدَهُ ؛ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا عِنْدَ لِقَائِهِمْ إِيَّاهُ وَمَعَادِهِمْ إِلَيْهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴾^(٤) .

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَرَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَنَهَايَهُمْ عَنْهَا عَنْهُ ، وَأَثَابَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَعَاقَبَهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، الْغَنِيُّ عَنِ عِبَادِهِ ، الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَ ، وَنَهَايَهُمْ عَمَّا نَهَى ، وَعَنْ أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وَهُمْ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ؛

(١) بعده في ف : « لَا » .

(٢) سقط من : ف ، وفي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ذَٰلِكَ » .

(٣) في س ، ف : « تعملون » بالتاء ، وقرأ بها ابن عامر وحده ، والباقون بالياء كالمثبت . ينظر السبعة لابن

لأنَّ^(١) بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ، ونفعهم وضررهم ، يقول عز ذكره : فلم أخلقهم يا محمد ، ولم آمرهم بما أمرتهم به ، وأنهم عما نهيتهم عنه ، حاجة لي إليهم ، ولا إلى أعمالهم ، ولكن لأتفضل عليهم برحمتي ، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا ، فإنى ذو الرأفة والرحمة .

وأما قوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴾ . فإنه يقول : إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَهُ لغير حاجة منه إليهم ، وإلى طاعتهم إياه ، ﴿ يُذْهِبْكُمْ ﴾ . يقول : يُهْلِكُ خَلْقَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴾ . يقول : وَيَأْتِ بِخَلْقٍ غَيْرِكُمْ ، وأُمِّ سِوَاكُمْ يَخْلُفُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، ﴿ مِنْ بَعْدِكُمْ ﴾ . يعنى : مِنْ بَعْدِ فَنَائِكُمْ وَهَلَاكِكُمْ ، ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ : كَمَا أَخَذْتُكُمْ وَابْتَدَعْتُكُمْ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ آخَرِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ .

ومعنى ﴿ مِنْ ﴾ فى هذا الموضع التَّعْقِيبُ ، كما يقال فى الكلام : أَعْطَيْتُكَ مِنْ دِينَارِكَ ثَوْبًا . بمعنى : مكانَ الدِّينَارِ ثَوْبًا . لا أن الثوبَ مِنَ الدِّينَارِ بَعْضٌ ، كذلك الذين خُوطِبُوا بقوله : ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُمْ ﴾ . لم يُرَدَّ بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكانَ خَلْقِ خَلَفَ قوم آخرين قد هلكوا قبلهم .

والذريةُ الفُعْلِيَّةُ^(٢) ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : ذَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، بمعنى : خَلَقَهُمْ ، فهو يَذَرُوهُمْ . ثم ترك الهمزة ، فقليل : ذَرَأَ اللَّهُ . ثم أخرج الفُعْلِيَّةَ^(٢) منه^(٣) بغير همزٍ على مثالِ العُلِّيَّةِ .

(١) فى م : « لأنه » .

(٢) فى م : « الفعيلة » .

(٣) سقط من : م ، ف ، وف ، ت (١) ، ت (٢) ، ت (٣) ، م : « فيه » .

وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ : (مِنْ ذُرِّيَّةٍ ^(١) قوم آخرين) . على مثال فعيلة ^(٢) .

٣٩/٨

/ وعن آخر أنه كان يقرأه : (مِنْ ذُرِّيَّةٍ) . على مثال غلية ^(٣) .

والقراءة التي عليها القراءة في الأمصار : ﴿ ذُرِّيَّةٍ ﴾ . بضم الـ ذال وتشديد الياء على مثال غلية .

وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته ههنا ^(٤) .

وأصل الإنشاء الإحداث ، يقال : قد أنشأ فلان يحدث القوم . بمعنى : ابتدأ وأخذ فيه .

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّا مَا نُعَذِّبُونَ لَآئٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ^(١٣٤) .

يقول تعالى ذكره للمشركين به : أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام ، إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم واقع بكم ، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ . يقول : لن تعجزوا ربكم هرباً منه في الأرض فتفتوتوه ؛ لأنكم حيث كنتم في قبضته ، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر . يقول : فاحذروه وأنيبوا إلى طاعته قبل نزول البلاء بكم .

(١) في م : « ذريئة » .

(٢) في ت ١ ، ت ٣ ، ف : « فعيلة » وبكسر الـ ذال قرأ زيد بن ثابت وأبو وجزة السعدي كما في مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٦ ، ونص أبو حيان في البحر المحيط ٢٢٥/٤ على أن قراءة زيد بن ثابت بفتح الـ ذال ، وهو مخالف لما نص عليه هو قبل ذلك في ٢/٤٣٥ ، فقد نص على أن قراءة زيد - وكذا الضحاك - بكسر الـ ذال . وقراءة زيد بن ثابت أخرجها سعيد بن منصور في سننه (٩٢٠ - تفسير) وهي فيه من غير ضبط .

(٣) هي قراءة أبان بن عثمان ، كما نص عليه أبو حيان في البحر المحيط ٢٢٥/٤ ، وذكر ابن خالويه في مختصره ص ٤٦ أنها قراءة بعض أهل المدينة ، وهي مضبوطة فيه بفتح الـ ذال وسكون الراء ، ضبط قلم ، والضبط كما نص عليه أبو حيان .

(٤) ينظر ما تقدم في ٣٦٢/٥ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى [٧٩٧/١] ذكره لنبئه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لقومك من قريش ، الذين يَجْعَلُونَ مع الله إلهاً آخرَ : ﴿ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ ﴾ . يقولُ : اعملوا على حِياَلِكُم وناحيَتِكُم .

كما حدَّثني عليُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ ﴾ . يعنى : على ناحيتِكُم ^(١) .

يقالُ منه : هو يَعْمَلُ على مكانته ومكينته .

وقرأ ذلك بعضُ الكوفيين : (على مَكَانَاتِكُمْ) ^(٢) . على جمعِ المكانة .

والذى عليه قراءةُ الأمصارِ : ﴿ عَلَى مَكَاتِبِكُمْ ﴾ . على التوحيد .

﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤه لنبئه : قلْ لهم : اعملوا ما أنتم عاملون ، فإنى عاملٌ ما أنا عامله مما أمرنى به ربى ، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : فسوف تَعْلَمُونَ عندَ نزولِ نِقْمَةِ اللَّهِ بكم ، أيُّنا كانَ المحقُّ فى عمله ، والمصيبُ سبيلَ الرشادِ ، أنا أم أنتم ؟

وقوله تعالى ذكره لنبئه : قلْ لقومك : ﴿ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ ﴾ . أمرٌ منه له بوعيدِهِم وتهديدِهِم ، لا إطلاقٍ لهم فى عملٍ ما أرادوا من معاصي الله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٩٠ (٧٩٠٩) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٧ إلى ابن المنذر .

(٢) هى قراءة عاصم وحده فى رواية أبى بكر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٩ .

القول في تأويل قوله : ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١٣٥) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ ﴾ : فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معايتكم العذاب ، من الذى تكون له عاقبة الدار منا ومنكم . يقول : من الذى تُعقبه ^(١) دنياه ما هو خير له منها ^(٢) أو شر منها ^(٣) ، بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيئها .

ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ . / يقول : إنه لا يُنجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا . وذلك معنى ظلم الظالم فى هذا الموضع . ٤٠/٨

وفى ﴿ مَنْ ﴾ التى فى قوله : ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُ ﴾ . وجهان من الإعراب ؛ الرفع على الابتداء ، والنصب بقوله : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ . لإعمال العلم فيه . والرفع فيه أجود ؛ لأن معناه : فسوف تعلمون أيثا له عاقبة الدار ؟ فالابتداء فى ﴿ مَنْ ﴾ أصح وأفصح من إعمال العلم فيه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١٣٦) .

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون برئهم الأوثان والأصنام لربهم مما ذرأ

(١) فى م : « يعقب » ، وفى س : « يعقبه » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فيها » .

(٣) فى ص : « فيها » .

خالقهم . يعنى : مما خلق من الحرث والأنعام . يقال منه : ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءًا وذرؤًا ، إذا خلقهم . ﴿ نَصِيبًا ﴾ . يعنى : قِسْمًا وجزءًا .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة النصيب الذى جعلوا لله ، والذى جعلوه لشركائهم من الأوثان والشیطان ؛ فقال بعضهم : كان ذلك جزءًا من حروثهم وأنعامهم ، يُفَرِّزونه^(١) لهذا ، وجزءًا آخر لهذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خُصَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فَمَا كَانَتْ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية . قال : كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حُرْمًا ، جعلوا منها لله سهمًا ، وسهمًا لآلهتهم ، وكان إذا هبَّت الریح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم إلى الذى جعلوه لله ، ردُّوه إلى الذى جعلوه لآلهتهم ، وإذا هبَّت الریح من نحو الذى جعلوه لله إلى الذى جعلوه لآلهتهم ، أقرُّوه ولم يرُدُّوه ، فذلك قوله : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ . قال : جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبًا ، وللشیطان والأوثان نصيبًا ، فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله فى نصيب الشیطان تركوه ، وإن سقط مما جعلوه للشیطان فى نصيب الله التقطوه

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يقررونه » ، وفى ص : « يفررون » ، والمثبت هو الصواب ، يقال : فرزت الشيء وأفرزته : إذا قسمته ، والفرز : النصيب المفروز لصاحبه ، واحدا كان أو اثنين .
اللسان (ف ر ز) .

وحفظوه ، وردّوه إلى نصيب الشيطان ، وإن انفجر من سقي^(١) ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه ، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدّوه ، فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء ، وأمّا ما جعلوا للشيطان من الأنعام ، فهو قول الله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾^(٢) [المائدة : ١٠٣] .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي عن أبيه ، عن ابن عباس / قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴾ الآية : وذلك أن أعداء الله كانوا إذا احتَرثُوا حَرْثًا ، أو كانت لهم ثمرّة ، جعلوا لله منها جزءًا ، وللوثن جزءًا ، فما كان من حرب أو ثمرّة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأخصّوه ، فإن سقط منه شيء فيما سُمّي لله ردّوه إلى ما جعلوا للوثن ، وإن سبقهم الماء إلى الذي جعلوه للوثن فسقى شيئًا جعلوه لله ، جعلوا ذلك للوثن ، وإن سقط شيء من الحَرْث والثمرّة التي جعلوا^(٣) لله فاخْتَلَطَ بالذي جعلوا^(٣) للوثن ، قالوا : هذا فقيرٌ . ولم يرُدّوه إلى ما جعلوا لله ، وإن سبقهم الماء الذي جعلوا لله فسقى ما سُمّي للوثن ، تركوه للوثن ، وكانوا يُحرّمون من أنعامهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فيجعلونه للأوثان ، [٧٩٧/١ ظ] ويَزْعُمون أنهم يُحرّمونه لله ، فقال الله في ذلك : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ الآية^(٤) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ

(١) السقي : الشرب : وهو مورد الماء . اللسان (س ق ي ، ش ر ب) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٣٩٠ ، ١٣٩١ (٧٩١١ ، ٧٩١٢) ، والبيهقي ١٠ / ١٠ من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٤٧ إلى ابن المنذر .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ / ١٣٩١ (٧٩١٣) عن محمد بن سعيد به .

نَصِيبًا ﴿١﴾ . قال : يُسَمُّونَ لِلَّهِ جزءًا مِنَ الْحَرْثِ ، وَلِشُرَكَائِهِمْ أَوْثَانِهِمْ جزءًا ، فَمَا ذَهَبَ ^(١) بِهِ الرِّيحُ مِمَّا سَمَّوْا لِلَّهِ إِلَى جِزَاءِ أَوْثَانِهِمْ تَرَكَوهُ ، وَمَا ذَهَبَ مِنْ جِزَاءِ أَوْثَانِهِمْ إِلَى جِزَاءِ اللَّهِ رُدُّوهُ ، وَقَالُوا : اللَّهُ عَنْ هَذَا غَنِيٌّ . وَالْأَنْعَامُ السَّائِبَةُ وَالْبَحِيرَةُ الَّتِي سَمَّوْا ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ ثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ الآية : عَمَدَ نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ فَجَزَّعُوا مِنْ حَرْوَتِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ جِزَاءً لِلَّهِ وَجِزَاءً لَشُرَكَائِهِمْ ، وَكَانُوا إِذَا خَالَطَ شَيْءٌ مِمَّا جَزَّعُوا لِلَّهِ فِيمَا جَزَّعُوا لَشُرَكَائِهِمْ خَلَّوْهُ ، فَإِذَا خَالَطَ شَيْءٌ مِمَّا جَزَّعُوا لَشُرَكَائِهِمْ فِيمَا جَزَّعُوا لِلَّهِ رُدُّوهُ عَلَى شُرَكَائِهِمْ ، وَكَانُوا إِذَا أَصَابَتْهُمْ السَّنَةُ اسْتَعَانُوا بِمَا جَزَّعُوا لِلَّهِ ، وَأَقْرَبُوا مَا جَزَّعُوا لَشُرَكَائِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ . قَالَ : كَانَ يُجَزَّئُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا فَيَقُولُونَ : هَذَا لِلَّهِ ، وَهَذَا لِلْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَ . فَإِنْ ذَهَبَ بَعْزٌ ^(٣) مِمَّا جَعَلُوا لَشُرَكَائِهِمْ فَخَالَطَ مَا جَعَلُوا لِلَّهِ رُدُّوهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ مِمَّا جَعَلُوهُ لِلَّهِ فَخَالَطَ شَيْئًا مِمَّا جَعَلُوهُ لَشُرَكَائِهِمْ تَرَكَوهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ أَكَلُوا مَا جَعَلُوا لِلَّهِ ، وَتَرَكَوا مَا جَعَلُوا لَشُرَكَائِهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ^(٤) .

(١) فِي م : « ذَهَبَتْ » .

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٣٢٨ ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٩١/٤ (٧٩١٤) . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٧/٣ إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٣) سَقَطَ مِنْ م ، وَفِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « لَغِيرَ » ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَاقِ .

(٤) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٢١٨/١ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ إلى : ﴿ يَحْكُمُونَ ﴾ . قال : كانوا يَقسِمون من أموالهم قِسْمًا فيَجْعَلونه لله ، ويَزْرَعون زَرْعًا فيَجْعَلونه لله ، وَيَجْعَلون لآلهتهم مثل ذلك ، فما خرج للآلهة أنفقوه عليها^(١) ، وما خرج لله تصدقوا به ، فإذا هلك الذي يصنعون لشركائهم وكثر الذي لله ، قالوا : ليس بُدَّ لآلهتنا من نفقة . وأخذوا الذي لله فأنفقوه على آلهتهم ، وإذا أجذب الذي لله وكثر الذي لآلهتهم ، قالوا : لو شاء / أزكى الذي له . فلا يَزِدُّون عليه شيئًا مما للآلهة .
٤٢/٨ قال الله : لو كانوا صادقين فيما قسَموا ، لبئس إذن ما حكموا أن يأخذوا مني ولا يُعْطُوني . فذلك حين يقول : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(٢) .

وقال آخرون : النصيب الذي كانوا يَجْعَلونه لله فكان يصل منه^(٣) إلى شركائهم ، أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يُسمُوا الآلهة^(٤) ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ، ولا يُسمون الله عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ﴾ . قال : كلُّ شيء جعلوه لله من ذبح يذبحونه ، لا يأكلونه أبدًا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة ، وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه . وقرأ الآية حتى بلغ : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(٥) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « عليهم » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٢/٤ (٧٩١٥) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « منهم » .

(٤) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « للآلهة » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٢/٤ (٧٩١٦) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله في ذلك ؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسماً مقدراً ، فقالوا : ﴿ هَذَا لِلَّهِ ﴾ . وجعلوا مثله لشركائهم ، وهم أوثانهم ، بإجماع من أهل التأويل عليه ، فقالوا : ﴿ هَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ . وأن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله ، بمعنى : لا يصل إلى نصيب الله ، وما كان لله وصل إلى نصيب شركائهم . فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية ، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل ، جائزاً أن تكون قد وصلت ، وما أخبر عنه أنه قد وصل ، لم يصل ، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر الكلام ؛ لأن الذبيحتين تذبح إحداهما لله والأخرى للآلهة ، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوهما ^(١) ، إذ كان المكروه كان ^(٢) عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحة للآلهة ، دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض .

وأما قوله : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم . يقول جل ثناؤه : قد أساءوا في حكمهم ، إذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ، ولم يغطوني من نصيب شركائهم . وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ، ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، حتى فضلوه في أقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ [٧٩٨/١] دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ .

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « خلطوها » .

(٢) سقط من : م .

يقول تعالى ذكره : وكما زين شركاء هؤلاء العادلين برّبهم الأوثان والأصنام لهم ما زين^(١) لهم ؛ من تضييرهم لرّبهم من أموالهم قسماً بزعمهم ، وتزكّهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم في قسمهم ، وردّهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله ، إلى قسم شركائهم ، / ٤٣/٨ ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ من الشياطين ، فحسنوا^(٢) لهم وأد البنات ؛ ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ . يقول : ليهلكوهم ، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ : فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس ، فيضلّوا ويهلكوا بفعلهم ما حرّم الله عليهم ، ولو شاء الله ألا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه ، بأن كان يهديهم للحق ، ويوفّقهم للسداد ، فكانوا لا يقتلونهم ، ولكن الله خذلهم عن الرّشاد ، فقتلوا أولادهم ، وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم .

يقول الله لنبيه متوعّداً لهم على عظيم فيزيّتهم على ربّهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسمونها : هذا لله وهذا لشركائهم . وفي قتلهم أولادهم : ذرهم يا محمد ، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ : وما يتقولون على من الكذب والزور ؛ فإنى لهم بالمرصاد ، ومن وراء العذاب والعقاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى المشنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ

(١) في م : « زينوا » .

(٢) في ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « فحسن » .

أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُزِدُوهُمْ ﴿١﴾ : زَيْنُوا لَهُمْ مِنْ قَتْلِ أَوْلَادِهِمْ .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ ﴾ : شياطينهم يأْمُرُونَهُمْ أَنْ يَكْدُوا أَوْلَادَهُمْ خِيفَةَ الْعَيْلَةِ ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ ﴾ الآية . قال : شركائهم زينوا لهم ذلك ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ^(٣) .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ ﴾ . قال : شياطينهم التي عبدوها زينوا لهم قتل أولادهم .

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُزِدُوهُمْ ﴾ : أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات ، وأما :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٢/٤ (٧٩١٧) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) العيلة : الفاقة . اللسان (ع ي ل) .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٣٢٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩١٨) من طريق يزيد به .

﴿ لِيُرَدُّوهُمْ ﴾ : فيُهْلِكُوهم ، وأما : ﴿ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِم دِينَهُمْ ﴾ : فيخْلطُوا عليهم دينهم ^(١) .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته قراءة الحجاز والعراق : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ ﴾ بفتح الزاي من ﴿ زَيْن ﴾ ، ﴿ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ ﴾ . بنصب « القتل » ، ﴿ شُرَكَائِهِمْ ﴾ . بالرفع ، بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم . فيزفَعون « الشركاء » بفعلهم ، وينصبون « القتل » لأنه مفعول به .

وقرأ ذلك بعض قراءة أهل الشام : (وكذلك زين) بضم الزاي (لكثير من المشركين قتل) بالرفع (أولادهم) بالنصب ، (شركائهم) بالخفض ^(٢) ، بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم / أولادهم . ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من ^(٣) الاسم .

٤٤/٨

وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح . وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام ، رأيت زوارة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق يُنكرونه ، وذلك قول قائلهم ^(٤) :

فزججته ^(٥) مُتَمَكَّنًا زَجَّ الْقُلُوصِ ^(٦) أَيْ مَزَادَةً

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩٢٠ ، ٧٩٢١) من طريق أحمد بن المفضل .

(٢) وهي قراءة ابن عامر من السبعة ، والباقون كالقراءة الأولى . التيسير ص ٨٨ .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « في » .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٥٨ / ١ ، ومجالس ثعلب ١٥٢ / ١ ، والخزانة ٤ / ١٥٥ .

(٥) زجه : إذا طعنه بالزُّج - وهو الحديد في أسفل الرمح - ورماه به . ينظر اللسان (ز ج ج) .

(٦) القلوص : الفتية من الإبل . اللسان (ق ل ص) .

والقراءة التي لا أَسْتَجِيزُ غيرها : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمُ شُرَكَاءُهُمْ ﴾ . بفتح الزاي مِن ﴿ زَيْنٌ ﴾ ، ونصب « القتل » بوقوع ﴿ زَيْنٌ ﴾ عليه ، وخفض ﴿ أَوْلَادِهِمُ ﴾ بإضافة « القتل » إليهم ، ورفع « شركاء » بفعلهم ؛ لأنهم هم الذين زَيَّنُوا للمشركين قتل أولادهم ، على ما ذكرتُ من التأويل .

وإنما قلتُ : لا أَسْتَجِيزُ القراءةَ بغيرها ؛ لإجماع الحجة من القراءة عليه ، وأن تأويلَ أهلِ التأويلِ بذلك ورد ، ففي ذلك أوضح البيانِ على فسادِ ما خالفها من القراءة^(١) .

ولولا أن تأويلَ جميعِ أهلِ التأويلِ بذلك ورد ، ثم قرأ قارئٌ : (وكذلك زَيْنٌ لكثيرٍ من المشركين قتل أولادهم شركائهم) . بضم الزاي مِن « زَيْن » ، ورفع « القتل » وخفض « الأولاد » و « الشركاء » ، على أن « الشركاء » مخفوضون بالردِّ على « الأولاد » ، بأن الأولاد شركاء آبائهم في النسب والميراث - كان جائزاً .

ولو قرأه كذلك قارئٌ ، غير أنه رفع « الشركاء » وخفض « الأولاد » ، كما يقالُ : ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ أَخُوكَ . فيظهرُ الفاعلُ بعد أن جرى الخبرُ بما لم يُسمَّ فاعله - كان ذلك صحيحاً في العربية جائزاً .

[٧٩٨/١ ظ] القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَأَحْسَنُ حَبْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءُ بِرِزْقِهِمْ ﴾ .

(١) والقراءة التي حكم عليها المصنف بالفساد متواترة ، فقد قرأ بها ابن عامر ، وهو من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان وأبي الدرداء ، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب ، وقال ابن الجزري : وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري بعد الثلاثمائة ، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير . وقد أطال العلماء في الانتصار لهذه القراءة ، وينظر في ذلك البحر المحيط ٢٢٩/٤ ، ٢٣٠ ، والنشر ١٩٨/٢ ، ١٩٩ . (تفسير الطبري ٣٧/٩)

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يُحرّمون ويُحلّلون من قبل أنفسهم ، من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك .
يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون برّبهم من المشركين جهلاً منهم ، لأنعام لهم وحزب : هذه أنعامٌ وهذا حزنٌ حِجْرٌ . يعنى بالأنعام والحزن ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التي قد مضى ذكرها في الآية قبل هذه .

وقيل : إن الأنعام ؛ السائبة والوصيلة والبحيرة التي سمّوا .

حدثني بذلك محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : / الأنعام ؛ السائبة والبحيرة التي سمّوا^(١) . ٤٥/٨

والحِجْرُ^(٢) في كلام العرب الحرام^(٣) ، يقال : حَجَزْتُ على فلان كذا . أى : حرّمت عليه ، ومنه قول الله : ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٢] . ومنه قول المتلمّس^(٤) :

حَنَّتْ إِلَى النخلة القُصْوَى فقلتُ لها حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تَمِّ الدَّهَارِيسُ^(٥)
وقول رُؤبة^(٦) :

وجارة البيت لها حُجْرِي

يعنى المُحرّم . ومنه قول الآخر^(٧) :

(١) جزء من الأثر المتقدم في ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الحجة » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٤) ديوانه ص ٨٥ .

(٥) الدهاريس : الدواهي . اللسان (دهرس) .

(٦) البيت للعجاج أبي رُؤبة ، وهو في ديوانه ص ٣١٦ .

(٧) هو أعشى باهلة ، كذا نسبه ابن برى في اللسان (رفق) .

فَبِتُّ مُرْتَفِقًا وَالْعَيْنُ سَاهِرَةٌ كَأَنِّي نَوْمِي عَلَى اللَّيْلِ مَحْجُورٌ
أى : حرام .

يُقَالُ : حَجَرٌ وَحَجْرٌ . بكسر الحاءِ وضمُّها ، وبضمُّها كان يُقْرَأُ ، فيما ذُكِرَ ؛
الحسنُ ^(١) وقتادة .

حدَّثني عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ ، قال : ثنى أبي ^(٢) ، قال : ثنى أبي ، عن
الحسينِ ، عن قتادة أنه كان يَقْرؤها : (وَحَرْتُ حَجْرًا) . يقولُ : حرام . مضمومة
الحاءِ ^(٣) .

وأما القراءةُ مِنَ الحجازِ والعراقِ والشامِ بعدُ ^(٤) فعلى كسْرِها ، وهى القراءةُ التى
لا أُسْتَجِيرُ خلافتها ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِنَ القراءةِ عليها ، وأنها اللغةُ الجُودَى ^(٥) مِنْ لغاتِ
العربِ .

وروى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرؤها : (وَحَرْتُ حَرْجًا) . بالراءِ قبلِ الجيمِ ^(٦) .
حدَّثني بذلك الحارثُ ، قال : ثنى عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو ،
عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرؤها كذلك ^(٧) .

وهى لغةٌ ثالثةٌ معناها ومعنى الحَجَرِ واحدٌ ، وهذا كما قالوا : جَذَبَ وَجَبَذَ ،

(١) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الحسين » . وقراءة الحسن هذه أخرجها ابن الأنبارى ، كما فى الدر المنثور ٤٨ / ٣ ، وذكرها ابن خالويه فى مختصره ص ٤٦ .

(٢) بعده فى النسخ : « قال حدثنى عمى » . وينظر ما تقدم فى ص ٥٤٦ .

(٣) ذكر هذه القراءة عن قتادة أبو حيان فى البحر المحيط ٢٣١ / ٤ ، وهى شاذة .

(٤) سقط من : م .

(٥) الجودى : تأنيث الأجود .

(٦) على القلب المكانى ، وهى قراءة شاذة .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨ / ٣ إلى المصنف وسعيد بن منصور وابن المنذر .

وناء ونأى .

ففى « الحِجْرِ » إذن لغات ثلاث ؛ حِجْرٌ بكسر الحاء ، والجيم قبل الراء ، وحِجْرٌ بضم الحاء ، والجيم قبل الراء ، وحِجْرٌ بكسر الحاء ، والراء قبل الجيم .
وينحو الذى قلنا فى تأويل « الحِجْرِ » قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

٤٦/٨ /حدثنى عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد وأبى عمرو : ﴿ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ . يقول : حرام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ : فالحجر ما حرّموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرّموا^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ . قال : حرام^(٢) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ الآية : تحريم كان عليهم من الشياطين فى أموالهم ، وتغليظ وتشديد ، وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله^(٣) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩٢٣) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٤/٤ (٧٩٢٩) من طريق يزيد به ، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْعَمَ حَرَمْتَ ظُفُورَهَا ﴾ .

السدي : أما قوله : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ . فيقولون : حرام أن نطعم إلا من شئنا^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ : نَحْتَجِرُهَا عَلَى مَنْ نُرِيدُ وَعَمَّنْ لَا نُرِيدُ ، ﴿ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ . قال : إنما احتجروا ذلك لآلهتهم ، وقالوا : لا يطعمها إلا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ . قالوا : نَحْتَجِرُهَا عَنِ النِّسَاءِ وَنَجْعَلُهَا لِلرِّجَالِ^(٢) .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ : أمّا ﴿ حِجْرٌ ﴾ . يقول : محرّم . وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها ، كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ، ويعزلون من حرثهم شيئاً معلوماً لآلهتهم ، ويقولون : لا يحل لنا ما سمينا لآلهتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ ﴾ : ما جعلوه لله ولشر كائهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله^(٣) .

[٧٩٩/١] القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَنْعَمٌ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ

أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٤/٤ (٧٩٢٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٣/٤ ، ١٣٩٤ (٧٩٢٥ ، ٧٩٢٧) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن

ابن زيد .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٩ .

يقول تعالى ذكره : وحَرَّمَ هؤلاء الجَهْلَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ظُهُورَ أَنْعَامِهِمْ ،
فَلَا يَزْكِبُونَ ظُهُورَهَا ، وَهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِرِشْلِهَا ^(١) وَنِتَاجِهَا ^(٢) وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ مِنْهَا ، غَيْرَ
ظُهُورِهَا لِلرَّكُوبِ ، وَحَرَّمُوا مِنْ أَنْعَامِهِمْ أَنْعَامًا أُخَرَ ، فَلَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا ، وَلَا
يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ رَكِبُوهَا بِحَالٍ ، وَلَا إِنْ حَلَبُوهَا ، وَلَا إِنْ حَمَلُوا عَلَيْهَا .
وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٤٧/٨ / حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَاشٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو
وَائِلٍ : أَتَدْرِي مَا ﴿ أَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَ : أَنْعَامُ
لَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ بْنِ مُوسَى ، قَالَ : ثنا شاذَانُ ، قَالَ : ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَاشٍ ،
عَنْ عَاصِمٍ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو وَائِلٍ : أَتَدْرِي مَا قَوْلُهُ : ﴿ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا
يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا . قَالَ : هِيَ الْبَحِيرَةُ ، كَانُوا لَا يَحُجُّونَ
عَلَيْهَا .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الشَّهِيدُ ، قَالَ : ثنا أَبُو
بَكْرِ بْنُ عِيَاشٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ : ﴿ وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ .
قَالَ : لَا يَحُجُّونَ عَلَيْهَا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ

(١) الرِّشْلُ : اللِّبْنُ . اللِّسَانُ (ر س ل) .

(٢) النِّتَاجُ : الْأَوْلَادُ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٩٤/٤ (٧٩٣٠) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عِيَاشٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي
الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٤٨/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

السدي : أما : ﴿ أَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ . فهي البحيرة والسائبة والحمائم ، وأما : « الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها » ، قال : إذا ولَّدوها ، ولا إن نحروها^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ . قال : كان من إيلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ، ولا في شيء من شأنها ، لا^(٢) إن ركبوها ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن منحوا ، ولا إن عملوا شيئاً^(٣) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ . قال : لا يركبها أحد ، ﴿ وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾^(٤) .

وأما قوله : ﴿ أَفْتَرَاءً عَلَيْهِ ﴾ . فإنه يقول : فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا ، من تحريمهم ما حرَّموا ، وقالوا ما قالوا من ذلك ، كذباً على الله ، وتخرُّصاً للباطل^(٥) عليه ؛ لأنهم أضافوا ما كانوا يُحرِّمون من ذلك على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه ، إلى أن الله هو الذي حرَّمه ، فنفى الله ذلك عن نفسه وأكذبهم ، وأخبر^(٦) نبيه والمؤمنين أنهم كاذبة فيما يدَّعون^(٧) ، ثم قال عز ذكره : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ ﴾ . يقول : سيُثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الله الكذب ثوابهم ، ويَجْزِيهِمْ بذلك جزاءهم .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٤/٤ (٧٩٢٨ ، ٧٩٣١) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) في م : « إلا » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٣٩ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٤/٥ (٧٩٩٨) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد ضمن أثر

مطول .

(٥) في م : « الباطل » .

(٦) في س : « أعلم » .

(٧) في م : « يزعمون » .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : غنى بذلك اللبن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطيّة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ . قال : اللبن ^(١) .

٤٨/٨ / حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾ : ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾ . قال : ما في بطون البحائر ، يعني ألبانها ، كانوا يجعلونه للرجال دون النساء ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن زكريا ، عن

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٥/٥ (٧٩٣٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٣ إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١ .

عامر ، قال : البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال ، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء^(١) .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ الآية : فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم ، ويشربونه ذكراؤهم ، وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت^(٢) فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء ، فنهى الله عن ذلك^(٣) .

وقال آخرون : بل غنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الأجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ : فهذه الأنعام ، ما ولد منها من^(٤) حتى فهو خالص [٧٩٩/١ ظ] للرجال دون النساء ، وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء^(٥) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ : السائبة والبحيرة .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٣٩ عن عامر الشعبي .

(٢) في النسخ : « تركب » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٣٩٥ ، ١٣٩٦ (٧٩٣٣ ، ٧٩٣٩) عن محمد بن سعد به . وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٨ إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(٤) زيادة من : م .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٣٩٥ ، ١٣٩٦ (٧٩٤٠) من طريق أحمد بن مفضل به .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبُّل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله^(١) .

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يُقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعيانها : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا . واللبن مما في بطونها ، وكذلك أجنتها ، ولم يُخصَّص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا : بعض ذلك حرامٌ عليهن دون بعض .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يُقال : إنهم قالوا : ما في بطون تلك الأنعام من لبنٍ وجنينٍ حلٌّ لذكورهم ، خالصةٌ دون إناثهم . وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم ، إلا أن يكون الذي في بطونها من الأجنة ميتاً ، فيشترك حينئذٍ في أكله الرجال والنساء .

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أُنتت « الخالصة » ؛ فقال بعض نحوي البصرة وبعض / الكوفيين : أُنتت لتحقيق الخلوص ، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة ، فجرى مجرى راوية ونسابة . ٤٩/٨

وقال بعض نحوي الكوفة^(٢) : أُنتت لتأنيث الأنعام ؛ لأن ما في بطونها مثلها ، فأنت لتأنيثها ، ومن ذكره فلتذكير (ما) . قال : وهي في قراءة عبد الله : (خالص)^(٣) . قال : وقد تكون « الخالصة » في تأنيثها مصدراً ، كما تقول : العافية والعاقبة . وهو مثل قوله : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [سورة ص : ٤٦] .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال : أريد بذلك المبالغة في خلوص ما

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٥/٥ (٧٩٣٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) هو الفراء في معاني القرآن ١/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٣) هي قراءة شاذة ، وقد قرأ بها عبد الله وابن جبير وأبو العالية والضحاك وابن أبي عتبة . البحر المحيط ٢٣١/٤ .

فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ الَّتِي كَانُوا حَرَّمُوا مَا فِي بَطُونِهَا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ ، لَذِكْرِهِمْ دُونَ
إِنَائِهِمْ ، كَمَا فُعِلَ ذَلِكَ بِالرَّائِيَةِ وَالنَّسَابَةِ وَالْعَلَّامَةِ ، إِذَا أُريدَ بِهَا الْمُبَالِغَةُ فِي وَصْفِ مَنْ
كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ ، كَمَا يُقَالُ : فَلَانٌ خَالِصَةٌ فَلَانٍ وَخُلُصَانُهُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ . فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى
بِالْأَزْوَاجِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : غُنِيَ بِهَا النِّسَاءُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ . قَالَ : النِّسَاءُ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ غُنِيَ بِالْأَزْوَاجِ الْبَنَاتُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى
أَزْوَاجِنَا ﴾ . قَالَ : الْأَزْوَاجُ الْبَنَاتُ ، وَقَالُوا : لَيْسَ لِلْبَنَاتِ مِنْهُ شَيْءٌ ^(٢) .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ أَنَّهُمْ
كَانُوا يَقُولُونَ لِمَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ ، يَعْنِي أَنْعَامَهُمْ : هَذَا مُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا .
وَالْأَزْوَاجُ إِنَّمَا هِيَ نِسَاؤُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ ، وَهِيَ لَا شَكَّ بَنَاتٌ مِنْ هُنَّ أَوْلَادُهُ ، وَخَلَائِلُ
مَنْ هُنَّ أَزْوَاجُهُ .

وَفِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ . الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَى أَنَّ
تَأْنِيثَ « الْخَالِصَةِ » كَانَ لِمَا وَصَفْتُ مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي وَصْفِ مَا فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٥/٥ (٧٩٣٨) .

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٩٦/٧ .

بالخلوصة للذكور ؛ لأنه لو كان لتأنيث « الأنعام » لقليل : ومحرمته على أزواجنا .
ولكن لما كان التأنيث في « الخالصة » لما ذكرت ، ثم لم يقصد في « المحرم » ما قصد
في « الخالصة » من المبالغة ، رجع فيها إلى تذكير ﴿ ما ﴾ ، واستعمال ما هو أولى به
من صفته .

وأما قوله : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ . فاختلقت القراءة في
قراءة ذلك ؛ فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مُصَرِّف في آخرين : (وَإِنْ تَكُنْ
مَيِّتَةً) . بالتاء في (تَكُنْ) ورفع (ميتة) . غير أن يزيد^(١) كان يُشدُّ الياء من (مَيِّتَةً) ،
ويُخَفِّفُها طَلْحَةُ^(٢) .

حدثني بذلك المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي حماد ، قال : ثنا
عيسى ، عن طلحة بن مُصَرِّف^(٢) .

وحدثنا أحمد بن يوسف ، عن القاسم وإسماعيل بن جعفر ، عن يزيد .

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة والبصرة : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً ﴾ بالياء ،
﴿ مَيِّتَةً ﴾ بالنصب وتخفيف الياء^(٣) .

وكأن من قرأ : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ ﴾ / بالياء ، ﴿ مَيِّتَةً ﴾ بالنصب ، أراد : وإن
يَكُنْ ما في بطون تلك الأنعام . فذكر ﴿ يَكُنْ ﴾ لتذكير ﴿ ما ﴾ ، ونصب « الميتة »
لأنه خبر ﴿ يَكُنْ ﴾ .

٥٠/٨

وأما من قرأ : (وَإِنْ تَكُنْ مَيِّتَةً) . فإنه إن شاء الله أراد : وإن تَكُنْ ما في بطونها
مَيِّتَةً ، فأنث^(٤) (تَكُنْ) لتأنيث (مَيِّتَةً) .

(١) هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني .

(٢) ينظر البحر المحيط ٢٣٣/٤ ، وهي قراءة ابن عامر أيضًا . السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٠ .

(٣) هي قراءة نافع وعاصم في رواية حفص وأبي عمرو وحزمة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر . السبعة
ص ٢٧١ ، والبدور الزاهرة ص ١١١ .

(٤) في ص : « فتؤنث » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فيؤنث » .

وقوله : ﴿ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ : فإنه يعنى أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله ، لا يُحرّمونه على أحدٍ منهم . كما ذكرنا عمّن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ في ذلك ما حدّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبُ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ . قال : تأكلُ النساءُ مع الرجالِ ، إن كان الذى يخرجُ من بطونها ميتةً فهم فيه شركاءُ . وقالوا : إن شئنا جعلنا للبناتِ فيه نصيبًا ، وإن شئنا لم نجعل^(١) .

وظاهرُ التلاوةِ بخلافِ ما تأوّلُه ابنُ زيدٍ ؛ لأن ظاهرَها يدلُّ على أنهم قالوا : إن^(٢) يَكُنْ ما فى بطونها ميتةً فنحن فيه شركاءُ . بغيرِ شرطٍ مشيئةٍ ، وقد زعم ابنُ زيدٍ أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُمُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يقولُ جلّ ثناؤه : سَيَجْزِي . أى : سيُثبِتُ ويُكافئُ هؤلاء المُفترين عليه الكذبُ فى تحريمهم ما لم يُحرّمه اللهُ ، وتحليلهم ما لم يُحلّله اللهُ ، [٨٠٠ / ١] وإضافتهم كذبهم فى ذلك إلى اللهِ .

وقوله : ﴿ وَصَفَهُمْ ﴾ . يعنى بـ ﴿ وَصَفَهُمْ ﴾ : الكذبُ على اللهِ ، وذلك كما قال جلّ ثناؤه فى موضعٍ آخرٍ من كتابه : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ ﴾ [النحل : ٦٢] .

والوصفُ والصفةُ فى كلامِ العربِ واحدٌ ، وهما مصدران مثلُ الوزنِ والزنّةِ .

(١) ذكر ابنُ أبى حاتمٍ أوله فى تفسيره ١٣٩٦/٥ عقب الأثر (٧٩٤٠) معلقًا ، وأخرج آخره ١٣٩٤/٤ (٧٩٣٢) من طريق أصبغ بن الفرّج ، عن ابنِ زيدٍ .

(٢) بعده فى م : « لم » .

وبنحو الذي قلنا في معنى الوصف قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ . قال : قولهم الكذب في ذلك ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ . قال : كذبهم ^(٢) .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ . أي : كذبهم ^(٣) .

وأما قوله : ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . فإنه يقول جل ثناؤه : إن الله - في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه - حكيم في سائر تدبيره في خلقه ، عليم بما يضلحهم ، وبغير ذلك من أمورهم .

القول في تأويل قوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

/ يقول تعالى ذكره : قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب ، العادلون به

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٩ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٦/٥ (٧٩٤١) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٦/٥ عقب الأثر (٧٩٤١) من طريق أبي جعفر الرازي به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٦/٥ عقب الأثر (٧٩٤١) معلقا .

الأوثان والأصنام ، الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم ، وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم ، فقتلوا طاعة لها أولادهم ، وحرّموا ما أحلّ الله لهم وجعله لهم رزقا من أنعامهم ؛ ﴿ سَفَهَا ﴾ منهم . يقول : فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم ، ونقص عقول ، وضعف أحلام منهم ، وقلة فهم بعاجل ضره وأجل مكروهه ، من عظيم عقاب الله عليه لهم ؛ ﴿ أَفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ ﴾ . يقول : تكذّبا^(١) على الله وتخزّصا عليه الباطل ، ﴿ قَدْ ضَلُّوا ﴾ . يقول : قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك ، وزالوا عن سواء السبيل ، ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ . يقول : ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ، ولا موفّقين له .

ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات من قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام : ١٣٦] . الذين كانوا يتحرون البحائر ، ويُسيّون السّوائب ، ويئذّون البنات .

كما حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة قوله : ﴿ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : نزلت في من يئذ البنات من ربيعة ومضر ، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيى جارية وتئذ أخرى ، فإذا كانت الجارية التي تئذ^(٢) ، غدا الرجل أو راح من عند امرأته ، وقال لها : أنت عليّ كظهر أمي إن رجعت إليك ولم تئديها . فتخذ لها في الأرض خدّا^(٣) ، وتُرسل إلى نسائها ، فيجتمعن عندها ، ثم يتداولنها ، حتى إذا

(١) في م ، ت ٢ : « تكذبا » .

(٢) في ص ، س : « تئذ » ، وفي م : « توأد » .

(٣) يقال : خد الأرض خدّا : حفرها .

أَبْصَرَتْهُ رَاجِعًا دَسَّتْهَا فِي حَفْرَتِهَا ، ثُمَّ سَوَّتْ عَلَيْهَا التَّرَابَ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ثُمَّ ذَكَرَ مَا صَنَعُوا فِي أَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فَقَالَ : هَذَا صَنِيعُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ أَحَدُهُمْ يَقْتُلُ ابْنَتَهُ مَخَافَةَ السَّبَاءِ وَالْفَاقَةِ ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ الآية : وَهُمْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ ، جَعَلُوا بَحِيرَةً وَسَائِبَةً وَوَصِيلَةً وَحَامِيًا ؛ تَحْكُمًا مِنَ الشَّيَاطِينِ فِي أَمْوَالِهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ ، فَاقْرَأْ مَا بَعْدَ الْمَائَةِ مِنْ سُورَةِ « الْأَنْعَامِ » قَوْلَهُ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية ^(٤) .

وَكَانَ أَبُو رَزِينٍ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ : ﴿ قَدْ ضَلُّوا ﴾ . أَنَّهُ مَعْنَى بِهِ : قَدْ ضَلُّوا قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَتَحْرِيمِ الرِّزْقِ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ بِأُمُورٍ غَيْرِ ذَلِكَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا ^(٥) يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٦/٥ (٧٩٤٤) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٦/٥ ، ١٣٩٧ (٧٩٤٣ ، ٧٩٤٥) من طريق يزيد به ، وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٣ إلى أبي الشيخ .

(٥ - ٥) في النسخ : « يزيد قال ثنا » ، والمثبت مما تقدم في ١٧٩/٢ ، ٢٥١ وغيرهما .

ضَلُّوا ﴿١﴾ . قال : قد ضلُّوا قبل ذلك ^(١) .

/ القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ ٥٢/٨ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ .

وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله ، وتنبيه منه لهم على موضع إحسانه ، وتعريف منه لهم ما أحلَّ وحرَّم ، وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقًا .

يقول تعالى ذكره : وربُّكم أيُّها الناس ﴿ أَنْشَأَ ﴾ . أى : أحدث وابتدع خلقًا ، لا الآلهة والأصنام ، ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ . يعنى : [٨٠٠/١ ظ] بساتين ، ﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ ، وهى ما عرش الناس من الكروم ، ﴿ وَغَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ : غير مرفوعات مَبْنِيَّاتٍ ، لا يُنْبِتُهُ الناس ولا يَرْفَعُونَهُ ، ولكنَّ الله يَرْفَعُهُ وَيُنْبِتُهُ وَيُنْمِيهِ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ . يقول : مَسْمُوكَاتٍ ^(٢) .

وبه عن ابن عباس : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ : فالمعروشات : ما عرش الناس ، ﴿ وَغَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ : ما خرج فى البرِّ والجبال من الثمرات ^(٣) .

حدَّثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : أما ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ : فالبساتين ، وأما الـ ﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ : فما عُرِش كهيئة

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ (٧٩٤٢) من طريق محمد بن بشار ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤١/٣ عن على بن أبى طلحة به .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤١/٣ عن على بن أبى طلحة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وفيه : البرية . بدلا من : البر .

الكَرْمِ^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ . قال : ما يُعْرَشُ مِنَ الْكُرُومِ . ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ . قال : ما لا يُعْرَشُ مِنَ الْكُرْمِ^(٢) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ .

يقول جل ثناؤه : وَأَنْشَأَ النَّخْلَ وَالزَّرْعَ ﴿ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ ﴾ . يعني بـ « الأكل » الثمر . يقول : وخلق النخل والزرع مختلفًا ما يخرج منه ، مما يؤكل من الثمر والحب ، ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ في الطَّعْمِ ؛ منه الحُلُوُّ والحامِضُ والمُرُّ^(٣) .

كما حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : ﴿ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ . قال : ﴿ مُتَشَبِهًا ﴾ : في المنظر ، ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾ : في الطَّعْمِ^(٤) .

وأما قوله : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ . فإنه يقول : كُلُوا مِنْ رُطْبِهِ ما كان رطبًا ثمره .

/ كما حدَّثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو همام الأهوازي ، قال :

٥٣/٨

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الفتح ٢٨٧/٨ - من طريق ابن جريج به ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٤١ عن عطاء به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٨ إلى أبي الشيخ .

(٣) المز : طعم بين الحلاوة والحموضة . التاج (م ز ز) .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٤١ عن ابن جريج ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٩ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

ثنا موسى بن عُبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ . قال : مِنْ رُطْبِهِ وَعَنْبِهِ ^(١) .

حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن الزُّبَيْرَانِ ، قال : ثنا موسى بن عُبيدة في قوله : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ . قال : مِنْ رُطْبِهِ وَعَنْبِهِ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : هذا أمرٌ من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الزكاة ^(٢) .

حدَّثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعتُ أنس بن مالك يقول : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الزكاة المفروضة ^(٣) .

حدَّثنا عمرو ، قال : ثنا مُعَلَّى بن أسيد ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مُجاهد ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَءَاتُوا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ . وستأتي بقيته في ص ٦١٦ .

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٣٧٦) من طريق يزيد بن زريع ، عن الحسن ، بدون ذكر يونس . وأخرجه ابن أبي شيبة ١٨٦/٣ من طريق سفيان عن يونس به .

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤٢١ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣١ ، ٣٣٢ من طريق عمرو بن علي به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٣) ، وابن عدى ٢٧٣٢/٧ ، والبيهقي ١٣٢/٤ ، من طريق عبد الصمد به ، وقال البيهقي : وهو موقوف غير قوي .

حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴿١﴾ . قال : العُشْرُ ، ونصفُ العُشْرِ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا هانئُ بنُ سعيد ، عن حجاج ، عن محمد بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : العُشْرُ ونصفُ العُشْرِ .

حدَّثنا عمرو بنُ عليّ وابنُ وكيع وابنُ بشارٍ ، قالوا : ثنا عبدُ الرحمن ، قال : ثنا إبراهيم بنُ نافعٍ المكيّ ، عن ابنِ طاووسٍ ^(٢) ، عن أبيه في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الزكاة ^(٣) .

حدَّثنا عمرو ، قال : ثنا عبدُ الرحمن ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، عن حَيَّانِ الأعرج ، عن جابر بنِ زيدٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الزكاة ^(٤) .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليّة ، قال : أخبرنا يونسُ ، عن الحسنِ في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : هي الصدقة . قال : ثم سُئِلَ عنها مرةً أُخرى ، فقال : هي الصدقة مِنَ الحبِّ والثَّمارِ .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، عن ابنِ جريج ، قال : أخبرني أبو بكرٍ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عمرو بنِ سليمٍ ^(٥) وغيره ، عن سعيد بنِ المسيبِ أنه قال : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الصدقة المفروضة ^(٦) .

(١) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٢ من طريق عمرو بن علي به .

(٢) في النسخ : « عباس » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٢ من طريق أبي حفص عمرو بن علي ، عن عبد الرحمن به .

(٤) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٢ ، من طريق عمرو به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج

(٤١٥) ، وابن أبي شيبة ٣ / ١٨٥ ، وابن زنجويه في الأموال (١٣٨١) ، والبيهقي ٤ / ١٣٢ من طريق أبي هلال به .

(٥) في النسخ : « سليمان » . وسيأتي على الصواب في ص ٦١٦ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٢٦٧) عن ابن جريج به .

حدَّثني يعقوب، قال: ثنا ابنُ عُليّة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: هي الصدقة من الحب والثمار^(١).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا عبدُ الله بنُ صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يعني بـ ﴿حَقَّهُ﴾ ٥٤/٨ زكاته المفروضة يوم يُكَال، أو يُعْلَم كَيْلُهُ^(٢).

حدَّثني محمد بنُ سعيد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده،^(٣) لم يُخرج مما حصّد شيئاً، فقال الله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٤)، وهو أن يُعْلَم ما كَيْلُهُ وحَقُّه، فيُخرج من كلِّ عشرةٍ واحداً، وما يَلْقُطُ^(٥) الناس من سنبله^(٥).

حدَّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وحَقُّه يوم حصاده الصدقة المفروضة. ذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ سنَّ فيما سَقَتِ السماء، أو العينُ السائحة، أو سقاه^(٦) الطَّل، والَطْلُ النَّدَى^(٦) - أو كان

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٢ عن ابن عليّة به، وأخرجه أبو يوسف في الخراج (٢٠) من طريق أبي رجاء به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر.

(٢) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٨) من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن المنذر.

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والمثبت من تفسير ابن كثير.

(٤) في م، ت ٢، ت ٣: « يلتقط ».

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤١/٣، عن العوفي عن ابن عباس.

(٦ - ٦) في ص: « العل والعل الندى »، وفي ف: « العسل والعسل الذى ».

بَعْلًا^(١) الْعُشْرَ^(٢) كَامِلًا ، وَإِنْ سُقِيَ بِرِشَاءٍ^(٣) نِصْفَ الْعُشْرِ . قَالَ قَتَادَةُ : وَهَذَا فِيمَا يُكَالُ مِنَ الثَّمَرَةِ ، وَكَانَ هَذَا إِذَا بَلَغَتِ الثَّمَرَةُ^(٤) خَمْسَةَ أَوْسُقٍ ، وَذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةِ صَاعٍ ، فَقَدْ حَقَّ فِيهَا الزَّكَاةُ ، وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُعْطُوا مِمَّا لَا يُكَالُ مِنَ الثَّمَرَةِ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ وَطَاوِسٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قَالَا : هُوَ الزَّكَاةُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ الْحَجَّاجِ ، عَنْ سَالِمِ الْمَكِّيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَةِ قَوْلَهُ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قَالَ : يَوْمَ كَيْلِهِ ، يُعْطَى الْعُشْرُ ، أَوْ نِصْفَ الْعُشْرِ^(٦) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا الْحِمَّانِيُّ ، قَالَ : ثنا شَرِيكٌ ، عَنْ سَالِمِ الْمَكِّيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَةِ قَوْلَهُ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قَالَ : الْعُشْرُ وَنِصْفُ الْعُشْرِ^(٦) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، [٨٠١/١] قَالَ : ثنا سُؤَيْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوِسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَعَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قَالَا : الزَّكَاةُ^(٧) .

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « بَعْد » . وَالْبَعْلُ : مَا شَرِبَ مِنَ النَّخِيلِ بِعُرْوِهِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ سَقْيِ سَمَاءٍ وَلَا غَيْرِهَا . النَّهْيَةُ (ب ع ل) .

(٢) فِي ص : « الْعُشُور » .

(٣) فِي ت ١ ، ف ، س : « بِرِسَان » .

(٤) فِي م : « الثَّمَرَةُ » .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٩٨/٥ عَقِبَ الْأَثَرِ (٧٩٥٤) مَعْلَقًا .

(٦) أَخْرَجَهُ يَحْيَى بْنُ آدَمَ فِي الْخَرَجِ ص ١٢١ (٣٩٦) مِنْ طَرِيقِ حَجَّاجٍ .

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ زَنْجَوِيهِ فِي الْأَمْوَالِ (١٣٨٠) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ =

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو معاوية الضَّرِيرُ ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : العُشْرُ ونصفُ العُشْرِ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُويْدٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ المبارك ، عن شريك ، عن الحكم بن عُتَيْبَةَ^(٢) ، عن ابن عباسٍ مثله .

حُدِّثْتُ عن الحسين بن الفرَج ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعَاذٍ ، قال : أَخْبَرَنَا عبيدُ بنُ سليمان ، قال : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ ، في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ يعني : يومَ كَيْلِهِ ، ما كان مِن بُرٍّ أو تمرٍ أو زَبِيبٍ ، وحقُّه : زكَّاهُ .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ كُلُّوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ قال : كُلُّ منه ، وإذا حَصَدْتَهُ فَأَتِ حَقَّهُ ، وحقُّه : عُشْرُهُ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبَةُ ، عن يونس بن عُبيدٍ ، عن الحسنِ أنه قال في هذه الآية : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال :

= ٢١٩/١ ، وفي مصنفه (٧٢٦٦) عن معمر به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤١٤) - ومن طريقه البيهقي ١٣٢/٤ - من طريق ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن أبي شيبة وأبي داود في ناسخه عن طاوس .

(١) أخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٣٩٨) - من طريقه - وسعيد بن منصور في سننه (٩٢٨ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ١٨٦/٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٢) من طريق أبي معاوية به ، وقال البيهقي : وهو موقوف غير قوي . وأخرجه أبو يوسف في الخراج (١٧) ، والنحاس في ناسخه ص ٤٢٠ من طريق حجاج به ، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٣٧٥) من طريق أبي معاوية به بدون ذكر الحكم . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « عينة » .

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٩٩/٧ ، والبحر المحيط ٢٣٧/٤ .

الزكاة ؛ إذا كَلَّتْهُ ^(١) .

٥٥/٨

/ حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن عن قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الزكاة ^(٢) .

حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرَقِيِّ ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . فقلت له : هو العُشُورُ ؟ قال : نعم . فقلت له : عن أيك ؟ قال : عن أبي وغيره ^(٣) .

وقال آخرون : بل ذلك حقُّ أَوْجَبه الله في أموال أهل الأموال ، غير الصدقة المفروضة .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن أبيه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : شيئاً سوى الحقِّ الواجب ^(٤) . قال : وكان في كتابه : عن علي بن الحسين .

حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : القبضُ مِنَ الطَّعَامِ ^(٥) .

(١) في ص ، ت ، ١ ، س : « أَكَلَتْهُ » .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٢ من طريق عمرو بن علي به ، وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤٢١ من طريق شعبة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٠/٥ (٧٩٦٨) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٢٣ ، وتفسير البغوي ١٩٥/٣ ، وتفسير القرطبي ٩٩/٧ ، والبحر المحيط ٢٣٧/٤ .

(٥) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٣ من طريق عمرو به .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قَالَ : مِنَ النَّخْلِ وَالْعَنْبِ وَالْحَبِّ كُلِّهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : أَرَأَيْتَ مَا حَصَدْتُ مِنَ الْفَوَاكِهِ ؟ قَالَ : وَمِنْهَا أَيْضًا تُؤْتَى . وَقَالَ : مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَصَدْتَ تُؤْتَى مِنْهُ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ؛ مِنَ النَّخْلِ ، أَوْ عَنِبٍ ، أَوْ حَبٍّ ، أَوْ فَوَاكِهٍ ، أَوْ خَضِيرٍ ، أَوْ قَصَبٍ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . قُلْتُ لِعَطَاءٍ : أَوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ ذَلِكَ كُلُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ تَلَا : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ : هَلْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مُوقَّتٌ مَعْلُومٌ ؟ قَالَ : لَا^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا سُوَيْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قَالَ : يُعْطَى مَنْ حَضَرَ^(٢) يَوْمَئِذٍ مَا تَيْسَّرُ ، وَلَيْسَ بِالزَّكَاةِ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قَالَ : لَيْسَ بِالزَّكَاةِ ، وَلَكِنْ يُطْعَمُ مَنْ حَضَرَهُ سَاعَتَيْدٍ حَصِيدَةٍ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيرٌ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، عَنْ حَمَادٍ : ﴿وَعَاتُوا

(١) أخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤١٧) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٢٦٣) عن ابن جريج به ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٢٩ - تفسير) من طريق ابن جريج بلفظ : شيء يسير سوى الزكاة المفروضة .
(٢) في ص ، ت ، ١ ، ف : « حصول » ، وفي م : « حصاده » وفي س : « حضور » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤١٨) ، وابن زنجويه في الأموال (١٣٧٧) من طريق ابن المبارك به ، وأخرجه يحيى بن آدم (٤١٦ ، ٤٢٠) - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٧/٥ (٧٩٥٠) ، والبيهقي ١٣٢/٤ - وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٤ من طريق عبد الملك به بنحوه .

(٤) في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « حصده » وهما بمعنى . ينظر التاج (ح ص د) .

حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴿١﴾ . قال : كانوا يُعْطُونَ رُطْبًا ^(١) .

حدَّثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالوا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قال : إذا حضرَك المساكين طرخت لهم منه ، وإذا أنقيته ^(٢) وأخذت في كيله حثوث ^(٣) لهم منه ، وإذا علمت كيله عزلت زكاته ، وإذا أخذت في جداد ^(٤) النخل طرخت لهم من الثفاريق ^(٥) ، وإذا أخذت في كيله حثوث ^(٣) لهم منه ، وإذا علمت كيله عزلت زكاته ^(٦) .

٥٦/٨ / حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قال : سوى الفريضة ^(٧) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قال : يُلقَى إلى السؤال عند الحصاد من السنبِل ، فإذا طين ، أو طين ^(٨) - الشك من أبي جعفر - ألقى إليهم ، فإذا حمّله فأراد أن يجعله

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٧) من طريق جرير به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) في ص : « أبقيته » .

(٣) في ص ، ت ، ١ ، س ، ف : « خبوت » .

(٤) في م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « جذاذ » والجداذ بالفتح والكسر : صرام النخل وهو قطع ثمرتها . يقال : جد الثمرة يجدها جدا . النهاية (ج د د) .

(٥) قال ابن الأثير : الأصل في الثفاريق : الأقماع التي تُلزق في البسر ، واحدها تُفروق ، ولم يردّها ههنا ، وإنما كنى بها عن شيء من البسر يعطونه ، قال القتيبي : كأن الثفروق - على معنى هذا الحديث - شعبة من شمراخ العذق . النهاية (ث فرق) .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٢٣ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ١٨٥/٣ ، ١٨٦ ، وابن زنجويه في الأموال (١٣٧٤) من طريق جرير به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤٠٣) من طريق منصور به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٢٥ - تفسير) عن جرير به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤٠٨) من طريق ليث به .

(٨ - ٨) غير منقوطة في : ص ، ف .

كُدْسًا^(١) أَلْقَى إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا دَاسَ أَطْعَمَ مِنْهُ ، وَإِذَا فَرَغَ وَعَلِمَ كَمَ كَيْلُهُ ، عَزَلَ زَكَاتَهُ .
وَقَالَ فِي النَّخْلِ : عِنْدَ الْجَذَادِ^(٢) يُطْعِمُ مِنَ الثَّمَرَةِ وَالشُّمَارِيخِ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ كَيْلِهِ أَطْعَمَ
مِنَ الثَّمَرَةِ^(٣) ، فَإِذَا فَرَغَ عَزَلَ زَكَاتَهُ .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا
سَفْيَانُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ قَالَ : إِذَا
حَصَدَ الزَّرْعَ أَلْقَى مِنَ السَّنْبِلِ ، وَإِذَا جَذَّ^(٤) النَّخْلَ أَلْقَى مِنَ الشُّمَارِيخِ ، فَإِذَا كَالَهُ
زَكَّاهُ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ،
قَالَ : عِنْدَ الْحَصَادِ ، وَعِنْدَ الدِّيَاسِ ، وَعِنْدَ الصَّرَامِ يَقْبِضُ لَهُمْ مِنْهُ ، فَإِذَا كَالَهُ عَزَلَ
زَكَاتَهُ^(٦) .

وَبِهِ عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ^(٧) ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : سَوَى الزَّكَاةِ^(٨) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قَالَ : شَيْءٌ سِوَى الزَّكَاةِ فِي

(١) الكدس : الحب المحصور المجموع وهو العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، وجمعه أكداس .
التاج (ك د س) .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الجذاذ » .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « التمر » .

(٤) في ص : « حزرُوا » ، وفي م : « جذ » ، وفي ف : « حرروا » ، وفي س : « جزوا » والمثبت من الناسخ
والمنسوخ لأبي عبيد .

(٥) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٣ من طريق عمرو بن علي به ، وأخرجه أبو عبيد في الناسخ
والمنسوخ ص ٣٢ ، ٣٣ من طريق عبد الرحمن به .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥١) من طريق وكيع به .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٨) تفسير سفيان ص ١٠٩ .

الْحَصَادِ وَالْجَدَادِ ، إِذَا حَصَّدُوا وَإِذَا جَدُّوا ^(١) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،
في قول الله : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قال : واجب حين يضرم ^(٢) .

حدَّثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، [٨٠١/١ ظ] عن
منصور ، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ .
قال : إذا حصد أطعم ، وإذا أدخله البيدر ^(٣) ، وإذا داسه أطعم منه .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن ابن عمر ،
قال : يُطْعِمُ الْمُعْتَرَّ ^(٤) سوى ما يُعْطَى مِنَ الْعُشْرِ وَنَصْفِ الْعُشْرِ ^(٥) .

وبه عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قبضة عند الحصاد ، وقبضة
عند الجداد ^(٦) .

حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا
يُعْطُونَ مَنْ اعْتَرَّ بِهِمُ الشَّيْءُ ^(٧) .

(١) في ص : « حزروا » .

والأثر أخرجه ابن الجوزي في ناسخه ص ٣٣٣ من طريق عمرو بن علي ، عن يحيى ، عن سفيان ، عن
منصور ، عن مجاهد .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٩ من قول مجاهد .

(٣) البيدر : الموضع الذي يداس فيه الطعام . تاج العروس (ب د ر) .

(٤) المعتز : المعترض للمعروف من غير أن يسأل . القاموس المحيط (ع ر ر) .

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٤٢٣ ، والطبراني في الأوسط (٦٠٤١) من طريقين عن أشعث عن نافع
عن ابن عمر نحوه ، بزيادة نافع في إسناده ، وأخرجه أبو يوسف في الخراج ص ١٦٥ (١٨) عن أشعث عن ابن
سيرين عن ابن عمر نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن
مردويه والبيهقي .

(٦) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٣ من طريق سفيان بن عوف .

(٧) أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج (٤١٢) - ومن طريقه البيهقي ١٣٢/٤ - عن حفص به . وأخرجه

يحيى بن آدم في الخراج الموضع السابق ، وابن أبي شيبة ١٨٥/٣ ، والبيهقي ١٣٢/٤ من طريق أشعث به .

حدَّثنا أبو كُريب ، قال : ثنا ابنُ يَمَانٍ ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : الضُّغْتُ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : يُعْطَى مثلُ الضُّغْتِ .

/ حدَّثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، ٥٧/٨
قال : ثنا حمادٌ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : مثلُ
هذا من الضُّغْتِ . ووضع يحيى إضبعه الإبهامَ على المَفْصِلِ الثاني من
السَّبَّابَةِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال :
نحو الضُّغْتِ ^(٢) .

^(٣) حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ^(٣) ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن أبي جعفرٍ ،
و ^(٤) عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال ^(٥) : يُعْطَى ضِغْتًا ^(٦) .

حدَّثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا كثيرُ بنُ هشامٍ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ بُزْقَانَ ، عن
يزيدَ بنِ الأصمِّ ، قال : كان النخلُ إذا ضُرِمَ يَجِيءُ الرجلُ بالعِدْقِ من نخله ،

(١) الضغْتُ : ملء اليد من الحشيش المختلط ، وقيل : الحزمة منه ومما أشبهه من البقول . النهاية ٣ / ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٦/٣ عن وكيع به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤١١) من طريق سفيان به .

(٣ - ٣) سقط من : ف ، ومكانه بياض في : ص ، س .

(٤) سقط من : النسخ .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قال » .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٦/٣ عن وكيع به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤١٠) عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر وحده .

فَيُعَلِّقُهُ^(١) فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ ، فَيَجِيءُ الْمُسْكِينُ فَيَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ ، فَإِذَا تَنَاقَرُ أَكَل مِنْهُ ،
فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهُ حَسَنٌ أَوْ حُسَيْنٌ ، فَتَنَاقَلَ تَمْرَةً ، فَانْتَزَعَهَا مِنْ فِيهِ ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَلَا أَهْلُ بَيْتِهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ ﴾^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا خَالِدُ بْنُ حِثَّانٍ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُزْقَانَ ، عَنْ مِيمُونِ بْنِ
مِهْرَانَ وَيزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ ، قَالَا : كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِذَا صَرَمُوا يَجِئُونَ بِالْعِدْقِ فَيَضَعُونَهُ
فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ يَجِيءُ السَّائِلُ فَيَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنْهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَءَاتُوا
حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾^(٣) .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ^(٤) ، قَالَ : ثنا زَيْدُ^(٥) بْنُ أَبِي الزَّرْقَاءِ ، عَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ يَزِيدَ^(٦)
وَمِيمُونٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قَالَا : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَدَّ^(٧)
النَّخْلَ يَجِيءُ بِالْعِدْقِ فَيُعَلِّقُهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ ، فَيَأْتِيهِ الْمُسْكِينُ فَيَضْرِبُهُ بِعَصَاهُ ،
فَيَأْكُلُ مَا يَتَنَاقَرُ مِنْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ
أَنَسٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ قَالَ : لَقَطُ^(٨) السَّنْبِلِ^(٩) .

(١) فِي ص ، س ، ف : « متعلقه » .

(٢) يَنْظُرُ الْبُخَارِيُّ (١٤٩) ، وَمُسْلِمٌ (١٠٦٩) .

(٣) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ ٤٩/٣ إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٤) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « سَهْمٌ » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٤٥٤/٢٠ .

(٥) فِي ف : « يَزِيدٌ » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٧٠/١٠ .

(٦) فِي النُّسخِ : « زَيْدٌ » وَالْمَثْبُوتُ هُوَ الصَّوَابُ ، وَيَزِيدٌ هُوَ ابْنُ الْأَصَمِّ السَّابِقُ ذَكَرَهُ فِي الْأَثَرَيْنِ السَّابِقَيْنِ . وَيَنْظُرُ
تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٨٣/٣٢ .

(٧) فِي ص ، س ، ف : « حَرٌّ » ، وَفِي م : « جَذٌّ » .

(٨) اللَّقَطُ : مَا التَّقَطَّ مِنَ الشَّيْءِ ، وَكُلُّ نِتَارَةٍ مِنْ سَنْبَلٍ أَوْ ثَمَرٍ ، وَالْوَحْدَةُ لَقْطَةٌ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ل ق ط) .

(٩) يَنْظُرُ الْمَحَلِيُّ ٣٢٤/٥ ، وَتَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ ١٩٥/٣ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٢٣٧/٤ .

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن مجاهد ، قال : كانوا يُعلّقون العِذْقَ في المسجدِ عند الصَّرامِ فيأْكُلُ منه الضَّعيفُ ^(١) .

وبه عن معمر ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ : يُطْعِمُ الشَّيْءَ عِنْدَ صِرَامِهِ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَاني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبیر : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : الضَّغْتُ وما يَقَعُ مِنَ السَّنْبِلِ ^(٢) .

وبه عن سالم ، عن سعيد : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : العَلْفُ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُويّد ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : كان هذا قبل الزكاة ، لِلْمَسَاكِينِ الْقَبْضَةُ ، وَالضَّغْتُ لَعَلْفِ دَابَّتِهِ ^(٣) .

/ حدَّثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد بن رِفاعَة ، عن ٥٨/٨ محمد بن كعب في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : ما قَلَّ منه أو كَثُرُ ^(٤) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاق ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ أبي نَجِيح ، ^(٥) عن مجاهدٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : عند الزرع

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١ عن معمر به ، وفيه : فيأكل منه الضيف ومن مر به ، وأخرج نحوه ابن زنجويه في الأموال (١٣٧٨) من طريق خصيف عن مجاهد .

(٢) أخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٣٩٩ ، ٤٠٩) ، وأبو يوسف في الخراج (٢١) من طريق سالم به بنحوه .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٤٢ عن ابن المبارك به .

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٢٤ ، والبحر المحيط ٤/٢٣٧ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخريج .

يُعْطَى الْقَبْضُ^(١) ، وَعِنْدَ الصُّرَامِ يُعْطَى الْقَبْضُ ، وَيَتْرُكُهُمْ فَيَتَتَّبِعُونَ آثَارَ الصُّرَامِ^(٢) .

وقال آخرون : كان هذا شيئاً أمر الله به المؤمنين قبل أن تُفَرَضَ عليهم الصدقة الموقته ، ثم نَسَخَتْهُ الصدقة المعلومة ، فلا فرض في مالٍ كائناً ما كان ، زرعاً كان أو غرساً ، إلا الصدقة التي فرضها الله فيه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : أبو معاوية ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نَسَخَهَا الْعُشْرُ وَنَصَفَ الْعُشْرُ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حفصٌ ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نَسَخَهَا الْعُشْرُ وَنَصَفَ الْعُشْرُ^(٤) .

وبه عن حجاج ، عن سالمٍ ، عن ابنِ الحَنْفِيَّةِ ، قال : نَسَخَهَا الْعُشْرُ وَنَصَفَ الْعُشْرُ^(٥) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شريكٍ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « القبض » بالضاد المعجمة ، والقبض بالصاد المهملة : الأخذ بأطراف الأصابع ، والقبض بالمعجمة : الأخذ بجميع الكف . النهاية ٥/٤ ، ٦ ، وقد وقع تفسير الكلمتين جميعاً في رواية البيهقي .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢١٩/١ ، وفي مصنفه (٧٢٦٤) ، ويحيى بن آدم في الخراج (٤٠٢) ، وسعيد بن منصور في سننه (٩٢٢ - تفسير) ، والبيهقي ١٣٢/٤ من طريق ابن عيينة به .

(٣) تقدم تخريجه في ص ٥٩٩ .

(٤) أخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٣٩٧) ، وابن أبي شيبه ١٨٥/٣ من طريق حفص به .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه ١٨٥/٣ عن حفص به .

ابن جبير: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: هذا قبل الزكاة، فلما نزلت الزكاة نسختها، فكانوا يُعْطُونَ الضُّعْفَ^(١).

حدثنا ابن حميد وابن^(٢) وكيع، قالا: ثنا جرير، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: كانوا يفعلون ذلك حتى سنَّ العُشْرُ ونصف العُشْر، فلما سنَّ العُشْرُ ونصف العُشْر، تُرِكَ^(٣).

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِي، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: هي مَنسوخة، نسختها العُشْرُ، ونصف العُشْر^(٤).

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، [٨٠٢/١] عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: قال: نسختها العُشْرُ ونصف العُشْر^(٥).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمَانٍ، عن سفيان، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم، قال: نسختها العُشْرُ ونصف العُشْر.

وبه عن سفيان، عن يونس، عن الحسن، قال: نسختها الزكاة^(٦).

(١) أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج (٤٠٧) - ومن طريقه البيهقي ١٣٣/٤ - وأخرجه أبو عبيد في النسخ ص ٣٣، والنحاس في ناسخه ص ٤١٩ من طريق شريك به بنحوه.

(٢) في النسخ: «أبو».

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٢٧ - تفسير) عن جرير به، وأخرجه أبو يوسف في الخراج (١٩) عن مغيرة به.

(٤) أخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤٠٥)، وابن أبي شيبة ١٨٥/٣، والنحاس في ناسخه ص ٤٢٠ من طريق سفيان به.

(٥) تفسير سفيان ص ١٠٩، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤٠٤)، والبيهقي ١٣٢/٤ من طريق إسرائيل، عن مغيرة به بلفظ: نسختها آية الزكاة.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٦/٣ من طريق سفيان به. (تفسير الطبري ٣٩/٩)

وبه عن سفيان ، عن السدي ، قال : نسختها الزكاة ؛ ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ^(١) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن شبك ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قال : هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر . قلت : عمن ؟ قال : عن العلماء ^(٢) .

٥٩/٨ / وبه عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شبك ، عن إبراهيم ، قال : نسختها العشر ونصف العشر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . فكانوا إذا مرّ بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاد ^(٣) أطعموه منه ، فنسخها الله عنهم بالزكاة ، وكان فيما أنبت الأرض ، العشر ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : كانوا يزضخون لقرابتهم من المشرّكين ^(٤) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ قال : نسخه العشر ونصف العشر ، كانوا يُعطون إذا حصّدوا وإذا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٦/٣ من طريق سفيان به بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن المنذر ، وينظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم (٤٠٦) .

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٣٧٩) ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٤ من طريق هشيم به بنحوه .

(٣) في ص ، ت ١ : « الحزاز » ، وفي م ، ت ٢ ، س ، ف : « الجذاذ » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٦) من طريق يونس به بنحوه .

ذَرُّوا ، فَنَسَخْتُهَا الْعَشْرَ وَنَصَفُ الْعَشْرِ ^(١) .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تُخْرِجُهَا ^(٢) زُرُوعُهُمْ وَغُرُوشُهُمْ ، ثم نَسَخَهُ اللهُ بِالْصَّدَقَةِ الْمَفْرُوضَةِ وَالْوُضَيْفَةِ الْمَعْلُومَةِ مِنَ الْعَشْرِ وَنَصَفِ الْعَشْرِ ، وذلك أن الجميع مُجْمِعُونَ لا خلاف بينهم أن صدقة الحَرْث لا تُؤْخَذُ إلا بعد الدِّياسِ وَالتَّنْقِيَةِ وَالتَّذْرِيةِ ، وأن صدقة التمر لا تُؤْخَذُ إلا بعد الجَفَافِ ^(٣) .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله جل ثناؤه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ يُنبِئُ عن أنه أمر من الله جل ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ، وكان يوم حصاده هو يوم جدّه ^(٤) وقطيعه ، والحب لا شك أنه في ذلك اليوم في سُنْبِلِهِ ، والتمر ^(٥) وإن كان ثمر نخل أو كرم غير مُسْتَحْكَمٍ جُفُوفُهُ وَيُسِسُهُ ، وكانت الصدقة من الحب إنما تُؤْخَذُ بعد دِيَاسِهِ وَتَذْرِيتِهِ وَتَنْقِيَتِهِ كَيْلًا ، والتمر إنما تُؤْخَذُ صدقته بعد اسْتِحْكَامِ يُسِسِهِ وَجُفُوفِهِ كَيْلًا ، عُلِمَ أن ما تُؤْخَذُ صدقته ^(٦) بعد حين حَصْدِهِ غير الذي يَجِبُ إيتاؤه المساكين يوم حصاده .

فإن قال قائل : وما تُنَكِّرُ أن يكون ذلك إيجاباً من الله في المال حقاً سوى الصدقة المفروضة ؟

قيل : لأنه لا يَخْلُو أن يكون ذلك فرضاً واجباً أو نفلاً .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣ / ١٨٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥ / ١٣٩٨ (٧٩٥٤) ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٣٤ ، من طريق ابن إدريس به .

(٢) في ت ١ ، س ، ف : « يخرجونها » .

(٣) في ص ، ت ٢ ، ف : « الاحرار » .

(٤) في م ، ت ٢ : « جذه » ، وفي ت ١ ، س : « حدوه » ، وفي ف : « حذوه » .

(٥) في ص ، ت ١ ، س ، ف : « الثمرة » .

(٦) في م : « صدقة » .

فإن يكن فرضاً واجباً ، فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التي من فرط في أدائها إلى أهلها ، كان برّه أثماً ، ولأمره مخالفاً ، وفي قيام الحجة بأن لا فرض لله في المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ، ما يُنبئ عن أن ذلك ليس كذلك .

أو يكون ذلك نقلاً ، فإن يكن ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون الخيار في إعطاء ذلك إلى ربّ الحرث والثمر ، وفي إيجاب القائلين بوجوب ذلك ما يُنبئ عن أن ذلك ليس كذلك .

وإذا خرجت الآية من أن يكون مراداً بها الندب ، وكان غير جائز أن يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها في هذا الوقت ، علم أنها منسوخة .

ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلاً على صحته ، أنه جل ثناؤه أتبع قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ - ﴿ وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . ومعلوم أن من حكم الله في عباده مُدَّ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة الموقته القدر ، أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه نهى ربّ المال عن الإسراف في إيتاء ذلك ، والآخذ مُجبر^(١) ، وإنما يأخذ الحق الذي فرض الله فيه ؟

/ فإن ظنّ ظان أن ذلك إنما هو نهى من الله القيم بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدي في مال ربّ المال ، والتجاوز إلى أخذ ما لم يُسمح له أخذه ، فإن آخر الآية ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تَسْرِفُوا ﴾ . معطوف على أوله ، وهو قوله : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . فإن كان المنهى عن الإسراف القيم بقبض ذلك ، فقد يجب أن يكون المأمور بإيتائه^(٢) المنهى عن الإسراف فيه ، وهو السلطان .

٦٠/٨

(١) في ص ، س ، ف : « مخير » .

(٢) في م : « بإتيانه » .

وذلك قولٌ إنَّ قاله قائلٌ ، كان خارجاً من قولِ جميعِ أهلِ التأويلِ ، ومُخالفًا
المعهودَ من الخطابِ ، وكفى بذلك شاهدًا على خطئه .

فإن قال قائلٌ : وما تُنكرُ أن يكونَ معنى قوله : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ﴾ : وأتوا حقه يومَ كيِّله ، لا يومَ قَصْلِهِ ^(١) وقطعه ، ولا يومَ جِذادِهِ ^(٢)
وقطافه ، فقد علمتَ مَنْ قال ذلك من أهلِ التأويلِ ؟

وذلك ما حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبرنا جويرٌ ، عن
الضحاكِ في قوله : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قال : يومَ كيِّله ^(٣) .

وحدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بنُ عونٍ ، قال : أخبرنا هشيمٌ ، عن
الحجاجِ ، [٨٠٢/١ ظ] عن سالمِ المكيِّ ، عن محمدِ ابنِ الحنفيةِ قوله : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ
يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . قال : يومَ كيِّله يُعطى العُشْرُ ونصفُ العُشْرِ ^(٤) .

مع آخرين قد ذكرتَ الروايةَ فيما مضى عنهم بذلك ؟

قيل : لأنَّ ^(٥) يومَ كيِّله غيرُ يومِ حَصَادِهِ ، ولن يخلو معنى قائلِ هذا القولِ من
أحدِ أمرين ؛ إما أن يكونوا وجَّهوا معنى الحصادِ إلى معنى الكيلِ ، فذلك ما لا يُعقلُ
في كلامِ العربِ ؛ لأنَّ الحصادَ والحصدَ في كلامِهِم الجذُّ ^(٦) والقطعُ لا الكيلُ . أو
يكونوا وجَّهوا تأويلَ قوله : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . إلى : وأتوا حقه بعدَ

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، س : « فصله » . وقصل الزرع : قطعه وهو أخضر . ينظر القاموس المحيط
(ق ص ل) .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « جذاده » .

(٣) أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج (٤١٣) ، وابن أبي شيبة ٣/١٨٦ ، من طريق عن جوير به .

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٩٨ .

(٥) بعده في ص ، ت ، ١ ، س ، ف : « كل » .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ٣ ، ف : « الجذ » .

يومِ حَصَادِهِ إِذَا كَلْتُمُوهُ . فذلك خِلافٌ^(١) ظاهرِ التنزيلِ ، وذلك أن الأمرَ في ظاهرِ التنزيلِ بإيتاءِ الحقِّ منه يومَ حَصَادِهِ ، لا بعدَ يومِ حَصَادِهِ ، ولا فرقَ بينَ قائلٍ : إنما عَنِ اللَّهِ بقوله : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ : بعدَ يومِ حَصَادِهِ . وآخرَ قال : عَنِ بذلك قبلَ يومِ حَصَادِهِ . لأنهما جميعًا قائلان قولًا ، دليلُ ظاهرِ التنزيلِ بخلافه .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿وَلَا تُشْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ في «الإشرافِ» الذي نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهى عنه ؛ فقال بعضهم : المنهى عنه ربُّ النخلِ والزرعِ والثمرِ ، والشرفُ الذي نهى الله عنه في هذه الآية مُجاوزةُ القَدْرِ في العَطِيَّةِ إلى ما يُجْحِفُ برَبِّ المالِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا عاصمٌ ، عن أبي العاليةِ في قوله : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِفُوا﴾ الآية . قال : كانوا يُعْطُونَ شيئًا سوى الزكاةِ ، ثم تَسَارَفُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَلَا تُشْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢) .

/ حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا معتمرُ بنُ سليمانَ ، عن عاصمِ الأحولِ ، عن أبي العاليةِ : ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال : كانوا يُعْطُونَ يومَ

٦١/٨

(١) بعده في ص ، ت ، ا ، س : « دليل » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٩/٥ (٧٩٦١) من طريق عمرو به ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٨٥/٣ عن معتمر به مقتصرًا على أوله ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبي الشيخ .

الحصاد شيئاً^(١) ، ثم تباذروا^(٢) فيه وأسرفوا ، فقال الله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ ﴾^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال :
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، جد^(٤) نخلأ فقال : لا يأتيَنَّ اليوم أحدٌ إلا
أطعمته . فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة ، فقال الله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ ﴾^(٥) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء :
﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ . يقول : لا تسرفوا ، فيما يؤتى يوم الحصاد ، أم في كل شيء ؟
قال : بلى ، في كل شيء ينهى عن السرف . قال : ثم عاودته بعد حين ، فقلت : ما
قوله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ؟ قال : ينهى عن السرف في كل
شيء . ثم تلا : ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾^(٦) [الفرقان : ٦٧] .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سفيان بن
حسين ، عن أبي بشر ، قال : أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة ، فسألوه : ما

(١) بعده في م : « سوى الزكاة » .

(٢) في ص ، م ، ت ١ : « تباروا » .

(٣) بعده في م : « حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي
العالية : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ، ثم تسارفوا ، فقال الله : ﴿ وَلَا
تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ » .

(٤) في م ، ف : « جذ » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٤٣ عن ابن جريج ، وعزاه إلى المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور
٤٩/٣ إلى المصنف وأبي حاتم ، وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٣٠ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٢٦٣) عن ابن جريج به ، ضمن أثر طويل ، وليس فيه ذكر
المعاودة .

السَّرَفُ ؟ فقال : ما تَجَاوَزَ ^(١) أَمَرَ اللَّهِ فَهُوَ سَرَفٌ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ
السَّدِيِّ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ : لَا تُغْطُوا أَمْوَالَكُمْ فَتَغْدُوا فَقَرَاءً ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ : الْإِسْرَافُ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْهُ الصَّدَقَةُ وَالْحَقُّ
الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ رَبَّ الْمَالِ بِإِيْتَائِهِ أَهْلَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي
أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَلَيْمٍ وَغَيْرِهِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي قَوْلِهِ :
﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ . قَالَ : لَا تَمْنَعُوا الصَّدَقَةَ فَتَغْضَبُوا ^(٤) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : ثنا مُوسَى ^(٥) بْنُ
عَبِيدَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ : وَالسَّرَفُ
أَلَّا يُعْطَى فِي حَقِّ ^(٦) ..

(١) سقط من : ت ٣ ، وفي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، ف : « وزه » وكتب فوقها في ص ، س : « ط » .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧٢٦/٨ من طريق عمرو بن علي به ، وفيه زيادة ، وعزاه السيوطي في
الدر المنثور ٥٠/٣ إلى أبي الشيخ . ووقع في الدر المنثور : سعيد بن جبير عن أبي بشر . وهو خطأ صوابه ما عند
المصنف وابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٩/٥ ، ١٤٦٥ (٧٩٦٧ ، ٨٣٨٥) من طريق أحمد بن مفضل به ،
وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبي الشيخ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٢٦٧) - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٩/٥ ، ١٤٦٥
(٧٩٦٥ ، ٨٣٨٤) - عن ابن جريج به .

(٥) في النسخ : « محمد » ، وقد مرَّ على الصواب ص ٥٩٥ ، وينظر تهذيب الكمال ١٠٤/٢٩ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٩/٥ ، ١٤٦٥ (٧٩٦٣ ، ٨٣٨٢) من طريق عمرو به ، وعزاه
السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ ، ٥٠ إلى أبي الشيخ .

وقال آخرون : إنما خُوطِبَ بهذا السلطانُ ، نُهي أن يأخذَ من ربِّ المالِ فوقَ الذى ألزمَ الله ماله .

ذكرُ مَنْ قال ذلك

حدَّثنا يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قوله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ . قال : قال للسلطانِ : لا تُسْرِفُوا ، لا تأخذوا بغيرِ حقٍّ ، فكانت هذه الآيةُ بينَ السلطانِ وبينَ الناسِ . يعنى قوله : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ الآية^(١) .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ عن جميعِ معانى الإسرافِ ، ولم يخصَّصْ منها معنى دون معنى .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الإسرافُ فى كلامِ العربِ الإخطاءُ بإصابةِ الحقِّ فى العطيةِ ، إما بتجاوزِ حدِّه فى الزيادةِ ، وإما بتقصيرِ عن حدِّه الواجبِ - / كان ٦٢/٨ معلوماً أن المُفَرَّقَ ماله مُباراةٌ ، والبالذله للناسِ حتى أَجَحَفَتْ به عطيتهُ ، مُسْرِفٌ بتجاوزه حدَّ الله إلى ما ليس^(٢) له ، وكذلك المُقَصِّرُ فى بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك [٨٠٣/١]^(٣) كمنعه ما ألزمه إيتاءه^(٣) منه أهلُ سُهْمَانِ الصدقةِ إذا وَجَبَتْ فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها ، وكذلك السلطانُ فى أخذه من رعيته ما لم يأذنِ الله بأخذه ، كلُّ هؤلاءِ فيما فعلوا من ذلك مُسْرِفُونَ ، داخلون فى معنى مَنْ أتى ما نهى الله عنه من الإسرافِ بقوله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ . فى عطيتكم

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٠/٥ (٧٩٦٨) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد بنحوه .

(٢) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، ف : « كلفته » ، وفى س : « كلفته » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٣ - ٣) فى ت ، ١ ، س ، ف : « كمنعه ما ألزمه إياه » .

مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يُجْحِفُ بِكُمْ ، إِذْ كَانَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَمْرًا مِنَ اللَّهِ بِإِيتَاءٍ^(١) الْوَاجِبِ فِيهِ أَهْلَهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ؛ فَإِنَّ الْآيَةَ قَدْ كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبَبِ خَاصٍّ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالْحُكْمُ بِهَا عَلَى الْعَامِّ ، بَلْ عَامَّةُ آيِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ مَعْنَى الْإِسْرَافِ ، أَنَّهُ عَلَى مَا قُلْنَا ، قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢) :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةً يَحْدُودَهَا ثَمَانِيَةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرْفٍ
يَعْنِي بِالسَّرْفِ الْخَطَأَ فِي الْعَطِيَّةِ^(٣) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَأَنْشَأَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرَشًا ، مَعَ مَا أَنْشَأَ مِنَ الْجَنَائِ الْمَعْرُوشَاتِ وَغَيْرِ الْمَعْرُوشَاتِ .

و« الْحَمُولَةُ » : مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا .

و« الْفَرَشُ » : صِغَارُ الْإِبِلِ الَّتِي لَمْ تُدْرِكْ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَمُولَةُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ

كِبَارِ الْإِبِلِ وَمَسَانِيهَا ، وَالْفَرَشُ صِغَارُهَا الَّتِي لَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا لِصِغَرِهَا .

(١) فِي ص ، ف : « ثَابِتًا » .

(٢) هُوَ جَرِير ، وَتَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ فِي ٤٠٥ / ٦ .

(٣) بَعْدَهُ فِي ص : « نَجَزَ الْجُزْءَ التَّاسِعَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ وَمَنِّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا ، يَتْلُوهُ فِي الْعَاشِرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ ﴾ وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَتِهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ أَحْسَنَ اللَّهُ تَقْضِيهَا وَخَاتَمَتَهَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ ، وَاللَّهُ الْمَعِينُ عَلَى تَكْمِلَةِ جَمِيعِ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، غَفَرَ اللَّهُ لِمُؤَلَّفِهِ وَلِصَاحِبِهِ وَلِكَاتِبِهِ وَلِمَنْ نَظَرَ فِيهِ وَدَعَا لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَرَضِيَ اللَّهُ وَالْجَنَّةُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّرْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ . قَالَ : الْحَمُولَةُ الْكِبَارُ مِنَ الْإِبِلِ ، ﴿ وَفَرَشَاتٌ ﴾ الصَّغَارُ مِنَ الْإِبِلِ ^(١) .

وَقَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الْحَمُولَةُ هِيَ الْكِبَارُ ، وَالْفَرَشُ الصَّغَارُ مِنَ الْإِبِلِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : الْحَمُولَةُ مَا حَمَلَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْفَرَشُ مَا لَمْ يَحْمِلْ ^(٣) .

وَبِهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الْحَمُولَةُ مَا حَمَلَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْفَرَشُ مَا لَمْ يَحْمِلْ .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي ٦٣/٨ نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَفَرَشَاتٌ ﴾ قَالَ : صِغَارُ الْإِبِلِ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثنا سَفْيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ . قَالَ : الْحَمُولَةُ الْكِبَارُ ، وَالْفَرَشُ الصَّغَارُ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٠/٥ (٧٩٧٤، ٧٩٧٥) ، والطبراني (٩٠١٨) ، والحاكم ٣١٧/٢ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠١/٥ (٧٩٧٥) من طريق مجاهد عن ابن عباس بتفسير « الفرش » وحده ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٤٣ .

(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٩٦٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٠/٥ (٧٩٧١) من طريق عبد الرحمن به مقتصرًا على أوله ، وهو في تفسير مجاهد ص ٣٣٠ من طريق أبي إسحاق به .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأخوص ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ : الحَمُولَةُ^(١) ما حَمَلَ مِنَ الْإِبِلِ^(٢) ، والفَرَشُ هن الصَّغَارُ .

حدَّثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأخوص عن عبد الله أنه قال في هذه الآية : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ . قال : الحَمُولَةُ ما حَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ ، والفَرَشُ الصَّغَارُ^(٣) .

قال ابن المثنى : قال محمد : قال شعبة : إنما كان حدَّثني سفيان ، عن أبي إسحاق .

حدَّثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال الحسن : الحَمُولَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ^(٤) .

وقال بعضهم : الحَمُولَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وما لم يَكُنْ مِنَ الحَمُولَةِ فهو الفَرَشُ .

حدَّثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ قال : الحَمُولَةُ ما حَمَلَ عَلَيْهِ ، والفَرَشُ حَوَاشِيهَا ، يعنى صِغَارَهَا^(٥) .

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمِنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ : فالْحَمُولَةُ ما حَمَلَ مِنَ الْإِبِلِ ، والفَرَشُ صِغَارُ الْإِبِلِ ؛ الْفَصِيلُ وما دون ذلك مما لا يَحْمِلُ .

(١ - ١) في ت ٢ ، س ، ف : « الكبار » .

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٤٢٩) من طريق شعبة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٠/٥ (٧٩٧٣) من طريق الربيع ، عن الحسن .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١ ، ٢٢٠ عن قتادة ، وسقط منه ذكر معمر .

ويقال : الحَمُولَةُ مِنَ الْبَقَرِ وَالْإِبِلِ ، وَالْفَرْشُ الْغَنَمُ .

وقال آخرون : الحَمُولَةُ : مَا حُمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
وَالْفَرْشُ الْغَنَمُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرْشٌ ﴾ : فَأَمَّا الْحَمُولَةُ فَالْإِبِلُ وَالْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا الْفَرْشُ فَالْغَنَمُ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ :
الْحَمُولَةُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ ، ﴿ وَفَرْشٌ ﴾ الْمَعَزُ وَالضَّأْنُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرْشٌ ﴾ . قَالَ : أَمَّا الْحَمُولَةُ فَالْإِبِلُ وَالْبَقَرُ . قَالَ : وَأَمَّا الْفَرْشُ فَالْغَنَمُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ :
كَانَ غَيْرُ الْحَسَنِ يَقُولُ : الْحَمُولَةُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ ، وَالْفَرْشُ الْغَنَمُ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٠٠ ، ١٤٠١ (٧٩٧٢ ، ٧٩٧٦) من طريق عبد الله بن صالح به مفرقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٥٠ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٠١ عقب الأثر (٧٩٧٦) من طريق أبي جعفر به ، وينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٤ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٤ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٠ .

٦٤/٨ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، [٨٠٣/١ ظ] قَالَ : ثنا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ السَّيِّدِ : ﴿ وَمِنْ الْأَنْعَامِ / حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ : أَمَّا الْحَمُولَةُ فَالْإِبِلُ ، وَأَمَّا الْفَرَشُ فَالْفُضْلَانُ وَالْعَجَاجِيلُ ^(١) وَالْغَنَمُ ، وَمَا تُحْمَلُ عَلَيْهِ فَهُوَ حَمُولَةٌ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا عبيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ : الْحَمُولَةُ الْإِبِلُ ، وَالْفَرَشُ الْغَنَمُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ أَبِي بَكْرٍِ الْهَذَلِيِّ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ وَفَرَشَاتٌ ﴾ . قَالَ : الْفَرَشُ الْغَنَمُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ ﴾ . قَالَ : الْحَمُولَةُ مَا تَرْكَبُونَ ، وَالْفَرَشُ مَا تَأْكُلُونَ وَتَحْلُبُونَ ، شَاةٌ لَا تَحْمِلُ ، تَأْكُلُونَ لَحْمَهَا ، وَتَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَابِهَا لِحَافًا وَفَرَشًا ^(٥) .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْحَمُولَةَ هِيَ مَا حَمَلَ مِنَ الْأَنْعَامِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهَا إِذَا حَمَلَتْ ، لَا أَنَّهُ اسْمٌ لَهَا كَالْإِبِلِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ ، فَإِذَا كَانَتْ إِنَّمَا سُمِّيَتْ حَمُولَةً لِأَنَّهَا تَحْمِلُ ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنَ الْأَنْعَامِ فَحَمُولَةٌ ، وَهِيَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا ، كَالرَّكُوبَةِ وَالْجُزُورَةِ ، وَكَذَلِكَ الْفَرَشُ إِنَّمَا هُوَ صِفَةٌ لِمَا لُطِفَ فَقَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ جِسْمُهُ ، وَيُقَالُ لَهُ : الْفَرَشُ . وَأَحْسَبُهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ تَمْثِيلًا لَهَا فِي اسْتَوَاءِ أَسْنَانِهَا وَلُطْفِهَا بِالْفَرَشِ مِنَ الْأَرْضِ ،

(١) عجاجيل جمع عجول ، وهو العجل . اللسان (ع ج ل) .

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٤٤ .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠١/٥ عقب الأثر (٧٩٧٦) معلقا بتفسير الفرش ، وينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٤٤ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠١/٥ عقب الأثر (٧٩٧٦) معلقا .

وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس .

فأما « الحُمُولَةُ » بضم الحاء فإنها الأحمال ، وهي الحمول أيضا بضم الحاء .

القول في تأويل قوله : ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٤٢) .

يقول جل ثناؤه : كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون ، فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروبكم ولحوم أنعامكم ، إذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله ، فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، وللشيطان مثله ، فقالوا : هذا لله بزعيمهم ، وهذا لشركائنا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان كما اتبعها باحرو البحيرة ، ومسيبو السوائب ، فتحرّموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرّموه ، فتطيعوا بذلك الشيطان ، وتعضّوا به الرحمن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ : لا تتبعوا طاعته ، هي ذنوب لكم ، وهي طاعة للخبيث^(١) .

إن الشيطان لكم عدوٌ يغى هلاككم ، وصددكم عن سبيل ربكم ﴿ مُبِينٌ ﴾ : قد أبان لكم عدوانه بمناصبته أباكم بالعداوة ، حتى أخرجهم من الجنة بكيدِهِ ، وخدعِهِ ؛ حسدا^(٢) منه له وبغيا عليه .

القول في تأويل قوله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِئِينَ مِنَ الْمُعْزِئِينَ قُلُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٤٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٢/٥ (٧٩٨٤) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٢) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « وحسدا » .

/ وهذا تقرُّعٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ
بَحَرُوا الْبَحَائِرَ ، وَسَيَّوُوا السَّوَابَّ ، وَوَصَلُوا الْوَصَائِلَ ، وَتَعَلَّمُوا مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ
بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمَوا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ : ﴿ وَهُوَ
الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّتٍ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَتٍ ﴾ . وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَنْشَأَ حَمُولَةً وَفَرْشًا .
ثُمَّ بَيَّنَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْحَمُولَةَ وَالْفَرْشَ ، فَقَالَ : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ .

وَلَمَّا نَعَصَبَ « الثَّمَانِيَةَ » ؛ لِأَنَّهَا تَرْجُمَةٌ عَنْ « الْحَمُولَةِ » وَ « الْفَرْشِ » ، وَبَدَلْ
مِنْهَا ، كَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَنْشَأَ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ . فَلَمَّا قَدَّمَ قَبْلَ « الثَّمَانِيَةَ »
« الْحَمُولَةَ » وَ « الْفَرْشَ » ، بَيَّنَّ ذَلِكَ بَعْدُ . فَقَالَ : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ عَلَى ذَلِكَ
الْمَعْنَى .

﴿ مِنْ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ فَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنِ الْإِثْنَيْنِ مِنَ الضَّكَّانِ زَوْجٌ ، فَالْأُنْثَى مِنْهُ زَوْجُ الذَّكَرِ ، وَالذَّكَرُ مِنْهُ زَوْجُ الْأُنْثَى ،
وَكَذَلِكَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْزِ ، وَمِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ثَمَنِيَةَ
أَزْوَاجٍ ﴾ . كَمَا قَالَ : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذَّارِيَاتُ : ٤٩] . لِأَنَّ الذَّكَرَ
زَوْجُ الْأُنْثَى ، وَالْأُنْثَى زَوْجُ الذَّكَرِ ، فَهُمَا وَإِنْ كَانَا اثْنَيْنِ فَهُمَا زَوْجَانِ ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الْأَعْرَافُ : ١٨٩] . وَكَمَا قَالَ :
﴿ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الْأَحْزَابُ : ٣٧] .

وَكََمَا حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ جُؤَيْبٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ :
﴿ مِنْ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ ﴾ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ،
﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ ﴾ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى .

وَيُقَالُ لِلْإِثْنَيْنِ : هُمَا زَوْجٌ . كَمَا قَالَ لَبِيدٌ ^(١) :

مِنْ كُلِّ مَخْفُوفٍ^(١) يُظِلُّ عَصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ^(٢) وَقِرَامُهَا^(٣)

ثم قال لهم : كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم ، وازكبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون ، فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمرى إياهم بذلك . قل يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا [٨٠٤/١] ما حرّموا من الحرث والأنعام ؛ أتباعاً للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرّم عليهم / ما هم مُحَرَّمُونَ من ذلك : ﴿الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ ربكم أيها الكذبة على الله من ٦٦/٨ الضأن والمغز ؟ فإنهم إن ادّعوا ذلك وأقروا به ، كذبوا أنفسهم ، وأبانوا جهلهم ؛ لأنهم إذا قالوا : يُحَرِّمُ الذَّكَرَيْنِ مِنْ ذَلِكَ . أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمغز ، وهم يَسْتَمْتِعُونَ بلحوم بعض^(٤) الذكران منها وظهورها . وفي ذلك فساد دعواهم ، وتكذيب قولهم - ﴿أَمِ الْإِنثَيْنِ﴾ . فإنهم إن قالوا : حرّم ربنا الأنثيين . أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمغز على أنفسهم وظهورها ، وفي ذلك أيضاً تكذيب لهم ، ودخض دعواهم أن ربهم حرّم ذلك عليهم ، إذ كانوا يَسْتَمْتِعُونَ بلحوم بعض ذلك وظهوره - ﴿أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ﴾ . يقول : أم حرّم ما استملت عليه أرحام الأنثيين . يعنى : أرحام أنثى الضأن وأنثى المغز ، فلذلك قال : ﴿أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ﴾ . وفي ذلك أيضاً لو أقروا به . فقالوا : حرّم علينا ما استملت عليه أرحام الأنثيين . بطول قولهم ، وبيان كذبهم ؛ لأنهم كانوا يُقَرُّون بإقرارهم بذلك أن الله حرّم عليهم ذكور الضأن والمغز وإنائها ، أن يأكلوا لحومها ، أو يزكبوا ظهورها ، وقد كانوا يَسْتَمْتِعُونَ ببعض ذكورها وإنائها . و « ما » التى فى قوله : ﴿أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ﴾ . نصب

(١) يريد بالمخفوف هنا الهودج .

(٢) الكلة : الستر الرقيق يخاط كالبيت . اللسان (ك ل ل) .

(٣) القرام : ستر فيه رقم ونقوش . اللسان (ر ق م) .

عطفًا بها على « الأنثيين » .

﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ ﴾ يقول : قل لهم : خبروني بعلم ذلك على صحته ، أى ذلك حرم ربكم عليكم ، وكيف حرم ؟ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما تنحلونه ربكم من دَعُواكم ، وتضيفونه إليه ^(١) من تحريمكم .

وإنما هذا إعلال من الله جل ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك ، وأضافوه إلى الله ، ^(٢) فهو كذب على الله ^(٣) ، وأنه لم يُحرّم شيئًا من ذلك ، وأنهم إنما اتبعوا فى ذلك خطوات الشيطان وخالفوا أمره ^(٤) .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ ﴾ الآية : إن ^(٥) كل هذا لم أُحرّم منه قليلًا ولا كثيرًا ، ذكرًا ولا أنثى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ مِّنَ الضَّكَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ ﴾ . قال : سلهم ^(٦) . ﴿ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ؟ أى : لم أُحرّم من هذا شيئًا ﴿ بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك ^(٧) .

(١) فى ص : « إليكم » .

(٢ - ٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س ، ف : « أمرهم » .

(٤) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : « أى » . كما فى الأثر بعده .

(٥) فى ص : « سألهم » ، وفى ف : « سألتهم » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/٢٢٠ - ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٠٣ ، ١٤٠٤ (٧٩٩٥) ،

(٧٩٩٧) عن معمر به .

حدَّثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ : في شأن ما نهى الله عنه من البهيرة^(١) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ . قال : هذا في شأن ما نهى الله عنه من البهائر والشَّيْب . قال ابن جريج : يقول : من أين حرَّمتُ هذا ؟ من قبل الذَّكَرَيْن أم من قبل الأنثيين ، أمَّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين ؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكرٍ أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابواهم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .

/ حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن ٦٧/٨ السدي : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ - ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ - ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ ﴾ . يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذي عدَّدت ، ذكرٍ وأنثى ، فالذَّكَرَيْن حرَّمتُ عليكم أم الأنثيين ، أمَّا اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين ؟^(٢) أي : ما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين^(٣) ، ما تشتمل إلا على ذكرٍ أو أنثى ، فما حرَّمتُ عليكم ذكرًا ولا أنثى من الثمانية . إنما ذكر هذا من أجل ما حرَّموا من الأنعام^(٤) .

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَیَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : ﴿ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ قال : ما حملت الرَّحِمُ^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٣٠ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٢/٥ (٧٩٨٩) ، وعندهما : البهيرة والسائبة ، عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ ، إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، س ، ف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٢/٥ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ (٧٩٨٨ ، ٧٩٩٢ ، ٧٩٩٩) من طريق أحمد بن مفضل به ، وينظر الدر المنثور ٥٠/٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٣/٥ (٧٩٩٤) من طريق ابن عُلَیَّة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى أبي الشيخ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ قُلْ
 الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ . قال : هذا لقولهم : ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ
 الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ [الأنعام : ١٣٩] . قال : وقال ابن
 زيد في قوله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ ﴾ . قال :
 الأنعام هي الإبل والبقر والضأن والمعز ، هذه الأنعام التي قال الله : ﴿ ثَمَنِيَةَ
 أَزْوَاجٍ ﴾ . قال : وقال في قوله : ﴿ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ حِجْرٌ ﴾ : نَحْتَجِرُهَا عَلَى
 مَنْ نُرِيدُ وَعَمَّنْ نُرِيدُ . وقوله : ﴿ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ . قال : لا يتركبها أحد ،
 ﴿ وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ ﴾ [٨٠٤/١ ظ] أَسَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴿ [الأنعام : ١٣٨] . فقال : ﴿ الذَّكَرَيْنِ
 حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ : أي هذين حرم على هؤلاء ؟ أي : أن تكون لهؤلاء حلاً وعلى
 هؤلاء حراماً ^(١) ؟

حدثني المشي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن
 علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ
 الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
 الْأُنثَيَيْنِ ﴾ . يعني : هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى ؟ فهل ^(٢) يُحَرِّمُونَ بَعْضًا
 وَيُحِلُّونَ بَعْضًا ^(٣) ؟

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن
 أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ
 اثْنَيْنِ ﴾ : فهذه أربعة أزواج ، ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ
 الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٤/٥ (٧٩٩٨) من طريق أصبغ عن ابن زيد ، وفيه زيادة .

(٢) في م : « فهم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٣/٥ (٧٩٩٣) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن المنذر .

ءَالَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنشِيَيْنِ ﴿١﴾ . يقول : لم أُحَرِّمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقول : كُلُّهُ حَلَالٌ ^(١) .

و « الضَّأْنُ » جمع لا واحد له مِنْ لَفْظِهِ ، وقد يُجْمَعُ « الضَّأْنُ » « الضَّئِينِ »
و « الضَّئِينِ » ، مثلُ « الشَّعِيرِ » و « الشَّعِيرِ » ، كما يُجْمَعُ « العَبْدُ » على « عَبِيدِ »
و « عِبِيدِ » . وأما الواحدُ مِنْ ذَكَوْرِهِ فـ « ضَائِنٌ » ، وَالْأُنْثَى « ضَائِنَةٌ » ، وجمعُ
« الضَّائِنَةِ » « ضَوَائِنُ » .

وكذلك « الْمَغْزُ » جمعٌ على غيرِ واحدٍ ، وكذلك « الْمَغْزَى » ، وأما « الْمَاعِزُ » ،
فجمعُهُ « مَوَاعِزُ » ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمِنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذَكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ الْإِنشِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنشِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ
وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٤) .

وتأويلُ قوله : ﴿ وَمِنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
الْإِنشِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنشِيَيْنِ ﴾ . نحوُ تأويلِ قوله : ﴿ وَمِنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ . وهذه أربعةُ أزواجٍ ، على نحوِ ما بيَّنا مِنْ
الأزواجِ الأربعةِ قبلُ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَغْزِ ، فذلك ثمانيةُ أزواجٍ كما وصفَ جلُّ ثناؤه .

وأما قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فإنه أمرٌ مِنَ اللَّهِ جلُّ ثناؤه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٣/٥ (٧٩٩١، ٧٩٩٦) عن محمد بن سعد به ، وعزاه السيوطي
في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « مَوَاعِيزُ » .

نبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء الجَهْلَة مِنَ المشرِكين الذين قصَّ قِصَصَهُمْ فِي هذه الآيات التي مضت ، يقول له عزَّ ذكره : قلْ لهم يا محمدُ : أيُّ هذه سألتُكم عن تحريمِ حَرَمِ ربِّكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية ؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك ، فقلْ لهم : أخبراً قلْتُم : إن الله حَرَّمَ هذا عليكم . أخبرَكم به رسولٌ عن^(١) ربِّكم ، أم شهدْتُم ربِّكم فرأيتُموه فوصَّاكم بهذا الذي تقولون وتُزَوِّرون^(٢) على الله ؟ فإن هذا الذي تقولون من إخبارِكم عن الله أنه حرامٌ بما تزعمون على ما تزعمون ، لا يُعْلَمُ إلا بوحي من عنده ، مع رسولٍ يُرْسِلُهُ إلى خلقه ، أو^(٣) بسمعٍ منه ، فبأيِّ هذين الوجهين علِمْتُم أن الله حَرَّمَ ذلك كذلك ، برسولٍ أَرْسَلَهُ إليكم ، فأنبئُوني بعلمٍ إن كنتم صادقين ؟ أم شهدْتُم ربِّكم فأوصَّاكم بذلك وقال لكم : حَرَّمْتُ ذلك عليكم . فسمِعْتُم تحريمه منه وعهده إليكم بذلك ؟ فإنه لم يَكُنْ واحدٌ من هذين الأمرين ، يقول جلَّ ثناؤه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ يقول : فَمَنْ أَشَدُّ ظِلْمًا لِنَفْسِهِ ، وأبعدُ عن الحقِّ مِمَّنْ تَخَرَّصَ على الله قيلَ الكذب ، وأضاف إليه تحريمَ ما لم يُحَرِّمْ ، وتحليلَ ما لم يُحَلِّلْ ؛ ﴿ لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . يقول : لِيُضِدَّهُمْ عن سبيله . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول : لا يُوفِّقُ الله للرُّشْدِ مَنْ افْتَرَى على الله وقال عليه الزُّورَ والكذب ، وأضاف إليه تحريمَ ما لم يُحَرِّمْ ؛ كفرًا بالله ، ومُجْهُودًا لنبوة نبيّه محمدٍ ﷺ .

كالذي حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ : الذي تقولون^(٤) .

(١) في ص ، س ، ف : « من » .

(٢) في ت ١ : « يدوون » وفي ف : « ترون » وفي م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وتردون » .

(٣) في ص ، ت ١ ، ف : « أم » .

(٤) تمة الأثر المتقدم في ص ٦٢٨ .

حدَّثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانوا يقولون - يعنى الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب - : إن الله أمر بهذا . فقال الله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ 》^(١) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا / مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ 》 .

يقول جل ثناؤه لنبى محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا ، ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله ، والقائلين : هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم . والمحرمين من أنعام آخر ظهورها ، والتاركين ذكر اسم الله على آخر منها ، والمحرمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم ، ومحلّيه لذكورهم ، المحرمين ما رزقهم الله افتراء على الله ، وإضافة منهم ما يُحرّمون من ذلك إلى أن الله هو [٨٠٥/١] الذى حرّمه عليهم : أجاكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم ، فأنبئونا به ، أم وصّاكم الله بتحريمه مُشاهدةً منكم له ، فسمِعْتُم منه تحريمه ذلك عليكم ، فحرّمْتُموه ؟ فإنكم كذبةٌ إن ادّعَيْتُم ذلك ، ولا يُمكنُكم دَعْوَاه ؛ لأنكم إذا ادّعَيْتُموه عليم الناس كذبكم ، فإنى لا أجِدُ فيما أُوحى إلّى من كتابه وآي تنزيله شيئًا محرّمًا على آكلٍ يأْكُلُه ، مما تذكرون أنه حرّمه من هذه الأنعام ، التى تصفون تحريم ما حرّم عليكم منها بزعمكم ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً 》 قد ماتت بغير تذكية ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا 》 وهو المنصب ، أو إلا أن يكون لحم خنزير ، ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا 》 . يقول : أو إلا أن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٤/٥ (٧٩٩٩) من طريق أحمد بن المفضل به .

يكون فسقًا . يعنى بذلك : أو إلا أن يكون مذبحًا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته ، فذكر عليه اسم وثنه ، فإن ذلك الذبح فسقٌ نهى الله عنه وحرّمه ، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك ؛ لأنه ميتة .

وهذا إعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبي الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به ، أن الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرّمه الله ، وأن الذى زعموا أن الله حرّمه حلالٌ قد أحله الله ، وأنهم كذبة فى إضافتهم تحريمه إلى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ . قال : كان أهل الجاهلية يُحرّمون أشياء ويُحلّون أشياء ، فقال : قل : لا أَجِدُ فيما ^(١) كنتم تُحرّمون وتُستحلّون إلا هذا ؛ ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ ^(٢) .

حدثنى المشنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ الآية . قال : كان أهل الجاهلية يَستحلّون أشياء ويُحرّمون أشياء ، فقال الله لنبىّه : قل : لا أَجِدُ فيما أُوحى إليّ محرّمًا مما كنتم تستحلّون إلا هذا . وكانت أشياء يُحرّمونها ، فهى حرام الآن .

(١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « مما » .

(٢) تفسير عبد الرزاق فى تفسيره ٢٢٠/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٥/٥ (٨٠٠١) - عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٣ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : / ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ . ٧٠/٨ . قال : ما يؤكل . قلت : فى الجاهلية ؟ قال : نعم . وكذلك كان يقول : ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ . قال ابن جريج : وأخبرنى إبراهيم بن أبى بكر ، عن مجاهد : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ . قال : مما كان فى الجاهلية يأكلون ، لا أجد محرماً من ذلك على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً .

وأما قوله : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ . فإن معناه : أو دمًا مسالاً مَهْرَاقًا ، يقال منه : سَفَحْتُ دَمَهُ ، إذا أَرَقْتَهُ ، أَسْفَحَهُ سَفْحًا ، فهو دمٌ مَسْفُوحٌ ، كما قال طرفة بن العبد^(١) :

إنى وجدك ما هجوتك وال أنصابٍ يُسْفَحُ فوقهن دمٌ
وكما قال عبيد بن الأبرص^(٢) :

إذا ما عادَه منها^(٣) نساءٌ سَفَحْنَ الدَّمَعَ مِنْ بَعْدِ الرِّينِ

يعنى : صَبَبْنَ وَأَسْلَنَ الدَّمَعَ .

وفى اشتراطه جل ثناؤه فى الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه ، المسفوح منه دون غيره - الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحاً فحلالٌ غير نجس .

وذلك كالذى حدَّثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ . قال : لولا هذه الآية لَتَتَّبَعَ المسلمون مِنَ العُرُوقِ مَا تَتَّبَعَتِ اليهودُ .

(١) ديوانه ص ١٤٧ .

(٢) ديوانه ص ١٣٤ .

(٣) فى النسخ : « منا » . والمثبت من الديوان ، والضمير فيه يرجع إلى طعنة برمح كان قد تكلم عنها فى الأبيات قبله .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : لا تتبع المسلمون ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة بنحوه .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : أخبرنا وكيع ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، في القدر يعلوها الحمرة من الدم ، قال : إنما حرَّم الله الدم المسفوح .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، / قال : سأله عن الدم وما يتلطخ بالمدبج من الرأس ، وعن القدر يرى فيها الحمرة ؟ قال : إنما نهى الله عن الدم المسفوح ^(٢) . ٧١/٨

حدَّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ . قال : حرَّم الدم ما كان مسفوحًا ، وأما لحم خالطه دم فلا بأس به ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ : يعني مهراقًا ^(٤) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٢٠/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٧/٥ (٨٠١٤) عن الحسن بن يحيى به ، وسعيد بن منصور في سننه (٩٣٣ - تفسير) عن ابن عيينة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٣ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤٦/٣ عن حماد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٧/٥ (٨٠١٣) - عن معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٣ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٦/٥ (٨٠٠٨) من طريق عبد الله بن صالح به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، و^(١) أنخبرني ابنُ دينارٍ ، عن عكرمةَ : [٨٠٥/١ ظ] ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ . قال^(٢) : لولا هذه الآيةُ لَتَتَّبَعَ المسلمون عُروقَ اللحمِ ، كما تَتَّبَعُهَا اليهودُ .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : ثنا حمادُ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن عائشةَ أنها كانت لا تَرى بلُحومِ السِّباعِ بأَسًا ، والحمرةَ والدمَ يكونان على القَدْرِ بأَسًا ، وقرأت هذه الآيةَ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾ الآية^(٣) .

حدَّثني المشي ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أنخبرنا ابنُ المباركِ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، قال : ثنى القاسمُ بنُ محمدٍ ، عن عائشةَ قالت ، وذكرت هذه الآيةَ : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ . قلتُ : وإن البرزعةَ ليرى في^(٤) مائها الصُّفْرَةُ .

وقد بيَّنا معنى « الرَّجْسِ » فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه النَّجَسُ والنَّتَنُ وما يُغْصَى اللهُ به ، بشواهده فأغنى عن إعادته في هذا الموضع^(٥) . وكذلك القولُ في معنى الفِشْقِ^(٦) ، وفي قوله : ﴿ أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾^(٧) . قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية ، لمن^(٨) وُفِّقَ لفهمه ، عن تكراره وإعادته .

(١) سقط من النسخ ، وهما إسنادان ، وينظر تهذيب الكمال ٥/٢٢ .

(٢) في النسخ : « قال » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٤٦ عن المصنف ، وقال : صحيح غريب . وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٩٩/٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٤٠٧ (٨٠١١) من طريق يحيى بن سعيد بمعناه .

(٤) في ص ، ف : « ما في » .

(٥) ينظر ما تقدم في ٦٥٧/٨ .

(٦) ينظر ما تقدم في ٤٣٤/١ .

(٧) ينظر ما تقدم في ٥٥/٣ - ٨٨ .

(٨) في ص ، ف : « ومن » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « من » .

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثَّةً ﴾ ؛ فَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قِرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﴾ بِالْيَاءِ ، ﴿ مِثَّةً ﴾ مُخَفَّفَةً الْيَاءِ مَنْصُوبَةً^(١) ، عَلَى أَنْ فِي ﴿ يَكُونَ ﴾ مَجْهُولًا^(٢) ، وَ« الْمِثَّةُ » فَعْلٌ^(٣) لَهُ ، فَنُصِبَتْ عَلَى أَنَّهَا فَعْلٌ ﴿ يَكُونَ ﴾ ، وَذَكَرُوا ﴿ يَكُونَ ﴾ لِتَذْكِيرِ الْمُضْمَرِ فِي ﴿ يَكُونَ ﴾ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قِرَاءَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ) بِالتَّاءِ ، (مِثَّةً) بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ مِنْ « الْمِثَّةِ » وَنَصْبِهَا^(٤) ، وَكَأَنَّ مَعْنَى نَصْبِهِمْ « الْمِثَّةُ » مَعْنَى الْأَوَّلِينَ ، وَأَنْثَوُا (تَكُونَ) لِتَأْنِيثِ « الْمِثَّةِ » ، كَمَا يُقَالُ : إِنَّهَا قَائِمَةٌ جَارِيْتُكَ ، وَإِنَّهُ قَائِمٌ جَارِيْتُكَ . فَيَذَكَّرُ الْمَجْهُولُ مَرَّةً ، وَيُؤَنِّثُ أُخْرَى ؛ لِتَأْنِيثِ الْاسْمِ الَّذِي بَعْدَهُ .

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَدَنِيِّينَ : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِثَّةً) بِالتَّاءِ فِي (تَكُونَ) ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ (مِثَّةً) وَرَفْعِهَا^(٥) . فَجَعَلَ « الْمِثَّةُ » اسْمَ (تَكُونَ) ، وَأَنْثَ (تَكُونَ) لِتَأْنِيثِ « الْمِثَّةِ » ، وَجَعَلَ (تَكُونَ) مُكْتَفِيَةً بِالْاسْمِ دُونَ الْفِعْلِ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : (إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِثَّةً) اسْتِثْنَاءٌ ، وَالْعَرَبُ تَكْتَفِي فِي^(٦) الْاسْتِثْنَاءِ بِالْأَسْمَاءِ عَنِ الْأَفْعَالِ ، فَيَقُولُونَ : قَامَ النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَخَاكَ ، وَإِلَّا أَنْ يَكُونَ أَخُوكَ . فَلَا تَأْتِي لـ

(١) هِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَعَاصِمٍ . حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ ص ٢٧٦ .

(٢) يَقْصِدُ بِالْمَجْهُولِ الضَّمِيرَ . مِصْطَلَحَاتُ النُّحُو الْكُوفِي ص ٦٦ .

(٣) يَقْصِدُ بِالْفِعْلِ هُنَا الْخَبَرَ . مِصْطَلَحَاتُ النُّحُو الْكُوفِي ص ٥٣ .

(٤) هِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَحَمْزَةُ . حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ ص ٢٧٦ .

(٥) هِيَ قِرَاءَةُ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَهُوَ مِنَ الْعَشْرَةِ . النُّشْرُ ٢٠٠ / ٢ . وَفِي الْآيَةِ قِرَاءَةُ أُخْرَى مُتَوَاتِرَةٌ ، فَقَدْ قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ

بِالتَّاءِ ، وَرَفَعَ « الْمِثَّةُ » مُخَفَّفَةً . يَنْظُرُ الْمَصْدَرَانِ السَّابِقَانِ .

(٦) فِي ص ، ت ٢ ، س ، ف : « بِالْاسْمِ دُونَ الْفِعْلِ » .

« يكون » بفعلٍ ، وَتَجْعَلُهَا^(١) مُسْتَغْنِيَةً بِالاسْمِ ، كما يقالُ : قام القومُ إلا أخاك وإلا أخوك . فلا تَعْتَدُ الاسمَ الذى بعدَ حرفِ الاستثناءِ نفلاً .

/ والصوابُ من القراءةِ فى ذلك عندى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﴾ بالياءِ ، ٧٢/٨
﴿ مَيْتَةً ﴾ بتخفيفِ الياءِ ونصبِ « الميتة » ؛ لأن الذى فى ﴿ يَكُونَ ﴾ من المَكْنَى
من ذكرِ المذْكَرِ ، وإنما هو : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ ﴾ ذلك ﴿ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ .

فأما قراءةُ (مَيْتَةً) بالرفعِ ، فإنه وإن كان فى العربية غيرَ خطأً ، فإنه فى القراءةِ
فى هذا الموضع غيرُ صوابٍ^(٢) ؛ لأن الله يقولُ : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ ، فلا خلافَ
بينَ الجميعِ فى قراءةِ « الدم » بالنصبِ ، وكذلك هو فى مصاحفِ المسلمين ، وهو
عطفٌ على « الميتة » ، فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن « الميتة » لو كانت مرفوعةً
لكان « الدم » وقوله : ﴿ أَوْ فَسَقًا ﴾ مرفوعَيْنِ . ولكنها منصوبةٌ ، فيُعْطَفُ بهما
عليها^(٣) بالنصبِ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ ﴿ ١٤٥ ﴾ .

وقد ذكرنا اختلافَ أهلِ التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا
عَادٍ ﴾ والصوابُ من القولِ فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا فى سورةِ « البقرة » ،
بما أغْنَى عن إعادته فى هذا الموضع^(٤) ، وأن معناه : فَمَنْ اضْطُرَّ إلى أكلِ ما حَرَّمَ الله

(١) فى ص ، س ، ف : « لتجعلها » .

(٢) القراءة برفعِ « الميتة » متواترة ، فلا تدفع صحتها .

(٣) فى س ، ف : « عليه » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٥٨/٣ وما بعدها .

مِنْ أَكْلِ الْمَيْتَةِ أَوْ^(١) الدِّمِ الْمَسْفُوحِ أَوْ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ أَوْ مَا أَهْلٌ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، غَيْرَ بَاغٍ فِي أَكْلِهِ إِيَّاهُ تَلَذُّذًا ، لَا لِمُضْرُورَةٍ حَالَةٍ مِنَ الْجُوعِ ، وَلَا عَادٍ فِي أَكْلِهِ بِتَجَاوُزِهِ مَا حَدَّهُ اللَّهُ وَأَبَاحَهُ لَهُ مِنْ أَكْلِهِ ، وَذَلِكَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْخَوْفُ عَلَى نَفْسِهِ بِتَرْكِ أَكْلِهِ مِنَ الْهَلَاكِ ، لَمْ يَتَجَاوَزْ ذَلِكَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي أَكْلِهِ مَا أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ فِيمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَاوَتْهُ عَلَيْهِ بِتَرْكِهُ عَقُوبَتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ ، رَحِيمٌ^(٢) بِإِبَاحَتِهِ إِيَّاهُ أَكَلَ ذَلِكَ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ شَاءَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِ وَمَنَعَهُ مِنْهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَحَرَّمْنَا عَلَى الْيَهُودِ كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ، وَهُوَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ مَا لَمْ يَكُنْ مَشْقُوقَ الْأَصَابِعِ ، كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ^(٣) وَالْإِوَزِ وَالْبَطِّ .

وَبِمَا^(٤) قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى وَعَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَا : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ : وَهُوَ الْبَعِيرُ وَالنَّعَامَةُ^(٥) .

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . قَالَ :

٧٣/٨

(١) فِي م : « وَ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٣) فِي م : « الْأَنْعَام » .

(٤) فِي م : « بَنَحُوا مَا » .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ ٨/١٠ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٥٣/٣ إِلَى ابْنِ

البعير والنَّعَمَةَ ونحو ذلك من الدَّوابِّ .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شريكٍ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ [٨٠٦/١] قال : هو الذي ليس بمُنْفَرَجِ الأصابع ^(١) .

حدَّثني عليُّ بنُ الحسينِ ^(٢) الأزديُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن شريكٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ في قوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . قال : كلُّ شيءٍ مُتَفَرِّقِ الأصابعِ ، ومنه الدُّيكُ ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ : النَّعَمَةُ والبعيرُ ^(٤) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةً ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ مثله .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ : فكان يقالُ : البعيرُ والنَّعَمَةُ ، وأشباهه من الطيرِ والحيتانِ ^(٥) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . قال : الإبلُ والنَّعَامُ ، ظُفْرُ يدِ البعيرِ ورجله ، والنَّعَامُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٣) من طريق يحيى بن آدم به من قول ابن عباس ، وفيه زيادة .

(٢) في ص : « الحسن » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٠/٥ عقب الأثر السابق معلقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى أبي الشيخ مقتصر على قوله : الديك منه .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٣٠ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى عبد بن حميد ، ولفظه : في أشياء بدلا من : وأشباهه . وينظر هو والأثر بعده في تفسير ابن كثير ٣/٣٤٨ .

أَيْضًا كَذَلِكَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَيْضًا مِنَ الطَّيْرِ الْبَطَّ وَشِبْهَهُ ، وَكُلَّ شَيْءٍ لَيْسَ بِمَشْقُوقٍ الْأَصَابِعِ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : أَمَّا ﴿ كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ فَالْإِبِلُ وَالنَّعَامُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ قَالَ : ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : ثنا شَيْخٌ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . قَالَ : النَّعَامَةُ وَالْبَعِيرُ ، شَقًّا شَقًّا . قَالَ : قُلْتُ : مَا شَقًّا شَقًّا ؟ قَالَ : كُلُّ مَا لَمْ تُفَرِّجْ قَوَائِمَهُ لَمْ تَأْكُلْهُ الْيَهُودُ : الْبَعِيرُ وَالنَّعَامَةُ ، وَالْدَّجَاجُ وَالْعَصَافِيرُ تَأْكُلُهَا الْيَهُودُ ؛ لِأَنَّهَا قَدْ فُرِجَتْ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . قَالَ : النَّعَامَةُ وَالْبَعِيرُ ، شَقًّا شَقًّا . قُلْتُ لِلْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةٍ وَحَدَّثَنِيهِ ^(٣) : مَا شَقًّا شَقًّا ؟ قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يُفَرِّجْ مِنْ قَوَائِمِ الْبَهَائِمِ . قَالَ : وَمَا انْفَرَجَ أَكْلُهُ الْيَهُودُ . قَالَ : انْفَرَجَتْ قَوَائِمُ الدَّجَاجِ وَالْعَصَافِيرِ ، فِيهِودُ تَأْكُلُهَا . قَالَ : وَلَمْ تَنْفَرِّجْ قَائِمَةَ الْبَعِيرِ ؛ خُفَّهُ ، وَلَا خُفَّ النَّعَامَةِ ، وَلَا قَائِمَةَ الْوَزِينَةِ ^(٤) ، فَلَا تَأْكُلُ ^(٥) الْيَهُودُ الْإِبِلَ وَلَا النَّعَامَ وَلَا الْوَزِينَ ، وَلَا كُلَّ شَيْءٍ لَمْ تَنْفَرِّجْ قَائِمَتَهُ ، ^(٦) كَذَلِكَ وَ ^(٧) تَأْكُلُ حِمَارًا وَخَشٍ .

وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ،

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ عن معمر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٠/٥ عقب الأثر (٨٠٣٣) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « حدثته » .

(٤) في م ، ف : « الوزين » . والوزينة والجمع الوزين : الإوزة . ينظر التاج (و ز ز) .

(٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « يأكلها » ، وفي س : « تأكلها » .

(٦ - ٦) في م : « وكذلك » .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى أبي الشيخ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤٩/٣ عن ابن جريج

عن مجاهد .

قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ : الإِبِلَ قَطُّ ^(١) .

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابنِ عباسٍ ومن قال بمثلِ مقالته ؛ لأنَّ الله / جلَّ ثناؤه أخبر أنه حرَّم على اليهودِ كلَّ ذِي ظُفْرٍ ، فغيرُ جائزٍ ٧٤/٨ إخراجُ شيءٍ من عمومِ هذا الخبرِ ، إلا ما أجمع أهلُ العلمِ أنه خارجٌ منه . وإذ ^(٢) كان ذلك كذلك ، وكان النعامُ وكلُّ ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظُفْرٌ غيرُ مُنفَرَجِ الأصابعِ داخلاً في ظاهرِ التنزيلِ ، وجب أن يُحكَمَ له بأنه داخلٌ في الخبرِ ؛ إذ لم يأتِ بأن بعضَ ذلك غيرُ داخلٍ في الآيةِ خبرٌ عن الله ولا عن رسوله ، وكانت الأمةُ أكثرَها مُجمِعٌ على أنه فيه داخلٌ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ في الشحومِ التي أخبر الله تعالى أنه حرَّمها على اليهودِ من البقرِ والغنمِ ؛ فقال بعضهم : هي شحومُ الثُّرُوبِ ^(٣) خاصَّةٌ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ : الثُّرُوبُ ، ذُكِرَ لنا أن نبيَّ الله ﷺ كان يقولُ : « قاتل الله اليهودَ ، حرَّم الله عليهم الثُّرُوبَ ثم أكلوا أثمانها » ^(٤) .

(١) في م : « فقط » . وقط : حشْبُ . التاج (ق ط ط) .

والأثر ذكره القرطبي في تفسيره ١٢٥ / ٧ .

(٢) في م : « إذا » ، وفي ت ١ : « إن » .

(٣) الثروب ، جمع ثروب : وهو شحمٌ غشَى الكرش والأمعاء رقيق . الصحاح (ث ر ب) .

(٤) أخرج المرفوع منه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٠٥٠ ، ١٦٩٧٠) - ومن طريقه أحمد ٨ / ٢١

(١٣٢٧٥) ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، عن أنس مرفوعاً ، وفيه قصة . (تفسير الطبري ٤١ / ٩)

وقال آخرون : بل ذلك كان كل شحم لم يكن مُختَلِطًا بعَظْمٍ ولا على عَظْمٍ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ قوله : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ . قال : إنما حرَّم عليهم الثَّوْبُ ، وكلُّ شحمٍ كان كذلك ليس في عَظْمٍ ^(١) .

وقال آخرون : بل ذلك شحمُ الثَّوْبِ والْكُلَى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قوله : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ . قال : الثَّوْبُ وشحمُ الكُلَيْتَيْنِ ، وكانت اليهودُ تقولُ : إنما حرَّمه إسرائيلُ ، فنحن نُحرِّمُه ^(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ . قال : إنما حرَّم عليهم الثَّوْبَ والْكُلَيْتَيْنِ . هكذا هو في كتابي عن يونسَ ، وأنا أحسبُ أنه الكُلَى .

والصوابُ في ذلك من القولِ أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرَّم على اليهودِ من البقرِ والغنمِ شحومَهُما إلا ما استثناه منها ، مما حَمَلَت ظهورُهُما أو الحَوَايا أو ما اختَلَطَ بعَظْمٍ ، فكلُّ شحمٍ سوى ما استثناه الله في كتابه من البقرِ والغنمِ ، فإنه كان محرَّمًا [٨٠٦/١ ظ] عليهم .

وبنحو ذلك من القولِ تظاهرت الأخبارُ عن رسولِ الله ﷺ ، وذلك قوله :

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى ابن المنذر بزيادة : وشحم الكلية .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٤) من طريق أحمد بن مفضل به .

« قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، خُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا ^(١) ، ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوهَا
أَثْمَانَهَا » ^(٢) .

/وأما قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ . فإنه يعنى : إلا شحوم الجنب وما ٧٥/٨
علق بالظهر ، فإنها لم تُحَرِّم عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن
ابن عباس : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ . يعنى : ما علق بالظهر من الشحوم ^(٣) .

حدَّثنى محمد بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمد بنُ مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدى : أما ﴿ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ . فالأليات ^(٤) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال :
الآلية مما حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ^(٥) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ .

قال أبو جعفر : والحوايا جمع ، واحداها حاوية وحاوية وحاوية ، وهى ما تحوى

(١) جَمَلْتُ الشحم وأَجَمَلْتُهُ : إذا أذَبْتَهُ واستخرجت دهنه ، وَجَمَلْتُ أفصح من أَجَمَلْتُ . النهاية ٢٩٨ / ١ .

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٣٦ ، ٣٤٦٠ ، ٤٦٣٣) ، ومسلم (١٥٨١ ، ١٥٨٢ ،

١٥٨٣) ، من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ، وحديث جابر بن عبد الله ، وحديث أبي هريرة ،
ثلاثتهم عن النبى ﷺ نحوه .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠ / ٥ (٨٠٣٥) من طريق أبى صالح به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠ / ٥ عقب الأثر (٨٠٣٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠ / ٥ (٨٠٣٦) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر
المنثور ٥٣ / ٣ إلى أبى الشيخ .

مِنَ الْبَطْنِ فَاجْتَمَعَ وَاسْتَدَارَ . وَهِيَ بَنَاتُ اللَّبَنِ ^(١) ، وَهِيَ الْمَبَاعِرُ ^(٢) ، وَتُسَمَّى الْمَرَابِضُ ، وَفِيهَا الْأَمْعَاءُ .

وَمَعْنَى الْكَلَامِ : وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ، أَوْ مَا حَمَلَتِ الْحَوَايَا . ﴿ اَلْحَوَايَا ﴾ رَفَعَ عَطْفًا عَلَى « الظُّهُورِ » ، وَ﴿ مَا ﴾ الَّتِي بَعْدَ ﴿ إِلَّا ﴾ نَصَبَتْ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ « الشَّحُومِ » .
وَبِمَثَلِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ اَلْحَوَايَا ﴾ : وَهِيَ الْمِبْعَرُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ اَلْحَوَايَا ﴾ : قَالَ : الْمِبْعَرُ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثنا أَبُو حذيفةُ ، قَالَ : ثنا شُبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ اَلْحَوَايَا ﴾ : الْمِبْعَرُ وَالْمَرْبِضُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عن شُبْلٍ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ اَلْحَوَايَا ﴾ . قَالَ : الْمِبْعَرُ .

(١) بنات اللبن : ما صغر من الأمعاء . ينظر اللسان (ب ن و) .

(٢) المباعر ، جمع مِبْعَرٍ وَمَبْعَرٍ : مكان البعر من كل ذى أربع . اللسان (ب ع ر) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٧) ، والبيهقي ٨/١٠ ، من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٣٠ ، وهو فيه من تمام الأثر المتقدم في ص ٦٣٩ .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٤٩ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يَمَانٍ ، عن سفيانٍ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ . قال : المَبَاعِرُ ^(١) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شريكٍ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ . قال : المَبَاعِرُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ . قال : المِبْعَرُ ^(١) .

/ حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةٍ : ﴿ أَوْ ٧٦/٨ الْحَوَايَا ﴾ . قال : المِبْعَرُ ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ والمُحَارِبيُّ ، عن جويرٍ ، عن الضحاكِ ، قال : المِبْعَرُ ^(٣) .

حدَّثتُ عن الحسينِ بنِ الفرَجِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ في قوله : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ . يعنى : البطونُ غيرُ الثروبِ ^(٤) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ : هو المِبْعَرُ .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ عقب الأثر (٨٠٣٧) معلقا .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ ، ووقع فى مطبوعته : البقر . خطأ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٣٨) من طريق أبى أسامة به بلفظ : المباعر والمرابض .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٤٠) من طريق على بن الحكم عن الضحاك بلفظ :

فالبطون غير الثروب . ثم علّقه عقبه عن عبيد بن سليمان عن الضحاك ، بلفظ : يعنى بالثروب غير البطون .

السدي : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ . قال : المباعِرُ ^(١) .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ . قال : الحوايا المرائبُ التي تكونُ فيها الأمعاء ، تكونُ وَسَطَها ، وهي بناتُ اللَّبَنِ ، وهي في كلامِ العربِ تُدْعَى المرائبُ ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكره : وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَى الَّذِينَ هَادُوا شَحُومَهُمَا ، سَوَى مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ، أَوْ مَا حَمَلَتْ حَوَايَاهُمَا ، فَإِنَّا أَخْلَلْنَا ذَلِكَ لَهُمْ ، وَإِلَّا مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، فهو لهم أيضًا حلالٌ .

فردُّ قوله : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ . على قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ ، فـ ﴿ مَا ﴾ التي في قوله : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ ، في موضعِ نصبٍ ، عطفًا على ﴿ مَا ﴾ التي في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ .

وعنى بقوله : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ . شحمُ الأليةِ والجَنَبِ وما أشبه ذلك .

كما حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجُ ، عن ابنِ جريج : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ . قال : شحمُ الأليةِ بالعُصْعَصِ ^(٣) ، فهو حلالٌ ، وكلُّ شيءٍ في القوائمِ والجَنَبِ والرأسِ والعينِ ، ^(٤) وما ^(٥) اختلطَ بعظمٍ ، فهو حلالٌ .

حدثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١١/٥ عقب الأثر (٨٠٣٧) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٣٩) من طريق أصبغ عن ابن زيد به .

(٣) العصعص : أصل الذئب ، وهو عظم صغير في نهاية العمود الفقري ، ويتكون من التحام ثلاث فقرات أو أربع . ينظر الوسيط (عصعص) .

(٤ - ٤) في م : « قد » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٥٠ .

السدى : ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ : فما ^(١) كان من شحم على عظم ^(٢) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ^(١٤٦) .

يقول تعالى ذكره : فهذا الذى حرّمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير ذوات الأظافر غير المنفردة ، ومن البقر والغنم ما حرّمنا عليهم من شحومهما الذى ذكرنا فى هذه الآية ، حرّمناه عليهم عُقوبةً منا لهم ، وثواباً على أعمالهم السيئة ، وبغيتهم على ربهم .

كما حدّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ؛ إنما حرّم ذلك عليهم [٨٠٧/١] عُقوبةً ^(٣) ببغيتهم .

/ حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ : فعلنا ذلك بهم ببغيتهم .

وقوله : ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ . يقول : وإنا لصادقون فى خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود ، و ^(٤) عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التى ذكرنا أنّا حرّمنا عليهم ، وفى غير ذلك من أخبارنا ، وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه ، وأنهم إنما حرّموه لتخريم إسرائيل إياه على نفسه .

القول فى تأويل قوله : ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(١٤٧) .

(١) فى م : «ما» ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : «ما» .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ عقب الأثر (٨٠٤١) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٤٣) من طريق يزيد به .

(٤) سقط من : م

يقول جل ثناؤه لنبئه محمد ﷺ : فإن كذبك^(١) يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أننا حرّمنا عليهم وحلّلنا لهم ، مما^(٢) بينا في هذه الآية ، ﴿ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ ﴾ بنا وبمن كان به مؤمناً من عباده ، وبغيرهم من خلقه ، ﴿ وَسِعَتْ ﴾ : تسع جميع خلقه ؛ المحسن والمسيء ، لا يُعاجِلُ مَنْ كفر به بالعقوبة ، ولا من عصاه بالثّمة ، ولا يدعُ كرامة مَنْ آمن به وأطاعه ، ولا يحرّمه ثواب عمله ؛ رحمة منه بكلّ الفريقين ، ولكنّ بأسه - وذلك سطوته وعذابه - لا يردّه إذا أحلّه - عند غضبه على المجرمين - بهم ، عنهم شيء ، والمجرمون هم الذين أجزموا فاكْتَسَبُوا الذنوب واجتَرَحُوا السيئات .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ : اليهود^(٣) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ : اليهود ، ﴿ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ ﴾ .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانت اليهود يقولون : إنما حرّمه إسرائيل - يعنى الثّرب وشحم الكليتين - فنحن نُحرّمه . فذلك قوله : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ ﴾

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « كذبوك » .

(٢) في م : « كما » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٣٠ - من تمام الأثر المتقدم في ص ٦٣٩ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٢/٥

(٤٥/٨٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْئَةٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا
ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَبَ الَّذِينَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا
بَاسَنَا ﴾ .

/ يقول جل ثناؤه : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ . وهم العادلون بالله الأوثان ٧٨/٨
والأصنام من مشركى قريش : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ . يقول : قالوا ؛
احتجاجاً ^(٢) من الإذعان للحق بالباطل من الحجة ، لما تبين لهم الحق ، وعلموا باطل
ما كانوا عليه مُقيمين ؛ من شركهم ، وتحريمهم ما كانوا يُحرّمون من الحروث
والأنعام - على ما قد بين تعالى ذكره فى الآيات الماضية قبل ذلك : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ . وما بعد ذلك - : لو أراد الله منا
الإيمان به ، وإفراذه بالعبادة دون الأوثان والآلهة ، وتحليل ما حرّم من البحائر
والسّوائب وغير ذلك من أموالنا - ما جعلنا لله شريكاً ، ولا جعل ذلك له آباءنا من
قبلنا ، ولا حرّمنا ما نُحرّمه من هذه الأشياء التى نحن على تحريمها مُقيمون ؛ لأنه قادر
أن يحول بيننا وبين ذلك ، حتى لا يكون لنا إلى فعل شىء من ذلك سبيل ، إما بأن
يُضطرّنا إلى الإيمان وترك الشرك به ، وإلى القول بتحليل ما حرّمنا ^(٣) ، وإما بأن يُلطف
بنا ^(٤) بتوفيقه ، فنصير إلى الإقرار بوحدانيته ، وترك عبادة ما دونه من الأنداد
والأصنام ، وإلى تحليل ما حرّمنا ، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان
والأصنام ، واتخاذ الشريك له فى العبادة والأنداد ، وأراد ما نُحرّم من الحروث

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٢/٥ (٨٠٤٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) فى ف : « احتجاجاً » .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « حرمة » .

(٤) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « لنا » .

والأنعام ، فلم يَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ .

قال الله مَكْذِبًا لَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ : إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ مِنَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِكِ ، وَتَحْرِيمِ مَا نُحَرِّمُ . وَرَادًّا عَلَيْهِمْ بَاطِلَ مَا اخْتَجَّجُوا بِهِ مِنْ حُجَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ : ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ . يَقُولُ : كَمَا كَذَبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَيَانِ ، كَذَبَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ فَسَقَةِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَغَوْا عَلَى رَبِّهِمْ ، مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، وَوَضَحِ حُجَجِهِ ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نَصَائِحَهُمْ ، ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا﴾ . يَقُولُ : حَتَّى أَشْخَطُونَا ، فَغَضِبْنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَخْلَلْنَا بِهِمْ بَاسَنَا فَذَاقُوهُ ، فَعَطِبُوا بِذُوقِهِمْ إِيَّاهُ ، فَخَابُوا وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ . يَقُولُ : وَهَؤُلَاءِ الْآخَرُونَ مَسْلُوكٌ بِهِمْ سَبِيلُهُمْ ، إِنْ هُمْ لَمْ يُنَبِّئُوا ، فَيُؤْمِنُوا وَيُصَدِّقُوا بِمَا^(١) جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ .

وَبَنَحِ الَّذِينَ قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ . وَقَالَ : ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام : ١٠٧] . فَإِنَّهُمْ قَالُوا : عِبَادُتُنَا الْآلِهَةُ تَقَرَّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى . فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّهَا لَا تَقَرَّبُهُمْ ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : [٨٠٧/١ ظ] لَوْ شِئْتُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى أَجْمَعِينَ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ،

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «فِيمَا» .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٣/ ٣٥٢ . وَيَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ فِي ص ٤٨٠ .

عن مجاهد : ﴿ وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ ﴾ . قال : قول قريش . يَعْنِي : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذِهِ الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ ﴾ : قول قريش بغير يقين : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذِهِ ^(٢) الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا بُرْهَانُكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا كَذَّبَ مِنْ قِيلٍ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ قَوْلَهُمْ : رَضِيَ اللَّهُ مَنَا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَأَرَادَ مِنَّا / تَحْرِيمَ مَا حَرَّمَ مَنَا مِنَ الْحُرُوثِ ٧٩/٨ وَالْأَنْعَامِ . دُونَ أَنْ يَكُونَ تَكْذِيبُهُ إِيَّاهُمْ كَانَ عَلَى قَوْلِهِمْ : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَعَلَى وَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِأَنَّهُ قَدْ شَاءَ شُرَكَاهُمْ وَشُرَكَاءُ آبَائِهِمْ وَتَحْرِيمَهُمْ مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ ؟

قِيلَ لَهُ : الدَّلَالَةُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . فَأَخْبَرَ جُلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ سَلَكُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّهم مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ - مِنَ النَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَحْرِيمِ غَيْرِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ - مَسْلُوكٌ سُلُوكُهُمْ ^(٣) مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الْمَكْذُوبَةِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَالتَّكْذِيبُ مِنْهُمْ إِنَّمَا كَانَ لِمُكْذَّبٍ ^(٤) ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ خَبْرًا مِنَ اللَّهِ عَنْ كَذِبِهِمْ فِي قِيلِهِمْ : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ . لَقَالَ : (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) . بِتَخْفِيفِ الذَّالِ ، وَكَانَ يُشَبِّهُهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ إِلَى الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ لَا إِلَى التَّكْذِيبِ . مَعَ عَلَيِّ كَثِيرَةٍ يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ ، وَفِيمَا ذَكَرْنَا

(١) تفسير مجاهد . ص ٣٣٠ .

(٢) فِي ص ، س ، ف : « هَذَا » .

(٣) فِي م : « أَسْلَافُهُمْ » .

(٤) فِي ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « لَكُذْبٍ » .

كفاية لمن وفق لفهمه .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادلين برئهم الأوثان والأصنام ، المحرّمين ما هم له مُحَرَّمُونَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ ، القائلين : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرّمنا من شيء ، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نُحَرِّمُ : ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ ﴾ بدعواكم ما تدعون على الله ، من رضاه بإشراككم في عبادته ما تُشْرِكُونَ ، وتحريمكم من أموالكم ما تُحَرِّمُونَ - عِلْمُ يَقِينٍ مِنْ خَيْرٍ مَنْ يَقْطَعُ خَبْرَهُ الْعَذْرُ ، أو حجة تُوجِبُ لنا اليقين من العلم ، ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ ؟ يقول : فتظهروا ذلك لنا وتبينوه ، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم ، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع ؟ ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ . يقول له : قل لهم : إن تقولون ما تقولون أيها المشركون ، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبّدون ، وتُحَرِّمُونَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ ما تُحَرِّمُونَ ، إلّا ظناً وحسباناً أنه حق ، وأنكم على حق ، وهو باطل ، وأنتم على باطل . ﴿ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ . يقول : ﴿ وَإِنْ أَنْتُمْ ﴾ : وما أنتم في ذلك كلّهُ ﴿ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ . يقول : إلّا تتقولون الباطل على الله ؛ ظناً بغير يقين علم ، ولا برهان واضح .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادلين برئهم الأوثان والأصنام ، القائلين على ربهم الكذب ، في تحريمهم ما حرّموا من الحروث والأنعام ، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قبيلك لهم : هل عندكم من علم بما تدعون

على ربكم فتخرجوه لنا ؟ وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره ، وهم لا شك عن ذلك عَجْزَةٌ ، وعن إظهاره مُقَصِّرَةٌ^(١) ؛ لأنه باطل لا حقيقة له ، فله^(٢) الذى حرّم عليكم أن تُشركوا به شيئاً ، وأن تتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فى أموالكم من الحروث والأنعام - الحجة البالغة / دونكم أيها المشركون . ويعنى بـ « البالغة » : أنها تَبْلُغُ ٨٠/٨ مراده فى ثبوتها على من احتجّ بها عليه من خلقه ، وقطع عُذْرِهِ إِذَا^(٣) انْتَهَتْ إليه فيما جُعِلَتْ حجة فيه .

﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . يقول : فلو شاء ربكم لَوَفَّقَكُمْ أَجْمَعِينَ للاجتماع^(٤) على إفراده بالعبادة ، والبراءة من الأنداد والآلهة ، والدّينونة بتحريم ما حرّم الله ، وتحليل ما حلّله الله ، وترك اتّباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك ، فخالف بين خلقه فيما شاء منهم ، فمنهم كافرون ومنهم مؤمنون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدّثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : لا حُجَّةَ لأحدٍ عَصَى^(٥) الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده ،^(٦) قال الله : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . قال : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ

(١) فى م : « مقصرون » .

(٢) فى م : « فآله » .


(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « وإذا » .

(٤) فى م : « للإجماع » .

(٥) فى ت ١ ، س : « على » .

(٦ - ٦) فى م : « وقال » .

وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿ [الأنبياء : ٢٣] ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾  .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : [٨٠٨/١] قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى رَبِّهِمْ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ ، الزاعمين أن الله حَرَّمَ عليهم ما هم مُحَرَّمُونَ مِنْ خُرُوتِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ ﴾ . يقول : هاتوا شهداءكم الذين يَشْهَدُونَ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُ حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ .

وأهل العالية مِنْ تِهَامَةٍ تُوَحِّدُ « هَلُمَّ » فِي الْوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ وَالْجَمِيعِ ^(٢) ، وتذكرُ فِي الْمُؤَنَّثِ وَالْمَذَكَّرِ ، فتقولُ لِلوَاحِدِ : هَلُمَّ يَا فُلَانُ . وَلِلْاِثْنَيْنِ وَالْجَمِيعِ ^(٣) كَذَلِكَ ، وَلِلْأُنْثَى مِثْلَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْشَى ^(٤) :

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ ^(٥)

يُنْشَدُ : هَلُمَّ وَهَلُمُّوا . وَأَمَّا أَهْلُ السَّافِلَةِ مِنْ نَجْدٍ ، فَإِنَّهُمْ يُوَحِّدُونَ لِلوَاحِدِ ، وَيُسْنُونُ لِلْاِثْنَيْنِ ، وَيَجْمَعُونَ لِلْجَمِيعِ ، فتقولُ لِلوَاحِدِ مِنَ الرِّجَالِ : هَلُمَّ . وَلِلوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ : هَلُمِّي . وَلِلْاِثْنَيْنِ : هَلُمَّمَا . وَلِلْجَمَاعَةِ مِنَ الرِّجَالِ : هَلُمُّوا . وَلِلنِّسَاءِ : هَلُمُّنَّ ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٣/٥ (٨٠٥٠) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به ، إلى قوله : عَلَى عِبَادِهِ .

(٢) فِي م : « الْجَمْع » .

(٣) ديوانه ص ٤٣ .

(٤) الصُّرْمُ : الْقَطْعُ الْبَائِنُ . اللِّسَانُ (ص ر م) .

(٥) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « هَلْمَنْ » .

قال الله لنبيه : ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا ﴾ يا محمد . يقول : فإن جاءوك بشهادة يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم ، ﴿ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ . فإنهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على / الله . وخاطب ٨١/٨ بذلك جل ثناؤه نبيه ﷺ ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِشَايِنَنَا ﴾ . يقول : ^(١) « ولا تشايغهم » على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله ، في تحريم ما حرم ، وتحليل ما أحل لهم ، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ . يقول : ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، فتكذب بما هم به مكذبون ؛ من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ، ونشره إياهم بعد فنائهم ، ﴿ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ . يقول : وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات ، وجحودهم قيام الساعة ، بالله يعدلون الأوثان والأصنام ، فيجعلونها له عدلاً ، ويتخذونها له نداً يعبدونها من دونه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ . يقول : قل : أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب ، وقالوا : أمرنا الله به . قال الله لرسوله : ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن

(١ - ١) في م ، س : « ولا تتابعهم » ، وفي ت ١ : « وتشايغهم » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٣/٥ (٨٠٥٢ ، ٨٠٥٤ ، ٨٠٥٥) من طريق أحمد بن المفضل به .

مجاهد : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ . قال : البحائر والشئب^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادلين برؤسهم الأوثان والأصنام ، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم مُحَرَّمُونَ من حروثهم وأنعامهم ، على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك : تعالوا أيها القوم اقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً ، لا الباطل تخرصاً ؛ تخرصكم^(٢) على الله الكذب والفريضة ظناً ، ولكن وحيًا من الله أوحاه إليّ ، وتنزيلًا أنزله عليّ : ألا تُشْرِكُوا بالله شَيْئًا من خلقه ، ولا تُعْدِلُوا به الأوثان والأصنام ، ولا تعبدوا شيئاً سواه . ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . يقول : وأوصى بالوالدين إحساناً . وحذف « أوصى » و « أمر » ؛ لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه . وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى من الكتاب^(٣) .

وأما « أن » في قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ . فرفع ؛ لأن معنى الكلام : قل تعالوا أتْلُ ما حَرَّمَ ربكم عليكم ؛ هو^(٤) ألا تُشْرِكُوا به شَيْئًا .

وإذا كان ذلك معناه ، كان في قوله : ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ . وجهان ؛ الجزم / بالنهي ، وتوجيه « لا » إلى معنى النهي . والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر ، ونصب ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ بـ ﴿ أَلَّا ﴾ ، كما يقال : أمرتُك ألا تقوم .

٨٢/٨

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٣/٥ (٨٠٥٣) من طريق حجاج به .

(٢) في م : « كخرصكم » .

(٣) ينظر ما تقدم في ١٩١/٢ .

(٤) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

وإن شئت جعلت « أن » في موضع نصبٍ ردًّا على « ما » وبيانًا عنها ، ويكونُ في قوله : ﴿ تَشْرِكُوا ﴾ . أيضًا من وجهي الإعرابِ على ^(١) نحو ما كان فيه منه و « أن » في موضع رفع .

ويكونُ تأويلُ الكلامِ حيثُ : قلُّ تعالوا أثلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم ؛ أثلُ ^(٢) ألا تُشركوا به شيئًا .

فإن قال قائلٌ : وكيف يجوزُ أن يكونَ قوله : ﴿ تَشْرِكُوا ﴾ . نصبًا بـ ﴿ أَلَا ﴾ ، أم كيف يجوزُ توجيهُ قوله : ﴿ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾ . على معنى الخبرِ ، وقد عطفَ عليه بقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا أُولَٰئِكَ مِمَّنْ إِمْلَئِطُ ﴾ . وما بعدَ ذلك من جزمِ النهي ؟ قيل : جاز ذلك كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ . فجعل ﴿ أَنْ أَكُونَ ﴾ خبرًا ، و ﴿ أَنْ ﴾ اسمًا ، ثم عطفَ عليه ^(٣) ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٤) . وكما قال الشاعر ^(٥) :

حَجَّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الْأَعْبَدَا

أَلَا تَرَى وَلَا تُكَلِّمُ أَحَدَا

وَلَا يَزَلْ شَرَابُهَا مُبَرَّدَا ^(٥)

فجعل قوله : أَلَا تَرَى . خبرًا ، ثم عطفَ بالنهي ، فقال : وَلَا تُكَلِّمُ ، وَلَا يَزَلْ . القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا أُولَٰئِكَ مِمَّنْ إِمْلَئِطُ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٣ - ٣) زيادة لازمة يتضح بها السياق ، وينظر معاني القرآن للفراء ١ / ٣٦٤ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١ / ٣٦٤ دون نسبة .

(٥) في معاني القرآن ١ / ٣٦٤ : « وَلَا تَمَشْ بِفُضَاءٍ بَعْدَا » .

وَأَيَّاهُمْ ﴿١٥١﴾

[١/٨٠٨ ظ] يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُوا﴾:

ولا تَئِدُوا أولادكم فتَقْتُلُوهم من خَشْيَةِ الفقرِ على أنفسكم بنَفَقَاتِهِمْ^(١)؛ فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم.

والإملاق مصدر من قول القائل: أَمْلَقْتُ مِنَ الزادِ، فأنا أَمْلِقُ إِمْلَاقًا. وذلك إذا فنى زاده، وذهب ماله وأفلس.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُوا﴾: الإملاق الفقر، قتلوا أولادهم خشية الفقر^(٢).

حدَّثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة فى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُوا﴾. أى: خشية الفاقة^(٣).

حدَّثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُوا﴾. قال: الإملاق الفقر^(٤).

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «شفقا بهم».

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٤/٥ (٨٠٥٩) من طريق أبى صالح به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٥/٥ (٨٠٦٠) من طريق شيبان، عن قتادة مطولاً، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٣، ٥٥، إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٥/٥ عقب الأثر (٨٠٦٠) من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط به.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسين ، قَالَ : ثنى حجاج ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ
قَوْلَهُ : ﴿ مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ . قَالَ : شَيَاطِينُهُمْ يَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يَّعْدُوا أَوْلَادَهُمْ خِيفَةَ
الْعَيْلَةِ .

/ حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثنا عُبيدُ بْنُ
سُلَيْمَانَ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ . يَعْنِي : مِنْ ^(١) خَشْيَةِ فَقْرٍ ^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنٌ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَا تَقْرَبُوا الظَّاهِرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْحَرَّمَ عَلَيْكُمْ ، الَّتِي هِيَ
عَلَانِيَةٌ بَيْنَكُمْ ، لَا تَتَأَكَّرُونَ رُكُوبَهَا ، وَالْبَاطِنَ مِنْهَا الَّذِي تَأْتُونَهُ ^(٣) سِرًّا فِي خَفَاءٍ لَا
يُجَاهِرُونَ ^(٤) بِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَرَامًا .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّمَا قِيلَ : لَا تَقْرَبُوا مَا ظَهَرَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَمَا بَطَنٌ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَسْتَقْبِحُونَ مِنْ مَعَانِي الزُّنَى بَعْضًا .

وَلَيْسَ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ بِمَدْفُوعٍ ، غَيْرَ أَنَّ دَلِيلَ الظَّاهِرِ مِنَ التَّنْزِيلِ عَلَى النَّهْيِ عَنْ
ظَاهِرٍ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَبَاطِنِهَا ، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعُذْرَ بِأَنَّهُ غُنِيَ بِهِ بَعْضُ دُونَ جَمِيعٍ ، وَغَيْرُ
جَائِزٍ إِحَالَةُ ظَاهِرِ كِتَابِ اللَّهِ إِلَى بَاطِنٍ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلٍ مَنْ قَالَ : الْآيَةُ خَاصَّةٌ الْمَعْنَى

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضِلِ ، قَالَ : ثنا أَشْبَاطُ ، عَنْ

(١) زيادة من : م .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٥/٥ عقب الأثر (٨٠٦٠) معلقا .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يَأْتُونَهُ » .

(٤) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يجاهرون » .

السدي: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أما ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: فزواني الحوائت، وأما ﴿مَا بَطَنَ﴾: فما خفي^(١).

حدثت عن الحسين بن الفرّج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: كان أهل الجاهلية يشتسرون بالزنى، ويرون ذلك حلالاً ما كان سراً، فحرم الله السر منه والعلانية، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: يعني: العلانية، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: يعني: السر^(٢).

حدثني المشي، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾. قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنى بأساً في السر، ويستقبحونه في العلانية، فحرم الله الزنى في السر والعلانية^(٣).

وقال آخرون في ذلك بمثل الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: سرها وعلانيتها^(٤).

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٦/٥ عقب الأثر (٨٠٦٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به.

(٢) ينظر التبيان ٣١٥/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٦/٥، ١٤٦٩، (٨٠٦٦، ٨٤١١) من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٦/٥ عقب الأثر (٨٠٦٦) معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٣، ٥٥ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

نحوه^(١) .

وقال آخرون : ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ : نكاح الأمهات وحلائل الآباء ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ : الزنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن خُصَيْفٍ ، عن مجاهد : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ . قال : ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ : جمع بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ : الزنى^(٢) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني إسحاق بن زياد العطار البصري^(٣) ، قال : ثنا محمد بن إسحاق البلخي ، قال : / ثنا تميم بن شاكر الباهلي ، عن عيسى بن أبي ٨٤/٨ حفصة ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ . قال : ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ : الخمر ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ : الزنى^(٤) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١) .

يقول تعالى ذكره : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . يعني بالنفس

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ عن معمر من قوله .

(٢) أخرج أوله ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٦/٥ (٨٠٦٨) من طريق خصيف به بنحوه ، وذكر آخره ١٤١٧/٥ عقب الأثر (٨٠٧٢) معلقا .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « النصري » ، وغير منقوطة في س .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٢٠٣/٣ .

التي حرّم الله قتلها ؛ نفس مؤمن أو معاهد . وقوله : ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . يعنى : بما أباح قتلها به ؛ من أن تقتل نفساً فتقتل قوداً بها ، أو ترزى وهي مُحَصَّنَةٌ فتزجّم ، أو ترتدّ^(١) عن دينها الحق فتقتل^(٢) ، فذلك الحق الذى أباح الله جلّ ثناؤه قتل النفس التي حرّم على المؤمنين قتلها به . ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ . يعنى : هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا ألا نأتيه ، وألا ندعه ، هي الأمور التي وصّانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . يقول : وصّاكم بذلك لتعقلوا^(٣) ما وصّاكم به ربكم .

القول فى تأويل قوله : [٨٠٩/١] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ : ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميّره^(٤) .

كما حدّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانِي ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . قال : التجارة فيه^(٥) .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ : فليثمّر ماله .

حدّثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق العنزى ، عن سَلِيطِ بْنِ بِلَالٍ ، عن الضحّاك بن مزاحم فى قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « ترد » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فيدل » ، وفى ف : « فتبدل » .

(٣) فى م : « لعلكم تعقلون » .

(٤) فى س : « تنميته » ، وفى ف : « تميزه » .

(٥) ذكره البغوى فى تفسيره ٣/٢٠٣ ، ٢٠٤ .

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾ . قال : يَبْتَغِي له فيه ، ولا يَأْخُذُ مِنْ رِبْحِهِ شَيْئًا ^(١) .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد في قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . قال : التي هي أحسنُ أن يَأْكُلَ بالمعروفِ إن افْتَقَرَ ، وإن اسْتَغْنَى فلا يَأْكُلُ / قال الله : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ٦] . قال : وسُئِلَ عن الكِسْوة فقال : لم يَذْكُرِ الله الكِسْوة ، إنما ذَكَرَ الأَكْلَ ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . فإن ^(٣) الأَشَدُّ جمعُ شَدٍّ ، كما الأَضْرُّ جمعُ ضَرٍّ ، وكما الأَشْرُّ جمعُ شَرٍّ . والشَّدُّ ^(٤) القُوَّةُ ، وهو اسْتِحْكَامُ قُوَّةِ شَبَابِهِ وَسُنَّهِ ، كما شَدَّ النَّهَارُ ارتفاعه وامتداده ، يقال : أَتَيْتُهُ شَدَّ النَّهَارِ وَمَدَّ النَّهَارِ . وذلك حين امتداده وارتفاعه . وكان المَفْضَلُ فيما بَلَغْنِي يُنْشِدُ بَيْتَ عَنْتَرَةَ ^(٥) :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ ^(٦) وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلَمِ ^(٧)
ومنه قولُ الآخر ^(٨) :

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةً ^(٩) طَوِيلَةً أَنْقَاءً ^(١٠) اليَدَيْنِ سَحَوقٌ ^(١١)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٧٩/٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٨/٥ ، ١٤١٩ (٨٠٨٣) من طريق فضيل به نحوه ، وليس عند ابن أبي شيبة : سليط بن بلال .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٩/٥ (٨٠٨٤) من طريق أصبغ عن ابن زيد به .

(٣) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « قال » .

(٤) في ت ١ ، ف : « الشدة » .

(٥) شرح ديوان عنترة ص ١٢٧ .

(٦) اللبان : الصدر ، وقيل : وسطه ، وقيل : ما بين الثديين ، ويكون للإنسان وغيره . اللسان (ل ب ن) .

(٧) العظلم هنا : صبغ أحمر . اللسان (عظم) .

(٨) الأضداد ص ٢٢٣ ، واللسان (س ح ق) ، غير منسوب .

(٩) الظعينة : المرأة في اليهودج . اللسان (ظ ع ن) .

(١٠) الأنقاء جمع النقو : كل عظم ذي مخ . اللسان (ن ق و) .

(١١) السحوق : المرأة الطويلة . اللسان (س ح ق) .

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشدَّ اسمٌ مثلُ الآئِكِ^(١) .

فأما أهل التأويل فإنهم مُختلفون في الحين الذي إذا بلغه الإنسان قيل : بلغ أشده ؛ فقال بعضهم : يقال ذلك له إذا بلغ الحلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمي ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب ، عن عمرو بن الحارث ، عن ربيعة في قوله : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . قال : الحلم^(٢) .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، عن أبيه مثله . قال ابن وهب : وقال لي مالك مثله^(٣) .

حدثت عن الحماني ، قال : ثنا هشيم ،^(٤) عن مجالد^(٥) ، عن عامر : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . قال : الأشدُّ الحلم ، حيث تُكْتَبُ له الحسنات ، وتُكْتَبُ عليه السيئات^(٥) .

وقال آخرون : إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) الآئِك : الأُشْرُب ، وهو الرصاص القلعي ، أو أبيضه ، أو أسوده ، أو خالصه . وقال كراع : هو القزدير . ينظر تاج العروس (أن ك) .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٩/٥ عقب الأثر (٨٠٨٨) معلقا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/٣ إلى أبي الشيخ .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٩/٥ عقب الأثر (٨٠٨٨) معلقا ، عن زيد بن أسلم ومالك ، وقول زيد عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/٣ إلى أبي الشيخ .

(٤ - ٤) في م : « عن مجاهد » ، وفي ف : « بن مجالد » . .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٩/٥ (٨٠٨٨) من طريق هشيم به .

السدى : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . قال : أما ﴿ أَشُدَّهُ ﴾ فثلاثون سنة ، ثم جاء بعدها : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ [النساء : ٦] ^(١) .

وفى الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حذف . وذلك أن معنى الكلام : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلُغ أَشُدَّهُ ، فإذا بلغ أَشُدَّهُ فأنسثم منه رُشدًا فاذفعوا إليه ماله . لأنه جل ثناؤه لم ينه / أن يقرب مال اليتيم ٨٦/٨ فى حال يُتِمُّه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلُغ أَشُدَّهُ ، ليحل ^(٢) لوليّه بعد بلوغه أَشُدَّهُ أن يقربه بالتي هي أسوأ ، ولكنه نهاهم أن يقربوه ^(٣) حياطةً منه له ، وحفظاً عليه ، ليُسَلِّمُوهُ إليه إذا بلغ أَشُدَّهُ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

يقول تعالى ذكره : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ - وأن ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾ . يقول : لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلثموهم ، والوزن إذا وزنثموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم . وإيفاؤهم ذلك إعطاؤهم حقوقهم تامة ، ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ . يعنى : بالعدل .

كما حدثنى المشى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ : بالعدل ^(٤) .

وقد بيّنا معنى « القسط » بشواهد فيما مضى ، وكرهنا إعادته ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢٠/٥ (٨٠٩٠) من طريق أحمد بن المفضل به دون آخره .

(٢) فى م : « ويحل » .

(٣) فى م : « يقربوا » .

(٤) تقدم فى ٢٨٠/٥ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٨/٤٤٧ ، ٤٤٨ .

وأما قوله : ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . فإنه يقول : لا تُكَلِّفُ نَفْسًا مِنْ إِيْفَاءِ الْكِيلِ وَالْوَزَنِ إِلَّا مَا يَسْعُهَا فَيَحِلُّ لَهَا وَلَا تُخْرَجُ فِيهِ ، وذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له ، فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له ، ولم يكلفه الزيادة ؛ لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها ، وأمر [٨٠٩/١] الذي له الحق بأخذ حقه ، ولم يكلفه الرضا بأقل منه ؛ لما في النقصان عنه من ضيق نفسه ، فلم يكلف نفسا منهما ^(١) إلا ما لا ^(٢) حرج فيه ولا ضيق ^(٣) ، فلذلك قال : ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

وقد استقصينا بيان ذلك بشواهد في موضع غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ^(٤) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٥٢) .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ : وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم ، فقولوا الحق بينهم ، واعدِلوا وأنصفوا ولا تجوروا ، ولو كان الذى يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم ، ولا يحملنكم قرابة قريب ، أو صداقة صديق ، حكمتم بينه وبين غيره ، أن تقولوا غير الحق فيما اختكم إليكم فيه . ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ . يقول : وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا . وإيفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ ، وذلك هو الوفاء بعهد الله .
وأما قوله : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ ﴾ . يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ :

(١) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف : « منها » .

(٢) سقط من : ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س ، ف .

(٣) فى ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، س : « يضيق » ، وفى ف : « تضيق » .

(٤) نظر ما نقله ف ، ٢١٢/٤ ، ٢١٣ .

قُلْ لِلْعَادِلِينَ بِاللَّهِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مِنْ قَوْمِكَ : هذه الأمور التي ذَكَرْتُ لَكُمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي عَاهَدَ إِلَيْنَا رَبُّنَا ، وَوَصَّاكُمْ بِهَا رَبُّكُمْ ، وَأَمَرَكُمْ ^(١) بِالْعَمَلِ بِهَا ، لَا بِالْبَحَائِرِ ^(٢) وَالسَّوَائِبِ وَالْوَصَائِلِ وَالْحَامِ ، وَقَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ ، وَاتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . يَقُولُ : أَمَرَكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، وَوَصَّاكُمْ بِهَا ، وَعَاهَدَ إِلَيْكُمْ فِيهَا ؛ لَتَذَكَّرُوا عَوَاقِبَ أَمْرِكُمْ ، وَخَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ ، فَتَنْزَجِرُوا عَنْهَا ، وَتَزْتَدَعُوا وَتُنَبِّهُوا إِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ .

وكان ابنُ عباسٍ يَقُولُ : هذه الآياتُ هن الآياتُ المحْكَماتُ .

^(٣) حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ ^(٤) صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ / عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : هُنَّ الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ ^(٣) ؛ قَوْلُهُ : ﴿ قُلْ ۚ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَا : ثنا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ ^(٦) عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَّارِ ، قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ رَجُلًا يَقْرَأُ :

(١) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « أَمَرَهُمْ » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بِالْبَحِيرَةِ » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ت ١ .

(٤) بَعْدَهُ فِي ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « أَبِي » . وَالْمُثَبِّتُ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَالْمُسْتَدْرَكُ ٢ / ٢٨٨ . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٠ / ٤٦٤ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥ / ١٤١٤ (٨٠٥٧) مِنْ طَرِيقِ وَكِيعٍ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٢ / ٢٨٨ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٤٩٣ - تَفْسِيرٍ) وَأَبُو دَاوُدَ فِي نَاسَخِهِ - كَمَا فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ١٥ / ٤٥٨ - وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٢ / ٥٩٢ (٣١٦٨) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا ٢ / ٣١٧ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ ، لَكِنْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلَيْفَةَ - لَا ابْنَ قَيْسٍ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَيَنْظُرُ مَا تَقْدِمُ فِي ٥ / ١٩٣ .

(٦) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يَزِيدُ » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٢ / ١٠٢ .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ . فقال : والذي نفسُ كعبٍ بيده ، إن هذا لأوَّلُ شيءٍ في التوراة : (بسم الله الرحمن الرحيم : قل تعالوا أتْلُ ما حَرَّمَ ربكم عليكم)^(١) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن رجلٍ ، عن الربيع بن خثيم^(٢) أنه قال لرجلٍ : هل لك في صحيفةٍ عليها خاتمُ محمدٍ ؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٣) .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازي ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مُرَّة ، قال : قال الربيع : ألا أقرأ عليكم صحيفةً من رسولِ الله ﷺ لم يُفَلَّ^(٤) خاتمُها ؟ فقرأ هذه الآيات : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : جاء إليه نفرٌ ، فقالوا : قد جالستُ أصحابَ محمدٍ فحدَّثنا عن الوحي . فقرأ عليهم هذه الآيات من « الأنعام » : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فما عندنا وحيٌّ غيره .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : هؤلاء الآيات التي أوصى بها من مُحْكَمِ القرآن .

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٨٣/٥ من طريق محمد بن المثنى به ، كما أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٩٨) ، وأبو نعيم في الحلية ١٣/٦ ، من طريق الزبير بن الخريت عن عكرمة مولى ابن عباس عن كعب ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٣ من قول كعب إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر ، ومن قول عبيد الله ابن عدى إلى أبي الشيخ . ووقع عند أبي نعيم : الحارث بدلا من الخريت . وينظر تهذيب الكمال ٣٠١/٩ .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « خيثم » وينظر تهذيب الكمال ٧٠/٩ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٣ إلى أبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يقل » .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ . قال : قولوا الحق ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣) .

يقول تعالى ذكره : وهذا الذي وصَّاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ . وأمركم بالوفاء به ،

هو صراطه ؛ يعنى طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده ، ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ . يعنى : قويمًا لا اغوجاج به عن الحق ، ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ . يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم

منهاجا تسلكونه ، فاتبعوه ^(٢) ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ . يقول : ولا تسلكوا طريقا سواه ، ولا تتركبوا / منهجا غيره ، ولا تبغوا [٨١٠/١] دينًا خلافا ^(٣) من اليهودية ٨٨/٨

والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الملل ؛ فإنها بدع وضلالات ، ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ . يقول : فيشتت بكم - إن اتبعتم السبل المحدثه التى

ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان - اتباعكم إياها ، ﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ . يعنى : عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذى وصى به الأنبياء ، وأمر به

الأمم قبلكم . ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ ﴾ . يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصَّاكم به ربكم من قوله لكم : ﴿ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ .

وصَّاكم به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . يقول : لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها ،

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢١/٥ (٨٠٩٨) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) فى ص : « فأما ما سعون » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « فأما ما يتبعونه » ، وكذا فى ص ، ت ٢ ، ولكن غير تامة النقط ، وفى س : « لا ما يتبعونه » ، وفى ف : « فأما يتبعونه » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « خلاه » وفوقها فى ص ، س : (ط) إشارة إلى الخطأ ، والكلمة صواب ، وهى بمعنى « خلافه » التى فى : ن .

وتَحَذَرُوا رَبَّكُمْ فِيهَا ، فَلَا تُسْخِطُوهُ عَلَيْهَا ، فَيَجِلَّ بِكُمْ نَقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .
قَالَ : الْبِدْعَ وَالشُّبُهَاتِ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ شَبْلِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ
مِثْلَهُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُذَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ
مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ : الْبِدْعَ وَالشُّبُهَاتِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاوية ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ﴾ . وَقَوْلُهُ ^(٣) : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . وَنَحْوُ
هَذَا فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ : أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْاِخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ ،
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٣١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٢/٥ (٨١٠٤) من طريق أبي أسامة به .

(٣) بعده في النسخ : « و » . والمثبت نص التلاوة .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٦٠ وقد وقع فيه على الخطأ في تلاوة الآية .

يقول : لا تَتَّبِعُوا الضَّالَّاتِ ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحِمْيَانِيُّ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عاصمٍ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللهِ ، قال : خطَّ لنا رسولُ اللهِ ﷺ يوماً خطًّا ، فقال : « هذا سبيلُ اللهِ » . ثم خطَّ عن يمينِ ذلك الخطَّ وعن شمالِهِ خطوطًا ، فقال : « هذه سُبُلٌ ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يَدْعُو إليها » . ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(٢) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ . قال : سبيله الإسلامُ ، وصراطه الإسلامُ ، نهاهم أن يتَّبِعُوا السُّبُلَ سِوَاهُ ، ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ عن الإسلامِ ^(٣) .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثوبٍ ، عن معمرٍ ، عن أبانٍ ، أن رجلاً قال لابنِ مسعودٍ : / ما الصراطُ المستقيمُ ؟ قال : تركنا محمدًا ﷺ في ٨٩/٨ أذناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جِوَادٌ ^(٤) ، وعن يساره جِوَادٌ ، وثمَّ رجالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ ، فَمَنْ أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ . ثم قرأ ابنُ مسعودٍ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٢/٥ (٨١٠٣) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٤١) ، وأحمد ٢٠٧/٧ (٤١٤٢) ، والدارمي ٦٧/١ ، وابن أبي عاصم في السنة (١٧) ، والبزار (١٧١٨) ، والنسائي في الكبرى (١١١٧٤) ، من طريق حماد - وهو ابن زيد - به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٢/٥ (٨١٠٥) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٤) الجواد : الطرق . اللسان (ج د د) .

(٥) أخرجه المصنف في آداب النفوس ، كما في تفسير القرطبي ١٣٨/٧ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٦٢/٣ عن هذا الموضع من التفسير .

واختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامة قراءة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿ وَأَنَّ ﴾ بفتح الألف من ﴿ أَنَّ ﴾ وتشديد النون^(١) ، ردًا على قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ . بمعنى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ - ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين : (وإن) . بكسر الألف من « إن » وتشديد النون منها^(٢) ، على الابتداء ، وانقطاعها عن الأول ، إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه ، عندهم^(٣) .

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مُستفيضتان في قراءة الأمصار وعوام المسلمين ، صحيح معنيهما ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته . وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر^(٤) بالتباع سبيله ، كما أمر عباده الأشياء^(٥) ؛ وإن أدخل ذلك مُدخل فيما أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمشركين : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به . ففتح على ذلك ﴿ أَنَّ ﴾ فمصيب . وإن كسرهما ، إذ كانت التلاوة قولًا ، وإن كان بغير لفظ القول ؛ لبعدها من قوله : ﴿ أَتْلُ ﴾ . وهو يريد إعمال ذلك فيه ، فمصيب . وإن كسرهما بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأول والتلاوة ، وأن ما أمر النبي ﷺ بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٣ .

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي . ينظر المصدر السابق .

(٣) دونه عندهم : أي : دون النبي ﷺ عند من قرأ بكسر الألف من « وإن » ، وسيأتي مصرحًا به في كلام المصنف بعد .

(٤) في ف : « أمرنا » .

(٥) في م : « بالأشياء » .

انتهى دون ذلك ، فمصيب .

وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي إسحاق البصري : (وأن) . بفتح الألف من « أن » وتخفيف النون منها ^(١) ، بمعنى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا [٨١٠/١] أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ - (وأن هذا صراطى) . فحذفها ، إذ كانت « أن » فى قوله : ﴿ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ مخففة ، وكانت « أن » من قوله : (وأن هذا صراطى) . معطوفة عليها ، فجعلها نظيرة ما عطفت عليه . وذلك وإن كان مذهبنا ، فلا أحب القراءة به ؛ لشذوذها عن قراءة ^(٢) قراءة الأمصار ، وخلاف ما هم عليه فى أمصارهم ^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ : ثم قل بعد ذلك يا محمد : أتى ربك موسى الكتاب . فترك ذكر « قل » إذ كان قد تقدم فى أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها ، ذلك قوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ . فقص ما حرم عليهم وأحل ، ثم قال : ثم قل : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾ . فحذف « قل » لدلالة قوله : ﴿ قُلْ ﴾ عليه ، وأنه مراد فى الكلام .

/ وإنما قلنا : ذلك مراد فى الكلام ؛ لأن محمداً ﷺ لا شك أنه بُعث بعد موسى ٩٠/٨ بدهرٍ طويل ، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ، ومعلوم أن موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمداً بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه ، و « ثُمَّ » فى كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام

(١) ينظر البحر المحيط ٢٥٣/٤ . وهى قراءة ابن عامر من السبعة ، ويعقوب من العشرة . النشر ص ٢٠٠ .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٣) القراءة بذلك ليست شاذة ، بل متواترة كما خرجناها . (تفسير الطبرى ٤٣/٩)

والخبر بعد الذي قبلها .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ .
فقال بعضهم : معناه : تمامًا على المحسنين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ . قال : على المؤمنين ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ : المؤمنين والمحسنين ^(٢) .

وكان مجاهدًا وجه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده .

فإن قال قائل : فكيف جاز أن يقال : ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ . فيؤخذ
﴿ الَّذِي ﴾ ، والتأويل : على الذين أحسنوا ؟

قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة في « الذي » وفي الألف واللام ، إذا أرادت به الكل والجميع ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [العصر : ١ ، ٢] . وكما قالوا : أَكْثَرَ الدُّرْهِمِ فِي ^(٣) أَيْدِي النَّاسِ .

وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : (تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا) ^(٤) . وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد .

(١) تفسير مجاهد ص ٣٣١ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١١) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣ - ٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الذي هم فيه في » .

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٧١ عن حجاج ، عن هارون . وينظر مختصر الشواذ . حالويه ص ٤٧ .

وإذا كان المعنى كذلك، كان قوله: ﴿ أَحْسَنَ ﴾. فعلاً ماضياً، فيكون نصبه لذلك .
وقد يجوز أن يكون ﴿ أَحْسَنَ ﴾ في موضع خفضٍ ، غير أنه نصب ، إذ كان
أفعلٌ ، وأفعلٌ لا يُجرى^(١) في كلامها .
فإن قيل : فبأي شيء خُفِضَ ؟

قيل : ردّاً على ﴿ الَّذِي ﴾ ؛ إذ لم يَظْهَرْ له ما يَرْفَعُهُ .

فيكون تأويلُ الكلام حينئذٍ : ثم آتينا موسى الكتابَ تماماً على الذي هو
أحسنٌ . ثم حُذِفَ « هو » ، وجاور « أحسن » « الذي » ،^(٢) فَعُرِّبَ بِتَعْرِيبِهِ^(٣) ، إذ كان
كالمعرفة ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ الألفَ واللامَ لا يَدْخُلَانِهِ ، و « الذي » مثله ، كما تقولُ
العربُ : مررتُ بالذي خيرٌ منك وشرٌّ منك . وكما قال الراجزُ^(٤) :

إِنَّ الزُّبَيْرِيَّ الَّذِي مِثْلَ الْحَلَمِ^(٥)

مَسَى^(٦) بِأَسْلَابِكُمْ أَهْلَ الْعَلَمِ

فأتبع « مِثْلَ » « الذي » في الإعرابِ ، وَمَنْ قال ذلك لم يَقُلْ : مررتُ بالذي
عالمٍ . لأن « عالماً » نكرةٌ ، و « الذي » معرفةٌ ، ولا تَتَّبِعُ نكرةٌ معرفةً .

وقال آخرون : معنى ذلك : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ : موسى فيما امتَحَنَهُ
اللَّهُ به في الدنيا مِنْ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ .

(١) الإجراء : الصرف . كما تقدم قبل .

(٢ - ٢) في م : « فعرِّب بتعريبه » ، وفي ت ١ : « عرف بعربه » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعرب بتعريبه » .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ / ٣٦٥ ، غير منسوب لقائل .

(٤) الحلم ، جمع حَلَمَةٍ : وهي الصغيرة من القردان . اللسان (ح ل م) .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « مسى » .

(٦) العلم : الجبل . اللسان (ع ل م) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٩١/٨ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنِ الرَّبِيعِ : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ : فِيمَا أُعْطَاهُ
اللَّهُ ^(١) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ :
﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ . قَالَ : مَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا
تَمَّمَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ . يَقُولُ : مَنْ أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا تَمَّتْ عَلَيْهِ
كَرَامَةُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ .

وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأْوَلَهُ الرَّبِيعُ يَكُونُ ﴿ أَحْسَنَ ﴾ نَصْبًا ؛ لِأَنَّهُ فَعْلٌ مَاضٍ .
و ﴿ الَّذِي ﴾ بِمَعْنَى « مَا » . وَكَانَ الْكَلَامُ حَيْثُذِي : ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى
مَا أَحْسَنَ مُوسَى . أَيْ : آتَيْنَاهُ الْكِتَابَ لِأَتَمِّمْ لَهُ كَرَامَتِي فِي الْآخِرَةِ ، تَمَامًا عَلَى إِحْسَانِهِ
فِي الدُّنْيَا فِي ^(٣) عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْقِيَامِ بِمَا ^(٤) « كَلَّفَهُ بِهِ » مِنْ طَاعَتِهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ : مَعْنَاهُ : ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَى
أَنْبِيَائِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٤٢٣/٥ (٨١١٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١/٢٢١ ، ٢٢٢ - وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٤٢٣/٥ (٨١١٢) - عَنْ

مَعْمَرٍ بِهِ ، وَعِزَّاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٥٦/٣ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَأَبِي الشَّيْخِ .

(٣) فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « وَفِي » .

(٤ - ٤) فِي ص ، ف : « كَلَّفَهُ » وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « كَلَّفَتْهُ » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ . قَالَ : تَمَامًا مِنَ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَهَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ ، آتَاهُمْ ^(١) ذَلِكَ الْكِتَابَ تَمَامًا لِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ ^(٢) .

و ﴿ أَحْسَنَ ﴾ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى أَنَّهُ فَعْلٌ مَاضٍ ، وَ ﴿ الَّذِي ﴾ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَالْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ الرِّيْعُ بِمَعْنَى « مَا » .
وَذَكَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ : (تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) ^(٣) .
رَفَعًا ، بِتَأْوِيلٍ : عَلَى الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ .

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ ، قَالَ : ثنا الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، عَنْ هَارُونَ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ^(٤) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذِهِ قِرَاءَةٌ لَا أُسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِهَا وَإِنْ كَانَ لَهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَجْهٌ صَحِيحٌ ؛ لِخِلَافِهَا مَا عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مُجْمِعَةٌ مِنْ قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ .

وَأُولَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا لِنَعْمِنَا عِنْدَهُ ، عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ مُوسَى فِي قِيَامِهِ بِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرَ مَعَانِيهِ ^(٥) فِي الْكَلَامِ ، وَأَنْ إِيتَاءَ مُوسَى كِتَابَهُ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَنْعَمَ بِذَلِكَ عَلَيْهِ لِمَا سَلَفَ لَهُ مِنْ صَالِحِ عَمَلٍ ، وَحُسْنِ طَاعَةٍ ، وَلَوْ

(١) فِي م : « وَآتَاهُمْ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٤٢٣/٥ (٨١١٠) مِنْ طَرِيقِ أَصْبَغٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ بِهِ .

(٣) وَهِيَ قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ .

(٤) يَنْظُرُ الْمُحْتَسِبُ ص ٢٣٤ .

(٥) بَعْدَهُ فِي ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « وَ » .

كان التأويل على ما قاله ابن زيد ، كان الكلام : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسننا . أو : ثم آتى الله موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن . وفى وصفه جل ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ، ثم صرّفه الخبر بقوله : ﴿ أَحْسَنَ ﴾ . إلى غير الخبر عن نفسه ؛ بقرب ما بين الخبرين - الدليل الواضح على أن القول غير^(١) الذى قاله ابن زيد .

وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه ﴿ الَّذِى ﴾ إلى معنى الجميع ، فلا دليل فى الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك ، بل ظاهر الكلام بالذى اخترنا من القول أشبه ، وإذا توزع فى تأويل الكلام ، كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر ، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنى به غير ذلك .

92/8 /وأما قوله : ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . فإنه يعنى : وتبييناً لكل شيء من أمر الدين الذى أمروا به .

فتأويل الكلام إذن : ثم آتينا موسى التوراة تماماً لنعمنا عنده ، وأيادينا قبله ، تتم به كرامتنا عليه ، على إحسانه وطاعته ربّه ، وقيامه بما كلفه من شرائع دينه ، وتبييناً لكل ما بقومه^(٢) وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم .

كما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ : فيه حلاله وحرامه^(٣) .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمٍ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٤) .
يقول تعالى ذكره : آتينا موسى الكتاب تماماً وتفصيلاً لكل شيء ،

(١) بعده فى م : « القول » .

(٢) فى م : « لقومه » ، وفى س : « تقومه » ، وفى ف : « يقومه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١٤) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

﴿ وَهَدَى ﴾ . يعنى بقوله ﴿ وَهَدَى ﴾ : تقويماً لهم على الطريق المستقيم ، وبياناً لهم سُبُلَ الرِّشَادِ ؛ لئلا يَضِلُّوا . ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ . يقول : ورحمةً منا بهم ، ورأفةً ؛ لِنُجِّيَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَعَمَى الْحَيْرَةِ .

وأما قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه يعنى : إيتائى موسى الكتابَ تمامًا لكرامةِ اللهِ موسى على إحسانِ موسى ، وتفصيلاً لشرائعِ دينه ، وهَدَى مَنْ اتَّبَعَهُ ، ورحمةً لمن كان منهم ضالًّا ؛ لِنُجِّيَهُ اللهُ به مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَلِيُؤْمِنَ بِلِقَاءِ رَبِّهِ إِذَا سَمِعَ مَوَاعِظَ اللهِ الَّتِي وَعَظَ بِهَا خَلْقَهُ فِيهِ ، فَيَزْتَدِغَ عما هو عليه مقيماً مِنَ الْكُفْرِ به ، وبلقائه بعدَ مماته ، فَيُطِيعَ رَبَّهُ ، وَيُصَدِّقَ بما جاءه به نبيُّه موسى عليه السلام .

فهرس الجزء التاسع

تابع تفسير سورة المائدة

الموضوع	الصفحة
القول فى تأويل قوله : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ﴾	٥
القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم ﴾	١١
القول فى تأويل قوله : ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ﴾	١١
القول فى تأويل قوله : ﴿ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾	١٢
القول فى تأويل قوله : ﴿ فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون ﴾	١٣
القول فى تأويل قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾	١٣
القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم ﴾	٢٣
القول فى تأويل قوله : ﴿ قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ﴾ ..	٢٥
القول فى تأويل قوله : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾	٢٦
القول فى تأويل قوله : ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾	٤٠

- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ...
 لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ ٤٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ
 مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ٤٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴾ ٥٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ
 الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ٥٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ ٦١
- القول فى تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ
 مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ ٧١
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا
 وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ ٧٤
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمْنُ
 الْآثِمِينَ ﴾ ٧٩
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ فَإِنْ عَشَرَ عَلَى أَنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ
 يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ ﴾ ٨١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا
 اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمْنُ الظَّالِمِينَ ﴾ ١٠٣
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا
 أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ١٠٤
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ١٠٦

- القول فى تأويل قوله : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ ١٠٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ﴾ ١١٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ تكلم الناس فى المهد وكهلا ... إن هذا إلا سحر مبين ﴾ ١١٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ ١١٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم ... إن كنتم مؤمنين ﴾ ١١٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ﴾ ١٢٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة ... وأنت خير الرازقين ﴾ ١٢٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ﴾ ١٣١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ... إنك أنت علام الغيوب ﴾ ١٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ ١٣٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ... وأنت على كل شىء شهيد ﴾ ١٣٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك

- ١٣٩ أنت العزيز الحكيم ﴿
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ...
- ١٤٠ ذلك الفوز العظيم ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
- ١٤٢ العظيم ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على
- ١٤٣ كل شىء قدير ﴿
- ١٤٤ تفسير سورة الأنعام
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض ﴿ ... ١٤٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴿ ... ١٤٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴿ ... ١٤٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ هو الذى خلقكم من طين ﴿ ... ١٤٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴿ ... ١٥٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ثم أنتم تمترون ﴿ ... ١٥٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو الله فى السماوات والأرض يعلم سركم
- ١٥٥ وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها
- ١٥٥ معرضين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما
- ١٥٦ كانوا به يستهزئون ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ... وأنشأنا
- ١٥٦ من بعدهم قرنا آخرين ﴿
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه

- بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴿١٥٨
 القول فى تأويل قوله : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى
 الأمر ثم لا ينظرون ﴾ ١٦٠
 القول فى تأويل قوله : ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ ١٦٢
 القول فى تأويل قوله : ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ ١٦٣
 القول فى تأويل قوله : ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
 منهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ ١٦٥
 القول فى تأويل قوله : ﴿ قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة
 المكذبين ﴾ ١٦٦
 القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ قل لمن ما فى السماوات والأرض قل لله
 كتب على نفسه الرحمة ﴾ ١٦٧
 القول فى تأويل قوله : ﴿ ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ ١٧١
 القول فى تأويل قوله : ﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ ١٧٣
 القول فى تأويل قوله : ﴿ وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع
 العليم ﴾ ١٧٤
 القول فى تأويل قوله : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض
 وهو يُطعم ولا يُطعم ﴾ ١٧٥
 القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن
 من المشركين ﴾ ١٧٧
 القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم
 عظيم ﴾ ١٧٧
 القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو
 وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير ﴾ ١٧٩

- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ ... ١٨٠
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم ﴾ ١٨٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ .. ١٨١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ ١٨٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ١٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ ١٩٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ٢٠١
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ ٢٠٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ ٢١١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ ٢١٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ ٢١٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ ٢١٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء

- ٢١٦ ما يزرون ﴿﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة
٢١٨ خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾
القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون
٢١٩ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا ... ولقد
٢٢٣ جاءك من نبا المرسلين ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى
٢٢٥ نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتهم بآية ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
٢٢٧ الجاهلين ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى بيعتهم الله
٢٢٩ ثم إليه يرجعون ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على
٢٣١ أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا
٢٣٢ أم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات
٢٣٧ من يشأ الله يضللهم ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة
٢٣٩ أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾
القول فى تأويل قوله : ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء
٢٤١ وتنسون ما تشركون ﴾

- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ ٢٤١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ ٢٤٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ ٢٤٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ ٢٥٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل رأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ... ثم هم يصدفون ﴾ ٢٥١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل رأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ ٢٥٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ٢٥٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ ٢٥٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الأرض ... أفلا تتفكرون ﴾ ٢٥٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ ٢٥٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ... فتكون من الظالمين ﴾ ٢٥٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله

- ٢٧٠ عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ... فإنه غفور
- ٢٧٢ رحيم ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل
- ٢٧٦ المجرمين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ...
- ٢٧٨ من المهتدين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إنى على بينة من ربي ... وهو خير
- ٢٧٨ الفاصلين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى
- ٢٨١ وبينكم والله أعلم بالظالمين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما
- ٢٨٢ فى البر والبحر ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات
- ٢٨٣ الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
- ٢٨٤ بالنهار ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه
- ٢٨٧ مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى
- ٢٨٨ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴿
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم
- ٢٩٣ وهو أسرع الحاسبين ﴿

- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ ٢٩٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾ ٢٩٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ﴾ ٢٩٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ .. ٢٩٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ ... ٣١٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ﴾ ٣١٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ ٣١٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ... وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾ ٣١٨
- القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾ ٣٢٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ ٣٢٥
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ... إلى الهدى اثنا ﴾ ٣٢٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ ٣٣٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون ﴾ ٣٣٣

- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو الذى خلق السماوات والأرض بالحق ... ﴾
 وهو الحكيم الخبير ﴿ ٣٣٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ ٣٤٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ﴾
 وليكون من الموقنين ﴿ ٣٤٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما ﴾
 أفل قال لا أحب الآفلين ﴿ ٣٥٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال ﴾
 لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ﴿ ٣٦١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ﴾
 فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ﴿ ٣٦٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض ﴾
 حنيفا وما أنا من المشركين ﴿ ٣٦٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وحاجه قومه ... أفلا تتذكرون ﴾ ٣٦٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما ﴾
 لم ينزل به عليكم سلطانا فإى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴿ .. ٣٦٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم ﴾
 الأمن وهم مهتدون ﴿ ٣٦٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات ﴾
 من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴿ ٣٧٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ... وكذلك نجزى ﴾
 المحسنين ﴿ ٣٨١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من ﴾

- الصالحين ﴿ ٣٨٢ القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ﴾ ٣٨٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ ٣٨٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ ٣٨٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ ٣٨٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ٣٩١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ ٣٩٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ ٣٩٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾ ٣٩٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ ٣٩٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ ٤٠٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ ٤٠٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾ ٤٠٨

- القول فى تأويل قوله : ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ ٤١١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم ﴾ ٤١٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ ٤١٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ لقد قطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ ٤١٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى ﴾ ٤٢٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾ ٤٢٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فالق الإصباح وجعل الليل سكناً ﴾ ٤٢٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والشمس والقمر حسبانا ﴾ ٤٢٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ ٤٣١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ ٤٣١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ ٤٣٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ﴾ ٤٤٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان دانية ﴾ ٤٤٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ﴾ ٤٤٨

- القول فى تأويل قوله : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ ٤٤٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ ٤٥٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ ٤٥٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ سبحانه وتعالى عما يصفون ﴾ ٤٥٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ﴾ ٤٥٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ﴾ ٤٥٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ٤٥٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ ٤٦٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ﴾ ٤٧١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ﴾ ٤٧٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ﴾ ٤٧٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ ٤٨٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ ٤٨٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ ٤٨٦

- القول فى تأويل قوله : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ ٤٩٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ ٤٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ ٤٩٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ ٤٩٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وليقتروا ما هم مقترفون ﴾ ٥٠٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ ٥٠٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ ٥٠٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ ٥٠٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ ٥٠٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ٥١٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾ ٥١١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ... إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ ٥١٢

- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ ٥١٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ ٥١٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ٥١٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ... وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ٥٢٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ٥٣٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٥٣٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٥٣٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلَ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ ٥٣٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ سَيَصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ ٥٤٠
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ٥٤١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ٥٤٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ ٥٤٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٥٥١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴾ ٥٥٣

- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ ٥٥٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ ٥٥٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِى أَجَلْتُمْ لَنَا ﴾ ٥٥٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ٥٥٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُولَىٰ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ٥٥٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ ٥٥٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ٥٦٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ ٥٦٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ٥٦٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِىُّ ذُو الرَّحْمَةِ ... قَوْمٌ آخِرِينَ ﴾ ٥٦٤
- القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنْ مَا تَوْعَدُونَ لَأْتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ٥٦٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ٥٦٧
- القول فى تأويل قوله : ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .. ٥٦٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وَجْعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ... ﴾

- ٥٦٨ ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ
 شُرَكَاءَهُمْ ... فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ٥٧٣
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِثَ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا
 مِنْ نَشَاءٍ بَزَعْمِهِمْ﴾ ٥٧٧
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ
 عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ٥٨١
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ ...
 فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ ٥٨٤
 القول فى تأويل قوله : ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٥٨٩
 القول فى تأويل قوله : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ
 وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ... ٥٩٠
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ
 مَعْرُوشَاتٍ﴾ ٥٩٣
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ
 مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ ٥٩٤
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٦١٤
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ﴾ ٦١٨
 القول فى تأويل قوله : ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٦٢٣
 القول فى تأويل قوله : ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ... نَبْئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ﴾ ٦٢٣
 القول فى تأويل قوله : ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ... إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي

- القوم الظالمين ﴿ ٦٢٩
القول فى تأويل قوله : ﴿ قل لا أجد فى ما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه
إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير
الله به ﴾ ٦٣١
القول فى تأويل قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور
رحيم ﴾ ٦٣٧
القول فى تأويل قوله : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ﴾ ٦٣٨
القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما
حملت ظهورهما ﴾ ٦٤١
القول فى تأويل قوله : ﴿ أو الحوايا ﴾ ٦٤٣
القول فى تأويل قوله : ﴿ أو ما اختلط بعظم ﴾ ٦٤٦
القول فى تأويل قوله : ﴿ ذلك جزيناهم بيغيهم وإنا لصادقون ﴾ ٦٤٧
القول فى تأويل قوله : ﴿ فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد
بأسه عن القوم المجرمين ﴾ ٦٤٧
القول فى تأويل قوله : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا
آبائنا ولا حرمنا من شىء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا
بأسنا ﴾ ٦٤٩
القول فى تأويل قوله : ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا
الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ ٦٥٢
القول فى تأويل قوله : ﴿ قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم
أجمعين ﴾ ٦٥٢
القول فى تأويل قوله : ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ...
وهم بربهم يعدلون ﴾ ٦٥٤

- القول فى تأويل قوله : ﴿ قل تعالى أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا
 به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ ٦٥٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم
 وإياهم ﴾ ٦٥٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ .. ٦٥٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم
 وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ ٦٦١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى
 يبلغ أشده ﴾ ٦٦٢
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا
 وسعها ﴾ ٦٦٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا
 ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ ٦٦٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
 فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ ٦٦٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن
 وتفصيلاً لكل شىء ﴾ ٦٧٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وهدى ورحمة لعلهم بقاء ربهم يؤمنون ﴾ ٦٧٨

تم بحمد الله ومنه الجزء التاسع

ويليه الجزء العاشر وأوله :

القول فى تأويل قوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك

فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ .